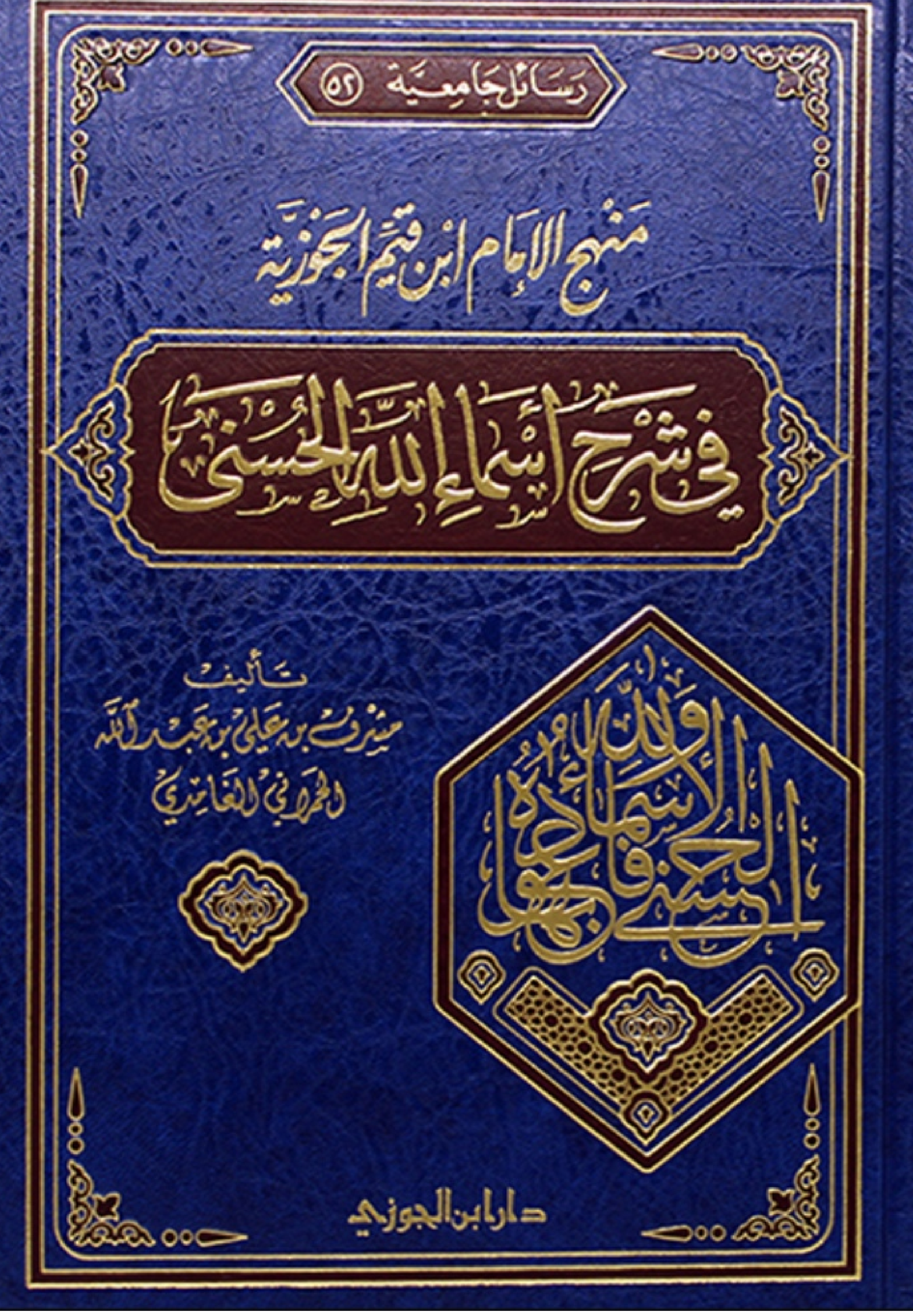
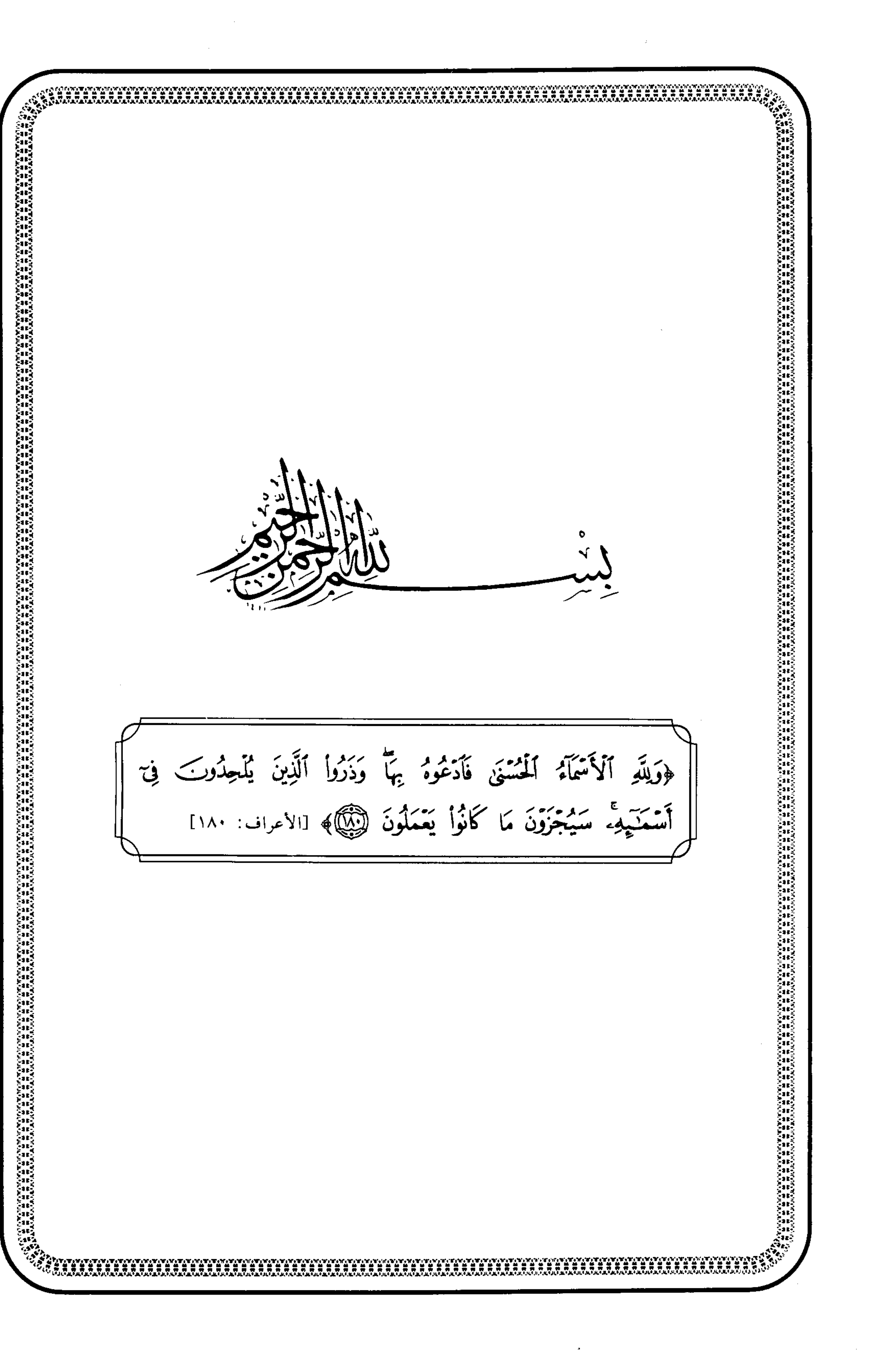

رسائل جامعية (٥٢)
منهج الإمام ابن قيم الجوزية
في شرح أسماء الله الحسنى
تأليف
مشرف بن علي بن عبد الله
الحمراني الغامدي
ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها
دار ابن الجوزي

رسائل جامعيّة (٥٢)

منهج الإمام ابن قيّم الجوزيّة في شرح أسماء الله الحسنى

تأليف
مشرف بن علي بن عبد الله الحمراني الغامدي

دار ابن الجوزي



﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠]



أنظر قناة التيلغرام 👇

(تحميل كتب ورسائل علمية)





تحميل كتب و رسائل علمية

channel publik

Info

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

Tautan Undangan

منهج الإمام ابن قيم الجوزية في شرح أسماء الله الحسنى

أصل هذا الكتاب أطروحة علمية نال بها الباحث درجة الماجستير في قسم العقيدة كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بإشراف د. أحمد عبد اللطيف آل عبد اللطيف وعضوية أ.د. الخضر عبد الرحيم، و د. عبد العزيز عبد اللطيف المرشدي

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - شارع ابن خلدون - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٨٩ - ٨٤٦٧٥٩٣،
ص ب: ٢٩٨٢ - الرمز البريدي: ٣١٤٦١ فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - ت: ٤٢٦٦٣٣٩ - الإحساء - الهفوف
- شارع الجامعة - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جدة - ت: ٦٥٠٤٨٨٢ - ٦٨١٣٧٠٦ - بيروت - هاتف: ٠٣/٨٦٩٦٠٠
- فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهرة - ج.م.ع - محمول: ٠١٠٦٨٢٣٧٨٣ - تلفاكس: ٠٢٤٣٤٤٩٧٠
البريد الإلكتروني: aljawzi@hotmail.com - www.jwzi.com

(أ)

«مستخلص البحث»

عنوان هذا البحث ـ هو: «**منهج الإمام ابن قيم الجوزية في شرح أسماء الله الحسنى**».

وظاهر من خلال العنوان أن موضوع البحث دراسة لموضوع الأسماء الحسنى عند الإمام ابن القيم: وقد جعلتها في قسمين لإظهار مدى علاقة ثانيهما بالأول ومن ثم اقتضت طبيعة ذلك دراسة كل منهما دراسة وافية مستوعبة في قسمين اثنين:

القسم الأول: «قواعد الأسماء الحسنى عند الإمام ابن القيم» وفيها تم حصر هذه القواعد من كلامه فبلغت عشرة فصول. تخللتها مباحث ومطالب، وفيها أحكام مستفادة من كل قاعدة من هذه القواعد، إلا ما ندر.

ومع هذا فإن هذه الدراسة لم تخل من مقارنة بين من تكلم في هذا العلم الشريف، لمعرفة مناهج العلماء في هذا الموضوع. وسيرى القارئ الكريم أن هناك تميزاً كبيراً في فهم هذا الموضوع، تميز به أَتباع المنهج السلفي عن غيرهم من أَتباع المناهج الفلسفية والكلامية من المعتزله والأشاعرة وغيرهم، مع العناية في هذه الدراسة بإيراد كلام العلماء وأقوالهم في كلا القسمين على حد سواء. أملاً في تحقيق المسائل التي قد يقع فيها الخلاف سواء كان هذا الخلاف لفظياً أو معنوياً أو منهجياً وبيان الحجة فيه بدليلها.

سيما وأن ابن القيم أورد هذه القواعد بعد استقراء تام لمنهج السلف مستفيداً مما كتب في موضوع الأسماء، ومن تأمل تحقيقه للمسائل أيقن أن الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أحد الرواد المجددين للعقيدة السلفية.

القسم الثاني: «تطبيقات القواعد المحررة في القسم الأول على الأسماء الحسنى» وفيها بيان معنى الاسم لغة، وشرعاً وترتب الآثار الإيمانية عليه. وغالباً ما يتخلل هذا القسم الرد على المخالفين في فهم بعض هذه الأسماء من كلام الإمام ابن القيم وغيره من العلماء المحققين.

وقد جرى استخراج جملة وافرة من المسائل المبنية على معاني الأسماء في هذا القسم، حاولت جمع شتاتها قدر المستطاع، وتعتبر انفرادة تميز بها الإمام ابن القيم مع أنه لم يكن يوردها على سبيل التأليف ولكنه كلما سنحت له سانحة تكلم على شيء من تلك المسائل حتى تكوَّن لدينا منها هذه الجُملة التي ذكرتها، ولم يفته أن ينبه على تزكية النفوس من خلال الجوانب التربوية في كلامه. هذا وقد خرج البحث في قسميه بعدة نتائج مهمة يمكن مطالعتها في ملحق هذا الموضوع.

فيا أيها القارئ له، والناظر فيه، هذه بضاعة صاحبها المزجاة مسوقة إليك وهذا فهمه وعقله معروض عليك لك غنمه وعلى قائله غرمه، ولك ثمرته وعليه عائدته فإن عدم منك حمداً وشكراً فلا يعدم منك عذراً. **وإن أبيت إلَّا الملام فبابه مفتوح**:

وقد استأثر الله بالثناء ... وبالحمد وولَّى الملَامَةَ الرَّجُلَا[1]

ورحم الله الإمام ابن القيم القائل: «ولولا أن الحق لله ورسوله، وأن كل ما عدا الله ورسوله، فمأخوذ من قوله ومتروك، وهو عرضة الوهم والخطأ: لما اعترضنا على من لا نلحق غبارهم، ولا نجري معهم في مضمارهم، ونراهم فوقنا في مقالات الإيمان، ومنازل السائرين كالنجوم الدراري، ومن كان عنده علم فليرشدنا إليه، ومن رأى في كلامنا زيغاً، أو نقصاً وخطأ، فليهدِ إلينا الصواب، نشكر له سعيه، ونقابله بالقبول والإذعان والانقياد والتسليم، والله أعلم، وهو الموفق»[2].

والله المسئول أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وينفع به مؤلفه وقارئه وكاتبه في الدنيا والآخرة، إنه سميع الدعاء وأهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢/٦٨) والبيت للفرزدق.

(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/١٤٣).

(ب)

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠﴾ [الأحزاب: ٧٠].

أما بعد: فإن الله تبارك وتعالى لم يخلق الخلق سدى ولم يتركهم هملاً، بل إنه تعالى أنزل عليهم الكتاب وأرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين.

فلم تخل أمة من الأمم إلا وقد جعل الله لها شرعة ومنهاجاً، وبعث إليهم الأنبياء والرسل ليبينوا لهم أمور دينهم ويقيموا الحجة على المخالف كائناً من كان فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] وقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فاطر: ٢٤].

وقال في الحجة المرسلة: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٦٥﴾ [النساء: ١٦٥]. وإن من نعم الله العظيمة على هذه الأمة أن جعل دينها ديناً وسطاً وأرسل إليها أفضل الأنبياء

والرسل المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الذي أوضح الحجة وأبان المحجة وترك الأمة على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

وحيث إن مسألة الإيمان بالله تعالى هي المُعوَّل الأول والركن الركين فإن النبي ﷺ بيّنه أحسن البيان وأوضحه غاية الوضوح، ولم يدع الصحابة يحتاجون فيه إلى أحد ولم ينقل عنهم في ذلك خلاف في مسائله التي من أهمها التعرف عليه ﷻ بأسمائه وصفاته. **قال الإمام ابن القيم** رحمه الله: «إن أهل الإيمان قد يتنازعون في بعض الأحكام ولا يخرجون بذلك عن الإيمان، وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيماناً. ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال بل كلمتهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم. لم يسوموها تأويلاً، ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلاً، ولم يبدوا لشيء منها إبطالاً ولا ضربوا لها أمثالاً، ولم يدفعوا في صدورها وأعجازها، ولم يقل أحد منهم: يجب صرفها عن حقائقها وحملها على مجازها، بل تلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها بالإيمان والتعظيم، وجعلوا الأمر فيها كلها أمراً واحداً، وأجروها على سنن واحد، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع حيث جعلوها عضين، وأقروا بعضها وأنكروا بعضها من غير فرقان مبين، مع أن اللازم لهم فيما أنكروه كاللازم فيما أقروا به وأثبتوه»[1].

ومع أن الخلاف في مسألة الإيمان أول خلاف في المِلَّة ظل من أعظم قضايا الخلاف بين هذه الأمة، إلا أن الله جلَّت حكمته قضى ألا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق منصورة لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله، وجعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل

(١) انظر: أعلام الموقعين (١/ ٨٤) بتصرف. وفيما ذكر الإمام ابن القيم: ردٌّ على من زعم من المعاصرين أن النبي ﷺ، لم يبين للصحابة ما يتعلق بمسائل الإيمان من معرفة الله بأسمائه وصفاته وغيرها؟! وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها!!.

إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بنور الله أهل العمى فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدعة.

وأطلقوا عقال الفتنة فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبه عليهم[١].

والجدير بالذكر أن الإمام ابن القيم أحد الذين حملوا لواء السنة والجماعة وقرروا مسائل الإيمان أحسن تقرير نظماً وشرحاً، وتصدى لأهل الأهواء والبدع على اختلاف مناهجهم وكتب في الرد عليهم وتزييف آرائهم الفاسدة «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» و«الجيوش الإسلامية»، و«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية».

فكانت أعلاماً يَدِلُّ بها أهل السنة على من سواهم وشجاً في حلوق أهل الأهواء والبدع.

وثالثةً: لقد قام بالحق خير قيام وصدع به في وجوه المبطلين، كيف لا وهو القائل: «فحقيق بمن أقيم في هذا المنصب أن يُعِدَّ له عُدته، وأن يتأهب له أُهبَتَه، وأن يعلم قدر المقام الذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به، فإن الله ناصره وهاديه»[٢].

وبما أن مفتاح دعوة الرسل وزبدة رسالتهم معرفة المعبود بأسمائه وصفاته وأفعاله إذ على هذه المعرفة تُبنى مطالب الرسالة جميعها من أولها إلى آخرها[٣]، لذا أرى أنه من الأهمية بمكان أن أذكر بعض الأمور التي تبين أهمية موضوع أسماء الله الحسنى وهي كالتالي:

أولاً: إن العلم بالله وأسمائه وصفاته أشرف العلوم وأجلّها على

---

(١) مقدمة الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ضمن عقائد السلف للنشار (ص٥٢).
(٢) أعلام الموقعين (١/ ٣٨). (٣) الصواعق المرسلة (١/ ١٥٠).

الإطلاق، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، والمعلوم في هذا العلم هو الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله، فالاشتغال بفهم هذا العلم، والبحث التام عنه، اشتغال بأعلى المطالب وحصوله للعبد من أشرف المواهب، ولذلك بيّنه الرسول ﷺ غاية البيان. ولاهتمام الرسول ﷺ ببيانه لم يختلف الصحابة رضوان الله عليهم كما اختلفوا في الأحكام[1].

ثانياً: إن العلم بأسماء الله الحسنى أصل للعلم بكل معلوم، فإن المعلومات سواه إما أن تكون خلقاً له تعالى أو أمراً، إما علم بما كوّنه، أو علم بما شرعه، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه.. وإحصاء الأسماء الحسنى أصل لإحصاء كل معلوم، لأن المعلومات هي مقتضاها ومرتبطة بها[2].

ثالثاً: إن معرفة الله ﷻ بأسمائه الحسنى، مما يزيد الإيمان، ويقويه في نفس المؤمن. كما قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الإيمان بأسماء الله الحسنى ومعرفتها يتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات وهذه الأنواع هي روح الإيمان وروحه، وأصله وغايته، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته ازداد إيمانه وقويَ يقينه»[3].

ولِأَنَّ الإمام ابن القيم أحد محققي علوم الشريعة وله في كل فن قواعده، وقد رأيت له قواعد جليلة في باب الأسماء والصفات لم يسبق إليها وبعد الاستخارة واستشارة بعض مشايخي بقسم العقيدة قررت القيام بدراستها وإخراجها في مؤلف مستقل حتى يتسنى للدارسين وطلاب العلم الرجوع إليها، والإفادة منها، عند الحاجة إليها. ولا ريب أن الإمام ابن القيم قد ضبط قواعد الأسماء والصفات فكان أحد المحققين لهذا العلم الجليل.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل للإمام ابن تيمية (١/ ١٩٢)، وانظر: الفتوى الحموية له (ص٢٧١) وإعلام الموقعين (١/ ٨٤).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ١٦٣)، وانظر: مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٢/ ١٦) وللاستزادة من هذا الموضوع، انظر: جامع البيان للطبري (١/ ٣٨)، درء تعارض العقل والنقل للإمام ابن تيمية (٥/ ٣١٠).

(٣) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان لابن سعدي (ص٤٧).

(ج)

أهم أسباب اختيار الموضوع

١ ـ عظيم أمر الإيمان بأسماء الله الحسنى وما ترتب عليها من أحكام وآثار، إذ إِن معرفتها هو أصل الإيمان، يرجع إليها ذلك لشرف متعلقها وعظمته وشدة الحاجة إلى معرفته؛ لأن في معرفته زيادة في إيمان العبد فكيف إذا كانت آثاره في النفس من أشرف المواهب الربانية وأزكاها.

٢ ـ الإفادة من منهج الإمام ابن القيم في شرح أسماء الله الحسنى وذلك من خلال القواعد التي وضعها، ولم يسبق إليها، ولو لم يكن له منها سوى الجمع والاستقراء لكان ذلك جديراً بذكر هذه الفائدة والتدليل عليها، والإشادة بها.

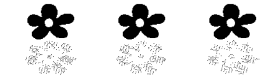
ولا ريب أن كل من كتب في هذا الموضوع من المعاصرين فإنه عالة على ما سطرته يراع الإمام ابن القيم، فأفادهُ غيره منه فهو عندي جدير بإبراز منهجه وموروثه في هذا الفن فيكون بعضاً من رد الجميل لهذا الإمام الرباني.

٣ ـ كثرة كتابات المخالفين لأهل السنة والجماعة في هذا الباب وانتشارها بين الناس على حين قلة الإفراد بمؤلف يعتني بجمع أسماء الله الحسنى وصفاته وبيان معانيها ومعرفتها واثبات حقائقها على منهج أهل السنة والجماعة.

٤ ـ تحقيق أُمنية الإمام ابن القيم في إفراد الأسماء الحسنى بمؤلف فإنه ـ عندما انتهى من الكلام عن قواعد وأقسام ما يوصف به الرب تبارك وتعالى وهي عشرون قاعدة ـ قال: فعليك بمعرفتها ومراعاتها، ثم اشرح

الأسماء الحسنى إن وجدت قلباً وعقلاً ولساناً قائلاً ومحلاً قابلاً، وإلا فالسكوت، أولى، فجناب الربوبية أجل وأعز مما يخطر بالبال أو يعبر عنه المقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦] حتى ينتهي العلم إلى من أحاط بكل شيء علماً. وعسى الله أن يعين بفضله على تعليق شرح الأسماء الحسنى مراعياً فيه أحكام هذه القواعد بريئاً من الإلحاد في أسمائه وتعطيل صفاته، فهو المان بفضله والله ذو الفضل العظيم[1].

٥ ـ الفائدة العائدة عليَّ من معرفة منهج الإمام ابن القيم في باب أسماء الله الحسنى، وطريقته في تقرير مسائله والاستدلال لها بالكتاب والسنة والإجماع والرد على المخالفين وتزييف أقوالهم المبنية على الشبه، وإلزامهم الحجة بأدلتها النقلية والعقلية.



(١) بدائع الفوائد (١/ ١٨٧) وانظر: تقريب علوم ابن القيم لشيخنا العلامة: بكر أبو زيد (ص٨٤).

د ـ خطة البحث

أولاً: القيام بجمع المادة العلمية لهذا الموضوع الذي جعلت عنوانه «منهج الإمام ابن قيم الجوزية في شرح أسماء الله الحسنى». متتبعاً مادته من جميع ما كتبه الإمام ابن القيم في مؤلفاته.

ثانياً: جعلت هذا الموضوع عبارة عن مقدمة وقسمين وخاتمة فكانت على النحو التالي:

(أ) مستخلص البحث.

(ب) المقدمة.

(ج) أهم أسباب اختيار الموضوع.

(د) خطة البحث.

(هـ) منهجي في البحث.

(و) ترجمة للإمام ابن القيم واشتملت على مبحثين:

المبحث الأول: العصر الذي عاش فيه وتحته ثلاثة مطالب.

المبحث الثاني: أطوار حياته وتحته خمسة مطالب.

(ز) توطئة في معتقد الفرق والطوائف في أسماء الله الحسنى.

- **والقسم الأول من الموضوع وفيه عشرة فصول:**

الفصل الأول: بيان ما يطلق على الله تعالى صفة أو خبراً.

الفصل الثاني: ضوابط الاسم والمسمى.

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاسم والمسمى.

المبحث الثاني: أقوال الناس في الاسم والمسمى.

المبحث الثالث: مذهب ابن القيم في الاسم والمسمى.

الفصل الثالث: الفرق بين ما يخبر به عن الله تعالى وبين ما يوصف به.

وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول : ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته.

المبحث الثاني : خطأ من اشتق له تعالى من كل فعل اسم من الأسماء.

المبحث الثالث : نماذج لما وقع من الخطأ عن اشتقاق اسماء الله تعالى من أفعاله عند شراح الأسماء الحسنى ـ لا تنفك عن لوازم باطلة ـ.

المبحث الرابع : خلاصة القول بالمنع من هذه الإطلاقات عند الإمام ابن القيم.

الفصل الرابع: حسن أسماء الله تعالى وإحصاؤها ودعاؤه بها.

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : حسن أسماء الله تعالى.

المبحث الثاني : إحصاء أسماء الله تعالى.

المبحث الثالث : دعاؤه بها والثناء عليه بموجبها.

الفصل الخامس: آثار الأسماء الحسنى ومقتضياتها.

وتحته مبحثان:

المبحث الأول : آثار الأسماء الحسنى في الخلق والأمر.

المبحث الثاني : آثار الأسماء الحسنى في العبودية.

وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: العبودية في اللغة.

المطلب الثاني: حقيقة العبودية.

المطلب الثالث: شروط قبول العبادة.

المطلب الرابع: أثر الأسماء الحسنى في العبودية.

الفصل السادس: حكم اشتقاق المصدر والفعل والإخبار بهما عن الله تعالى.

وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول : تعريف الاشتقاق في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني : وجود الاشتقاق في اللغة.

المبحث الثالث : وجود الاشتقاق في أسماء الله الحسنى.

المبحث الرابع : جواب الإمام ابن القيم عن دعوى عدم الاشتقاق.

الفصل السابع: التفاضل بين الأسماء الحسنى، وحصرها بعدد معين مع ثبوت الاسم الأعظم لله تعالى.

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : التفاضل في الأسماء الحسنى.

المبحث الثاني : الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد.

المبحث الثالث : الاسم الأعظم بين النفي والإثبات.

الفصل الثامن: دراسة الروايات والطرق التي سردت الأسماء الحسنى.

وتحته تمهيد ومبحثان:

المبحث الأول : طرق الحديث الذي ليس فيه سرد الأسماء.

المبحث الثاني : دراسة الروايات والطرق التي سردت الأسماء.

الفصل التاسع: حقيقة الإلحاد في أسماء الله تعالى وأقسامه.

وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول : حقيقة الإلحاد في أسماء الله تعالى.

المبحث الثاني : أقسام الطوائف الملحدة في أسماء الله تعالى.

المبحث الثالث : بيان الإمام ابن القيم للوازم أقوال الجهمية.

المبحث الرابع : نماذج من صور الإلحاد في الماضي والحاضر.

الفصل العاشر: مذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء الحسنى وأحكامها.

وتحته مبحثان:

المبحث الأول : التوقيف في أسماء الله وصفاته.

المبحث الثاني : أحكام الأسماء الحسنى ومتعلقاتها.

- **أما القسم الثاني من هذا الموضوع فهو عبارة عن:**

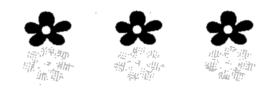
١ ـ تطبيق هذه القواعد آنفة الذكر على مجموع الأسماء الحسنى التالية على النحو الآتي:

١ ـ الله	٢ ـ الرحمن	٣ ـ الرحيم	٤ ـ الملك	٥ ـ القدوس	٦ ـ السلام	٧ ـ المؤمن	٨ ـ المهيمن
٩ ـ العزيز	١٠ ـ الجبار	١١ ـ المتكبر	١٢ ـ الخالق	١٣ ـ البارئ	١٤ ـ المصور	١٥ ـ الغفور	١٦ ـ القهار
١٧ ـ الوهاب	١٨ ـ الرزاق	١٩ ـ الفتاح	٢٠ ـ العليم	٢١ ـ السميع	٢٢ ـ البصير	٢٣ ـ الحكيم	٢٤ ـ اللطيف
٢٥ ـ الحليم	٢٦ ـ العظيم	٢٧ ـ الشكور	٢٨ ـ العلي	٢٩ ـ الحفيظ	٣٠ ـ المغيث	٣١ ـ الحسيب	٣٢ ـ الكريم
٣٣ ـ الرقيب	٣٤ ـ الواسع	٣٥ ـ الرب	٣٦ ـ الودود	٣٧ ـ المجيد	٣٨ ـ الشهيد	٣٩ ـ القوي	٤٠ ـ الحميد
٤١ ـ الحي	٤٢ ـ القيوم	٤٣ ـ الصمد	٤٤ ـ القدير	٤٥ ـ الرفيق	٤٦ ـ الأول	٤٧ ـ الآخر	٤٨ ـ الظاهر
٤٩ ـ الباطن	٥٠ ـ المعطي	٥١ ـ المانع	٥٢ ـ القابض	٥٣ ـ الباسط	٥٤ ـ الخافض	٥٥ ـ الرافع	٥٦ ـ المعز
٥٧ ـ المذل	٥٨ ـ البر	٥٩ ـ التواب	٦٠ ـ العفو	٦١ ـ النور	٦٢ ـ المنان	٦٣ ـ المجيب	٦٤ ـ الحسيب
٦٥ ـ الستير	٦٦ ـ الجواد	٦٧ ـ الجميل	٦٨ ـ القريب	٦٩ ـ الرشيد	٧٠ ـ الصبور		

٢ ـ التعريف بالاسم الكريم، لغة وشرعاً والآثار الإيمانية من هذا الاسم.

٣ ـ إيراد ما التزمه الإمام ابن القيم من الأسماء الحسنى ولم يتطرق إلى الكتابة فيها، لا سيما إذا كان هذا الاسم قد ورد به الكتاب والسنة أو أحدهما.

٤ ـ الرد على المخالفين كالفلاسفة والمتكلمين وغيرهم، وذلك من خلال هذه الدراسة.



(هـ)

منهجي في البحث

١ ـ القيام بجمع المادة العلمية لهذا الموضوع الذي جعلت عنوانه: «منهج الإمام ابن قيم الجوزية في شرح أسماء الله الحسنى».

٢ ـ جعلت الموضوع عبارة عن مقدمة وقسمين وخاتمة.

٣ ـ سيكون القسم الأول منه ما يتعلق بقواعد الإمام ابن القيم في الأسماء الحسنى وتندرج تحته فصول الدراسة وهي عشرة فصول. أما القسم الثاني فهو: ما يتعلق بتطبيق هذه القواعد على الأسماء الحسنى. وقد سبق بيانه.

٤ ـ تدعيم كلام الإمام ابن القيم بأقوال السلف بما يبين أن منهج السلف ليس مقصوراً على فئة معينة كالإمام ابن تيمية وابن القيم، ومحمد بن عبد الوهاب وإنما هو منهج متكامل سار عليه سلف هذه الأمة من قبلهم فهم فيه تبع لهم.

٥ ـ عقد مقارنات منهجية بين الإمام ابن القيم وغيره ممن كتب في موضوع الأسماء الحسنى مثل الغزالي، والرازي، والقرطبي، والسيوطي، والزجّاج، وغيرهم وستكون هذه المقارنة شاملة لأقسام البحث سواء في القواعد أو التطبيقات مع اتباع المنهج الاستقرائي فيها كما هو متبع، وسينتظم قسم التطبيقات نقاط هذا البحث طبقاً للحديث الوارد في عدد الأسماء الحسنى.

٦ ـ أذكر كلام الإمام ابن القيم فيما يتعلق بالاسم على كل حال إلا في حالة عدم وجود ما يمكن ذكره فإني أذكره من كلام غيره من العلماء باعتبار أن هذا الاسم ورد في الكتاب والسنة أو أحدهما؛ ولم يذكره ابن القيم أو يتكلم عليه لوضوحه وظهوره، وأحياناً يغفله لدخول بعض الأسماء في

بعض فيستغني بذكر أحدهما عن الآخر كالواجد والغني، والرقيب والحسيب، والرقيب والشهيد.

٧ - أورد ما تكلم عليه الإمام ابن القيم من الأسماء الثابتة بالكتاب والسنة سواء كان بصيغة الاسم فقط أو بصيغة الاسم والفعل.

٨ - اعتمدت في هذا الموضوع من المراجع ما كان له علاقة به سواء كان ذلك المرجع متقدماً أو متأخراً.

٩ - عزوت الآيات إلى سورها وذكرت رقم الآية.

١٠ - خرّجت الأحاديث الواردة في البحث إلا ما كان في الصحيحين فإني أكتفي بعزوه والإشارة إليه.

١١ - عرفت بالفِرق التي ورد ذكرها في الرسالة.

١٢ - شرحت الكلمات التي تحتاج إلى إيضاح.

١٣ - ترجمت للأعلام غير المشهورين، ولم أترجم للمشاهير كالصحابة والأئمة الأربعة ومشاهير العلماء طلباً للاختصار.

١٤ - جعلت في خاتمة البحث ملخصاً يبيّن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

١٥ - وضعت الفهارس اللّازمة للبحث وهي:

(أ) فهرس الآيات.

(ب) فهرس الأحاديث.

(ج) فهرس المصادر والمراجع.

(د) فهرس الموضوعات.

هذا وإن أول الشكر وآخره ظاهره وباطنه، وبدء الحمد ومنتهاه لمولي الحمد ومستحقه ذي المنن الوفيرة.

له الأسماء الحسنى والصفات العلا، فله سبحانه الحمد وله الشكر على ما منّ به عليَّ من نعم. وبعد شكر المولى ﷻ أرى لزاماً عليَّ أن أُزجي الشكر الجزيل والوفاء الكبير والثناء العاطر إلى كل من أعانني على إتمام هذا العمل.

وأخص بالذكر فضيلة الشيخ الدكتور: **أحمد بن عبد اللطيف آل عبد اللطيف** المشرف على هذه الرسالة الذي أسرني بأخلاقه الفاضلة ولم يبخل علي بتوجيهاته العلمية وملحوظاته المنهجية، فله مني جزيل الشكر والعرفان وجزاه الله عني خير الجزاء وأجزل له الأجر والمثوبة والعطاء، وجعله خلفاً للعلماء العاملين.

كما أوجه الشكر والتقدير لوالدتي الكريمة على ما قدمته لي من دعاءٍ وتشجيع وأقول لها جزاك الله خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

وأوجه الشكر والعرفان للزوجة الرؤوم (أُم عبد الرحمن) التي ضحّت بكثير من وقتها وحقوقها في سبيل توفير الراحة لي لأصِل الليل بالنهار حتى تكاملت هذه الدراسة بحمد الله تعالى.

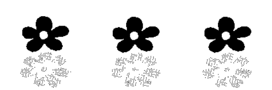
وإلى كل من أَعارني كتاباً أو أسدى لي توجيهاً، أَو قدَّم لي خدمةً أقول لهم جميعاً: جزاكم الله عني خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

ولا أنسى في الختام أن أشكر **جامعة أم القرى بمكة المكرمة** ممثلة في كلية **أصول الدين وقسم العقيدة** فيها على إتاحة هذه الفرصة لي لإعداد رسالة درجة التخصص (الماجستير).

وختاماً، فإني لا أدعي أَني وفيت الموضوع حقه، وكم ترك الأول للآخر، ولا أني أصبت في كل ما قلت وقصدت لأن الخطأ والنقصان من طبيعة البشر، ولكن حسبي أني بذلت وسعي واستغرقت جهدي فما كان فيه من صواب فمن الله وحده فله الحمد وله الشكر، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي وأستغفر الله تعالى.

والله أسال بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يرزقني الإخلاص في القول والعمل والسر والعلن، وأن يجعل ما قمت به حجة لي لا حجة علي، وأن يريني الحق حقاً ويرزقني اتباعه، وأن يريني الباطل باطلاً ويرزقني اجتنابه، إنه سميع قريب كما أسأله تعالى أن ينفع بهذه الرسالة كما نفع بأصلها.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(و)

حياة الإمام ابن القيم

المبحث الأول: العصر الذي عاش فيه وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية.

أ ـ ظهور التتار.

ب ـ سقوط بغداد.

ج ـ ظهور الإفرنج.

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية.

المطلب الثالث: الحالة العلمية.

المبحث الثاني: أطوار حياته وتحته خمسة مطالب:

المطلب الأول: مولده واسمهُ ونشأته.

(أ) سلوكه وعفته.

(ب) عبادته وزهده.

(ج) ثناء الأئمة عليه.

(د) محنته وسببها.

(هـ) وفاته.

المطلب الثاني: حياته العلمية.

المطلب الثالث: شيوخه.

المطلب الرابع: تلاميذه.

المطلب الخامس: مؤلفاته، والكتب المنسوبة إليه.





العصر الذي عاش فيه

مُقَدِّمَة

إن مما لا شك فيه أن العقلاء لا يختلفون في أن للبيئة تأثيراً كبيراً في حياة الإنسان. وكما قيل: (الإنسان ابن بيئته) ولكن هذا التأثير يختلف باختلاف الأشخاص فبعضهم يتأثر بالعوائد والتقاليد ولا يستطيع مخالفتها ولا الخروج عنها، والبعض الآخر بما له من قوة في الحق والإصلاح والعودة إلى الطريق المستقيم لا يأبه في سبيل ذلك بالتنكيل والعذاب، ولو أردنا أن نعرض جانباً من حياة هؤلاء المصلحين الأفذاذ الذين قاموا لله بحجته في الأرض، لوجدنا من ذلك ما يفوق الوصف وما لا ينقضي منه العجب. ومن أولئك على سبيل المثال لا الحصر: الإمام أحمد، والعز بن عبد السلام، والإمام ابن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، والأمير الصنعاني، وابن الوزير وغيرهم كثير... ومن هؤلاء الأئمة المصلحين الإمام: ابن قيم الجوزية. فإنه نادى بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في وقت كان التقليد والتعصب المذهبي هو السائد، وفي وقت أَلِفت فيه النفوس العوائد التي نشأت عليها.

وتظهر لنا آراؤه وأفكاره من خلال ثروته العلمية الضخمة التي تركها لمن بعده، وعليه، فلا بد لنا من الحديث عن العصر الذي عاش فيه الإمام ابن القيم مؤثراً أو متأثراً حتى يظهر لنا من خلال هذه الدراسة عوامل تكوين شخصيته ومنهجه.

نتحدث **أولاً** عن الحالة السياسية، **وثانياً** عن الحالة الاجتماعية، **وثالثاً** عن الحالة العلمية.

المطلب الأول

الحالة السياسية

(أ) ظهور التتار:

في عام ٦٥٦هـ مُنيَ العالم الإسلامي بحادث رهيب تحطمت فيه دولة الإسلام وزالت معالمها. هذا الحادث هو استيلاء التتار الذين جاءوا من شمال الصين على بغداد، وقتلوا الخليفة والعلماء، وكانت القتلى ألف ألف وثمانمائة ألف وكسراً[١].

تدفق هؤلاء التتار من الشرق يغزون العالم، وعلى وجه الخصوص البلاد الإسلامية، فأثاروا الرعب في قلوب الناس بما قاموا به من أعمال التخريب والتدمير والقتل.

يصف ابن الأثير فظاعة الخطب بقوله:

«لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة، استعظاماً لها، كارهاً لذكرها، فأنا أُقدِّمُ لها رجلاً وأُؤَخِّرُ أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين... ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي. إن هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التي عقمت الأيام والليالي عن مثلها، عمّت الخلائق، وخصّت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم منذ خلق الله ﷺ آدم إلى الآن لم يبتل بمثلها لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها.

ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا إلاّ يأجوج ومأجوج، وأمّا الدجال فإنه يبقي على من اتبعه ويهلك من خالفه، وهؤلاء لم يبقوا على أحد، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال وشقوا بطون الحوامل، وقتلوا الأجنة.

---

(١) النجوم الزاهرة للسيوطي (٧/ ٥٠).

فإنهم قد خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد التركستان، ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر مثل سمرقند وبخارى وغيرهما، فيملكونها ويفعلون بأهلها ما ذكرته، ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان فيفرغون منها هلاكاً وتخريباً وقتلاً ونهباً، ثم يتجاوزونها إلى الري وهمدان وبلد الجبل، وما فيه من البلاد إلى حد العراق.. في أقل من سنة، هذا ما لم يسمع بمثله.. ومضت طائفة أخرى غير هذه الطائفة إلى غزنة وأعمالها وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان ففعلوا فيها مثل فعل هؤلاء وأشد، هذا ما لم يطرق الأسماع مثله، الإسكندر الذي اتفق المؤرخون على أنه ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة، إنما ملكها في نحو عشر سنين، ولم يقتل أحداً إنما رضي من الناس بالطاعة، وهؤلاء قد ملكوا أكثر من المعمور من الأرض، وأحسنه، وأكثره عمارة وأهلاً، وأعدل أهل الأرض أخلاقاً وسيرة في نحو سنة، ولم يبت أحد من البلاد التي لم يطرقوها إلا وهو خائف يتوقعهم ويترقب وصولهم».

وعن دياناتهم وبعض عاداتهم القبيحة يقول:

«أما دياناتهم فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها، ولا يحرمون شيئاً، فإنهم يأكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير وغيرها، ولا يعرفون نكاحاً بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال فإذا جاء الولد لا يعرف أباه»[(١)].

(ب) سقوط بغداد:

من الأسباب التي انتهت باستيلاء التتار على بغداد الضعف والتفكك العام الذي طرأ على الحياة في بغداد، فالخلافات التي كانت بين الحكام، ووجود أجناس غير عربية، أدى إلى التعصب للجنس، والخلافات المذهبية في مسائل العقيدة خاصة ما كان بين أهل السنة والرافضة.

فعن هذا الخلاف الذي كان بين أهل السنة والرافضة، أن الوزير مؤيد

---

(١) الكامل لابن الأثير (١٢/١٣٧، ١٣٨)، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٣/٨٦) وما بعدها.

الدين محمد بن العلقمي، وكان من الرافضة دبر مؤامرة على المسلمين فكتب إلى هولاكو خان ملك التتار أن يغزو بلاد المسلمين. **يقول الحافظ ابن كثير** معللاً سبب إقدام (ابن العلقمي) على هذا العمل المشين: «فكان هذا مما أهاجه ـ أي الخلاف بين أهل السنة والرافضة ـ على أن دبّر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذي لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد»[١].

لهذا كان الطريق ممهداً ومهيئاً للتتار لغزو بغداد وسقوطها على يديه بعد أن عاث في الأرض الفساد من القتل والدمار، فأزالوا معالم الحضارة الإسلامية المشرقة وكان هذا في عام ٦٥٦هـ.

وفي عام ٦٥٨هـ، وبعد أن استقر ملك هؤلاكو في العراق وخراسان وما جاورهما زحف إلى بلاد الشام وسقطت دمشق بعد أن قتلوا الأبرياء وخرَّبوا المساجد فيها ثم واصل التتار زحفهم حتى وصلوا إلى غزة قاصدين مصر. وما أن علم الملك المظفر قطز بالخبر حتى أعد جيشه والتقى الجيشان في عين جالوت[٢]. واشتد القتال، وهُزم جيش التتار شر هزيمة، وما أن علم هولاكو بالحادث حتى أعد جيشاً آخر إلا أن القائد الظاهر بيبرس قضى عليهم وهزمهم هزيمةً نكراء.

يقول السيوطي: «وبهذا خضعت الشام ومصر لحاكم واحد كان يقيم في مصر، وينيب عنه حاكماً في الشام»[٣].

وبعد ذلك، أُتي بأحد أحفاد العباسيين في القاهرة وهو الأمير أحمد أبو القاسم، وكان ذلك في عام ٦٥٩هـ ونودي به خليفة في عهد سلطنة الظاهر بيبرس، وبعد أن أثبت نسبه بايعه السلطان ثم العلماء ومن إليهم، فإذا كان يوم الجمعة جاء الخليفة إلى الجامع وخطب الناس مذكراً بشرف بني العباس، وداعياً للسلطان ثم مفوضاً له أمر المسلمين من توليه وعزله[٤]..

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ٢٠١)، وانظر: تاريخ مصر لابن إياس (١/ ٩٤).
(٢) بلدة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين، انظر: معجم البلدان للحموي (٣/ ٧٦٩).
(٣) حسن المحاضرة للسيوطي (٢/ ٦٦). (٤) نفس المصدر (٢/ ٥٧).

وقبل أن نسدل الستار عن حروب التتار نشير إلى ظاهرة هامة وخطيرة وهي أن النصارى الذين كانوا يعيشون في العالم الإسلامي هم في حقيقة الأمر أعداء للإسلام وأهله، ويظهر ذلك في أن التتار كانوا يترددون إلى كنائسهم، بل ذهب بعض النصارى إلى هولاكو فحملوا منه كتاباً يتضمن الاعتناء بأمرهم، فحملوا الصليب ونادوا بارتفاع دينهم واتضاع دين المسلمين، وألزموا المسلمين أن يقيموا الصليب في متاجرهم، ومن لم يفعل كان مصيره الإهانة والعذاب[(1)].

(ج) ظهور الإفرنج:

من العوامل التي دعت الإفرنج إلى غزو بلاد المسلمين: أن العلويين الفاطميين في مصر لما رأوا من قوة السلاجقة واستيلائهم على بلاد الشام ولم يبق إلا مصر، أوجسوا خيفة فدبروا مؤامرة بأن كاتبوا الفرنج ليستولوا على الشام حتى يحال بينهم وبين المسلمين[(2)].

فمهما كانت العوامل والأسباب، فإن الصليبيين قد اندفعوا على بلاد المسلمين، وفي عام ٤٩٢هـ ملكوا بيت المقدس، وفي مدة أسبوع بلغ عدد القتلى من المسلمين وعلمائهم، وزهادهم ما يربو على السبعين ألفاً[(3)].

وفي عام ٥٨٣هـ دارت الحرب، وهبت رياح النصر، وانتصر جيش الإسلام بقيادة البطل صلاح الدين الأيوبي وهزم هؤلاء الصليبيين واسترد بيت المقدس وكثيراً من مدن الشام.

غير أن الطابع العام الذي يسود ذلك العصر هو عدم الاستقرار، فالحرب ظلت بين الصليبيين والمسلمين قرنين من الزمان، حتى طردوا نهائياً في عام ٦٩٠هـ على يد الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون[(4)].

ولا شك أن تلك الحوادث، وإن كانت سابقة من حيث التاريخ الزمني

---

(١) النجوم الزاهرة لتغري بردي (٧/ ٨١، ٨٠) بتصرف.
(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير (١٠/ ٩٤) بتصرف.
(٣) المرجع السابق (١٠/ ٩٨).
(٤) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ٣١٩) بتصرف.

على ميلاد الإمام ابن القيم إلا أنها تركت أثراً كبيراً في نفسه، فالصراعات المذهبية العنيفة بين أهل السنة والرافضة من جهة، وما صنعه النصارى واليهود والرافضة من مساعدة للتتار للقضاء على الإسلام وأهله من جهة أخرى وغير ذلك كثير، مما جعل ابن القيم ثائراً على هذه الفرق وغيرها من فرق الضلال كاشفاً عن مخازيهم ومحذراً بالحيطة منهم مبيناً كل ذلك في مؤلفاته.

فعن الرافضة يقول: «ورأينا الرافضة بالعكس في كل زمان ومكان، فإنه قط ما قام للمسلمين عدو من غيرهم، إلا كانوا أعوانهم على الإسلام وكم جروا على الإسلام وأهله من بلية؟.

وهل عاثت سيوف عباد الأصنام من عسكر هولاكو وذريته من التتار إلا من تحت رؤوسهم؟ وهل عطلت المساجد، وحرقت المصاحف، وقتل سادات المسلمين وعلماؤهم وعبادهم، وخليفتهم إلا بسببهم ومن جرائهم؟ ومظاهرتهم للمشركين والنصارى معلومة عند الخاصة والعامة وآثارهم في الدين معلومة»(١).

المطلب الثاني

الحالة الاجتماعية

الحقيقة أننا لا ننتظر بعد غارات الصليبيين على البلاد الإسلامية وما خلفته هذه الحروب من قتل ودمار حياة مستقرة هادئة، بل حدث تحول وتغير كبير في الحياة العامة، فأهل العراق يفرون إلى الشام، وأهل دمشق إلى مصر، والتتار أنفسهم لهم عادات وتقاليد في الحكم ـ حتى بعد دخولهم في الإسلام ـ تختلف عن ما ألفه المسلمون من تحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكل هؤلاء عاشوا في صعيد واحد. وعن حياة التتار وأنها مزيج من الإسلام والتأثير الجاهلي، يقول المقريزي في هذا ما نصه: «فلما كثرت وقائع التتار في بلاد المشرق وبلاد القبجاق وأسروا كثيراً منهم وباعوهم تنقلوا في الأقطار، واشترى الملك الصالح نجم الدين ابن أيوب جماعة منهم، سماهم البحرية، ومنهم من

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٨٣).

ملك من ديار مصر، وأولهم المعز بن أيبك، ثم كان لقطز معهم الواقعة المشهورة على عين جالوت وهزم التتار، وأسر منهم خلقاً كثيراً صاروا بمصر والشام.

ثم كثرت الوافدية في أيام الملك الظاهر بيبرس، وملأوا مصر والشام فغصت أرض مصر والشام بطوائف المغول، واستشرت عاداتهم بها وطرائقهم هذا وملوك مصر وأمراؤها وعساكرها قد مُلئت قلوبهم رُعباً من جنكيز خان وبنيه، وامتزج بلحمهم ودمهم مهابتهم وتعظيمهم، وكانوا ـ أي التتار ـ إنما ربوا بدار الإسلام، ولقنوا القرآن، وأحكام الملة المحمدية، فجمعوا بين الحق والباطل، وضموا الجيد إلى الرديء، وفوضوا لقاضي القضاة كل ما يتعلق بالأمور الدينية من الصلاة والصوم والزكاة والحج، وناطوا به أمر الأوقاف والأيتام، وجعلوا إليه النظر في الأقضية الشرعية كتداعي الزوجين وأرباب الديون ونحو ذلك، واحتاجوا في ذات أنفسهم إلى الرجوع لعهد جنكيز خان والاقتدار بحكم الياسة فكذلك نصبوا الحاجب ليقضي بينهم فيما اختلفوا فيه من عوايدهم، والأخذ على يد قويهم وإنصاف الضعيف منه على مقتضى ما في (الياسة)[1] وجعلوا إليه مع ذلك النظر في قضايا الدواوين السلطانية عند الاختلاف في أمور الإقطاعات لينفذ ما استقرت عليه أوضاع الديوان وقواعد الحساب، وكانت من أجلّ القواعد وأفضلها حتى تحكم الضبط في الأَموال وخراج الأراضي»[2].

يتضح لنا من هذا العرض أن الحكم بالنسبة للتتار ومن إليهم في الأمور الدينية كان لقاضي القضاة، وما عدا ذلك كانوا يتحاكمون إلى الحجاب على

---

(١) الياسة: كتاب يقع في مجلدين، بخط غليظ، ويحمل على بعير. وضعه السلطان الأعظم ـ عند التتار ـ جنكيز خان، والسياسا هذا أو الياسة يتحاكمون إليه ويحكمون به وأكثر ما فيه يخالف شريعة الله تعالى، لأن جنكيز خان كتبه واخترعه من عند نفسه، وتبعه قومه عليه، وجنكيز هذا زعمت أمه أنها حملته من شعاع الشمس، ولهذا لا يُعرف له أب، والظاهر أنه مجهول النسب. انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ١٢٧).

(٢) خطط المقريزي (٢/ ٢٢١).

مقتضى قواعد (الياسة) غير أن كتابهم هذا أغلبه خليط مخالف لما جاءت به الشريعة الإسلامية بل الكتب السماوية جميعها، وقد نقل لنا الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ بعض هذه القواعد التي حواها كتاب (الياسة) إذ يقول:

«إن من زنى قتل، محصناً أو غير محصن، وكذلك من لاط قتل، ومن تعمد الكذب قتل، ومن سحر قتل، ومن دخل بين اثنين يختصمان فأعان أحدهما قتل، ومن بال في الماء الواقف قتل، ومن انغمس فيه قتل، ومن أطعم أسيراً أو سقاه، أو كساه بغير إذن أهله قتل، ومن وجد هارباً، ولم يرده قتل... ومن أطعم أحداً شيئاً فليأكل منه أولاً؛ ولو كان المطعوم أميراً أو أسيراً، ومن أكل ولم يطعم من عنده قتل، ومن ذبح حيوان ذبح مثله، بل يشق جوفه ويتناول قلبه بيده يستخرجه من جوفه أولاً»[١].

أما المسلمون فقد كان القضاة يحكمون على حسب قواعد الشريعة الإسلامية. ولكن سرعان ما ذهبت هذه الوحدة وذلك للتعصب المذهبي الذي ظهر على يد كثير من القضاة فيما يعرض لهم من مسائل، فإن كانت على حسب مذهبه أفتى وإلا توقف[٢].

وكان هذا المجتمع المضطرب طبقات لها وزنها، وتأثيرها، فهناك طبقة الأحرار لهم سلطان القوة والنفوذ، والطبقة الثانية: طبقة العلماء والفقهاء، وهذه الطبقة تستمد قوتها من الدين نفسه. وقد حكى لنا التاريخ سيرة بعضهم وقفوا مواقف خالدة تدل على الثبات والجرأة في قول الحق أمثال الشيخ عز الدين بن عبد السلام[٣]، والشيخ محيي الدين النووي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وغيرهم. فبجانب هؤلاء العلماء الأبطال الذين وقفوا في وجه الباطل غير عابئين بما يلاقونه في سبيل كلمة الحق، نجد آخرين لهم مواقف مغايرة فإما أن يكون سببها الحاجة، وإما أن الدنيا استهوتهم بزخارفها، ويحكي السيوطي قصة بعض هؤلاء العلماء قائلاً: «من غريب ما رأيت على كراريس

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ١١٨). (٢) المرجع السابق (١٣/ ٢٤٥).
(٣) النجوم الزاهرة لتغري بردي (٧/ ٧٢).

من تسهيل الفوائد بخط الشيخ جمال الدين بن مالك صورة قصة رفعها الفقير إلى رحمة ربه محمد بن مالك يقبّل الأرض والسلطان أيد الله جنوده، أنه أعرف أهل زمانه بعلوم القراءات والنحو واللغة، وفنون الأدب، وأمله أن يعينه سلطان السلاطين، ومبيد الشياطين، خلّد الله ملكه، وجعل المشارق والمغارب ملكه ـ على ما هو بصدده من إفادة المستفيدين والمسترشدين ـ بصدقة تكفيه همّ عياله، وتغنيه عن التسبب في صلاح حاله، وقد نفع الله بهذه الدولة الظاهرية الناصرية خصوصاً وعموماً وكشف بها عن الناس أجمعين غموماً، ولمَّ بها من شعث الدين ما لم يكن ملموماً، فمن العجائب أن يكون المملوك من مرتدي خياراتها، وعن يمين عنايتها غائباً محروماً مع أنه من ألزم المخلصين للدعاء بدوامها، وأقدم الوليد بمراعاة زمامها لا برحت أنوارها زاهرة، وسيوف أنصارها قاهرة ظاهرة، وأياديها مبذولة موفورة وأعاديها مخذولة مقهورة بمحمد وآله»[١].

وكان من العلماء البارزين من يجمع بين وظائف كثيرة. **يقول الحافظ ابن كثير** عن ابن بنت الأعز مثلاً:

«وكان بيده سبعة عشر منصباً ومنها القضاء، والخطابة، ونظر الأحباس، ومشيخة الشيوخ ونظر الخزانة...»[٢].

وأما الطبقة الثالثة في المجتمع فهي عامة الناس من زراع وتجار وصناع فهذه الطبقة كانت مغلوبة على أمرها.

فبجانب هذا الاضطراب العام في الحياة كذلك اجتاحت البلاد موجات النهب والسرقة والقحط العام الذي أصاب البلاد الإسلامية بسبب الجفاف[٣]، وكذلك النزاع المذهبي بين الرافضة وأهل السنة من جهة، وبين الفرق الإسلامية فيما بينها من جهة أخرى[٤].

---

(١) حسن المحاضرة للسيوطي (٢/ ٨٩، ٨٨). ويلاحظ هنا توسل ابن مالك بالنبي ﷺ وهذا من البدع المحدثة ـ عفا الله عنه ـ. انظر: التوسل والوسيلة للإمام ابن تيمية (ص٤٩، ٥٠).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ٣٢٢).

(٣) المرجع السابق (١٣/ ٢٠١).

(٤) المرجع السابق (١٤/ ٣١٧).

المطلب الثالث

الحالة العلمية

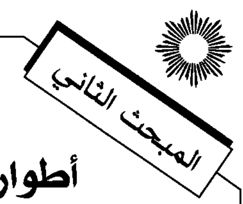
إن الحروب التي مني بها العالم الإسلامي آنذاك كان من نتائجها السيئة ضياع الثروة العلمية التي كانت بين أيدي المسلمين وقد قضوا حقبةً من الزمان في جمعها وتدوينها؛ ولذا فإننا نجد أن التجديد والابتكار الفكري لم يكونا من ظواهر هذا العصر، بل كان العلماء ينكبون على كتب المذاهب الأربعة شرحاً واختصاراً وتعليماً، ويدعون ما سواها، حتى ساد التعصب المذهبي بين المسلمين. وفي هذا يقول عبد الرحمن بن خلدون: «ووقف التقليد في الاقتصار على هؤلاء الأربعة، وعمَّن سواهم، وسد الناس باب الخلاف وطرقه.. وردوا الناس إلى تقليد هؤلاء ولم يبق إلا نقل مذاهبهم، وعمل كل مقلد بمذهب من قلده منهم بعد تصحيح الأصول، واتصال سندها بالرواية.. لا محصول اليوم للفقه غير هذا، ومدعي الاجتهاد في هذا العصر مردود على عقبه مهجور تقليده، وقد صار أهل الإسلام اليوم على تقليد هؤلاء الأربعة»[١].

فهذا الركود الفكري، وعدم الاجتهاد كان من ضمن أسباب ثورة الإمام ابن القيم، فهاجم المقلدين، ودعا إلى كسر هذا الحاجز وذلك بفتح باب الاجتهاد.

ولا نستطيع القول بأن ذلك العصر قد خلا منه بعض العلماء العاملين الذين حاولوا كسر طاغوت التقليد، فألفوا كتباً ساعدت في فك الحصار على العقل ليتدبر ويتأمل، وينطلق في فهم مقاصد الشريعة وعلى رأس أولئك العلماء الأعلام الإمام ابن تيمية الذي ألف مؤلفات متنوعة مما كان لها أكبر الأثر في نفس تلميذه النجيب الإمام ابن القيم.

---

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون (ص٣٥٥).

أطوار حياته وتحته خمسة مطالب

المطلب الأول

اسمه وشهرته، وتاريخ مولده، ونشأته

اسمه:

هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي[١]، ثم الدمشقي الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية[٢].

مولده:

تكاد المصادر ـ التي ترجمت له ـ تتفق على تعيين ولادته في سنة إحدى وتسعين وستمائة[٣]. وذكر تلميذه الصفدي، تحديد اليوم والشهر، في أن ولادته في اليوم السابع من شهر صفر من السنة المذكورة. وتابعه على ذلك ابن تغري بردي والداودي، والسيوطي.

شهرته:

اشتهر هذا الإمام بين أهل العلم المتقدمين والمتأخرين بابن قيم الجوزية، ومنهم من يتجوز فيقول: (ابن القيم) وهو الأكثر لدى المتأخرين. ومنهم من غلط فقال: (ابن الجوزي) وهو نادر.

---

(١) نسبة إلى أزرع وهي قرية من قرى دمشق.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ٢٣٤، ٢٣٥)، وانظر: الوافي بالوفيات للصفدي (٢/ ٢٧٢، ٢٧٠)، شذرات الذهب لابن العماد (٦/ ١٦٨، ١٧٠)، البدر الطالع للشوكاني (٢/ ١٤٣ ـ ١٤٦)، الدرر الكامنة لابن حجر (٤/ ٢١).

(٣) انظر: الوافي بالوفيات للصفدي (٢/ ٢٧٠).

فما هو سبب هذه الشهرة (ابن قيم الجوزية)؟

وهل يصح أن يقال: (ابن القيم)؟

ولِمَ غلط من قال: (ابن الجوزي)؟ وما ترتب عليه؟

هذا ما سنتكلم عنه:

سبب شهرته بابن قيم الجوزية:

تتفق كتب التراجم على أن المشتهر بهذا اللقب (قيم الجوزية) هو والد هذا الإمام: الشيخ أبو بكر بن أيوب الزرعي، إذ كان قيماً على المدرسة الجوزية بدمشق مدة من الزمن فقيل له: (قيم الجوزية)[1] واشتهرت ذريته وحفدتهم من بعد ذلك فصار الواحد منهم يدعى بابن قيم الجوزية.

ولا تعطينا كتب التراجم عن هذه القوامة أكثر مما ذكر ولعل هذا لوضوح الحال واتفاق المعنى اللغوي للقيم مع المعنى الاصطلاحي.

إذ إن القيِّم في اللغة هو: الشخص السائس للأمر، القائم عليه بما يصلحه[2].

وفي كلام أهل الاصطلاح لا يعدو أن يكون كذلك فهو بمعنى الناظر والوصي حسب الاصطلاح، فيقال: ناظر المدرسة ووصيها وقيّمها كلها بمعنى واحد[3].

وإذ قد عرفنا سبب الشهرة ومعنى القوامة، فلابد من إلمامة للتعريف بالمدرسة الجوزية التي صارت القوامة عليها:

فالجوزية: بفتح الجيم لا غير، وهي من أعظم مدارس الحنابلة بدمشق الشام، نسبة إلى واقفها (ابن الجوزي) وهو: محيي الدين يوسف بن الإمام الواعظ المشهور أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن الجوزي القرشي البكري البغدادي الحنبلي المتوفى ٦٥٦هـ[4].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ٩٥)، وانظر: الدرر الكامنة لابن حجر (١/ ٤٧٢).

(٢) انظر: مختار الصحاح للرازي (ص٥٥٨).

(٣) انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٢/ ١٦٨)، (٢/ ١٩٢).

(٤) انظر ترجمته: الأعلام للزركلي (٩/ ٣١٢).

والجوزي بفتح الجيم لا غير، نسبة إلى محلة بالبصرة، وقيل: إلى الجوز وبيعه. **وأما الجُزي**: بضم الجيم فهو نسبة إلى طير صغير بلسان أصبهان[١].

وهذه المدرسة لا يزال محلها معروفاً إلى الآن بدمشق في حي البدرية. وبعد هذا البيان في شرح هذا اللقب وسببه، يتضح لنا بجلاء أن شهرته هي (ابن قيم الجوزية) لا غير. وعلى هذا درج المترجمون له من المحققين وفيهم تلامذته: ابن رجب، والصفوي، وابن كثير، والذهبي.

ابن القيم: أما المتأخرون فعامتهم يقولون: (ابن القيم) وهذا إنما هو على سبيل التجوز والاختصار. وهو اليوم أكثر انتشاراً على ألسنة أهل العلم وطلابه، وكان منتشراً من قبل بأزمان، كما نرى ذلك عند من نقل علومه وآراءه كالحافظ ابن حجر[٢] والسيوطي[٣] وغيرهما.

ابن الجوزي: أما أن يقال له: (ابن الجوزي) فهو خطأ نشأ من عبث الوراقين وإن شئت فقل منهم ومن دفائن الحاقدين على الإمام ابن القيم كالسبكي والكوثري[٤].

ما ترتب على هذه النسبة: لابن الجوزي رحمه الله كتاب (دفع شبه التشبيه). وقد شحن كتابه هذا بفاسد التأويلات، فوقع في التعطيل فراراً من قذر التشبيه، وقد هدى الله تعالى ابن قيم الجوزية لمسلك السلف أهل الحق فنجا من شبهة التشبيه ولطخ التأويل، وسلك مسلك السلف في إثبات ما أثبته الله لنفسه وأثبته

---

(١) انظر: الأنساب للسمعاني (٢/ ١٢٠).
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر (٢/ ٢٨٣).
(٣) الحاوي للفتاوي للسيوطي (٢/ ٥٧٤).
(٤) وانظر: كتابه الذي ملأه بالطعون على الإمام ابن القيم، وعنون له بـ: (السيف الصقيل المخيم من نونية ابن القيم).
والسبكي هذا هو: تقي الدين: علي بن عبد الكافي بن علي السبكي الشافعي المتوفى سنة (٧٥٦). انظر: أعلام الزركلي.
أما الكوثري فهو: محمود زاهد بن الحسن بن علي الكوثري، شركسي الأصل، توفي سنة (١٣٧١هـ)، الأعلام للزركلي (٦/ ١٦٣)، وانظر: ابن قيم الجوزية حياته وآثاره للشيخ بكر أبو زيد (ص١٨).

له رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل[1].

والخلاصة: لقد تحرر من هذا المبحث أن إطلاق (ابن الجوزي) على الإمام ابن القيم خطأ صِرف، وأن شهرته هي (ابن قيم الجوزية) ويصح على سبيل الاختصار أن يقال: (ابن القيم).

نشأته:

عاش الإمام ابن القيم في وسط علمي كان أثره واضحاً عليه، يتقلب في أعطاف العلم تعلماً وتعليماً فصار هذا مع ما آتاه الله من فكر وقّاد وحافظة غريبة واطلاع مدهش وصفاء نفس وسلامة صدر، ومن ثم أصبح عالماً عمّت شهرته الآفاق، وقد دوَّن التاريخ لنا أسماء هذه الأسرة المباركة.

أولاً: فأبوه هو (أبو بكر بن أيوب بن سعد الزرعي، الحنبلي قيم الجوزية، كان رجلاً صالحاً متعبداً، قليل التكلف، وكان فاضلاً، وقد سمع شيئاً من دلائل النبوة عن الرشيد العامري. توفي فجأة ليلة الأحد تاسع عشر ذي الحجة بالمدرسة الجوزية، وصُلي عليه بعد الظهر بالجامع ودفن بباب الصغير، وكانت جنازته حافلة وأثنى عليه الناس خيراً، وهو والد العلامة شمس الدين محمد بن قيم الجوزية، صاحب المصنفات الكثيرة الكافية)[2] وكان له في الفرائض اليد الطولى وعنه أخذها ابنه شمس الدين[3].

ثانياً: أخوه زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي بكر، ولد بعد أخيه الشمس بنحو سنتين فكانت ولادته سنة ٦٩٣هـ. وشارك أخاه في أكثر شيوخه، ومن تلامذته الحافظ ابن رجب، توفي ليلة الأحد ثامن عشر ذي الحجة سنة ٧٦٩هـ بدمشق ودفن بمقبرة الباب الصغير[4].

---

(١) انظر: كتابه «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة»، وكتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة الجهمية»، و«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» المشهورة بالنونية، وغيرها من مؤلفاته.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ٩٥).

(٣) انظر: الوافي بالوفيات للصفدي (٢/ ٢٧٠).

(٤) انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٢/ ٤٣٤)، شذرات الذهب لابن العماد (٢/ ٢٤٠).

ثالثاً: ابن أخيه زين الدين: وهو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن زين الدين عبد الرحمن، كان من الأفاضل، وقد اقتنى أكثر مكتبة عمه شمس الدين، توفي في يوم السبت الخامس عشر من شهر رجب سنة ٧٩٩هـ[1].

رابعاً: ابنه عبد الملك شرف الدين عبد الله ابن الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر، كانت ولادته سنة ٧٢٣هـ ووفاته سنة ٧٥٦هـ. كان مفرط الذكاء والحفظ، حفظ سورة الأعراف في يومين، وصلى بالقرآن سنة ٧٣١هـ أي وهو في التاسعة من عمره تقريباً، وهو الذي تسلم التدريس في الصدرية بعد والده. وأطنب مترجموه في الثناء عليه علماً وصلاحاً وذكاءً مفرطاً وغيرةً في ذات الله تعالى[2].

خامساً: ابنه إبراهيم: العلامة النحوي الفقيه المتقن برهان الدين إبراهيم بن شمس الدين. كانت ولادته سنة ٧١٦هـ ووفاته ٧٦٧هـ، وأخذ عن والده وغيره، وقد أفتى ودرس بالصدرية، اشتهر صيته وكان على طريقة أبيه وله في النحو اليد الطولى؛ فشرح ألفية ابن مالك وسماه (إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك)[3].

وبعد، ففي هذا الجو العلمي الكريم الكثير العطاء، نشأ الإمام ابن قيم الجوزية وعرفه الناس عالماً له آثاره حتى أيامنا هذه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، وخير شاهد ثروته العلمية المثمرة التي سطرها يراعه وستظل تؤتي أكلها كل حين بإذن الله تعالى.

(أ) سلوكه وعفته:

عرفنا فيما سبق أن والده كان رجلاً صالحاً متعبداً فاضلاً، وكان قيّماً

---

(١) انظر: شذرات الذهب لابن العماد (٦/ ٣٥٨).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ٢٠٢ ـ ٢٠٨ ـ ٢١٣)، وانظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٢/ ٣٩٦)، شذرات الذهب لابن العماد (٦/ ١٨٠).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ٢٦٩)، وانظر: الدرر الكامنة لابن حجر (١/ ٦٠)، شذرات الذهب لابن العماد (٦/ ٢٠٨).

على المدرسة الجوزية، وأنه كان ذا علم وفضل ونباهة، شأن. وعرفنا أيضاً من الحديث عن آله أنهم كانوا مثالاً لعلو الخلق والمكارم، فهو بهذا يتقلب في رحاب العلم من دار أسرته الكريمة إلى المدرسة الجوزية، كل ذلك في دمشق التي كانت تزخر آنذاك بعشرات المدارس والجوامع. وهذه المحامد والفضائل يراها ابن القيم ويسمعها ويتنفس هواها، وقد آتاه الله سرعة البديهة والذكاء المفرط والأخلاق الكريمة، فلا عجب إذن أن يكون حسن الخلق، لطيف المعشر، طيب السريرة، عالي الهمة. وحسبنا في هذا ما قاله عنه تلميذه ابن كثير. قال ابن كثير: «وكان حسن القراءة والخلق كثير التودد، لا يحسد أحداً ولا يؤذيه، ولا يستعيبه، ولا يحقد على أحد، وبالجملة كان قليل النظير في مجموعه وأموره وأحواله، والغالب عليه الخير والأخلاق الفاضلة»[1].

ومما يؤكد علو أخلاقه دعوته إلى التسامح مع المسيء، وفي هذا يقول: «إن من أساء إليك ثم جاء يعتذر من إساءته فإن (التواضع) يوجب عليك قبول معذرته حقاً كانت أو باطلاً، وتكل سريرته إلى الله تعالى، كما فعل رسول الله ﷺ في المنافقين الذين تخلفوا في الغزو، فلما قدم جاءوا يعتذرون إليه، فقبل أعذارهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى»[2].

(ب) عبادته وزهده:

إن من يقرأ مؤلفات الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى خاصة ما كتبه في: (مدارج السالكين)، و(طريق الهجرتين وباب السعادتين)، (والوابل الصيّب)، وروضة المحبين)، يرى بوضوح تام أن ابن القيم كان معدوداً في الأكابر في العبادة والزهد، والتقى والصلاح والعلم والفضل والتهجد، والاضطرار والإنابة إلى الله، وعمارة القلب باليقين والتوكل، والبعد كل البعد عن لعاعة الدنيا وحطامها، بل له القدح المعلى وحيازة قصب السبق في جو العلماء العاملين الذي هم أهل الله وخاصته.

يقول عنه تلميذه الحافظ ابن رجب: «وكان رحمه الله تعالى ذا عبادة

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١٤/٢٤٦). (٢) مدارج السالكين (٢/٣٣٧).

وتهجد، وطول صلاة إلى الغاية القصوى، وتأله ولهج بالذكر، وشغف بالمحبة، والإنابة والاستغفار والافتقار إلى الله تعالى، والانكسار له، والاطراح بين يديه على عتبة عبوديته، ولم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم، ولكن لم أر في معناه مثله، وقد امتحن وأوذي مرات، وحبس مع الشيخ تقي الدين في المرة الأخيرة بالقلعة منفرداً، ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ. وكان في مدة حبسه مشتغلاً بتلاوة القرآن بالتدبر والتفكر، ففتح عليه من ذلك خير كثير، وحصل له جانب عظيم من الأذواق[(١)] والمواجيد[(٢)] الصحيحة وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف والدخول في غوامضهم وتصانيفه ممتلئة بذلك، وحج مرات كثيرة، وجاور بمكة، وكان أهل مكة يذكرون عنه شدة العبادة، وكثرة الطواف أمراً يتعجب منه»[(٣)].

ويقول الحافظ ابن كثير: «لا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادةً منه، وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جداً ويمد ركوعها وسجودها، ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك رحمه الله تعالى»[(٤)].

---

(١) الذوق قوة إدراكية لها اختصاص بإدراك لطائف الكلام ومحاسنه الحقيقية. ولعل هذا ما رمى إليه الحافظ ابن رجب. أما في اصطلاح الصوفية: فهو عبارة عن السُكر من تذوق العشق للعاشق ومن استماع كلام المحبوب، ويسمون مثل هذا الحال «الذوق». انظر: كشاف الفنون للتهانوي (٢/ ١٥٦، ١٥٧). وانظر: اصطلاحات الصوفية للكاشاني (ص٣٢٣).

(٢) الوجد: الحُزن، وفي اصطلاح الصوفية: مصادفة الباطن من الله تعالى وارداً يورث فيه حُزناً أو سروراً أو يغيره عن هيئته ويغيبه عن أوصافه بشهود الحق.

انظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (٤/ ٢٩٣). ولم يُعرف عن النبي ﷺ ولا أحد من أصحابه أنهم كانوا يتعبدون الله بالأحزان والأفراح والطبل والزمر التي ابتدعها الصوفية. وقد أنكر الإمام ابن القيم عليهم هذه البدع والمحدثات أشد الإنكار، وللاستزادة يطالع: مدارج السالكين (٣/ ٦٩، ٩٠)، وطريق الهجرتين (ص٢٧٨ و٣٢٦).

(٣) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٤٤٨).

(٤) البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ٢٠٢).

وقال عنه الحافظ ابن حجر: «وكان إذا أصبح الصبح جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار، ويقول: هذه غدوتي لو لم أقعدها سقطت قواي، وكان يقول: بالصبر والفقر تنال الإمامة بالدين، وكان يقول: لابد للسالك من همة تسيره وترقيه وعلم يبصره ويهديه»(1). وذكر العلامة الصفدي قصيدته الميمية الرقيقة في الضراعة والتواضع وهضم النفس. وقال: إنه أنشدني إياها من لفظه وهي:

بني أبي بكر كثيرٌ ذنوبُه ... فليس على من نال من عرضه إثمُ
بني أبي بكر جهولٌ بنفسهِ ... جهولٌ بأمرِ الله أَنَّىٰ لهُ العلمُ
بني أبي بكر غدا متصدراً ... يعلِّم علماً وهو ليس له علمُ
بني أبي بكر غدا متمنياً ... وِصال المعالي والذنوبُ له همُ
بني أبي بكر يرومُ ترقياً ... إلى جنةِ المأوىٰ وليسَ لهُ عزمُ
بني أبي بكر لقد خاب سعيهُ ... إذا لم يكن في الصالحاتِ له سهمُ
بني أبي بكر لما قال ربُّه ... هلوعٌ كنودٌ وصفهُ الجهلُ والظلمُ
بني أبي بكر وأَمثاله غدا ... بفتواهم هذي الخليقةِ تأثمُ
ليس لهم في العلم باعٌ ولا التقى ... ولا الزهد والدنيا لديهم هي الهَمُّ
فوالله لو أن الصحابةَ شاهدوا ... أفاضلهمُ قالوا هم الصمُّ والبكمُ

(ج) ثناء الأئمة عليه:

لقد أثنى كبار العلماء على الإمام ابن القيم. وهذه جملة من تعبيراتهم في ذلك.

١ ـ فيقول تلميذه ابن رجب:

«تفقه في المذهب، وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين بن تيمية وتفنن في علوم الإسلام، وكان عارفاً في التفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين وإليه فيها المنتهى والحديث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه لا يلحق في ذلك،

(1) الدرر الكامنة لابن حجر (٤/ ٢١ ـ ٢٢).

وبالفقه وأصوله وبالعربية وله فيها اليد الطولى، وعلم الكلام والنحو وغير ذلك، وكان عالماً بعلم السلوك، وكلام أهل التصوف وإشاراتهم، ودقائقهم، له في كل فن من هذه الفنون اليد الطولى، ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان، وليس هو المعصوم ولكن لم أر في معناه مثله»[1].

٢ ـ ويقول تلميذه ابن كثير:

«سمع الحديث واشتغل بالعلم وبرع في علوم متعددة لاسيما علم التفسير والحديث والأصلين، ولما عاد شيخ الإسلام ابن تيمية من الديار المصرية في سنة ٧١٢هـ لازمه إلى أن مات الشيخ فأخذ عنه علماً جماً مع ما سلف له من الاشتغال فصار فريداً في بابه في فنون كثيرة، مع كثرة الطلب ليلاً ونهاراً وكثرة الابتهال»[2].

٣ ـ ويقول تلميذه الذهبي:

«عُني بالحديث ومتونه ورجاله، وكان يشتغل بالفقه ويجيد تقريره، وفي النحو ويدريه، وفي الأصلين»[3].

٤ ـ وقال ابن ناصر الدين الدمشقي:

«وكان ذا فنون من العلوم وخاصة التفسير والأصول من المنطوق والمفهوم»[4].

٥ ـ وقال الحافظ ابن حجر:

«كان جريّ الجنان واسع العلم عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف»[5].

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٤٤٨).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ٢٠٢).

(٣) انظر: المعجم المختار لشيوخه.

(٤) الرد الوافر لابن ناصر الدين (ص٣٥، ٣٦).

(٥) الدرر الكامنة لابن حجر (٤/ ٢١).

٦ ـ وقال السيوطي:

«قد صنف وناظر واجتهد، وصار من الأئمة الكبار في التفسير والحديث، والفروع، والأصلين، والعربية»[١].

٧ ـ وقال ابن تغري بردي:

«وكان بارعاً في عدة علوم ما بين تفسير وفقه وعربية ونحو وحديث، وأصول، وفروع، ولزم شيخ الإسلام ابن تيمية بعد عودته من القاهرة سنة ٧١٢هـ، وأخذ عنه علماً كثيراً حتى صار أحد أفراد زمانه وانتفع به الناس قاطبة»[٢].

٨ ـ وقال الشوكاني:

«برع في شتى العلوم وفاق الأقران واشتهر في الآفاق وتبحر في معرفة مذاهب السلف»[٣].

٩ ـ وقال الألوسي: «هو المفسر النحوي الأصولي المتكلم»[٤].

١٠ ـ وقال المراغي: «هو الأصولي المحدِّث النحوي الأديب الواعظ الخطيب»[٥].

١١ ـ وقال البيطار الدمشقي[٦]: «هو إمام في لغة القرآن وأسلوبه وفقهه وتشريعه، وإيجازه وإعجازه، وحقيقته ومجازه»[٧].

هذه طائفة من أقوال الأئمة الأعلام في بيان منزلة الإمام ابن القيم، ولاشك أن هذه الأقوال مع كثرة مؤلفاته تدل على قوة عقلية هذا الإمام وذكائه

---

(١) بغية الوعاة للسيوطي (١/ ٦٣).

(٢) النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة (١٠/ ٢٤٩).

(٣) البدر الطالع للشوكاني (١/ ١٤٣).

(٤) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للألوسي (ص٣٠).

(٥) الفتح المبين (ص٦٠).

(٦) البيطار هو: عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي عالم بالدين، ضليع في الأدب، والتاريخ، حفظ القرآن في صباه وتمهر في علومه، وكان حسن الصوت، اقتصر في آخر حياته على علمي الكتاب والسنة. (توفي سنة: ١٣٣٥هـ). انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٣٥١).

(٧) مجلة المجمع العلمي بدمشق، حلب (٣٠/ ٦٣٨).

ونبوغه وعلو شأنه في شتى العلوم، ولا عجب حينئذٍ أن يكون هو وشيخه الإمام ابن تيمية كفرسي رهان[1].

(د) محنته:

لما كان الإمام ابن القيم بحراً زاخراً بالعلم، ومؤمناً بأن أمر هذه الأمة لا يصلح إلا بما صلح به أولها، وذلك بالرجوع لما كان عليه سلف هذه الأمة الصالح بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والإعراض عما خالفهما، وقد قام بواجبه خير قيام من البيان والمدافعة بلسانه وقلمه لتحقيق ذلك الهدف غير عابئ بما يترتب عليه، وقال في ذلك: «واعلم أنه لا يستقر للعبد قدم في الإسلام حتى يعقد قلبه على أن الدين كله لله، والهدى هدى الله، وأَنَّ الحق دائر مع الرسول ﷺ وجوداً وعدماً، وأنه لا مطاع سواه، ولا متبوع غيره، وأَنَّ كلام غيره يعرض على كلامه فإن وافقه قبلناه لا لأنه قاله، بل لأنه أُخبر به عن الله تعالى ورسوله، وإن خالفه رددناه ولا يعرض كلامه ﷺ على آراء القياسيين، ولا عقول الفلاسفة والمتكلمين ولا أذواق المتزهدين بل تعرض هذه كلها على ما جاء به عرض الدراهم المجهولة على أَخبر الناقدين فما حكم بصحته منها فهو المقبول، وما حكم برده فهو المردود»[2].

هذا هو الإمام ابن القيم الذي عاش في عصر زاهر بالعلوم والمعارف، لكنه مملوء بالخلاف العقدي، والاختلاف المذهبي، واشتعال نار العصبية فيها، فهو ذا يدافع عن العقيدة التي آمن بها، وظل حياته كلها مدافعاً عنها، وإن كان هذا لا يرضي أصحاب البدع والأهواء، وأصحاب المذهبيات المتعصبة الذين لا يستندون فيما يعتقدونه إلى كتاب أو سنة بل إلى مجرد التقليد الأعمى والأوهام الزائفة التي لا تثبت عند مقارعة الحجة بالحجة، وقد أُوذي وسجن بسبب ما اشتهر عنه من الفتاوى في العقائد والفقه، ومنها:

---

(١) مثَل يُضرب للمتساوين في الفضل، انظر: المستقصى للزمخشري (٢/ ٢٢٠).

(٢) مختصر الصواعق للموصلي (١/ ٤٩ ـ ٥٠).

(١) إنكار شد الرحال إلى قبر الخليل:

سعى الإمام ابن القيم جاهداً وبكل ما أوتي من علم وبيان أن يرد الخلف إلى طريق السلف، لاسيما فيما يتعلق بالعقيدة. وقد كان في زمانه من الأعمال المعدودة من باب القربات: شد الرحال إلى قبر الخليل، فأنكر ذلك ونعى على معاصريه عامتهم وخاصتهم وبيّن أن شد الرحال له من الأمور المنكرة في الدين والبدع المخالفة لصراط الله المستقيم الذي هو هدي سيد المرسلين، فأحدث ذلك الإنكار صراعاً عجيباً أُوذي وسُجن بسببه، وفي ذلك يقول ابن رجب: «وقد حبس مُدَّةً لإنكاره شد الرحال إلى قبر الخليل»[١].

وفيما يتعلق بالأمور الفقهية:

(٢) مسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد:

وقد أفتى الإمام ابن تيمية رحمه الله بأن الطلاق الثلاث بلفظ واحد يعتبر واحدة، وقد تصدى الإمام ابن القيم للفتوى بهذه المسألة على وفق اختيار شيخه ابن تيمية، وذلك مما أهاج القوم عليه.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في بيان ذلك:

«وقد كان متصدياً للإفتاء بمسألة الطلاق[٢] التي اختارها تقي الدين بن تيمية، وجرت بسببها فصول يطول بسطها مع قاضي القضاة تقي الدين السبكي»[٣].

(٣) فتواه بجواز المسابقة بغير محلل:

ذهب الإمام ابن القيم إلى أن المسابقة بغير محلل جائزة، واحتج على

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٤/٤٤٨).

(٢) انظر: تسمية المفتين بأن الطلاق الثلاث بلفظ واحد طلقة واحدة للدكتور سليمان العمير (ص٥٠ ـ ١٠٣) فإنه قد قال بهذا القول منذ عصر الصحابة حتى زماننا خمسون عالماً من علماء الأمة وفقهائها!!، فالعجب من إنكار السبكي عفا الله عنه!!، وانظر: نظام الطلاق في الإسلام لأحمد شاكر (ص٤١).

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (١٤/٢٠٢).

ذلك بأدلة نقلية وعقلية كما هي عادة «العلماء» عندما يوردون أقوالهم مقرونة بالأدلة، وبيّن أيضاً ما يترتب على القول بجواز المحلل من مفاسد لا تتفق وروح الشرع، فما كان من قضاة عصره إلا الإنكار عليه، وفي ذلك **يقول الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وجرت له محن مع القضاة، منها في ربيع الأول طلبه السبكي بسبب فتواه بجواز المسابقة بغير محلل، فأنكر عليه وآل الأمر إلى أنه رجع عما كان يفتي به من ذلك»[1].

وقضية رجوعه عن هذه الفتوى محل نظر لأنه ليس هناك ما يدل على ذلك.

(هـ) وفاته:

تتفق كتب التراجم على أن وفاته، رحمه الله تعالى، كانت ليلة الخميس ثالث عشر رجب وقت أذان العشاء سنة ٧٥١هـ، وبه كمل له من العمر ستون سنة رحمه الله تعالى. وتفيد كتب التراجم أنه صُلي عليه من الغد بعد صلاة الظهر بالجامع الأموي ثم بجامع جراح، وقد ازدحم الناس على تشييع جنازته.. قال ابن كثير: «وقد كانت جنازته حافلة، رحمه الله تعالى، شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة، وتزاحم الناس على حمل نعشه». ودفن بدمشق بمقبرة الباب الصغير عند والدته رحمهما الله تعالى.

المطلب الثاني

حياته العلمية

بداية تعليمه:

لم نعثر بالتحديد عن عمره وقت التلقي، ولكن يمكن تحديد ذلك من خلال تاريخ ولادته سنة ٦٩١هـ، وتاريخ وفيات جملة من شيوخه الذين أخذ

---

(١) الدرر الكامنة لابن حجر (٤/ ٢٣).

عنهم، بالإضافة إلى ما ذكره في الزاد عن شيخه الشهاب العابر وعلمه بتعبير الرؤيا ولعل هذا النص يكون عوناً لنا على معرفة بداية التلقي حيث يقول: «وهذه كانت حال شيخنا هذا ورسوخه في علم التعبير، وسمعت عليه عدة أجزاء، ولم يتفق لي قراءة هذا العلم عليه لصغر السن واخترام المنية له رحمه الله تعالى»[1].

أما بالمقارنة بين تاريخ ولادته وتاريخ وفاة بعض شيوخه، فنقول: إن شيخه الشهاب العابر آنف الذكر توفي سنة ٦٩٧هـ فيكون على هذا قد بدأ الإمام ابن القيم بالسماع وهو في السابعة من عمره.

ومن شيوخه أبو الفتح البعلبكي المتوفى سنة ٧٠٩هـ، وقد قرأ عليه عدداً من الكتب في النحو من بينها ألفية ابن مالك، والألفية ونحوها من المطولات في العربية، لا يدرسها عادة إلا من تمكن وبرع وأشرف على النهاية في الطلب، ومعنى هذا أنه أتقن العربية وهو دون التاسعة عشرة من عمره. أضف إلى ذلك أن كثرة سماعه وشيوخه ووفرة المعارف والعلوم التي أتقنها وتفنن فيها مع أن بقاءه على قيد الحياة ما يقارب ستين عاماً، يعطينا دليلاً مادياً على صحة هذه النتيجة، والله أعلم.

رحلاته العلمية:

لقد كانت الرحلات العلمية سمة بارزة عند كثير من العلماء الأفذاذ، حيث هاجروا طلباً في اللقاء بأساطين العلم بمختلف البلاد، خصوصاً إلى الديار التي اشتهرت بكثرة العلماء كالشام ومصر والعراق وغيرها. والإمام ابن القيم معلم شهد له أهل الزمان بالنبوغ في أنواع متعددة من المعرفة على اختلاف فنونها، إلا أن كتب التراجم لم تذكر لنا أنه ارتحل في طلب العلم إلا ما أشار هو إليه في بعض أقواله، والسبب في كونه لم يكثر الارتحال أن دمشق كانت معقل العلم والعلماء فلم يكن ليرتحل ويدع فحول العلماء، وإن كان قد

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٦١٥ ـ ٦١٦).

أشار هو عن رحلته إلى مصر إذ ذكر ذلك في إغاثة اللهفان[1] ضمن كلامه عن طب البدن والقلب، فقال: «وذاكرت مرة بعض رؤساء الطب بمصر بهذا فقال: والله لو سافرت إلى المغرب في معرفة هذه الفائدة لكان سفراً قليلاً أو كما قال».

(وفي هداية الحيارى) له قال: «وقد جرت لي مناظرة بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة»[2].

هذا ما أمكن الوقوف عليه من كلامه فيما يتعلق برحلته وهو غاية ما وصل إلينا علمه. إلا ما ذكره المقريزي في كتابه (السلوك لمعرفة دول الملوك) إذ قال في ترجمته: (وقدم القاهرة غير مرة)[3].

المطلب الثالث

شيــوخــه

لقد آثرنا أن نذكر في هذا الفصل مشاهير شيوخ الإمام ابن القيم وأساتذته الذين صار لهم الأثر في تكوينه الفكري ونضوجه العلمي مرتبين ذكرهم على حروف المعجم وهم على ما يلي:

(١) **قيم الجوزية**: والده أبو بكر بن أيوب، ذكره في شيوخه الصفدي، والشوكاني، وأنه أخذ عنه الفرائض وكان له فيها اليد الطولى.

(٢) **ابن عبد الدائم**: أبو بكر بن المسند زين الدين أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي مسند الوقت المعمر، توفي سنة ٧١٨هـ.

ذكره في مشيخته الذين سمع منهم: تلاميذه: ابن رجب، والصفدي، وابن تغري بردي، والداوودي، وابن حجر.

(٣) **الإمام ابن تيمية**: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري،

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٧).

(٢) هداية الحيارى (ص٨٧).

(٣) السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي (ج٢ ق٣ ص٨٣٤ في وفيات سنة ٧٥١).

المتوفى سنة ٧٢٨هـ، رَحِمَهُ اللَّهُ، أخذ عنه التفسير، والحديث، والفقه، والفرائض، والأصلين، وعلم الكلام، وقد لازمه قرابة سبعة عشر عاماً.

(٤) **الشهاب العابر**: أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة النابلسي الحنبلي المتوفى سنة ٦٩٧هـ.

(٥) **ابن الشيرازي**: وهو مختلف فيه، هل هو: (المسند زين الدين إبراهيم بن عبد الرحمن بن تاج الدين أحمد بن القاضي أبي نصر بن الشيرازي المتوفى سنة ٧١٤هـ).

أو هو: (كمال الدين أحمد بن محمد بن عبد الله بن هبة الله بن الشيرازي الدمشقي، تولى القضاء والتدريس بعدد من مدارس دمشق، توفي سنة ٧٣٦هـ).

(٦) **المجد الحراني**: إسماعيل مجد الدين بن محمد الفراء الحراني شيخ الحنابلة بدمشق، المتوفى سنة ٧٢٩هـ. يقال: إنه قرأ (المقنع) مائة مرة.

ذكره في شيوخه: تلميذه الصفدي، وأوضح العلوم التي أخذها ابن القيم عنه على ما يلي:

أخذ الفرائض عنه بعد أن أخذها عن والده، وأخذ عنه الفقه وقرأ عليه: (مختصر أبي القاسم الخرقي)، وكتاب (المقنع لابن قدامة)، وأخذ عنه الأصول وقرأ عليه أكثر (الروضة) لابن قدامة.

(٧) **ابن مكتوم**: إسماعيل الملقب بصدر الدين والمكنّى بأبي الفراء بن يوسف بن مكتوم القيسي الدمشقي الشافعي المتوفى سنة ٧١٦هـ.

(٨) **الكمال**: أيوب، زين الدين بن نعمة النابلسي ثم الدمشقي الكمال المتوفى سنة ٧٣٠هـ. ذكره الصفدي في جماعة سمع منهم الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى.

(٩) **البهاء ابن عساكر**: لم أقف له على ترجمة.

(١٠) **الحاكم**: سليمان تقي الدين أبو الفضل بن حمزة بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي مسند الشام، وكبير قضاتها، سمع من نحو مائة شيخ وأجازه أكثر من سبعمائة شيخ، توفي سنة ٧١٥هـ.

(١١) **شرف الدين ابن تيمية**: عبد الله أبو محمد بن عبد الحليم بن تيمية النميري أخو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله تعالى، وكان بارعاً في فنون عديدة، وكان أخوه شيخ الإسلام يكرمه ويعظمه، مات سنة ٧٢٧هـ. وكانت وفاته وقعاً مشهوراً صُلي عليه مرات، وكان أخوه شيخ الإسلام وزين الدين عبد الرحمن في السجن فصليا عليه لأن التكبير كان يبلغهما في السجن[١].

ومما أخذه عنه ابن القيم: الفقه، ذكره الصفدي، وابن تغري بردي، وقد أشار إليه ابن القيم في كتابه (أعلام الموقعين) في المخرج الثاني عشر من مخارج اليمين في الطلاق، وهو أنها يمين ولا كفارة فيها، ثم قال: (وهذا اجتهاد شيخنا أبي محمد ابن تيمية أخي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى).

(١٢) **الوداع**: علاء الدين الكندي الوداع. ولم أعثر له على ترجمة.

(١٣) **المطعِّم**: عيسى شرف الدين بن عبد الرحمن المطعِّم في الأشجار ثم السمسار في العقار، مسند الوقت المتوفى سنة ٧١٩هـ، ذكره ابن رجب، والصفدي، وابن تغري بردي، وابن حجر، ذكره في عدد شيوخ ابن القيم.

(١٤) **بنت جوهر**: فاطمة أم محمد بنت الشيخ إبراهيم بن محمود بن جوهر البطائحي، البعلي المسندة المحدثة، توفيت سنة ٧١١هـ، ذكر سماعه منها ابن رجب والداوودي.

(١٥) **البدر بن جماعة**: محمد القاضي بدر الدين بن إبراهيم بن جماعة الكناني الحموي الشافعي الإمام المشهور صاحب التصانيف الكثيرة، توفي سنة ٧٣٣هـ.

(١٦) **أبو الفتح البعلبكي**: محمد شمس الدين أبو عبد الله بن أبي الفتح البعلبكي، الحنبلي الفقيه اللغوي النحوي المتوفى سنة ٧٠٩هـ. أخذ عنه: العربية والفقه، قال الصفدي: قرأ العربية على أبي الفتح البعلي، قرأ عليه (الملخص).

---

(١) العبر للذهبي (٥/ ١٥٣). وانظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٢/ ٣٧١). شذرات الذهب لابن العماد (٦/ ٧٦).

ثم قرأ (الجرجانية)[1]، ثمّ قرأ (ألفية ابن مالك)[2]، وأكثر (الكافية الشافية)[3]، وبعض (التسهيل).

(١٧) **الصفي الهندي**: محمد صفي الدين بن عبد الرحيم بن محمد الآرموي الشافعي الفقيه الأصولي، توفي سنة ٧١٥هـ. أخذ عنه الإمام ابن القيم: الأصلين، أصول الفقه، والتوحيد، وقرأ عليه فيه أكثر (الأربعين) و(المحصل).

(١٨) **الزملكاني**[4]: محمد أبو المعالي كمال الدين بن علي بن عبد الواحد الأنصاري الشافعي ابن خطيب زملكاني، تولى قضاء حلب، وكان متقناً في علوم شتى، توفي سنة ٧٢٧هـ.

(١٩) **ابن مفلح**: محمد شمس الدين أبو عبد الله بن مفلح بن محمد بن مفرج المقدسي الحنبلي، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى عنه: ما تحت قبة الفلك أعلم بمذهب الإمام أحمد من ابن مفلح، تتلمذ على الإمام ابن تيمية وكان ابن القيم يراجعه في كثير من مسائله واختياراته، توفي سنة ٧٦٣هـ.

(٢٠) **المزي**: يوسف جمال الدين بن زكي الدين عبد الرحمن القضاعي، ثم الكلبي الدمشقي الشافعي إمام المحدثين وخاتمة الحفاظ، توفي سنة ٧٤٢هـ. والإمام ابن القيم يعتمده وينقل عنه في كثير من كتبه خاصة في الحديث ورجاله معبراً عنه بلفظ (شيخنا) كما في كتبه، ومنها: كتاب (الروح)، وكتاب (حادي الأرواح)، وكتاب (جلاء الأفهام).

المطلب الرابع

تلاميذه

إن هذا الإمام الفذّ بما حباه الله تعالى من العلوم والمعارف المختلفة، وزان كل ذلك بالتقوى والورع فلا عجب ولا غرو في أن يقصده طلاب العلم

---

(١) الجرجانية: هي كتاب (الجُمل) في النحو ألفها عبد القاهر الجرجاني. ت سنة (٤٧١).
(٢) ألفية ابن مالك: منظومة في النحو، سميت بذلك لأنها ألف بيت.
(٣) الكافية الشافية: في النحو، لابن مالك، مطبوع ومتداول.
(٤) الزملكاني: نسبة إلى (زملكا) إحدى قرى دمشق. انظر: الأنساب للسمعاني (٣/ ١٦٤).

من كل مكان ليأخذوا بحظهم من هذه المعارف. حتى نبغ كثير من هؤلاء التلاميذ وأصبحوا أئمة يُضرب بهم المثل في شتى العلوم، ومنهم:

(١) **البرهان ابن قيم الجوزية**: ابنه برهان الدين إبراهيم، تقدمت ترجمته عند الكلام عن نشأته. قال عنه ابن العماد: (تفقه بأبيه وشارك في العربية وسمع وقرأ، وتنبه وأسمعه أبوه بالحجاز)[١].

(٢) **ابن كثير**: إسماعيل عماد الدين أبو الفداء بن عمر بن كثير القرشي الشافعي، الإمام الحافظ المشهور المتوفى سنة ٧٧٤هـ[٢].

تتلمذ على الإمام ابن تيمية، وابن القيم، وأبي الحجاج المزي، وتزوج ابنة المزي رحمهم الله. وقد ترجم له ابن كثير ترجمة حافلة وقال: «كنت من أصحب الناس له وأحب الناس إليه»[٣].

(٣) **ابن رجب**: عبد الرحمن زين الدين أبو الفرج بن أحمد بن عبد الرحمن الملقب برجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥هـ[٤]، وهو صاحب المؤلفات النافعة، ومنها كتابه (الذيل على طبقات الحنابلة) وله (فتح الباري بشرح صحيح البخاري مطبوع في عشرة أجزاء ولم يتمه). وفي الذيل ترجم لشيخه الإمام ابن القيم ترجمة حافلة قال فيها: «ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة، وسمعت عليه (قصيدته النونية الطويلة) في السُّنَّة وأشياء من تصانيفه وغيرها»[٥].

(٤) **شرف الدين ابن قيم الجوزية**: ابنه عبد الله بن محمد، تقدمت ترجمته. قال ابن حجر: «اشتغل على أبيه وغيره».

(٥) **السبكي**: علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي تقي الدين

---

(١) شذرات الذهب لابن العماد (٦/ ٢٠٨).
(٢) الدرر الكامنة لابن حجر (١/ ٣٧٣)، وانظر: شذرات الذهب لابن العماد (٦/ ٢٣١)، الأعلام للزركلي (١/ ٣١٧، ٣١٨).
(٣) البداية والنهاية لابن كثير (١٤/ ٢٤٦).
(٤) الدرر الكامنة لابن حجر (٢/ ٤٢٨)، وانظر: شذرات الذهب لابن العماد (٦/ ٣٣٩).
(٥) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٤٤٧، ٤٥٠).

أبو الحسن المتوفى سنة ٧٥٦هـ. ذكر ابن حجر في «الدرر الكامنة»[1] أن السبكي رحل لطلب الحديث إلى الشام والحجاز والإسكندرية، وفي الشام أخذ عن جماعة عدّ منهم (الإمام ابن القيم) رحمه الله تعالى.

(٦) **الذهبي**: محمد بن أحمد بن عثمان بن قاريماز التركماني الشافعي، الإمام الحافظ صاحب التصانيف الكثيرة في الحديث وغيره، توفي سنة ٧٤٨هـ[2]. ذكر الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد: أنه ترجم للإمام ابن القيم في كتابه (المعجم المختص) لشيوخه ومن هنا حصلت الاستفادة بأنه من شيوخه وهو بلديّه والله أعلم[3].

(٧) **ابن عبد الهادي**: محمد شمس الدين أبو عبد الله بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي ثم الصالحي الحنبلي الحافظ الناقد. ذكر له ابن رجب ما يزيد عن سبعين مصنفاً يبلغ بعضها مائة مجلد، توفي سنة ٧٤٤هـ[4]. قال ابن رجب في ترجمة الإمام ابن القيم[5]: (كان الفضلاء يعظمونه ويتتلمذون له كابن عبد الهادي وغيره).

(٨) **النابلسي**: محمد شمس الدين أبو عبد الله بن عبد القادر بن محيي الدين عثمان النابلسي الحنبلي المعروف بالجنة، توفي سنة ٧٩٧هـ، له تصانيف منها «مختصر طبقات الحنابلة». قال ابن العماد[6]: «صحب ابن قيم الجوزية فقرأ عليه أكثر تصانيفه».

(٩) **الغزي**: محمد بن محمد بن محمد الخضر الغزي الشافعي، ينتهي نسبه إلى الزبير بن العوام، رضي الله عنه، توفي سنة ٨٠٨هـ[7]. قال الشوكاني[8]:

---

(١) الدرر الكامنة لابن حجر (٣/ ١٣٤).
(٢) شذرات الذهب لابن العماد (٦/ ١٥٣ ـ ١٥٥).
(٣) ابن قيم الجوزية، حياته وآثاره للشيخ بكر أبو زيد (ص١٠٩).
(٤) طبقات الحفاظ للذهبي (٤/ ١٥٨٠)، وانظر: شذرات الذهب لابن العماد (١١٤١).
(٥) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٤٥٠).
(٦) شذرات الذهب لابن العماد (٦/ ٣٤٩).
(٧) البدر الطالع للشوكاني (٢/ ٢٥٤)، وانظر: شذرات الذهب لابن العماد (٧/ ٧٩).
(٨) البدر الطالع للشوكاني (٢/ ٢٥٤).

«دخل دمشق فأخذ بها عن ابن كثير والتقي السبكي وابن القيم وغيرهم».

(١٠) **الفيروزآبادي**: محمد بن يعقوب بن محمد محيي الدين أبو الطاهر الفيروزآبادي الشافعي، صاحب القاموس وغيره والتآليف الكثيرة النافعة، توفي سنة ٨١٧هـ[١].

قال الشوكاني[٢]: «ارتحل إلى دمشق سنة ٧٥٥هـ فسمع من التقي السبكي وجماعة زيادة على مائة كابن القيم وطبقته».

(١١) **المقري**: محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي المقري التلمساني، المتوفى سنة ٧٥٩هـ[٣]. ذكر حفيده في (نفح الطيب) في مسرد شيوخ جده من ترجمته قوله: «ثم أخذت على الشام: فلقيت بدمشق شمس الدين بن قيم الجوزية صاحب الفقيه ابن تيمية».

المطلب الخامس

مؤلفاته

لقد عاش الإمام ابن القيم في عصر يزخر بالعلم والعلماء فتأثر بهذا الجو العلمي وأخذ من هذه العلوم حتى صار على قدر عظيم من الثقافة لعلوم عصره، فألف في علوم كثيرة وفي فنون متعددة في الأصول، وفي التفسير والحديث، والفقه، والنحو، وغير ذلك.

وفي هذا المبحث سنورد ما وقفنا عليه من مؤلفاته التي أشار إليها في كتبه المطبوعة أو الموجودة في كتب التراجم المعتبرة، وذلك أن أغلبها أصبح مفقوداً نسبة للأحوال المتقلبة في ذلك العصر.

ونحن نعلم أن جرأته في الحق قد سببت له من العداوات مع أصحاب الفرق الضالة، والطرق المبتدعة ومن ساندهم من الحكام الظلمة ما أدى به إلى غياهب السجون، وكل ذلك لأجل مصادرة الفكر، فعصر ذلك شأنه مع العلماء

---

(١) البدر الطالع للشوكاني (٢/ ٢٨٠).

(٢) البدر الطالع للشوكاني (٢/ ٢٥٤).

(٣) نفح الطيب للتلمساني (٥/ ٢٥٤).

لا يستبعد أن يقدم على مصادرة الإنتاج العلمي بالحرق والدمار، فمن هنا تضيع أكثر الثروة العلمية. وإن الناظر في أسماء ما صنفه من كتب لا يخفى عليه الميادين الكثيرة التي استطاع أن يطرقها والجهود الكبيرة التي بذلها هذا الإمام.

ومن هذه المؤلفات:

١ ـ اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية (مطبوع):

طُبع في الهند سنة ١٣١٤هـ ثم طُبع في المطبعة المنيرية بمصر سنة ١٣٥١هـ. والمؤلف رحمه الله تعالى لم يسم كتابه بهذا في فاتحة الكتاب. ولكن سماه بذلك في كتابه الفوائد[١] عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] إذ قال: «وقد ذكرنا ما تضمنته هذه الآية من الأسرار والعبر في كتاب (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية). وقد ذكر ذلك في الكتاب[٢] ولعله هو المشار إليه أيضاً في كتاب (حادي الأرواح) إذ قال: (وقد جمعت في مسألة علو الرب تعالى على خلقه واستوائه على عرشه وحدها سفراً متوسطاً) وهذا هو موضوع هذا الكتاب وهو كما ذكر[٣]، والله أعلم.

٢ ـ الاجتهاد والتقليد: نص عليه المؤلف في كتابه النافع: مفتاح دار السعادة[٤]. وأشار إليه أيضاً في (تهذيب السنن)[٥]، فقال: «كما قد بينا ذلك في كتاب مفرد في الاجتهاد».

٣ ـ أحكام أهل الذمة: هذا الكتاب أشار إليه ابن القيم في كتابه (شفاء العليل) باسم (أحكام أهل الملل).

٤ ـ أحكام أهل المولود: يأتي باسم (تحفة المودود).

٥ ـ أصول التفسير: ذكره في (جلاء الأفهام) في معرض بحثه لتفسير اللفظ ببعض معانيه فقال: «ونظائر ذلك كثيرة وقد ذكرناها في (أصول التفسير)».

---

(١) الفوائد (ص٧).
(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٦).
(٣) يقع في ١٣٥ صحيفة.
(٤) مفتاح دار السعادة (١/٥٧).
(٥) تهذيب السنن (٦/٣٤١).

٦ ـ **الإعلام باتساع طرق الأحكام**: ذكره في (إغاثة اللهفان الكبرى)، فقال في معرض كلامه على اللوث: (وقد أشبعنا الكلام في ذلك في كتاب الإعلام باتساع طرق الأحكام).

٧ ـ **إعلام الموقعين**: طبع مراراً في أربعة مجلدات، وأول طبعة تقع في ثلاثة مجلدات.

٨ ـ **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**: طبع مراراً في مجلدين. وقد سماه مؤلفه بهذا في مقدمته للكتاب.

٩ ـ **إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان**: رسالة مطبوعة، بتحقيق محمد جمال الدين القاسمي. ذكرها المؤلف رحمه الله تعالى في (مدارج السالكين) في مبحث أحكام الغضب فقال: «وقد أشبعنا الكلام في هذا في كتابنا المسمى (إغاثة اللهفان في طلاق الغضبان)».

١٠ ـ **اقتضاء الذكر بحصول الخير ورفع الشر**: ذكره الصفدي، وابن تغري بردي.

١١ ـ **الأمالي المكية**: ذكره في (بدائع الفوائد) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنبياء: ٤٨] فقال: (فالفرقان، نصرة له على فرعون وقومه، والضياء والذكر: التوراة. هذا معنى الآية، ولم يصب من قال: إن الواو زائدة، وأن ضياءً منصوب على الحال كما بينا فساده في الأمالي المكية).

١٢ ـ **أمثال القرآن**: ذكره عامة المترجمين، وفي كشف الظنون: (أوله الحمد لله نحمده ونستعينه).

وفي كتاب (أعلام الموقعين) مبحث هام فيها، وقد أفردها بعض علماء نجد في رسالة سماها (درر البيان في تفسير أمثال القرآن).

١٣ ـ **بدائع الفوائد**: طُبع بمصر في المطبعة المنيرية بلا تاريخ، وهو أربعة أجزاء في مجلدين. وهذا هو اسمه عند عامة من ذكره. وذكره صاحب (كشف الظنون) بذلك، وباسم «بديع الفوائد».

وهذا الكتاب العظيم الذي يزيد عن ألف صحيفة إنما كُتب غالبه من حفظه حال بعده عن مكتبته، وقد قال في جواب السؤال العاشر على قولهم: «هذا بسراً أطيب منه رطباً»:

«فهذا ما في هذه المسألة المشكلة من الأسئلة والمباحث علقها صيداً لسوانح الخاطر فيها خشية ألا يعود فليسامح الناظر فيها، فإنها علقت على حين بعدي من كتبي وعدم تمكني من مراجعتها، وهكذا غالب التعليق إنما هو صيد خاطر. والله المستعان».

١٤ ـ **بطلان الكيمياء من أربعين وجهاً**: تقع في مجلد[1]، وقد أشار إليه في كتابه (مفتاح دار السعادة)[2] في أثناء كلامه على الكيمياء فقال: (وقد ذكرنا بطلانها وبيان فسادها من أربعين وجهاً في رسالة مفردة).

١٥ ـ **بيان الاستدلال على بطلان اشتراط محلل السباق والنضال**: هذا هو اسمه الذي أشار إليه المؤلف في كتابه (أعلام الموقعين)[3] في المثال التسعين في الحيل، قال: «وفي كتاب (بيان الاستدلال على بطلان اشتراط محلل السباق والنضال) بيان بطلانه من أكثر من خمسين وجهاً، وبيّنا ضعف الحديث الذي احتج به من اشترطه، وكلام الأئمة في ضعفه وعدم الدلالة منه على تقدير صحته». وهكذا ذكره تلميذه الصفدي في (الوافي)[4].

١٦ ـ **التحبير لما يحل ويحرم من لباس الحرير**: ذكره المؤلف رحمه الله تعالى بذلك في كلامه عن الحرير في كتابه (زاد المعاد)[5] فقال: «وقد أشبعنا الكلام فيما يحل ويحرم من لباس الحرير».

١٧ ـ **التحفة المكية**: ذكره ابن رجب، والداوودي، وابن العماد، وقد أشار المؤلف رحمه الله تعالى إليه في مواضع من كتابه (بدائع الفوائد) فقال في

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢/ ٤٥٠)، وانظر: شذرات الذهب لابن العماد (٦/ ١٦٩).

(٢) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٠٠).

(٣) أعلام الموقعين (٤/ ٢١).

(٤) الوافي بالوفيات للصفدي (٢/ ٢٧١).

(٥) زاد المعاد (٢/ ١٩٤).

معرض بحثه على نكتة إفراد سبيل الحق وجمع سبل الباطل: «وقد ذكرت هذا المعنى وبيّنت شواهده من القرآن، وسِرَّ كون الصراط المستقيم على الله وكونه تعالى على صراط مستقيم في كتاب التحفة المكية» وذكره أيضاً في كتابه (طريق الهجرتين) عند شرح قوله ﷺ: (إن الله لا ينام، الحديث) فقال: «وقد ذكرت معنى الحديث والرد على من حرّفه وغلط فيه في كتاب (التحفة المكية)».

١٨ ـ **تحفة المودود في أحكام المولود**: طبع مراراً، منها طبعتان محققتان: **أحدهما**: طبعة الأستاذ عبد الحكيم شرف الدين الهندي سنة ١٣٨٠هـ، في المطبعة الهندية (بمبي) وقد اعتني بتصحيح النص. **والثانية**: بتحقيق الأستاذ عبد القادر الأرناوؤط سنة ١٣٩١هـ في دمشق، وهي أتم في التحقيق من سابقتها؛ إذ اعتني بتخريج الأحاديث.

١٩ ـ **تحفة النازلين بجوار رب العالمين**: وقد أشار له المؤلف رحمه الله تعالى في كتابه (مدارج السالكين)[١] في معرض بحثه على مسألة التحسين والتقبيح العقليين والرد على النفاة في ذلك فقال: «وقد بينا بطلان هذا المذهب من ستين وجهاً في كتابنا المسمى (تحفة النازلين بجوار رب العالمين) وأشبعنا الكلام على هذه المسألة هناك، وبيّنا جميع ما احتج به أرباب هذا المذهب وبيّنا بطلانه».

٢٠ ـ **التعليق على الأحكام**: وقد أشار إليه المؤلف رحمه الله تعالى في كتابه (جلاء الأفهام) فقال: «وقد ذكرنا على إبطال استعمال اللفظ المشترك في معنييه معاً بضعة وعشرين دليلاً في مسألة القرء من كتاب (التعليق على الأحكام)».

٢١ ـ **تفضيل مكة على المدينة**: ذكره ابن رجب، والداودي، وابن العماد.

٢٢ ـ **تهذيب مختصر سنن أبي داود**: طبع مع مختصر المنذري، وشرحه (معالم السنن)، للخطابي في ثمانية مجلدات لطيفة.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٣٠).

٢٣ ـ الجامع بين السنن والآثار: ذكره المؤلف رحمه الله تعالى في كتابه (بدائع الفوائد) في معرض كلامه على المسح فقال: «وقد ذكرت في الكتاب الكبير (الجامع بين السنن والآثار) من قال بذلك من السلف وذكرت الآثار عنه بذلك».

٢٤ ـ جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام: طُبع مراراً في مصر والهند.

٢٥ ـ جوابات عابدي الصلبان وأن ما هم عليه دين الشيطان: ذكره ابن رجب، والداودي، وابن العماد، وأحمد عبيد، والفقي وفي مقدمة شرح النونية لابن عيسى.

٢٦ ـ الجواب الشافي لمن سأل عن ثمرة الدعاء إذا كان ما قد قدر واقع: ذكره الشوكاني في البدر الطالع.

٢٧ ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: طبع في مصر مراراً، آخرها طبعة محمد علي صبيح سنة ١٣٨١هـ بتصحيح محمود حسن الربيع.

٢٨ ـ الحامل هل تحيض أم لا: أشار إلى هذه المسألة في كتابه (تهذيب سنن أبي داود)، ثم قال: «وقد أفردت لمسألة الحامل هل تحيض أم لا؟ مصنفاً مفرداً».

٢٩ ـ حرمة السماع: ذكره حاجي خليفة.

٣٠ ـ حكم تارك الصلاة: طبع مراراً بمصر، والمؤلف لم يسمه في صدر كتابه، وقد سماه بذلك: ابن رجب، والداودي، وابن العماد، والفقي، وذكره صديق باسم (كتاب الصلاة). وذكر بالاسمين معاً في مقدمة شرح النونية لابن عيسى.

٣١ ـ حكم إغمام هلال رمضان: ذكره ابن رجب، والداودي، وابن العماد، وحامد الفقي، وفي مقدمة شرح النونية لابن عيسى.

٣٢ ـ حكم تفضيل بعض الأولاد على بعض في العطية: بحث هذه المسألة في كتابه (تهذيب السنن) وقرر تحريم التفضيل ثم قال: «وقد كتبت في

هذه المسألة مصنفاً مفرداً استوفيت فيه أدلتها وبيّنت من خالف هذا بالحديث، ونقضتها عليهم وبالله التوفيق».

٣٣ ـ الداء والدواء: طُبع مراراً في مصر والهند، بعضها باسم (الداء والدواء) وبعضها باسم (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي) والمؤلف رَحِمَهُ اللهُ لم يسمه بواحد منها في مقدمة كتابه، ولم يشر إليه في شيء من مؤلفاته، وهما اسمان وصفاً لمسمى واحد هو جواب لسؤال وَرَد عليه، والمناسبة لكل واحد من الاسمين ظاهرة، لكنها بهذا الاسم (الداء والدواء) أظهر، فإنه استهل جواب السؤال بقوله ﷺ: «ما أنزل الله من داء إلا أنزل الله له شفاء».

وقال أيضاً في أثناء الكتاب: «فلنرجع إلى ما كنا فيه من ذكر دواء الداء». وعامة المترجمين له من المتقدمين فمن بعدهم إنما ذكروه باسم (الداء والدواء) منهم تلميذه ابن رجب، والداودي، وابن العماد، والشوكاني، وصديق، وحاجي خليفة.

٣٤ ـ الرسالة الحلبية في الطريقة المحمدية: (نظم)، ذكره الصفدي، وحاجي خليفة بذلك الاسم.

٣٥ ـ رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه: (مطبوعة).

٣٦ ـ الرسالة التبوكية: طبعت بهذا الاسم لأول مرة سنة ١٣٤٧هـ بالمطبعة السلفية بمصر، بتصحيح عبد الظاهر أبو السمح، وطُبعت للمرة الثانية باسم (تحفة الأحباب في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ**﴾ [المائدة: ٢]) سنة ١٣٧٦هـ بمصر.

٣٧ ـ رفع اليدين في الصلاة: ذكره ابن رجب، والصفدي، وابن حجر، وابن العماد، والشوكاني، وحاجي خليفة.

٣٨ ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين[1]: طبع لأول مرة بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٧٥هـ بتحقيق الأستاذ أحمد عبيد.

---

(١) قال عنه الشيخ بكر أبو زيد: «ومن المدهش أن هذا الكتاب مع دقته وترتيبه وغزارة=

٣٩ ـ الروح: طُبع مراراً، وذكره ممن ترجم له: ابن حجر، وابن العماد، والشوكاني، وحاجي خليفة، ومحمد الفقي.

٤٠ ـ الروح والنفس: ذكره الإمام ابن القيم في ثلاثة مواضع من كتبه، وهو خلاف كتاب الروح المتداول، فإنه قد أشار إليه في نفس كتاب الروح، وسماه في بعضها كتاب (معرفة الروح والنفس)، وفي بعضها كتاب (الروح والنفس). وهذه مواضع ذكره له:

(١) ذكره في نفس كتابه (الروح)[1] فقال في أوله: المسألة الخامسة أن الروح ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل... قال: «وعلى هذا أكثر من مائة دليل قد ذكرناها في كتابنا الكبير (معرفة الروح والنفس) وبينّا بطلان ما خالف هذا القول من وجوه كثيرة، وأن من قال غيره لم يعرف نفسه».

(٢) وقال في (مفتاح دار السعادة) في مبحث الأذكار: «ولاستقصاء الكلام في هذه المسألة موضع هو أَليق بها من هذا، وقد أشبعنا الكلام فيها في كتاب (الروح والنفس) وأحوالها وشقاوتها وسعادتها ومقرها بعد الموت».

(٣) وفي (جلاء الأفهام) قال في مبحث الدعاء[2]: «وهذا كثيرٌ قد ذكرناه في (كتاب الروح والنفس)».

٤١ ـ زاد المسافرين إلى منازل السعداء في هدي خاتم الأنبياء: مجلد، ذكره ابن رجب، وابن العماد، والفقي.

٤٢ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد: طُبع مراراً في الهند ومصر والشام، وبيروت. وقد طُبع أخيراً في خمسة مجلدات، وهو مشتهر بين أهل العلم بهذا الاسم، وباسم (الهدي)، وباسم (الهدي النبوي)، ويسمى أيضاً (الهدي السوي).

= مادته قد ألفه ابن القيم رحمه الله تعالى وهو في حال سفره بعيداً عن وطنه ومكتبته» فإنه قال في مقدمته: «والمرغوب إلى من يصنف هذا الكتاب أن يعذر صاحبه فإنه علقه في حال بعده عن وطنه وغيبته عن كتبه».

(١) الروح (١/٢٥١، ٢٥٢). (٢) جلاء الأفهام (ص١٨٩).

٤٣ ـ **شرح أسماء الكتاب العزيز**: ذكره بهذا الاسم: ابن رجب، وابن عماد، والفقي.

٤٤ ـ **شرح الأسماء الحسنى**: ذكره ابن رجب، وابن العماد، والفقي، والإمام ابن القيم كَلِفٌ في شرح الأسماء الحسنى وبيان أسرارها وجلائل معانيها وذلك في جُلّ كتبه، وقد دعا ربه ﷻ أن يعينه على تأليف كتاب في ذلك فقال: «وعسى الله أن يعين بفضله على تعليق شرح الأسماء الحسنى مراعياً فيه أحكام هذه القواعد، بريئاً من الإلحاد في أسمائه، وتعطيل صفاته، فهو المانّ بفضله، والله ذو الفضل العظيم»[1].

وقال أيضاً: «والله تعالى المسؤول أن يوفق للتعليق على الأسماء الحسنى على هذا النمط إنه قريب مجيب»[2].

٤٥ ـ **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**: طُبع مرتين، وسماه مؤلفه بذلك في مقدمة كتابه. وذكره حاجي خليفة، والفقي. ولعله هو المذكور عند ابن حجر والشوكاني وصديق باسم (القضاء والقدر).

٤٦ ـ **الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة**: مجلد، ذكره ابن رجب، وابن العماد، والفقي، والشوكاني، وحاجي خليفة، وصديق، باسم (الصواعق المرسلة).

٤٧ ـ **طريق الهجرتين وباب السعادتين**: طُبع مراراً، وقد سماه مؤلفه بذلك في مقدمة كتابه، وأشار إليه في بعض مؤلفاته باسم (سفر الهجرتين) فقال في مبحث المحبة من مدارج السالكين[3]: «وقد ذكرنا هذه المسألة مستقصاة وتوابعها في كتابنا الكبير في المحبة وفي كتاب: سفر الهجرتين» ومبحث المحبة موجود في (طريق الهجرتين) من ٥٢٢ ـ ٥٧١، وقال أيضاً في مبحث

---

(١) شفاء العليل (ص٢٥٨، ٢٧٨، ٤٠٠، ٥٠٧)، وانظر: مدارج السالكين (٣/ ٢٨، ٤٩، ٤٦). وهذا الكلام من الأسباب التي دعتني للكتابة في هذا الموضوع الذي هو منهج الإمام ابن القيم في شرح أسماء الله الحسنى.

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٨٧).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٢٠).

الحكم والتعليل: «وذكرناه أيضاً في كتابنا المسمى (سفر الهجرتين وطريق السعادتين)». وهذا المبحث موجود في (طريق الهجرتين).

٤٨ ـ **الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**: طُبع مراراً. وشهرة هذا الكتاب باسم (الطرق الحكمية) موجودة منذ عصر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد ذكره ابن رجب في مؤلفاته وأنه مجلد، وابن العماد، وحاجي خليفة، وهو عندهم باسم (الطرق الحكمية).

٤٩ ـ **عِدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**: طُبع مراراً وبذلك سماه مؤلفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمته له. وهو كذلك عند حاجي خليفة والفقي وغيرهم. وذكره مختصراً باسم (عِدة الصابرين) كل من: ابن رجب، وابن العماد، وصديق. والمستفيض في ضبط عين (عِدَة) هو كسرها مع فتح الدال المهملة محققة من الوعد، يقال: وعده يعده عدة في الخير، وهو هنا بمعنى: ما وعد الله عباده الصابرين من الأجر الجزيل والثواب العظيم.

وهذا يتناسب تماماً مع الفصل الثاني للعنوان (ذخيرة الشاكرين) ويصح أن يقال (عُدَّة) بضم العين وفتح الدال المشددة لأنه يقال لغة[1]: أعد الشيء بمعنى هيأه وجعله عُدَّةً للدهر، فيكون هنا بمعنى: العُدَدْ والأسباب التي بموجبها يتسلح الصابرون والله أعلم.

٥٠ ـ **الفتح القدسي**: ذكره ابن رجب، وابن العماد، والفقي، وقد أشار له المؤلف في بعض كتبه فقال في البدائع: «وقد بسطت هذا في كتاب الفتح القدسي والتحفة المكية وغيرهما». وفيه أيضاً قال: «وقد ذكرنا حقيقة التوكل وفوائده وعظم منفعته وشدة حاجة العبد إليه في كتاب (الفتح القدسي) وذكرنا هناك فساد من جعله من أجلّ مقامات العارفين، وأنه كلما علا مقام العبد كانت حاجته إلى التوكل أعظم وأشد وأنه على قدر إيمان العبد يكون توكله».

٥١ ـ **الفتح المكي**: ذكره في (بدائع الفوائد) فقال عند الكلام على واو الثمانية: «على أن في كون الواو تجيء للثمانية كلام آخر قد ذكرناه في (الفتح

---

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادي (ص١٢٤٩).

المكي) وبينا المواضع التي ادّعي منها أن الواو للثمانية وأين يمكن وأين يستحيل». وفيه أيضاً عند مبحث (البركة) قال: «وقد أشبعنا القول في هذا في كتاب (الفتح المكي) بيّنا هناك أن البركة كلها له تعالى ومنه، فهو المبارك، ومن ألقي عليه بركته فهو المبارك».

٥٢ ـ **الفروسية الشرعية**: ذكره الصفدي، وأحمد عبيد باسم (الفروسية المحمدية). وذكره المؤلف في (أعلام الموقعين) باسم (الفروسية الشرعية)، فقال في معرض مبحث الحيلة في إسقاط المحلل في السباق: «وقد ذكرناها في كتابنا الكبير في (الفروسية الشرعية)، وذكرنا فيه وفي كتاب (بيان الاستدلال على بطلان اشتراط محلل السباق والنضال) بيان بطلانه من أكثر من خمسين وجهاً، وبيّنا ضعف الحديث الذي احتج به من اشترطه، وكلام الأئمة في ضعفه وعدم الدلالة منه على تقدير صحته».

٥٣ ـ **الفوائد**، وهو غير (بدائع الفوائد)[1].

٥٤ ـ **قرة عيون المحبين وروضة قلوب العارفين**: أشار إليه المؤلف رحمه الله تعالى في (مدارج السالكين) عند مبحث محبة الله تعالى لعبده والرد على من أنكرها فقال: «وقد بيّنا فساد قولهم هذا وإنكارهم محبة الله من أكثر من ثمانين وجهاً في كتابنا المسمى (قرة عيون المحبين وروضة قلوب العارفين) وذكرنا فيه وجوب تعلق المحبة للحبيب الأول من جميع طرق الأدلة العقلية والنقلية، والذوقية والنظرية، وأنه لا كمال للإنسان بدون ذلك البتة، كما أنه لا كمال لجسمه إلا بالروح والحياة، ولا لعينه إلا بالنور والبصر ولا لأذنه إلا بالسمع، وأن الأمر فوق ذلك وأعظم».

٥٥ ـ **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية**: طُبعت مراراً، وقد

---

(١) قال الشيخ بكر أبو زيد: «وهذا الكتاب فيه من جودة التوثيق ما يقطع بنسبته لابن القيم رحمه الله تعالى» وأكتفي بذكر ثلاثة منها:
١ ـ ذكره في كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية».
٢ ـ ذكره في كتابه (المعلم).
٣ ـ نقوله عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

سماها بذلك المؤلف في مقدمتها، وذكرها في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية) في معرض بحثه للاستواء فقال: «وقد أشبعنا الكلام على هذه المسألة واستيفاء الحجج لها وبيان ما في ذلك في كتاب الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية». وبهذا ذكره: الصفدي، وابن رجب باسم (الشافية الكافية في الانتصار للفرقة الناجية) زاد ابن رجب: (وهي القصيدة النونية في السُّنة).

٥٦ ـ **الكلم الطيب والعمل الصالح**: طُبع مراراً في مصر والهند باسم (الوابل الطيب من الكلم الطيب). والمؤلف قد سمى كتابه في غير مقدمته له فقال في طريق الهجرتين: «وقد ذكرنا في كتاب (الكلم الطيب والعمل الصالح) من فوائد الذكر: استجلاب ذكر الله ﷻ لعبده، وذكرنا قريباً من مائة فائدة تتعلق بالذكر كل فائدة منها لا نظير لها، وهو كتاب عظيم النفع جداً». وبهذا ذكره: ابن رجب، وابن العماد، وحاجي خليفة كلهم باسم (الكلم الطيب والعمل الصالح).

٥٧ ـ **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**: طُبع مرتين بمصر في ثلاثة مجلدات بهذا الاسم. ذكره ابن رجب، وابن العماد باسم: (مراحل السائرين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)، قالوا: «وهو شرح منازل السائرين لشيخ الإسلام الأنصاري كتاب جليل القدر». وأشار إليه ابن حجر، والشوكاني باسم (شرح منازل السائرين) وذكره حاجي خليفة باسم (مدارج السالكين في شرح منازل السائرين).

٥٨ ـ **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**: طُبع مراراً. هكذا طُبع بهذا الاسم، وسماه مؤلفه في المقدمة بنحوه ولفظه: (مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة).

٥٩ ـ **المنار المنيف في الصحيح والضعيف**: طُبع مراراً بأسماء مختلفة منها:

(١) طُبع باسم (المنار).

(٢) وطُبع باسم (نقد المنقول أو المنار في الصحيح والضعيف).

(٣) وطُبع باسم (المنار المنيف في الصحيح والضعيف).

٦٠ ـ **المورد الصافي والظل الوافي**: وهو (كتابه الكبير في المحبة). وقد ذكره المؤلف رحمه الله تعالى في كتابه (طريق الهجرتين) فقال: «وقد ذكرنا مجموع هذه الطرق في كتابنا الكبير في المحبة الذي سميناه (المورد الصافي والظل الوافي) في المحبة وأقسامها وأنواعها وأحكامها، وبيان تعلقها بالإله الحق دون سواه وذكرنا من ذلك ما يزيد على مائة وجه».

وهذا هو كتابه الكبير في المحبة تفريقاً بينه وبين كتابه الآخر في المحبة وهو كتابه (روضة المحبين ونزهة المشتاقين). وقد أشار له ـ أي (لكتابه الكبير في المحبة) ـ في كتابه مدارج السالكين فقال: «وجميع طرق الأدلة عقلاً ونقلاً وفطرة وقياساً واعتباراً وذوقاً ووجداً تدل على إثبات محبة العبد لربه والرب لعبده، وقد ذكرنا لذلك قريباً من مائة طريق في (كتابنا الكبير في المحبة) وذكرنا فيه فوائد المحبة». وفي مبحث المحبة من (مدارج السالكين) قال أيضاً: «وقد ذكرنا هذه المسألة مستقصاة وتوابعها في كتابنا الكبير في المحبة» والله أعلم.

٦١ ـ **مولد النبي ﷺ**: ذكره الشوكاني، وصديق القنوجي.

٦٢ ـ **نقد المنقول والمحك المميز بين المقبول والمردود**: ذكره ابن رجب وابن العماد، وانظر: (المنار المنيف في الصحيح والضعيف).

٦٣ ـ **نكاح المحرم**: ذكره ابن رجب، وابن العماد.

٦٤ ـ **نور المؤمن وحياته**: ذكره ابن رجب، وابن العماد.

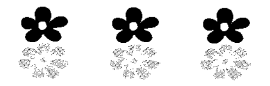
٦٥ ـ **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**: طُبع مراراً، ذكره حاجي خليفة. وقد سماه مؤلفه بذلك في مقدمته، وذكره في كتابه (أحكام أهل الذمة)[1] في معرض بحثه (للطريفا) وهو ما لصقت رئته بالجنب فقال: «وقد ذكرنا في كتاب (الهداية) سبب هذا التحريم». وهذا البحث مذكور في (هداية الحيارى) والله أعلم.

---

(١) أحكام أهل الذمة (١/ ٢٧٦).

هذه بعض المؤلفات التي قمت بإيرادها اختصاراً من كتاب «ابن قيم الجوزية حياته وآثاره» للشيخ بكر أبو زيد، وهي غيض من فيض من مكتبة الإمام ابن القيم. ويبقى هنا تساؤل وجوابه عن السر في اختفاء الكثير من كتب الإمام ابن القيم عن المكتبة الإسلامية؟ يجيب على هذا السؤال فضيلة الشيخ الدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد حيث يقول: والجواب عن هذا: أن ابن القيم رحمه الله تعالى كما لاقى عناء الخصوم في حياته فإن السخط والخصام ما يزالان يتوارثان بتطاول الألسنة وامتداد المداد، وبإيقاد نار السخط والكراهية لهذه المدرسة السلفية وأساتذتها التي قام بإحيائها على هدي الشريعة ونورها شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى. ونتيجة لهذا الطيش تصدى لكتبه وكتب شيخه ابن تيمية أعداء هذه الدعوة السلفية بالجمع والتحريق لها. وكان من أعظم من تولى كبر ذلك: الأمير المجاهد عبد القادر الجزائري[1] إبان إقامته في دمشق بلد ابن القيم وموطن مكتبته.

قال الأستاذ الألباني في مقدمة (الكلم الطيب لابن تيمية) ما نصه: إن أحد الأمراء الذين استوطنوا دمشق في القرن الماضي وكان ذا سلطان ومال جعل يجمع مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ويحرقها، فإن لم يتمكن من إقناع مالك الكتاب بحرقه اشتراه منه أو استوهبه، وربما التمس وسائل أخرى لإتلافه بدافع انتصاره لمذهب الحلول والاتحاد، هذا المذهب الذي كشف زيفه بحجج الله القاهرة[2][3].



---

(١) عبد القادر الجزائري هو: عبد القادر بن محي الدين الحسيني الجزائري، أمير عالم مجاهد شاعر شجاع، أسرف في متابعة ابن عربي الحاتمي صاحب وحدة الوجود، توفي سنة ١٣٠٠هـ، انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ١٧٠).

(٢) الكلم الطيب للإمام ابن تيمية (ص٤).

(٣) ابن قيم الجوزية حياته وآثاره للعلامة الشيخ بكر أبو زيد (ص١٩٧).

(ز)

توطئة

بيان معتقد الفرق والطوائف في أسماء الله الحسنى:

(١) **الجهمية**: وهي نسبة للجهم بن صفوان السمرقندي[١]؛ لأنه هو الذي أظهر مذهبهم ونشره بين المسلمين وأول ما أظهر بدعته في ترمذ (وكان قد أخذها عن الجعد بن درهم، والجعد أخذها عن أبان بن سمعان، وأبان أخذها عن طالوت ابن اخت لبيد بن الأعصم، وطالوت أخذها عن لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ، وكان الجعد بن درهم هذا فيما قيل سكن حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة والفلاسفة من بقايا دين أهل النمرود والكنعانيين)[٢]. فسند هذه المقالة (نفي الصفات) متصل باليهود والمشركين وضلال الصابئة، (ولما كان في حدود المائة الثالثة انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية بسبب بشر بن المريسي[٣]

---

(١) الجهم بن صفوان: كنيته ابن محرز، وكان مولى لبني راسب من الأزد، وينسب تارة إلى ترمذ، أخذ كلامه عن الجعد بن درهم. اتخذه الحارث بن سريج كاتباً وداعياً إبان خروجه من خراسان. انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي (٦/ ٢٦)، الأعلام للزركلي (٢/ ١٤١)، تاريخ الفرق الإسلامية (ص١٥، ١٦).

(٢) النفائس الحموية (ص٩٨)، وشرح الطحاوية (ص٥٢٢).

(٣) هو بشر بن غياث بن أبي كريمة أبو عبد الرحمن المريسي المتكلم شيخ المعتزلة وأحد من أضل المأمون، وقد كان هذا الرجل ينظر أولاً في شيء من الفقه وأخذ عن أبي يوسف وروى الحديث عنه وعن حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة وغيرهم، ثم غلب عليه الكلام، كان يقول بخلق القرآن والإرجاء، وإليه تنسب المريسية، يقال إن أباه كان يهودياً صباغاً بالكوفة وكان يسكن درب المريسي، وهو عندهم الخبز الرقاق يمرس بالسمن والتمر، انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/ ١٩٩)، العبر له=

وطبقته)[1].

وكان الجعد مع ضلالته يحمل السلاح ويقاتل السلطان وخرج معه الحارث بن سريج[2] مع نصر بن سيار[3]، وقتله سلم بن أحوز المازني[4] في آخر زمان بني أمية[5].

قال الإمام ابن القيم في النونية:

ولأجل ذا ضحّى بجعدٍ خالد القسري ... يـوم ذبـائـحَ الـقـربـانِ
شَكَرَ الضحيةَ كلُّ صاحبِ سُنَّةٍ ... لله درُّكَ مِـن أَخـي قُـرْبَـانِ[6]

وقد أراح الله الأمة من شيخه الجعد (فضحى به خالد بن عبد الله القسري[7] بواسط، فإنه خطب الناس في يوم الأضحى، وقال: أيها الناس

= (١/ ٢٩٤)، البداية والنهاية لابن كثير (١٠/ ٢٨١)، شذرات الذهب لابن العماد (١/ ٤٤)، الأعلام للزركلي (٢/ ٥٥).

(١) النفائس الحموية (٦)، رقم (٧).

(٢) الحارث بن سريج التميمي، ثائر من الأبطال سكن خراسان وخرج على أميرها سنة (١١٦) وانهزم وقتل أكثر أصحابه، ثم أمن في عهد يزيد بن الوليد، نفاه إلى مرو سنة (١٢٧). ثم عاد للخروج فقاتله نصر فانهزم وقتل على أبواب مرو. انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ٣٦)، تاريخ الفرق الإسلامية (ص١٦)، الأعلام للزركلي (٢/ ١٥٤).

(٣) نصر بن سيار بن رافع بن حزمي بن ربيعة الكناني أمير من الدهاة الشجعان، كان شيخ مصر بخراسان وولي بلخ ثم إمرة خراسان سنة (١٢٠) حتى تغلب عليه أبو مسلم فخرج منها، مرض بمفازة بين الري وهمدان ومات بساوه، انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/ ٥٤٥)، الأعلام للزركلي (٨/ ٢٣).

(٤) قائد أموي هزم الحارث بن سريج وقتل الجهم بن صفوان من جنده سنة (١٢٨). غزا خوارزم وصالحه أهلها فحاصر أهل سمرقند فصالحوه سنة (١٦٢). انظر ترجمته: شذرات الذهب لابن العماد (١/ ٧٠)، تاريخ الفرق الإسلامية (٢/ ١٦).

(٥) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي (٢٠٠)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٦).

(٦) النونية (ص٦، ٧).

(٧) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري من بجيلة، أبو الهيثم أمير العراقين، ولي مكة والبصرة والكوفة، فقتله يوسف بن عمر الثقفي، بعد أن عذبه وهو صابر سنة (١٢٠). انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٤٢٥)، البداية والنهاية لابن كثير (١٠/ ١٧، ١٨)، شذرات الذهب لابن العماد (١/ ١٦٩)، الأعلام للزركلي (٢/ ٢٩٧).

ضحوا يتقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى عما يقول الجعد علواً كبيراً؛ ثم نزل فذبحه، وكان بعد استفتائه علماء زمانه وهم السلف الصالح رحمهم الله، وكان جهم بعده بخرسان، فأظهر مقالته هناك، وكان تبعه عليها أناس بعد أن ترك الصلاة أربعين يوماً شكاً في ربه، وكان ذلك لمناظرته قوماً من المشركين يقال لهم السمنية من فلاسفة الهند، الذين ينكرون من العلم ما سوى الحسيات، قالوا له: هذا ربك الذي تعبده، هل يرى أو يشَم أو يذاق أو يلمس؟ فقال: لا، فقالوا: هو معدوم فبقي أربعين يوماً لا يعبد شيئاً، ثم لما خلا قلبه من معبود يؤلهه نفث الشيطان اعتقاداً نحتهُ فكرة فقال: إنه الوجود المطلق)[1]. وأول ما ظهرت هذه البدعة في المائة الثانية من الهجرة لما عُرِّبَتْ كتب الرومان واليونان[2].

- **معتقدهم في الأسماء: «أن الله لا يسمى بشيء»:**

وهذا معتقدهم، والغالبية من الملاحدة، كالقرامطة والفلاسفة.

وهؤلاء المعطلة نفاة الأسماء لهم في تعطيلهم لأسماء الله أربعة مسالك هي:

المسلك الأول: الاقتصار على نفي الإثبات، فقالوا: لا يُسمَّى بإثبات.

المسلك الثاني: أنه لا يُسمى بإثبات ولا نفي.

المسلك الثالث: السكوت عن الأمرين؛ الإثبات والنفي.

المسلك الرابع: تصويب جميع الأقوال بالرَّغم من تناقُضها.

فهم بذلك اتفقوا على إنكار الأسماء جميعاً، ولكن تنوعت مسالكهم في الإنكار.

(١) **فأصحاب المسلك الأول**: اقتصروا على قولهم: بأنه ليس له اسم كالحيِّ، والعليم ونحو ذلك.

---

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز، (ص٥٩٠، ٥٩١).

(٢) النفائس الحموية (٩٩).

وشبهتهم في ذلك:

(أ) أنه إذا كان له اسم من هذه الأسماء لزم أن يكون مُتَّصِفٌ بمعنى الاسم كالحياة والعلم؛ فإِنَّ صدق المشتق ـ أي الاسم كالعليم ـ مستلزم لصدق المشتق منه ـ أي الصّفة كالعلم ـ وذلك محال عندهم.

(ب) ولأنه إذا سُمِّي بهذه الأسماء فهي ممَّا يسمى به غيره. والله مُنَزَّهٌ عن مشابهة الغير[1].

(فهؤلاء المعطِّلة المحضة ـ نفاة الأسماء ـ يسمّون من سمى الله بأسمائه الحسنى مشبِّهاً. فيقولون: إذا قلنا: حيٌّ عليم فقد شبهناه بغيره من الأحياء العالمين، وكذلك إذا قلنا: رؤوف رحيم، فقد شبهناه بالنبي الرؤوف الرحيم، بل قالوا: إذا قلنا: إنه موجود فقد شبهناه بسائر الموجودات لاستخدامها في مسمى الوجود)[2].

وهذا المسلك يُنسب لجهم بن صفوان، **قال شيخ الإسلام ابن تيمية**: «جهم كان ينكر أسماء الله تعالى فلا يسميه شيئاً لا حيًّا ولا غير ذلك إلاَّ على سبيل المجاز»[3] وهو كذلك قول ابن سينا وأمثاله[4].

(٢) وأما أصحاب المسلك الثاني: فقد زادوا في الغلو فقالوا: لا يسمَّى بإثبات ولا نفي ولا يُقال: موجود ولا لا موجود، ولا حي ولا لا حي؛ لأن في الإثبات تشبيهاً بالموجودات، وفي النفي تشبيهاً له بالمعدومات، وكلُّ ذلك تشبيه[5].

وهذا المسلك ينسب لغلاة المعطلة من القرامطة الباطنية والمتفلسفة، **قال الإمام ابن تيمية**: «فالقرامطة الذين قالوا: لا يُوصف بأنه حي ولا ميِّت ولا

---

(١) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية، (٦/ ٣٥)، (٣/ ١٠٠). وانظر: درء تعارض العقل والنقل له (٣/ ٣٦٧)، الصفدية له (١/ ٨٨، ٨٩).

(٢) منهاج السنة للإمام ابن تيمية (٢/ ٥٢٣، ٥٢٤).

(٣) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (١٢/ ٣٦١).

(٤) شرح الصفدية للإمام ابن تيمية (١/ ٢٩٩، ٣٠٠).

(٥) شرح العقيدة الأصفهانية للإمام ابن تيمية (ص٧٦).

عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، بل قالوا: لا يوصف بالإيجاب ولا بالسلب، فلا يُقال: حي عالم، ولا يقال: ليس بحي عالم، ولا يُقال: هو عليم قدير، ولا يُقال: ليس بقدير عالم، ولا يُقال: هو متكلم مريد، ولا يقال: ليس بمتكلم مريد، قالوا: لأن في الإثبات تشبيهاً بما تثبت له هذه الصِّفات، وفي النفي تشبيه له بما ينفي عنهُ هذه الصفات».

(٣) وأما أصحاب المسلك الثالث فيقولون: نحن لا نقول: ليس بموجودٍ ولا معدوم ولا حي ولا ميِّت، فلا ننفي النقيضين، بل نسكت عن هذا وهذا، فنمتنع عن كلٍّ من المتناقضين، لا نحكم لا بهذا ولا بهذا، فلا نقول: ليس بموجودٍ ولا معدوم، ولكن لا نقول: هو موجود، ولا نقول: هو معدوم.

ومن الناس من يحكي نحو هذا عن الحلاج، وحقيقة هذا القول هو الجهل البسيط والكفر البسيط، الذي مضمونه الإعراض عن الإقرار بالله ومعرفته وحبه وذكره وعبادته ودعائه[١].

(٤) ومسلك رابع: يقول بتصويب كلِّ أحد من القائلين للأقوال المتناقضة كما يقول من يقول من أصحاب الوحدة، كابن عربي ونحوه الذي يقول بأن كل من اعتقد في الله عقيدةً فهو مصيبٌ فيها، **حتى قال**:

عقد الخلائقُ في الإله عقائداً ... وأنا اعتقد جميع ما عقدوه

فأصحاب وحدة الوجود يعطون أسماءه سبحانه لكلِّ شيء في الوجود، إذ كان وجود الأشياء عندهم هو عين وجوده، ما ثمّت فرق إلا بالإطلاق والتقييد[٢].

وهذا منتهى قول طوائف المعطلة[٣].

وغاية ما عندهم في الإثبات قولهم: هو (وجود مطلق) أي وجود خيالي في الذهن، أو وجود مقيد بالأمور السلبية، وقالوا: لا نقول: موجود ولا

---

(١) الصفدية للإمام ابن تيمية (١/ ٩٨، ٩٩).

(٢) شرح النونية للهراس (٢/ ١٢٦).

(٣) الصفدية للإمام ابن تيمية (١/ ٩٨، ٩٩).

معدوم، أو قالوا: هو لا موجود ولا معدوم[1].

وعن حكم القول بنفي أسماء الله تعالى:

قال الإمام ابن تيمية: «والتحقيق أن التجهم المحض - وهو نفي الأسماء والصفات كما يحكى عن جهم والغالية من الملاحدة ونحوهم، من نفي الأسماء الحسنى - كفر بيِّن مخالف لما علم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ»[2].

القول الثاني: إن الله يُسمى بالخالق القادر فقط:

وهذا القول منسوب كذلك لجهم بن صفوان.

قال الإمام ابن تيمية: «كان الجهم وأمثاله يقولون: إن الله ليس بشيء. وروي عنه أنه قال: لا يُسمى باسم يسمى به الخلق فلم يُسمِّه إلا بالخالق القادر، لأنه كان جبرياً يَرى أن العبد لا قدرة له»[3].

وقال أيضاً: «ولهذا نقلوا عن جهم أنه لا يسمِّي الله بشيء، ونقلوا عنه أنه لا يسميه باسم من الأسماء التي يسمى بها الخلق: كالحي، والقيوم، والسميع، والبصير، بل يسمِّيه قادراً خالقاً، لأن العبد عنده ليس بقادر إذ كان هو رأس الجهمية الجبرية»[4].

القول الثالث: قول المعتزلة: إثبات الأسماء مجردة عن الصفات:

ويراد بالمعتزلة عمرو بن عبيد[5]، وواصل بن عطاء[6]، ومن سلك

---

(١) نفس المصدر (١/ ١١٦، ١١٧).

(٢) النبوات للإمام ابن تيمية (ص١٩٨).

(٣) انظر: منهاج السنة للإمام ابن تيمية (٢/ ٥٢٦، ٥٢٧)، وانظر: الأنساب للسمعاني (٢/ ١٣٣).

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل للإمام ابن تيمية (٥/ ١٨٧)، وانظر: مجموع الفتاوى له (٨/ ٤٦٠).

(٥) عمرو بن عبيد، هو: عمرو بن عبيد بن باب ولد سنة (٨٠هـ). وكان أبوه مع جند الحجاج. وعمرو مولى لبني تمام توفي سنة (١٤٣)، انظر ترجمته: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٢١٩)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٦/ ١٠٤)، شذرات الذهب لابن العماد (١/ ٢١٠)، تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي (ص٦٨)، الأعلام للزركلي (٥/ ٨١).

(٦) واصل بن عطاء شيخ المعتزلة ورئيسهم وأول من لقب بالمعتزلي مؤسس المذهب=

سبيلهما وسموا بذلك لاعتزالهم الجماعة[١] بعد موت الحسن البصري[٢] في أوائل المائة الثانية للهجرة والذي وضع أصولهم هو واصل بن عطاء وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري.

فلما كان زمن هارون الرشيد[٣] صنف لهم أبو الهذيل العلاف[٤] كتابين وبيّن مذهبهم[٥]. وبنى المذهب على خمسة أصول[٦] هي:

= والمدافع عنه ولد بالمدينة سنة (٨٠) على الرق وعليه نشأ وهو مولى لبني ضبة وقيل: لبني مخزوم توفي سنة (١٣١). انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٤٦٤)، شذرات الذهب لابن العماد (١/ ١٨٢)، تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي (ص٦٩)، الأعلام للزركلي (٨/ ١٠٨، ١٠٩).

(١) انظر: المعتزلة وأصولهم: عواد المعتق، (ص٢١)، والمعتزلة لزهدي جار الله (ص٣).

(٢) الحسن بن أبي الحسن البصري مولى أم سلمة والربيع بنت النضر وزيد بن ثابت، أبو سعيد الإمام أحد أئمة الهدي والسنة، روى عنه جندب بن عبد الله وأنس وعبد الرحمن بن سمرة وغيرهم، وروى عن أيوب وحميد وأنس وقتادة وغيرهم، اسم أبيه يسار وأمه خيرت مولاة أم سلمة من بني ميسان، توفي سنة (١١٠) وقيل: ولد سنة (٢١) لسنتين بقيتا من خلافة عمر ﷺ. انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٥٦٣)، العبر له (١/ ١٠٣)، شذرات الذهب لابن العماد (١/ ١٣٦)، تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي (ص٣٥)، الأعلام للزركلي (٢/ ٢٢٦).

(٣) أمير المؤمنين هارون الرشيد بن محمد المهدي محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، استخلف بعهد من أبيه سنة (١٧٠). كان من أمير الخلفاء وأجلّ ملوك الدين كان كثير الغزو والحج، ولد بالري سنة (١٤٨) وتوفي بطوس من خراسان وهو في الغزو سنة (١٩٣) وله خمس وأربعون سنة في جمادى الآخرة. انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي (٩/ ٢٨٦)، العبر له (١/ ٢٤)، شذرات الذهب لابن العماد (١/ ٣٣٣)، الأعلام للزركلي (٨/ ٦٢).

(٤) أبو الهذيل العلاف محمد بن هذيل بن عبيد الله البصري شيخ المعتزلة ورأس البدعة له نحو من مائة سنة، وسمي بالعلاف لأن داره بالبصرة بالعلافين ولم يكن علافاً، ولد سنة (١٣٥) وتوفي سنة (٢٢٦) أو سنة (٢٢٧) أو سنة (٢٣٥) بمدينة سر من رأى. انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/ ٥٤٢)، العبر له (١/ ٣٣٢)، شذرات الذهب لابن العماد (١/ ٨٥)، تاريخ الفرق الإسلامية (ص١٦٠)، الأعلام للزركلي (٧/ ١٣١).

(٥) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز تحقيق: جماعة من العلماء (ص٥٢١).

(٦) انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار (ص١٥١)، مقالات الإسلاميين للأشعري (ص١٦٤، ١٦٥).

١ ـ **العدل**: وأراد به إنكار القضاء والقدر.

٢ ـ **التوحيد**: وبناه على نفي صفات الرب وتأويلها.

٣ ـ **إنفاذ الوعد**: وذلك بتخليد صاحب الكبيرة في النار.

٤ ـ **المنـزلة بين المنـزلتين**: وهو حكم على صاحب الكبيرة في الدنيا (بأنه فاسق لا مؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين المنـزلتين).

٥ ـ **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: وقصد به شق عصا الطاعة على أمراء المسلمين.

• ومعتقدهم في أسماء الله تعالى كما ذكرنا: إثبات الأسماء مجردة عن الصفات. فهم يجمعون على تسمية الله بالاسم ونفي الصفة عنه، ويقول ابن المرتضى المعتزلي: «فقد أجمعت المعتزلة على أن الله مُحدث قديم قادر عالم حيّ لا لمعان..»[1].

ولهم في ذلك النفي مسلكان:

المسلك الأول: من جعل الأسماء كالأعلام المحضة المترادفة[2] التي لم توضع لمسماها باعتبار معنى قائم به. فهم بذلك ينظرون إلى هذه الأسماء على أنها أعلام خالصة لا تدل على صفة. و(المحضة): الخالصة الخالية من الدلالة على شيء آخر، فهم يقولون: إن العليم والخبير والسميع ونحو ذلك أعلامٌ لله ليست دالةً على أوصاف، وهي بالنسبة إلى دلالتها على ذات واحدة هي: مترادفة، وذلك مثل تسميتك ذاتاً واحدة بـ (زيد ـ وعمرو ـ ومحمد ـ وعليّ) فهذه الأسماء مترادفة وهي أعلام خالصة لا تدل على صفة لهذه الذات المسماة

---

(١) المنية والأمل لابن المرتضى (ص٦).

(٢) المترادفة: التي اختلفت في ألفاظها واتحدت في مدلولها (فالرحمن والقدير والعزيز) اختلفت في ألفاظها واتحدت في دلالتها على مسمى الله تعالى. فأسماء الله الحسنى كلها متفقة في الدلالة على نفسه المقدسة، ثم كل اسم يدل على معنى من صفاته ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر. انظر: الإيمان للإمام ابن تيمية (١٧٥)، التعريفات للجرجاني (ص٢٥٣).

بها[1]. وسيأتي زيادة بيان لها في حينه، إن شاء الله تعالى.

المسلك الثاني: من يقول منهم: إن كُلَّ علَم منها مستقلٌ، فالله يُسمى عليماً وقديراً، وليست هذه الأسماء مترادفة، ولكن ليس معنى ذلك أن هناك حياةً أو قدرة[2]؛ ولذلك يقولون عليمٌ بلا علم، قديرٌ بلا قدرة، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر.

وقول المعتزلة وإن كان دون قول الجهمية، لكنه عظيم أيضاً[3].

قال أبو الحسن الأشعري: «وزعمت الجهمية ـ يعني المعتزلة ـ أن الله ﷻ لا علم له ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر له؛ وأرادوا أن ينفوا أن الله عالمٌ قادرٌ حيّ سميع بصير، فمنعهم خوف السيف من إظهارهم نفي ذلك، فأتوا بمعناه».

لأنهم إذا قالوا: لا علم لله ولا قدرة له، فقد قالوا: إنه ليس بعالم ولا قادر ووجب ذلك عليهم، وهذا إنما أخذوه عن أهل الزندقة والتعطيل؛ لأن الزنادقة قال كثيرٌ منهم: «إن الله ليس بعالم ولا قادرٍ ولا حيٍ ولا سميع ولا بصير، فلم تقدر المعتزلة أن تفصح بذلك، فأتت بمعناه، وقالت: إن الله عالم قادر حيّ سميع بصير من طريق التسمية من غير أن يثبتوا له حقيقة العلم والقدرة والسمع والبصر»[4]. وقد ذكر ابن المرتضى المعتزلي إجماعهم على ذلك فقال: «وأما ما أجمعت عليه المعتزلة، فقد أجمعوا على أن للعالم محدثاً قديماً قادراً عالماً حياً لا لمعان...»[5].

وقال الإمام ابن تيمية: «إن المعتزلة لما رأوا الجهمية قد نفوا أسماء الله الحسنى استعظموا ذلك لما فيه من تكذيب القرآن تكذيباً ظاهر الخروج عن العقل، فأقرّوا بالأسماء ونفوا الصفات، فصاروا هم كذلك متناقضين، فإن

---

(١) التحفة المهدية لفالح آل مهدي (١/ ٤٦). (٢) نفس المصدر (١/ ٤٦).

(٣) النبوات للإمام ابن تيمية (ص١٩٨).

(٤) مقالات الاسلاميين للأشعري (١/ ٢٧٢)، وانظر: الإبانة عن أصول الديانة للأشعري (ص١٠٧، ١٠٨).

(٥) المنية والأمل لابن المرتضى المعتزلي (ص٥٦).

إثبات حي عليم قدير حكيم سميع بصير، بلا حياة، ولا علم، ولا قدرة، ولا حكمة، ولا سمع، ولا بصر، مكابرة للعقل كإثبات مصلٍّ بلا صلاة، وصائم بلا صيام، وقائم بلا قيام، ونحو ذلك من الأسماء المشتقة كأسماء الفاعلين والصفات المعدولة عنها»[1].

وممن وافق المعتزلة في مسألة نفي معاني الأسماء، **ابن حزم الظاهري حيث قال:**

«إن أسماءه الحسنى كالحي والعليم والقدير بمنزلة أسماء الأعلام التي لا تدل على حياة ولا علم ولا قدرة، وقال: لا فرق بين الحيِّ وبين العليم وبين القدير في المعنى أصلاً»[2]. ولا شك أن مثل هذه المقالات إنما هي في الحقيقة سفسطة في العقليات، وقرمطة في السمعيات، وسيأتي تفصيل الرد عليها في ثنايا الدراسة بإذن الله تعالى.

القول الرابع: إثبات الأسماء الحسنى مع إثبات معاني بعضها وتحريف معاني البعض الآخر:

وهذا قول الكلابية والأشاعرة والماتريدية ومن وافقهم. ورأيهم في هذه المسألة مبني على قولهم في صفات الله تعالى.

فالكلابية وقدماء الأشاعرة ينفون الصفات الاختيارية؛ وبالتالي لا يثبتون معاني الأسماء التي اشتقت من الصفات الاختيارية على الوجه الصحيح. وأما المتأخرون من الأشاعرة ومعهم الماتريدية، فإنهم لا يثبتون من الصفات سوى سبع صفات هي: «العلم، القدرة، الحياة، السمع، البصر، الإرادة، الكلام» ويزيد بعض الماتريدية صفةً ثامنةً هي (التكوين)[3]. فالاسم عندهم إن دل على

(١) انظر: النبوات للإمام ابن تيمية (ص٦٣، ٦٤).

(٢) شرح الأصفهانية للإمام ابن تيمية (ص٧٦) وانظر: الفِصَلْ لابن حزم (٢/ ١٦١).

(٣) انظر: تحفة المريد للبيجوري (ص٦٣)، وإشارات المرام للبياض الحنفي (ص١٠٧ - ١١٤)، كتاب «الماتريدية دراسة وتقويم» للأفغاني (ص٢٣٩)، كتاب «الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات» أحمد الحربي (٢/ ٤٣٠)، رسالة «منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله» خالد عبد اللطيف (ص٤٠١).

ما أثبتوه من الصفات، أثبتوا ما دل عليه من المعنى، وإن كان دالاً على خلاف ما أثبتوه صرفوه عن حقيقته وحرّفوا معناه. ومعلومٌ أنه لم يرد في باب الأسماء من تلك الصفات التي ذكروها إلا خمسة فقط، وهي: (**العليم**) و(**القدير**) و(**الحي**) و(**السميع**) و(**البصير**)، فهذه الخمسة يثبتون معانيها وإن كان هناك من يرجع صفتي (السمع) و(البصر) إلى (العلم)، ولكن جمهورهم على خلاف ذلك[1].

وأما بقية الأسماء التي لا تتفق مع ما أثبتوه من الصفات، فإنهم لا يثبتون ما دلت عليه من المعاني بل يحرفونها كتحريفهم لمعنى (الرحمة) في اسمه (الرحمن) إلى (إرادة الثواب والإنعام) و(الود) في (الودود) بـ (إرادة إيصال الخير)[2].

ومعلوم أن القول الحق في أسماء الله تعالى: إثباتها مع إثبات معانيها جميعاً وإثبات ما يتعلق بها من الأحكام والمقتضيات وقد فصلنا القول فيه في الفصل الأخير من هذا القسم من الموضوع وأدرجناه تحت مذهب أهل السنة والجماعة في باب الأسماء الحسنى، وما العرض لهذه الأقوال المخالفة، مع إتباع ذلك بعرض قول أهل السنة إلا من باب إظهار حسن الشيء بذكر ضده. وكما قيل: «الضدّ يُظهر حسنه الضدُّ» «وبضدّها تتميز الأشياء» والقصد من ذلك أيضاً أن يتبين للقارئ الكريم معالم معتقد أهل السنة في باب الأسماء الحسنى، وما تميّز واختص به، الأمر الذي يعين على تصور وفهم ما سيعرض في هذه الدراسة من مسائل ومباحث لها صلة وعلاقة بما أظهرته تلك الطوائف من مقالات فاسدة في باب أسماء الله الحسنى، وأهل السنة والجماعة قد حازوا ـ بحمد الله ـ قصب السبق في إثبات حقائق أسماء الله وصفاته.

---

(١) انظر: لباب العقول للكيلاني (ص١٢٣، ١٢٤)، وانظر: شرح الأصفهانية للإمام ابن تيمية (ص٤٤٥)، المسايرة لابن الهمام (ص٦٧)، «الماتريدية دراسة وتقويم» للأفغاني (ص٢٦٤)، و«الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات» للحربي (٢/ ٤٣١)، رسالة «منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله» (ص٤٠٩).

(٢) لوامع البينات للرازي (ص٢٨٧).

قال الإمام ابن القيم: «وهدى الله أصحاب سواء السبيل[١]: للطريق المثلى، فلم يتلونوا بشيء من أوضار هذه الفرق وأدناسها وأثبتوا لله حقائق الأسماء والصفات ونفوا عنه مماثلة المخلوقات فكان مذهبهم مذهباً بين مذهبين، وهدى بين ضلالتين، خروج من بين مذاهب المعطلين والمخيلين والمجهلين والمشبهين كما خرج اللبن من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين. وقالوا: نصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل بل طريقتنا إثبات حقائق الأسماء والصفات ونفي مشابهة المخلوقات، فلا نعطل ولا نؤول ولا نمثّل ولا نجهل»[٢].



(١) يعني بذلك: أهل السنة والجماعة. فهو كثيراً ما يشيد بهم ويدلِّل عليهم، ومن ذلك قوله في البدائع: «وأهل السنة وسط في النِّحَلْ كما أن أهل الإسلام وسط في الملل، توقد مصابيح معارفهم من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء».

(٢) الصواعق المرسلة (٢/ ٢٤٥، ٢٤٦).

القسم الأول

قواعد الأسماء الحسنى عند الإمام ابن القيم

ويندرج تحته عشرة فصول:

الفصل الأول : ما يطلق على الله تبارك وتعالى صفةً أو خبراً.

الفصل الثاني : ضوابط الاسم والمسمى.

الفصل الثالث : الفرق بين ما يخبر به عن الله تعالى وبين ما يوصف به.

الفصل الرابع : حسن أسماء الله تعالى وإحصاؤها ودعاؤه بها.

الفصل الخامس : آثار الأسماء الحسنى ومقتضياتها.

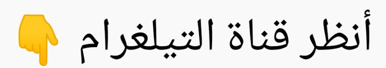
الفصل السادس : حكم اشتقاق المصدر والفعل من الاسم والإخبار بهما عن الله تعالى.

الفصل السابع : التفاضل بين الأسماء الحسنى وعدم حصرها بعدد معين مع ثبوت الاسم الأعظم لله تعالى.

الفصل الثامن : دراسة الروايات والطرق التي سردت الأسماء الحسنى.

الفصل التاسع : حقيقة الإلحاد في أسماء الله تعالى وأقسامه.

الفص العاشر : مذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء الحسنى وأحكامها.



(تحميل كتب ورسائل علمية)





تحميل كتب و رسائل علمية

channel publik

Info

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

Tautan Undangan

الفصل الأول

ما يطلق على الله تبارك وتعالى صفةً أو خبراً

من خلال عنوان هذا الفصل نجد أن الإمام ابن القيم:

يذهب إلى جواز تقسيم الإطلاقات على الله تعالى من جهة الصفة والخبر إلى عدة أقسام كما سنرى، والسؤال المتبادر إلى الذهن هنا: ما المقصود بالصفة والخبر؟

والجواب: أن المقصود بالصفة في كلام الإمام ابن القيم: هي تلك الإطلاقات التي وردت بها نصوص شرعية تدل على وصف الله تعالى بها، كصفة الرحمة والعلم، والسمع وغيرها من الصفات وهذه لا خلاف في جواز إطلاقها على الله تعالى ووصفه بها مع إثبات معانيها اللازمة لها.

أما الخبر فالمقصود به: تلك الإطلاقات العامة الكلية التي لم يرد لوصف الله تعالى بها دليل لا من الكتاب ولا من السنة، وشرط جوازها أن تحمل المدح المحض الذي لا شائبة للذم فيه. وهذا النوع هو ما وقع الخطأ فيه مِن قِبَلْ المتكلمين، ولم يفطنوا إلى الملحظ الدقيق فيه وهو أن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه، بل يطلق عليه منها كمالها لأن الله تعالى قد أطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلاً وخبراً.

ونلاحظ أن الإمام بن القيم يُقَسِّمُ هذه الإطلاقات على الله تعالى من جهة الصفة والخبر إلى ستة أقسام جاءت على النحو التالي:

أحدها: ما يرجع إلى نفس الذات كقولك: ذات، وموجود، وشيء.

الثاني: ما يرجع إلى صفات معنوية[1] كالعليم، والقدير، والسميع.

الثالث: ما يرجع إلى أفعاله نحو: الخالق والرزاق.

الرابع: ما يرجع إلى التنزيه المحض، ولابد من تضمنه ثبوتاً إذ لا كمال في العدم المحض كالقدوس والسلام.

الخامس: ولم يذكره أكثر الناس وهو الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة، بل هو دال على معناه لا على معنى مفرد نحو: المجيد، العظيم، الصمد.

السادس: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر وذلك زائد على مفرديهما نحو: الغني الحميد، العفو القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن[2].

ولمعرفة منهج الإمام ابن القيم، لابد من تحليل ألفاظ هذه القاعدة تحليلاً يمكن أن يُفهم المعنى من خلاله. وتتضح صورة القاعدة الآنفة الذكر والكلام عليها كالآتي:

(١) قوله: ما يرجع إلى نفس الذات: الذات مؤنث ذو بمعنى صاحب، ثم أُطلق عند المتكلمين على صفة النفس[3] والمعنى: صاحبة الصفات، والمراد بما يرجع إليها هي الألفاظ العامة الكلية التي لم يرد النص بها؛ ولا يختص إطلاقها على الله دون غيره، وهي تحمل معنى المدح المحض دون الذم أو تجردت منهما. **قال الإمام ابن تيمية**: «وأما الإخبار عنه فلا يكون باسم سيئ لكن قد يكون باسم حسن أو باسم ليس بسيئ، وإن لم يُحكم بحسنه مثل اسم شيء، وذات، وموجود إذا أريد به الثابت»[4].

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٧٥) وانظر: أعلام السنة المنشورة للحكمي (٥٨)، طريق الوصول إلى العلم المأمول لابن سعدي (٢٧٠)، شرح النونية للهراس (٢/ ٦٠).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٧٥ ـ ١٧٧).

(٣) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٠٨)، وانظر: مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٦/ ٣٤١)، تنبيه ذوي الألباب السليمة لابن سحمان (٧٨).

(٤) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٦/ ١٤٢) وسيأتي التفصيل في الكلام عن هذه=

(٢) **وقوله: صفات معنوية**: الصفات المعنوية: هي كل صفة قائمة بالموصوف موجبةً له حكماً كونه قادراً ومريداً[١]. وهي تدل على معان قائمة بالذات وملازمة لها، فهي من مكوناتها بحيث إذا فرض عدمها عدم الذات ضمناً، وإضافة الصفات إلى معنوية، إضافة بيانية، أي الصفات التي هي معاني[٢].

(٣) **وقوله: ما يرجع إلى أفعاله**: بأن يكون صفة فعلية متعلقة بمشيئة الله وإرادته يفعلها متى شاء.

(٤) **وقوله: التنـزيه المحض**: هو النفي اللفظي الخالص للنقائص والعيوب.

(٥) **وقوله: ولابد من تضمنه ثبوتاً**: المراد بالثبوت دلالة معناه لزوماً على صفة مدح وجودية، من أمثلة هذا النوع: القدوس، والسلام.

(٦) **وقوله: العدم المحض**: هو ما كانت صورته اللفظية والمعنوية لا تدل على صفة مدح وجودية، ومن أمثلته قول طائفة من المتكلمين: لا موجود ولا معدوم، ولا خارج العالم ولا داخله.

(٧) **وقوله: لا تختص بصفة معينة**: صورته اللفظية لا تدل على معنى خاص بصفة وجودية على سبيل التعيين والتخصيص، فلا يدل على صفة السمع وحدها فقط، ولا صفة البصر دون غيرها من الصفات.

(٨) **وقوله: بل هو دالٌّ على معناها لا على معنى مفرد**: فهو لفظ موضوع للدلالة على السعة والكثرة والزيادة لغةً وشرعاً، بحيث يدخل في معناه المعبر عنه باللفظ الكثير من معاني أسماء الله وصفاته العلية[٣].

= الإطلاقات في الفصل الثالث (الفرق بين ما يخبر به عن الله تعالى وبين ما يوصف به) (ص١١٧ وما بعدها).

(١) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٦/ ١٤٢).

(٢) شرح الأصفهانية للإمام ابن تيمية (٢٠)، وانظر: نقض تأسيس الجهمية له (١/ ١٠٢).

(٣) بدائع الفوائد (١/ ١٧٦)، وانظر: شرح النونية للهراس (٢/ ٦٠).

(٩) وقوله: الصفات المقترنة: هي مدلول ومفهوم اجتماع صفة وجودية مع أخرى كاقتران صفة الغنى بالحمد، والعفو بالقدرة، والحمد بالمجد، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن، فإن الغنى صفة كمال والحمد كذلك، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر، فله ثناء من غناه، وثناء من حمده وثناء من اجتماعهما. وكذلك العفو والقدير، والحميد المجيد، والعزيز الحكيم، فتأمله فإنه من أشرف المعارف[١].

(١٠) وقوله: الأسماء المزدوجة: هي كل اسمين اقترن أحدهما بالآخر ولولا هذا الاقتران لما دلا على الكمال فكانا كالصفة الواحدة في الدلالة على المعنى الممدوح[٢]، ومن أمثلتها: النافع والضار والمعطي والمانع، وهذه الأسماء المزدوجة تجري الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض، فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد، ولذلك لم تجيء مفردة ولم تطلق عليه إلا مقترنة فاعلمه. فلو قلت: يا مذل يا ضار يا مانع وأخبرت بذلك لم تكن مثنياً عليه ولا حامداً له حتى تذكر مقابلها.

إذاً هذه القاعدة التي هي: «ما يطلق على الله تبارك وتعالى صفةً أو خبراً» تقسيم لما يطلق على الله من جهة الوصف والخبر، ومورد التقسيم هو متعلق الصفة أو الخبر، فما تعلق به رجعت نسبتها إليه.

فالأول: وهو ما يرجع إلى الذات من الخبر الذي تعلق التعبير به عن الذات؛ فيجوز شرعاً أن تطلق هذه الألفاظ بمسمياتها عليه تعالى، ولكن شريطة أن تحمل معنى المدح المحض الذي لا شائبة للذم فيه كلفظ الذات الدال على أن الله متصف بالصفات أخذاً من أصل معناها، وهو أنها مؤنث ذو بمعنى صاحب فكان مدلولها الموصوف بالصفات أو صاحبة الأوصاف العديدة، وهذا البيان عن معنى (ذو) هو ما تدل عليه لغة العرب ويؤيده الشرع ويقول به سلف

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٧٧).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٨٤). وانظر: مقدمة ذوي الألباب السليمة لابن سحمان (ص٧)، شرح النونية للهراس (٢/ ١١١).

الأمة؛ لا إطلاقها على النفس والحقيقة الذي ابتدعه المتكلمون ثم نقله عنهم عامة علماء الاعتقاد[1].

وهكذا الموجود والشيء الدال على إثبات ماهية الله وحقيقته الخارجية في الأعيان، خلافاً للفلاسفة والجهمية ومن سار على نهجهم من معطلة الصفات القائلين بوجوده الذهني دون إثبات قدر زائد على ذلك، معبرين عنه «بالوجود المطلق بشرط الإطلاق عن الصفات»، والحكمة من اعتباره هي: إثبات معنى يستحقه نفاه عنه ناف لما يستحقه من الصفات[2].

ومعلوم أن المطلق الكلي لا يمكن أن يتصف بالصفات الوجودية التي تقتضي تعيينه وهويته[3] «ويدخل في معنى هذا القسم ألفاظ كثيرة منها: الماهية والحقيقة والوجود ونحوها»[4]. وضابط هذا الباب هو كل لفظ عام كلي لم يرد الدليل من الكتاب والسنة على الوصف به على المدح المحض الذي لا شائبة للذم فيه، أو لم يدل عليهما إلا أنه يدل على معنى حسن أو ليس بسيئ[5].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه، بل ينطلق عليه منها كمالها، وهذا كالمريد والفاعل والصانع؛ فإن هذه الألفاظ لا تدخل في أسمائه، ولهذا غلط من سمَّاه بالصانع عند الإطلاق، بل هو الفعال لما يريد، فإنَّ الإرادة والفعل والصُنع منقسمة، ولهذا إنما أطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلاً وخبراً[6].

وما أحسن ما قاله الإمام ابن قدامة، حيث قال: «إن اللفظة إذا احتملت

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ٢٤٦، ٢٤٧)، مقدمة ذوي الألباب السليمة لابن سحمان (ص٧٨)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل للإمام ابن تيمية (٤/ ١٤٠، ١٤١).
(٢) درء تعارض العقل والنقل للإمام ابن تيمية (٤/ ١٤٠).
(٣) شرح النونية للهراس (٢/ ٤٦).
(٤) درء تعارض العقل والنقل للإمام ابن تيمية (٤/ ١٤٠).
(٥) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص٥٩١)، وانظر: توضيح الكافية الشافية لابن سعدي (ص٨٣).
(٦) بدائع الفوائد (١/ ١٧٨).

معاني فحملها على أحدها من غير تعيين احتمل أن يُحمل على غير مُراد الله تعالى منها، فيصف الله بما لم يصف به نفسه ويسلب عنه صفةً وصف الله بها قُدسَهُ ورضيها لنفسه، فيجمع بين الخطأ من هذين الوجهين وبين كونه قال على الله ما لم يعلم وتكلّف ما لا حاجة إليه ورغبته عن طريق رسول الله ﷺ وصحابته وسلفه الصالح، وركوبه طريق جهم وأصحابه من الزنادقة والضلال»[1].

الثاني: ما يرجع إلى صفات معنوية: وهذا من باب الوصف والبيان ومتعلقه صفات تدل على معانٍ قائمة بذاته ﷻ ملازمة لما تدخل في لوازم وجودها بحيث لا يمكن وجود الذات إلا بوجود هذه الصفات، وفرض عدم الذات فرض لعدمها، بل يستحيل قيامها بنفسها، قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «ولا توجد الصفة إلا بوجود الموصوف ولا يوجد الموصوف إلا بوجود الصفة»[2]، والتعبير عن الصفات الذاتية بالمعنوية إشارةٌ مرادٌ بها إبطال ما ادعته فلول المعطلة من أن الصفات صفات لذواتها مستقلة بنفسها، منفصلة عن الموصوف بها تبارك وتعالى، إضافتها إليه إضافة خلق وإيجاد لا صفات كمال وجلال. قال الإمام ابن تيمية: «فإن إثبات ذات لا تقوم بنفسها ممتنع في العقل، وإثبات قائم بنفسه يمتنع وصفه بهذه الصفات ممتنع في العقل، بل العقل يوجب أن الذات القائمة بنفسها لا تكون إلا بمثل هذه الصفات»[3].

الثالث: ما يرجع إلى أفعاله: ومتعلق هذا القسم الوصف إذ أن صفات الله منقسمة إلى صفة ذات وقد تقدم الكلام عليها، وصفة فعل متعلقة بمشيئته وإرادته فلا مكره له على فعلها بل هو يفعلها سبحانه باختياره وفقاً لإرادته ومشيئته؛ وفي هذا **يقول الإمام ابن تيمية** رحمه الله: «والفعل المتعدي واللازم لا بد أن يقوم بالفاعل، ويمتنع عقلاً وشرعاً أن يقوم بغيره في الحالين وهذه الأفعال الاختيارية تبع لإرادته ومشيئته، فما شاء قاله وتكلم به وما شاء فعله في الحال

---

(١) مجموع فيه إثبات صفة العلو، لمعة الاعتقاد، وذم التأويل لابن قدامة (ص٢٥٤).
(٢) شرح الأصفهانية للإمام ابن تيمية (٢٠).
(٣) نقض تأسيس الجهمية للإمام ابن تيمية (١/ ١٠٢).

والماضي والمستقبل، وهذا أصل متفق عليه بين السلف وعليه دلّ الكتاب والسنة»[1].

وقد أطال الإمام ابن القيم النفس في الكلام عن فعل الله وذكر فيه مذاهب الفرق، وفي معرض الرد على شبهة الكرامية يقول: ومن أنكر ذلك فقد أنكر كونه رب العالمين، فإنه لا يتقرر في العقول والفطر كونه رباً للعالمين إلا بأن تثبت له الأفعال الاختيارية، وذات لا تفعل ليست مستحقة للربوبية ولا للألوهية، فالإجلال عن هذا الإجلال واجب، والتنزيه عن هذا التنزيه متعين، فتنزيه الرب سبحانه عن قيام الأفعال به تنزيه له عن الربوبية... **وقال عبد العزيز الكناني** في الحيدة والاعتذار[2] في سؤال وجهه للمريسي: بأي شيء حدثت الأشياء؟ فقال له: أحدثها الله بقدرته التي لم تزل، فقلت له: أحدثها بقدرته كما ذكرت. أوَ ليس تقول إنه لم يزل قادراً؟ قال: بلى. قلت: فتقول إنه لم يزل يفعل؟ قال: لا أقول هذا. قلت: فلا بد أن تلزمك أن تقول: إنه خلق بالفعل الذي كان بالقدرة، لأن القدرة صفة. ثم قال عبد العزيز: لم أقل لم يزل الخالق يخلق، ولم يزل الفاعل يفعل، وإنما الفعل صفة، والله يقدر عليه ولا يمنعه منه مانع، فأثبت عبد العزيز فعلاً مقدوراً لله هو صفة ليس من المخلوقات وأنه به خلق المخلوقات. وهذا صريح في أن مذهبه كمذهب السلف، وأهل الحديث، لأن الخلق غير المخلوق، والفعل غير المفعول، كما حكاه البغوي إجماعاً لأهل السنة، وقد صرح عبد العزيز أن فعله سبحانه القائم به، وأنه خلق به المخلوقات، كما صرح به البخاري في آخر صحيحه، وفي كتاب خلق الأفعال، قال في صحيحه: «باب ما جاء في تخليق السماوات والأرض وغيرهما من الخلائق وفعل الرب وأمره» فالرب سبحانه بصفاته وفعله وأمره وكلامه هو الخالق المُكوِّنْ غير مخلوق. وما كان بفعله وأمره وتخليقه وتكوينه فهو مفعول مخلوق مُكَوَّن، فصرح إمام السنة أن صفة التخليق هي فعل

---

(١) «طريق الوصول إلى العلم المأمول» لابن سعدي (ص٥٩).

(٢) ستأتي ترجمة الكناني والقطع بصحة هذه المنظارة في الحاشية رقم (٤)، (ص١٣١) من هذه الأطروحة.

الرب وأمره، وأنه خالقٌ بفعله وكلامه، وجميع جند الرسول وحزبه مع محمد بن إسماعيل في هذا. والقرآن مملوء من الدلالة عليه كما دل عليه العقل والفطرة، قال تعالى ﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ . . .﴾ [يس: ٨١] ومنكرو الأفعال يقولون إن الرب سبحانه يقدر على المفعولات المباينة له ولا يقدر على فعل يقوم بنفسه لا لازم ولا متعدي. وأهل السنة يقولون الرب سبحانه يقدر على هذا وهذا، وهو سبحانه له الخلق والأمر فالجهمية أنكرت خلقه وأمره، وقالوا خلقه نفس مخلوقه، وأمره مخلوق من مخلوقاته، فلا خلق ولا أمر، ومن أثبت له الكلام القائم بذاته ونفى أن يكون له فعل فقد أثبت الأمر دون الخلق، ولم يقل أحد بقيام أفعاله به ونفي صفة الكلام عنه فيثبت الأمر دون الخلق. وأهل السنة يثبتون له تعالى ما أثبته لنفسه من الخلق والأمر، فالخلق فعله والأمر فعله، وهو سبحانه يقول ويفعل[1].

وقال الإمام ابن القيم أيضاً: «إن الصفة متى قامت بموصوف لزمها أمور أربعة: أمران لفظيان، وأمران معنويان، فاللفظيان ثبوتي وسلبي، الثبوتي أن يشتق للموصوف منها اسم، والسلبي أن يمتنع الاشتقاق لغيره، والمعنويان ثبوتي وسلبي. فالثبوتي أن يعود حكمها إلى الموصوف ويخبر بها عنه، والسلبي أن لا يعود حكمها إلى غيره، ولا يكون خبراً عنه، وهي قاعدة عظيمة في معرفة الأسماء والصفات، فلنذكر من ذلك مثالاً واحداً وهو صفة الكلام فإنه إذا قامت بعمل كانت هو التكلم دون من لم تقم به، وأخبر عنه بها وعاد حكمها إليه دون غيره، فيقال: قال وأمر ونهى ونادى وناجى وأخبر وخاطب وتكلم وكلَّم ونحو ذلك، وامتنعت هذه الأحكام لغيره، فيستدل بهذه الأحكام والأسماء على قيام الصفة به وسلبها عن غيره، على عدم قيامها به، وهذا هو أصل السنة الذي ردوا به على المعتزلة والجهمية، وهو من أصح الأصول طرداً وعكساً»[2].

---

(١) انظر: شفاء العليل (ص٣١١ ـ ٣١٣) بتصرف.

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٨٢، ١٨٣).

وذكر أنواع التعطيل وأقسام المعطلة فقال: «فتعطيل الرب سبحانه عن فعله القائم به كتعطيله عن صفاته القائمة به. والتعطيل أنواع: تعطيل المصنوع عن الصانع، وهو تعطيل الدهرية والزنادقة، وتعطيل الصانع عن صفات كماله ونعوت جلاله، وهو تعطيل الجهمية نفاة الصفات. وتعطيله عن أفعاله هو أيضاً تعطيل الجهمية أصل إثباته، ودب فيمن عداهم من الطوائف فقالوا: لا يقوم بذاته فعل لأن الفعل حادث وليس محلاً كما قال إخوانهم لا تقوم بذاته صفة لأن الصفة عرض وليس محلاً للأعراض، فلو التزم الملتزم أي قول التزمه كان خيراً من المعطلة، ومعطلة الصفات خير من معطلة الذات، وإن كان التعطيلان متلازمين لاستحالة وجود ذات قائمة بنفسها لا توصف بصفة، فوجود هذه محال في الذهن وفي الخارج، ومعطلة الأفعال خير من معطلة الصفات، فإن هؤلاء نفوا صفة الفعل وإخوانهم نفوا صفات الذات»[1].

وقال في المدارج: «فلست ترى شيئاً أدل على شيء من دلالة المخلوقات على صفات خالقها ونعوت كماله، وحقائق أسمائه. وقد تنوعت أدلتها بحسب تنوعها، فهي تدل عقلاً وحساً، وفطرةً ونظراً، واعتباراً... فالفكر الصحيح المؤيد بحياة القلب ونور البصيرة يدل عليها إثبات صفات الكمال، ونعوت الجلال، وأما فكر مصحوب بموت القلب، وعمى البصيرة فإنما يعطي صاحبه نفيها وتعطيلها»[2]. وكل ما يرى في السماوات والأرض هو أثر من آثار فعله سبحانه ولا يمنع هذا اعتبارها من قبيل الخبر بناءً على أنها يخبر بها عن الله، فيُقال: الله خالق الخلق، والله رازق من في السماوات والأرض ونحو ذلك. فيجب أن تنسب هذه الأفعال إليه سبحانه دون غيره إذ الفعل يرجع لفاعله كما أن الصفة ترجع لموصوفها، وكما أنه لا يعقل موصوف بلا صفات فكذلك لا يعقل فاعل بلا فعل.

الرابع: ما يرجع إلى التنزيه المحض فهو متعلق بالوصف إذ الصفة فيه تدل على النفي الخالص للنقص والعيب بلفظها ومعناها. ولابد من تضمنه

---

(١) شفاء العليل (ص٣١٠).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٣٧٢، ٣٧٣).

ـ **التنزيه ـ ثبوتاً إذ لا كمال في العدم المحض كالقدوس والسلام**، والوصف بالعدم المحض يعتبر من سواقط الألفاظ وعِيّ الكلام، إذ ليس كل من نفى عن شيء عيباً أراد مدحه بذلك، بل ربما أثبت من الذم له ما هو أعظم مما نفاه، أو نفى عنه من الكمال ما يدل على علو الموصوف وحسن خلاله، وهذه طريقة أهل الكلام المبتدعة فإنهم يأتون بالنفي المفصل والإثبات المجمل، يقولون: ليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة. . . إلى أن قالوا: ولا يوصف بمساحة ولا ذهاب في الجهات، وليس بمحدود، ولا والد ولا مولود، ولا تحيط به الأقدار ولا تحجبه الأستار إلى آخر ما نقله أبو الحسن الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن المعتزلة. وفي هذه الجملة حق وباطل، ويظهر ذلك لمن يعرف الكتاب والسنة. وهذا النفي المجرد مع كونه لا مدح فيه، فيه إساءة أدب، فإنك لو قلت للسلطان: أنت لست بزبال ولا كساح ولا حجّام ولا حائك! لأدّبك على هذا الوصف وإن كنت صادقاً، وإنما تكون مادحاً إذا أجملت النفي فقلت: أنت لست مثل أحد من رعيتك، أنت أعلم منهم وأشرف وأجلّ. فإذا أجملت في النفي أجملت في الأدب، والتعبير عن الحق بالألفاظ الشرعية الثبوتية الإلهية هو سبيل أهل السنة والجماعة، والمعطلة يعرضون عما قاله الشارع من الأسماء والصفات ولا يتدبرون معانيها، ويجعلون ما ابتدعوه من المعاني والألفاظ هو المحكم الذي يجب اعتقاده واعتماده[1]. ولذا فإن الإمام ابن القيم وضع هذا الضابط في الاعتبار قائلاً: «وأما صفات السلب المحض فلا تدخل في أوصافه تعالى إلا أن تكون متضمنة لثبوت، كالأحد المتضمن لانفراده بالربوبية والألوهية، والسلام المتضمن لبراءته من كل نقص يضاد كماله[2].

ومعلوم أن صفات السلب عند السلف تتضمن كمال ضدها، وذلك أن النفي المحض ليس فيه مدح. والمدح إنما يكون في الأمور الثبوتية لا بالأمور

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١٠٧).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٧٧)، وانظر: شرح النونية للهراس (٢/ ٦٠).

العدمية، وإنما يحصل المدح بالعدم إذا تضمن ثبوتاً[1].

فما يُنفى عن الله تعالى؛ يُنفى لتضمن النفي الإثبات. إذ الصفات السلبية ليس فيها بنفسها مدح، ولا تُوجب كمالاً للموصوف، إلا أن تتضمن أمراً وجودياً... فلهذا كان عامة ما وصف الله تعالى به نفسه من النفي متضمناً إثبات مدح. ومن ذلك آية الكرسي، التي اشتملت على عدد من صفات النفي المتضمنة لكمال ضدها[2].

وفرق بين من نفى عنه تعالى صفات النقص مع تضمن النفي إثبات كمال ومدح، وبين من نفى صفاته وحقائق أسمائه.

قال الإمام ابن القيم: «فهذا الموصوف بهذه الصفات والأفعال والعلو والعظمة والحفظ والعزة والحكمة والملك والحمد والمغفرة والرحمة والكلام والمشيئة والولاية، وإحياء الموتى، والقدرة التامة الشاملة، والحكم بين عباده، وكونه فاطر السماوات والأرض وهو السميع البصير، فهذا هو الذي ليس كمثله شيء لكثرة نعوته وأوصافه وأسمائه وأفعاله وثبوتها على وجه الكمال لا يماثله فيه شيء، فالمثبت لصفات كماله هو الذي يصفه أنه ليس كمثله شيء، وأما المعطل النافي لصفاته وحقائق أسمائه فإن وصفه بأنه ليس كمثله شيء مجاز لا حقيقة له، كما يقول في سائر أوصافه وأسمائه»[3].

وقال أيضاً: «ومما ينبغي أن يعلم أن كل سلب ونفي لا يتضمن إثباتاً فإن الله لا يوصف به لأنه عدم محض ونفي صرف لا يقتضي مدحاً ولا كمالاً. ولهذا كان تسبيحه وتقديسه مستلزمين لعظمته ومتضمنين لصفات كماله، وإلا فالمدح بالعدم المحض كلا مدح. ولهذا كان عدم السِنة والنوم مدحاً وكمالاً في حقه لتضمنه أو استلزامه كمال حياته وقيوميته، ونفي اللغوب عنه كمالاً

---

(١) الجواب الفاصل بتمييز الحق من الباطل للإمام ابن تيمية ضمن مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٢٩ (ص٣١١)، وانظر: الرسالة التدمرية له (ص٥٧).

(٢) الرسالة التدمرية للإمام ابن تيمية (ص٥٨ ـ ٥٩)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل له (٦/ ١٧٦، ١٧٧)، والصفدية له (١/ ١٢١)، وجواب أهل العلم له (١٧٧).

(٣) مختصر الصواعق للموصلي (١٣٢).

لاستلزامه كمال قدرته وقوته، ونفي النسيان عنه كمال لتضمنه كمال علمه. وكذلك نفي عزوب شيء عنه ونفي الصاحبة والولد كمال لتضمنه كمال غناه وتفرده بالربوبية، وأن من في السماوات والأرض عبيد له؛ وكذلك نفي الكفء والسمي والمثل عنه كمال لأنه مستلزم ثبوت جميع أوصاف الكمال له على أكمل الوجوه واستحالة مشارك له فيها. فالذين يصفونه بالسلوب من الجهمية والفلاسفة لم يعرفوه من الوجه الذي عرفته به الرسل وعرفوه به إلى الخلق؛ وهو الوجه الذي يحمد به ويعرف به عظمته وجلاله وإنما عرفوه من الوجه الذي يقودهم إلى تعطيل العلم والمعرفة والإيمان به لعدم اعتقادهم الحق. وحقيقة أمرهم أنهم لم يثبتوا لله عظمة إلا ما تخيلوه في نفوسهم من السلوب والنفي الذي لا عظمة فيه ولا مدح فضلاً عن أن يكونا كمالاً، بل ما أثبتوه مستلزم لنفي ذاته رأساً»[1].

وأورد الإمام ابن القيم القاعدة التي يستدل بها أهل السنة والجماعة على النفاة، حيث قال: «كل كمال ثبت للمخلوق غير مستلزم للنقص، فخالقه ومعطيه إياهُ أحق بالاتصاف به، وكل نقص في المخلوق فالخالق أحقُ بالتنزه عنه كالكذب والظلم والسفه والعيب، بل يجب تنزيه الرب تعالى عن النقائص والعيوب مطلقاً، وإن لم يتنزه عنها بعض المخلوقين»[2].

الخامس: الاسم الدال على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة فهو متعلق بالصفة من حيث دلالتها على الكثرة والزيادة والسعة، فهي صفة جامعة تدل بمفهومها اللغوي والشرعي على صفات متعددة لا على خصوص كل واحدة منها بالاستقلال، بل هي صفة جامعة دالة على معاني هذه الصفات، وفائدة هذا النوع من الأسماء والصفات هو دلالته على عظم الموصوف بها ﷻ. (فالعظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال)[3].

فدلت هذه الصفات بتعددها على تنوع طرق الكمال التي تدل على علو

---

(١) مختصر الصواعق للموصلي (١/ ١٧٥). (٢) مفتاح دار السعادة (٢/ ٤٧٩).
(٣) بدائع الفوائد (١/ ١٧٧).

الموصوف بها سبحانه وسموه ومخالفته لغيره من سائر الموصوفات، إذ أن من المعلوم شرعاً وعقلاً أن المدح يعظم ويكمل بتعدد خصاله الحميدة وروافده الموجبة لكون الممدوح قد بلغ في مراتب المدح أعلاها وأكملها. ومن أمثلة هذا التقسيم ما ذكره **الإمام ابن القيم**: نحو: (المجيد العظيم الصمد)[1].

فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال، ولفظه يدل على هذا فإنه موضوع للسعة والكثرة والزيادة، فمنه استمجد المرخ والعفار[2]، وأمجد الناقة علفاً ومنه (ربُّ العرش المجيد) صفة للعرش لسعته وعظمه وشرفه...

فالعظيم من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال، وكذلك الصمد، **قال ابن عباس**: «هو السيد الذي كمل في سؤدده»، **وقال ابن وائل**: «هو السيد الذي انتهى سؤدده». **وقال عكرمة**: «الذي ليس فوقه أحد»، **وكذلك قال الزجاج**: «الذي ينتهي إليه السؤدد فقد صمده كل شيء». **وقال ابن الأنباري**: «لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد السيد الذي ليس فوقه أحد، الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم وأمورهم. واشتقاقه يدل على هذا، فإنه من الجمع الذي اجتمع القصد نحوه، واجتمعت في صفاته السؤدد وهذا أصله في اللغة كمال، **قال الشاعر**:

ألا بَكّر الناعِي بخير بني أَسد ... بعمروُ بن يربوعٍ وبالسيدِ الصَّمد[3]

والعرب تسمي أشرافها بالصمد لاجتماع قصد القاصدين إليه واجتماع صفات السيادة فيه[4].

---

(١) نفس المصدر (١/١٧٦).

(٢) العفار: شجر سريع الوَرْي، يتخذ منه الزناد.
واستمجد المرخ والعفار: استكثرا من النار. انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (ص٢٦٠ و٣١٨ و٤٤٢).

(٣) الزاهر للأنباري (١/ ٨٣) وانظر: إصلاح المنطق لابن السكيت (ص٤٩).
والبيت لأوس بن حجر وهو: ابن عتاب بن عبد الله بن عدي بن نمير بن أسيد وكان أوس فحل مُضَرْ، حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه، وهو من الطبقة الثانية، انظر: طبقات فحول القُراء (١/ ٩٦).

(٤) بدائع الفوائد (١/ ١٧٦، ١٧٧).

ومن معاني الصمد: «من تصمد نحوه القلوب بالرغبة والرهبة، وذلك لكثرة خصال الخير فيه، وبهذا قال جمهور السلف، منهم ابن عباس: الصمد الذي كمل سؤدده وهو العالم الذي كمل علمه، القادر الذي كملت قدرته، الحليم الذي كمل حلمه، الرحيم الذي كملت رحمته، الجواد الذي كمل جوده[1]، ومن قال إنه الذي لا جوف له فقوله لا يناقض هذا التفسير، فإن اللفظة من: الاجتماع، فهو الذي اجتمعت فيه صفات الكمال، ولا جوف له؛ فإن ما لم يكن أحداً كفواً له لما كان صمداً كاملاً في صمدانيته»[2].

وورد عن السلف في تفسير الصمد ثلاثة معان على النحو التالي:

١ ـ **الصمد**: الذي لا جوف له: وقد ورد هذا المعنى عن مجاهد من طريقين، وعن الحسن البصري، وعن سعيد بن جبير، وعن عكرمة بأسانيد صحيحة كما في «التنكيل»[3]. وقد روي هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال عبد الله: لا أعلمه إلا قد رفعه ـ يعني إلى النبي ﷺ ـ قال: «الصمد: الذي لا جوف له»، إلا أن فيه ضعفاً كما في تفسير ابن جرير[4]. كما روي بأسانيد ضعيفة عن ابن عباس وسعيد بن المسيب والضحاك[5].

٢ ـ **وقيل: الصمد**: الباقي الذي لا يفنى، كما ورد عن الحسن البصري وغيره[6].

٣ ـ **الصمد**: السيد الذي انتهى سؤدده، فهو العالم الذي كمل علمه، القادر الذي كملت قدرته فهو وحده الذي يصمد إليه، والذي لا أحد فوقه.

وقد ورد هذا المعنى عن ابن عباس وابن مسعود وأبي وائل. وقد رجح

---

(١) في المطبوع: «وجوده»، والمعنى يقتضي ما أثبتناه.
(٢) مختصر الصواعق للموصلي (١٣١). (٣) التنكيل للمعلمي (٢/ ٢٩٠).
(٤) جامع البيان للطبري (١٢/ ٧٤١، ٧٤٢)، وانظر: التنكيل للمعلمي (٢/ ٢٩١).
(٥) السنة لابن أبي عاصم بتحقيق الألباني، وانظر: السلسلة الضعيفة (٣١٩٢) (١/ ٣٠١، ٣٠٢)، والتنكيل للمعلمي (٢/ ٢٩١).
(٦) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٣٠١)، (٣٠٢)، وانظر: جامع البيان للطبري (١٢/ ٧٤٤).

ابن جرير هذا المعنى بعد أن ذكر ما ورد عن العرب في معنى الصمد حيث قال: «فالذي هو أولى بتأويل الكلمة، المعنى المعروف من كلام من نزل القرآن بلسانه»[1] ثم قال: «. . . ولو كان حديث ابن بريدة عن أبيه صحيحاً كان أولى الأقوال بالصحة، لأن الرسول ﷺ أعلم بما عنى جل ثناؤه وبما أنزل عليه».

ويرى الإمام ابن تيمية أن هذه الأقوال كلها صحيحة حيث يقول: «. . . والاسم الصمد، فيه للسلف أقوال متعددة قد يظن أنها مختلفة وليست كذلك، بل كلها صواب والمشهور منها قولان:

أحدها: الصمد الذي لا جوف له.

الثاني: أنه السيد الذي يصمد إليه في الحوائج»[2].

ثم قال في موضع آخر: «قلت: والاشتقاق يشهد للقولين جميعاً قول من قال: إن الصمد الذي لا جوف له، وقول من قال: إنه السيد، وهو على الأول أدل، فإن الأول أصل الثاني. . .»[3].

فهذه الأقوال كلها صحيحة فهي معان متلازمة فمعنى الصمد يشمل هذا وهذا، فيكون كل واحد من السلف فسّر اللفظ ببعض معناه، وهذا معنى قول الإمام ابن القيم بعد أن ذكر قول ابن عباس أن «الصمد بمعنى السيد»: «ومن قال: إنه الذي لا جوف له فقوله لا يناقض هذا. .» والله أعلم.

السادس: (صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو الغني الحميد، العفو القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن الكريم فإن الغنى صفة كمال والحمد كذلك، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر، فله ثناءٌ من غناه وثناءٌ من حمده وثناءٌ من اجتماعهما، وكذلك العفو القدير، والحميد

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١٢/ ٧٤٤).
(٢) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (١٧/ ٢١٤).
(٣) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (١٧/ ٢٢٦).

المجيد والعزيز الحكيم)[1].

وفائدة هذا النوع من الصفات تكثير طرق التعظيم للممدوح سبحانه بتكثير صفات كماله الدالة على عظمته فله كمال من استقلال كل صفة بمعناها، وكمال آخر من اجتماعهما، ومن أمثلته ما ذكره الإمام آنفاً. فإن كل وصفين منهما دالان على الصفة دلالة الاسم والوصف المفرد على معناه المفرد، ولولا هذا الاقتران لما كان هناك قدر زائد على مفرديهما، وفي معنى هذا ما جاء من الأسماء مركباً من اسمين لا دلالة في أحدهما على الكمال بمفرده، فهما في حكم الاسم الواحد ولولا هذا الاقتران لما دل على الكمال. ومن أمثلتهما المعطي المانع، فإن العطاء ليس ممدوحاً مطلقاً ولا مذموماً مطلقاً وهكذا المنع، وإطلاق اسم على الله يحتمل المدح والذم أمرٌ محظورٌ شرعاً ومخالفةٌ صريحةٌ لطريقة القرآن الكريم، فوجب إطلاقهما مجتمعين تحصيلاً للمدح من معناهما وذلك لما في اجتماعهما من تقييد أحدهما لإطلاق الآخر، كما أن للصفة التي تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر؛ عدة أمور وهي:

أولاً: ألا يطلّق أحدهما على الله مفرداً عن قرينه لا وصفاً ولا خبراً، فلا يقال: الله ضار الله مانع ولا الضار هو الله، ولا المانع هو الله، وذلك أنه (لم يطلق قط شيء منها في الوحي كذلك لا في الكتاب ولا في السنة)[2].

ثانياً: أن لا يدعى بأحدهما مفرداً عن مُقَابِلهْ، فلا يقال: يا ضار يا مانع يا مذل ونحو ذلك؛ لأنه إذا ما أفرد أوهَم نقصاً، ولكن يطلق كل واحد مع ما يقابله فيقال مثلاً: النافع الضار، الرافع الخافض، المعطي المانع، المعز المذل، ونحو ذلك[3].

ثالثاً: يجوز إطلاق أحدهما على الله في سياق خبري يخلصه للمدح، وذلك فيما سيقت فيه من الآيات. وكقولك: الله معز المؤمنين والله مذل الكافرين، ونحو ذلك، لما في ذلك من ثناء على الله.

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٧٧).

(٢) أعلام السنة المنشورة للحكمي (ص٥٩).

(٣) شرح النونية للهراس (٢/ ١٢٠).

الفصل الثاني

الضوابط في الاسم والمسمى

وتحته تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاسم والمسمى.

المبحث الثاني: أقوال الناس في الاسم والمسمى وتحته مطلبان:

المطلب الأول: قول من قال: إن الاسم هو المسمى.

المطلب الثاني: قول من قال بأن الاسم غير المسمى.

المبحث الثالث: مذهب الإمام ابن القيم في الاسم والمسمى.

تمهيد

إن مما يجب التنبيه عليه في هذا الفصل أن ـ مسألة الاسم والمسمى ـ من المسائل الحادثة التي لم يعرفها سلف هذه الأمة الأوائل من الصحابة والتابعين، ولم ينقل عنهم أنهم خاضوا فيها، كما **قال الإمام ابن جرير يرحمه الله تعالى**: «ثم حدث في دهرنا هذا حماقات خاض فيها أهل الجهل والغباء ونوكى الأمة والرعاع يُتعب إحصاؤها ويُمل تعدادها، منها القول في اسم الشيء، أهو هو أم هو غيره؟ . . .» ثم قال: «وأما القول في الاسم أهو المسمى أم غير المسمى، فإنه من الحماقات الحادثة التي لا أثر فيها فيتبع، ولا قول من إمام فيستمع، فالخوض فيه شين والصمت عنه زين»[1]. ولكن لما كان الكلام في هذا الأمر مستمراً، وقد كان لإمامه المريسي في أسماء الله مذهب كمذهبه في القرآن، كان القرآن عنده مخلوقاً من قول البشر لم يتكلم الله بحرف منه في دعواه، وكذلك أسماء الله عنده من ابتداع البشر من غير أن يقول الله: «إني أنا الله رب العالمين» بزعمه قط. . . فهذا الذي ادَّعوا في أسماء الله أصل كبير من أصول الجهمية بنوا عليها محنهم وأسسوا بها ضلالاتهم[2].

واضطر أهل السنة عند ذلك للرد على ضلالات الجهمية وتفنيد أقوالهم ودحض شبههم الباطلة المخالفة لكتاب الله وسنة نبيه، وبيان الحق في هذه المسألة وغيرها من المسائل التي أسس عليها أهل الباطل ضلالاتهم وعقدوا عليها ألوية البدع في الدين.

---

(١) انظر: صريح السنة، للطبري (ص١٧، ١٨ و٢٦).

(٢) انظر: رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد (١/ ١٦٤ ـ ١٦٦).

ومِمن قال: إن هذه المسألة من المسائل الحادثة التي لا ينبغي الخوض فيها: محمد بن جعفر بن محمد بن بيان البغدادي، حيث قال: سمعت إبراهيم الحربي ـ ولم يكن في وقته مثله ـ يقول وقد سُئل عن الاسم والمسمى: لي منذ أن جلس أهل العلم سبعون سنة، ما سمعت أحداً منهم يتكلم في الاسم والمسمى[1].

ويرى الغزالي[2] أن مسألة الاسم والمسمى: طويلة الذيل، قليلة النيل، قليلة الجدوى[3]. وإن كان قد عارضه السهيلي في هذه المقولة قائلاً: «وإن كان «أبو حامد» قد زعم أنها طويلة الذيل قليلة النيل، وليس الأمر عندي كما ذكر، بل نيلُها كثير لمن نظر واستبصر، وذلك بأنها مسألة إذا انفتح ما استغلق منها، انفتح بذلك على الناظر كثير من المشكلات في كتاب الله ﷻ وعن رسوله ﷺ، ويتوصل إلى فهم الكتاب وتأويله»[4].

والحق أن الإعراض عن الخوض في هذه المسائل مطلب شرعي ولذا كان السلف الصالح في عافية من هذا البلاء، ولولا أن الله أخذ العهد على العلماء لبيان العلم وعدم كتمانه، وقياماً منهم لله بحججه على الخلق في بيان الحق وإزهاق الباطل بإقامة الحجة ولزوم المحجة لما تكلم فيها من تكلم، كالإمام أحمد والإمام الطبري والإمام ابن تيمية وغيرهم من العلماء وذلك أنه لا أثر فيها فيتبع، ولا قول عن إمام فيستمع، فالقضية هذه إذن لا مستند لها لا

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣/ ٣٥٩).

(٢) هو: محمد بن محمد الطوسي الشافعي، أبو حامد الغزالي ولد سنة (٤٥٠هـ) وتوفي سنة (٥٠٥هـ) وله خمس وخمسون سنة. أحد الأعلام، تلميذ لإمام الحرمين. صنف التصانيف مع التصور والذكاء المفرط من العلم، وفي الجملة ما رأى الرجل مثل نفسه. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٢١٦)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/ ٣٢٢)، طبقات الشافعية لابن السبكي (٦/ ٢١٠)، وشذرات الذهب لابن العماد (٢/ ١٠).

(٣) المقصد الأسنى للغزالي (ص٣١ ـ ٣٩).

(٤) نتائج الفكر للسهيلي (ص٣٨، ٣٩) وانظر: البحر المحيط للزركشي (١/ ١٥٠) فإنه يرى أن هذه المسألة من الأهمية بمكان.

من الكتاب ولا من السنة بل ولا من إجماع ـ وعفا الله عمن سوغ الكلام فيها ـ ولعل مراده من ذلك أن يكون العلم بها من باب معرفة أقوال المخالف ليتسنى الرد عليه، وأما كونه يتوصل بها إلى فهم الكتاب وتأويله فلا وذلك أن الله ﷻ يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر: ١٧].

وقوله تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: ٢]، ولم يقل لمعرفة ما لُبِّسَ على كثير من المتكلمين[١] ومن سلك مسلكهم وحذا حذوهم. ورحم الله الإمام ابن تيمية إذ قال: «والكلام في تفسير أسماء الله وصفاته، وكلامه، فيه من الغث والسمين ما لا يحصيه إلا رب العالمين وإنما الشأن في الحق والعلم والدين. وقد كتبت قديماً في بعض كتبي ليعلم الأكابر: أن العلم ما قام عليه الدليل والنافع منه ما جاء به الرسول، فالشأن في أن نقول علماً وهو النقل المصدق والبحث المحقق، فإن ما سوى ذلك ـ وإن زخرف مثله بعض الناس ـ خزف مزوق، وإلا فباطل مطلق»[٢].

وممن أمسك عن الخوض في هذه المسألة أيضاً إبراهيم الحربي[٣] وغيره[٤].

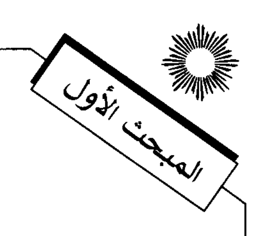
---

(١) المتكلمون: هم المشتغلون بعلم الكلام، وتعريف علم الكلام عند المتكلمين هو: «علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجج ودفع الشبه» وهو كلام في الله بما يخالف الكتاب والسنة، إذ فيه تقديم ما دل عليه عقولهم على الكتاب والسنة. انظر: درء تعارض العقل والنقل للإمام ابن تيمية (١/ ١٧٨).

(٢) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٦/ ٣٨٨).

(٣) هو: إبراهيم بن اسحاق الحربي، الإمام، الزاهد، كان عالماً بالفقه، حافظاً للحديث، طلب العلم على الإمام أحمد، وصنف كتباً كثيرة، توفي سنة (٢٨٥هـ). انظر: تاريخ بغداد (٦/ ٢٧)، وطبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٢٥٦)، وشذرات الذهب لابن العماد (٢/ ١٩٠).

(٤) قاعدة في الاسم والمسمى للإمام ابن تيمية (ضمن مجموع الفتاوى) (٦/ ١٨٧).





الاسم والمسمى

اختلف الناس في الاسم؛ هل هو عين المسمى، أم غيره؟ على أقوال:

القول الأول: أن الاسم هو المسمى: وهو قول بعض المنتسبين إلى السنة، ومنهم الإمام البغوي[1]، والإمام اللالكائي[2]، وكذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى[3]، والقرطبي[4]، وهو أحد قولَي الأشاعرة[5]، اختاره أبو

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (١/ ٣٨)، والإمام البغوي هو: الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، الشيخ الإمام العلامة القدوة، الحافظ، المفسر، كان يلقب بمحيي السنة وركن الدين. توفي سنة (٥١٦هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٤٠٢) وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٩/ ٤٣٩).

(٢) اللالكائي هو: هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي الشافعي اللالكائي، أبو القاسم، الإمام، الحافظ، المجود، المغني، برع في المذهب الشافعي. توفي سنة (٤١٨هـ). انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٤/ ٧٠)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/ ٤١٩).

(٣) وأبو عبيدة: هو معمر بن المثنى التيمي، مولاهم البصري، العلامة، البحر، النحوي، صاحب التصانيف، له علم باللسان وأيام الناس. توفي سنة (٢٠٩هـ). انظر: تاريخ العلماء للمعرِّي (ص٢١١)، وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٣٢٣)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٩/ ٤٤٥).

(٤) القرطبي: هو محمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي توفي سنة (٦٧١هـ). القرطبي، أبو عبد الله، الإمام الفقيه المفسر، كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، المتقولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف. له الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة في أحوال الموتى، والأسماء في شرح أسماء الله الحسنى وغيرها. انظر: الديباج المذهب لابن فرحون (٢/ ٣٠٨)، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص٩٣). وشذرات الذهب لابن العماد (٥/ ٣٣٥).

(٥) الأشاعرة: هم المنتسبون لأبي الحسن الأشعري في مذهبه الثاني بعد رجوعه عن=

بكر بن فورك[1].

والقول الثاني: أن الاسم غير المسمى، وهو قول الجهمية[2]، والمعتزلة.

وممن قال بهذا القول: ابن جني[3]، وابن حزم[4]، والسهيلي[5]،

= الاعتزال، وقبل تصريحه بانتسابه لمذهب الإمام أحمد، ومتأخروهم يثبتون سبع صفات فقط، وينكرون علو الذات وينصّون على نفي هذا المعنى عند شرحهم له، ولا يثبتون سوى علو الشرف والمكانة، ويقولون: إن الإيمان هو التصديق.
انظر: مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٦/ ٥٢ ـ ٥٥) والرد على الرافضة للمقدسي (ص١٦٦)، ومذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي (١/ ٤٨٧) وانظر حول اسم «العلي»: شأن الدعاء للخطابي (ص٦٦٤)، وشرح أسماء الله للقشيري (ص١٥٠) والمقصد الأسنى للغزالي (ص٩٧) ولوامع البينات للرازي (ص٢٥٩)، والاعتقاد للبيهقي (ص٤١، ٤٥).

(١) ابن فورك هو: محمد بن الحسن بن فورك، أبو بكر الأنصاري الأصبهاني، فقيه شافعي، أشعري المعتقد، برع في النحو والأصول وعلم الكلام، وكان زاهداً واعظاً توفي سنة (٤٠٦) انظر: تبيين كذب المفتري لابن عساكر (ص٢٣٢)، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١١/ ٣١١)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/ ١٨).

(٢) الجهمية، أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي، انظر: مقالات الإسلاميين ١/ ٣٣٨، الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٢١١)، البرهان في معرفة عقائد الأديان للسكسكي (ص٣٤).

(٣) ابن جني هو: عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح، إمام العربية، صاحب التصانيف، ومنها الخصائص، وسر الصناعة، توفي سنة (٣٩٢): انظر: تاريخ العلماء النحويين للمعري (ص٢٤)، وانظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١١/ ٣١١)، وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/ ١٨).

(٤) ابن حزم هو: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي اليزيدي، من أوسع أهل قرطبة معرفة باللسان، كان شافعياً، ثم انتقل إلى القول بالظاهر. توفي سنة (٤٥٦هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/ ١٨٤)، ولسان الميزان لابن حجر (٤/ ١٩٨).

(٥) السهيلي هو: أبو القاسم السهيلي، أبو زيد: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن، واسمه أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح، وهو الداخل إلى الأندلس، ولد سنة (٥٠٨) «بمدينة مالقة». انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٢٢٣، ٢٢٤). وتذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٤٣).

والغزالي[1]، والرازي[2]، وهو اختيار ابن حجر العسقلاني[3].

القول الثالث: الاسم للمسمى، وهو دليلٌ وعلمٌ عليهِ، ولا يطلق القول في الاسم هل هو عين المسمى أو غيره؟ ولكن يستفصل؛ لأن الكلام عن هذه المسألة عام مجمل كالقول في الجهة ويحتاج إلى تخصيص وتقييد، وهذا القول هو قول أكثر أهل السُنة، وفي مقدمتهم، إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل[4] رَحِمَهُ اللَّهُ وتبعه الإمام الطبري[5]، والإمام ابن تيمية[6]، وهو مذهب الإمام ابن القيم[7] رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولا شك أن هذا القول هو القول الصحيح لموافقته الكتاب والسنة الصحيحة واللغة من جهة، ولإمكان الرد على المخالفين في هذه المسألة من جهة أخرى. ولذا نجد أن الإمام ابن القيم يحلل ألفاظ المسمى واللفظ الدال

---

(١) المقصد الأسنى للغزالي (ص٢٤).

(٢) الرازي هو: محمد بن الحسين التميمي البكري الطبري الرازي، أبو عبد الله الفخر الرازي، الملقب بابن الخطيب، ولد في الري سنة (٥٤٤هـ) كان كثير الرحلة، فوصل إلى خوارزم، وطوس، وهراة، وبلاد ما وراء النهر، اشتهر بالذكاء الحاد حتى قال عنه الذهبي: «رأس في الذكاء والعقليات»، لكنه عري عن الآثار، له تشكيكات على ما قلَّ من دعائم الدين. نسأل الله أن يثبت الإيمان في قلوبنا... وانظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٣/ ٣٤٠). من أشهر كتبه التفسير الكبير، والمحصول، والأربعين في أصول الدين وغيرها.

(٣) ابن حجر هو: أحمد بن علي بن محمد بن حجر الكناني العسقلاني الشافعي، الإمام الحافظ المحدث، شهد له أعيان عهده بالحفظ، من أعظم مؤلفاته وأشهرها فتح الباري، شرح صحيح البخاري، توفي (٨٥٢هـ). انظر: شذرات الذهب (٧/ ٢٧٠)، والبدر الطالع للشوكاني (١/ ٨٧)، والضوء اللامع للسخاوي (٢/ ٣٦ ـ ٤٠).

(٤) مقدمة الشيخ أبي محمد بن تميم الحنبلي في عقيدة الإمام أحمد، ضمن طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٠).

(٥) صريح السنة للطبري (ص٢٥، ٢٦، ٢٧).

(٦) درء تعارض العقل والنقل للإمام ابن تيمية (٨/ ٥٣٩)، ومجموع الفتاوى له (٦/ ٢٠٦، ٢٠٧).

(٧) بدائع الفوائد (١/ ١٦)، ولشارح الطحاوية تلخيص ماتع للمذهب الحق في هذه المسألة، انظر: (ص١٢٧) وما بعدها.

عليه ليثبت أن الاسم في أصل الوضع ليس هو المسمى فيقول: اللفظ المؤلف من الزاي والياء والدال مثلاً حقيقة متميزة متحصلة، فاستحق أن يوضع له لفظ يدل عليه، لأنه شيءٌ موجودٌ في اللسان، مسموعٌ بالآذان فاللفظ المؤلف من همزة الوصل والسين والميم عبارة عن اللفظ المؤلف من الزاي والياء والدال مثلاً، واللفظ المؤلف من الزاي والياء والدال عبارة عن الشخص الموجود في الأعيان والأذهان وهو المسمى والمعنى، واللفظ الدال عليه الذي هو الزاي والياء والدال هو الاسم، وهذا اللفظ أيضاً قد صار مسمى، من حيث كان لفظ الهمزة والسين والميم عبارة عنه، فقد بان ذلك أن الاسم في أصل الوضع ليس هو المسمى، ولهذا تقول: سميت هذا الشخص بهذا الاسم، كما تقول: حلّيته بهذه الحلية والحلية غير المحلى، فكذلك الاسم غير المسمى، وقد صرح بذلك سيبويه[(١)]، وأخطأ من نسب إليه غير هذا، وادعى أن مذهبه اتحادهما[(٢)].

وبهذا القدر من بيان الإمام ابن القيم يتبين لنا أن الاسم غير المسمى، وخطّأ من جعل الاسم والمسمى واحداً بدعوى أن مذهب سيبويه اتحاد الاسم والمسمى. وعن بيان هذا المذهب نجد أن الإمام ابن القيم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ يذكر السبب الذي دعا أصحاب القول بأن الاسم هو المسمى مبيناً مراد سيبويه في الاسم والمسمى قائلاً: والذي غرَّ مَنِ ادعى ذلك ـ أي اتحاد الاسم والمسمى ـ قوله: الأفعال أمثلة أُخذت من لفظ أحداث الأسماء، وهذا لا يعارض نصه قبل هذا، فإنه نص على أن الاسم غير المسمى[(٣)]، فقال: الكلم اسم وفعل وحرف، فقد صرح بأن الاسم كلمة فكيف تكون الكلمة هي المسمى والمسمى شخص؟ ثم قال بعد هذا: تقول: سميت زيداً بهذا الاسم كما تقول: علّمته

---

(١) هو عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، الملقب بسيبويه، إمام النحو، وحجة العربية، طلب الفقه والحديث، ثم أقبل على العربية، فصار أعلم المتقدمين بالنحو، توفي سنة ١٨٠هـ، انظر: تاريخ بغداد (١٢/ ١٩٥)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٨/ ٣٥١).

(٢) انظر لتصريحه بأن الاسم غير المسمى: شرح كتاب سيبويه للسيرافي (١/ ٥٤)، ونتائج الفكر في النحو للسهيلي (ص٤٠).

(٣) انظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي (١/ ٥٤٠).

بهذه العلامة. وفي كتابه قريب من ألف موضع، أن الاسم هو اللفظ الدال على المسمى[1].

وقبل أن نعرض للأقوال المخالفة وأدلتها ومناقشتها يجب أن نعلم كما قد سبقت الإشارة إليه أن ترجيح القول الثالث الذي يقول بأن الاسم للمسمى كان لاعتبارات وهي:

أولاً: موافقته للكتاب والسنة واللغة ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقوله تعالى: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] وغيرها من الآيات، ومن السنة قوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً»[2].

ولا يصح أن يقال: تسعة وتسعون مسمى، وقال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء»[3] ولا يصح أن يقال: لي خمسة مسميات، وقوله ﷺ: «وتسموا باسمي»[4]، ولا يصح أن يقال: تسموا بمسمياتي.

ومن اللغة: يقولون: أجل مسمى، ولا يقولون: أجل اسم، ويقولون: مسمى هذا الاسم كذا ولا يقول أحد: اسم هذا الاسم كذا، ويقولون: هذا

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٩).

(٢) سيأتي تخريج هذا الحديث الشريف عند الكلام على دراسة طرق الحديث الذي ليس في سرد الأسماء (ص٢١٢ وما بعدها).

(٣) نص الحديث: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأحمد، والماحي، والعاقب، والحاشر» انظر الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ.
وانظر: فتح الباري حديث رقم (٣٥٣٢)، (٦/ ٦٤١)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب في أسمائه ﷺ، حديث رقم (٢٣٥٤) (٤/ ١٨٢٨)، والترمذي في سننه كتاب الأدب، باب ما جاء في أسماء النبي ﷺ، حديث رقم (٢٩٩٦) (٤/ ٢١٤)، وأحمد في مسنده (٤/ ٨٠) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه. ولتمام الفائدة انظر: «مسند أبي يعلى».

(٤) البخاري رقم (١١٠)، ورقم (٣٥٣٩) و(٦١٩٧)، ومسلم في صحيحه رقم (٢١٣٤)، وأبو داود برقم (٤٩٦٥) والدارمي (٢٦٩٦)، وأحمد (٢/ ٢٤٨، و٢٦٠ و٢٧٠ و٢٧٧ و٣٩٢ و٣٩٥ و٤٩١ و٤٩٩)، وابن ماجه برقم (٣٧٣٥)، وأبو يعلى برقم (٦٠٦٣) و(٦١٠٢).

الرجل مُسمى بزيد، ولا يقولون: هذا الرجل اسم زيد، ويقولون: «بسم الله» ولا يقولون بمسمى الله[1].

وهذا القول أيضاً موافق لمنهج أهل السنة والجماعة في منع إطلاق الألفاظ التي لم ترد في الكتاب والسنة التي هي محتملة لمعنيين صحيح وباطل إلا بعد الاستقصاء ومعرفة مراد كل إطلاق من هذين الإطلاقين. فإذا سُئل أهل هذا القول عن الاسم: أهو عين المسمى أم غيره؟ أجابوا بجوابين:

الأول: أن هذه المسألة حادثة لم ترد في الكتاب والسنة ولم ترد عن السلف الصالح[2].

والثاني: أن هذا السؤال فيه إجمال، فلا يجاب عنه بإطلاق؛ إنما يُفصل في ذلك، **ويُقال**: «الاسم يراد به المسمى تارةً، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا **قلت**: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده، ونحو ذلك فهذا المراد به المسمى نفسه، وإذا قلت: الله اسم عربي، والرحمن اسم عربي، والرحيم من أسماء الله تعالى ونحو ذلك، فالاسم هاهنا هو المراد لا المسمى، ولا يقال غيره لما في لفظ الغير من الإجمال. فإذا أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق، وإن أُريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له حتى خلق لنفسه الأسماء، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنيعهم: فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى»[3].

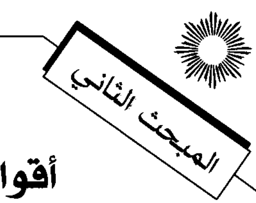
ثانياً: من جهة إمكان الرد على الأقوال المخالفة وهو ميسور بحمد الله، وسيأتي تفنيدها والرد عليها من كلام الإمام ابن القيم قريباً ولكن بعد عرض هذه الأقوال وسرد أشهر أدلتها.

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٩).

(٢) بل نقل عن الإمام أحمد قوله: إن القول في الاسم والمسمى من الحماقات المبتدعة التي لا يعرف في قول لأحد من الأئمة، إن حسب الإنسان أن ينتهي إلى قوله تعالى: «ولله الأسماء الحسنى». انظر: مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٦/ ١٨٧).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/ ١٠٢)، وانظر: رد الإمام الدارمي على بشر المريسي (ص٢٦٤)، وقاعدة في الاسم والمسمى للإمام ابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى (٦/ ٢٠٥، ٢٠٦)، وبدائع الفوائد (١/ ٢٠، ١٩).





أقوال الناس في الاسم والمسمى

المطلب الأول

قول من قال: إن الاسم هو المسمى، وأشهر أدلته، ومناقشتها

١ ـ يرى أصحاب هذا القول أن اللفظ هو التسمية، وأن الاسم هو المراد باللفظ، فإذا قلت: يا زيد، فليس مرادك دعاء اللفظ، وإنما دعاء المسمى باللفظ فصار المراد بالاسم هو المسمى، كما يقول البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الاسم هو المسمى وعينه وذاته»(١).

٢ ـ يستدل أصحاب هذا القول من القرآن الكريم ببعض الآيات ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ [مريم: ٧]، ثم نادى الاسم فقال: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢]، فنادى الاسم وهو المسمى.

٣ ـ ومنها قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ [يوسف: ٤٠]، وأراد الأشخاص المعبودة فهم عبدوا المسميات لا الأقوال التي هي أعراض لا تُعبد(٢).

٤ ـ واستدلوا بقول لبيد(٣):

(١) معالم التنزيل للبغوي (١/ ٣٨)، وانظر: شرح السنة له (٥/ ٢٩).

(٢) انظر تخريجات الإمام ابن تيمية لهذا القول: مجموع الفتاوى (٦/ ١٨٩).

(٣) لبيد بن ربيعة العامري، الشاعر، كان شريفاً في الجاهلية والإسلام، قدم على النبي ﷺ مع وفد قومه، فأسلم وحسن إسلامه، توفي سنة (٤١هـ). انظر: طبقات فحول الشعراء لابن سلام (١/ ١٣٥)، المؤتلف والمختلف (ص١٧٤).

إلى الحولِ ثم اسمَ السلامِ عليكُما ومن يبكِ حولاً كاملاً فقدِ اعتذَر[1]

قالوا: والمعنى: ثم السلام عليكما، فإن اسم السلام هو السلام.

٥ ـ ومما يختص بالله ﷻ منها قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

هذه أشهر أدلة القائلين بأن الاسم هو المسمى. وأودّ قبل العرض لمناقشة الإمام ابن القيم هذا القول وأدلته التنبيه إلى ما قاله الإمام ابن تيمية من أن هؤلاء الذين قالوا: إن الاسم هو المسمى لم يريدوا بذلك أن اللفظ المؤلف من الحروف هو نفس الشخص المسمى به، فإن هذا لا يقوله عاقل، ولهذا يقال: لو كان الاسم هو المسمى لكان من قال: «نار» احترق لسانه. ومن الناس من يظن أن هذا مرادهم ويشنع عليهم وهذا غلط عليهم بل هؤلاء يقولون: اللفظ هو التسمية والاسم ليس هو اللفظ؛ بل هو المراد باللفظ، فإنك إذا قلت: يا زيد! يا عمر! فليس مرادك دعاء اللفظ، بل مرادك دعاء المسمى باللفظ، وذكرت الاسم فصار المراد بالاسم هو المسمى[2].

مناقشة الإمام ابن القيم رحمه الله أدلة أصحاب هذا القول والرد عليها:

(أ) **أما دليلهم الأول**: الذي استدلوا به: وهو أن الاسم هو المراد باللفظ وأن اللفظ هو التسمية فهو باطل مخالف لما يعلمه جميع الناس من جميع الأمم، وقد أنكره عليهم جمهور الناس من أهل السنة ومن غيرهم. **قال الإمام ابن القيم**: ما قال نحويٌّ قط ولا عربي أن الاسم هو المسمى، ويقولون: أجل مسمى، ولا يقولون: أجلُّ اسم، ويقولون: هذا الرجل مسمى بزيد، ولا يقولون: هذا الرجل اسم زيد. . . وإذا ظهر الفرق بين الاسم والمسمى، فبقي هاهنا التسمية، وهي عبارة عن فعل المسمى ووضعه الاسم للمسمى، كما أن التحلية عبارة عن فعل المحلي ووضعه الحلية على المحلَّى، فهنا ثلاث حقائق؛ اسم ومسمى وتسمية (كحلية ومُحلّى وتَحلية)، و(علَامة ومُعَلَّم وتَعْليم) ولا سبيل

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ص٧٩).

(٢) الفتاوى (٦/ ١٨٨)، فتح الباري ١١/ ٢٢٥، شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار (٥٤٣).

إلى جعل لفظين منها مترادفين على معنى واحد لتباين حقائقها، وإذا جعلت الاسم هو المسمى، بطل واحد من هذه الحقائق الثلاث ولا بد[1].

(ب) وأما دليلهم الثاني: وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧] فالاسم الذي هو يحيى هو هذا اللفظ المؤلف من (ياء، وحاء، وياء) هذا هو اسمه، ليس اسمه هو ذاته، بل هذا مكابرة، ثم لما ناداه فقال: ﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾ فالمقصود المراد بنداء الاسم هو نداء المسمى، لم يقصد نداء اللفظ، لكن المتكلم لا يمكنه نداء الشخص المنادى إلا بذكر اسمه وندائه، فيعرف حينئذ أن قصده نداء الشخص المسمى[2].

(جـ) وأما دليلهم الثالث: وهو قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ [يوسف: ٤٠] فاستدلالهم به غير صحيح بل إن دليلهم هذا حجة عليهم لأن المراد في الآية أنهم سموها آلهة، وعبدوها لاعتقاد حقيقة الألوهية لها، وليس لها من الألوهية إلا مجرد الأسماء، لا حقيقة المسمى، فما عبدوا إلا أسماءً لا حقائق لمسمياتها، ويصف الإمام ابن القيم فعلهم هذا كمن سمى قشور البصل لحماً وأكلها فيقال: ما أكلت من اللحم إلا اسمه لا مسماه..![3]

ونلاحظ أن الإمام ابن القيم لا يخرج في جوابه عليهم عما قرره شيخه الإمام ابن تيمية في هذه القضية قائلاً: «فليس المراد كما ذكروه: إنكم تعبدون الأوثان المسماة فإن هذا هم معترفون به. والرب تعالى نفى ما كانوا يعتقدونه، وأثبت ضده، ولكن المراد أنهم سموها آلهة، واعتقدوا ثبوت الألوهية فيها؛ وليس فيها شيء من الألوهية فإذا عبدوها معتقدين ألوهيتها مسمين لها آلهة لم يكونوا قد عبدوا إلا أسماء ابتدعوها هم ما أنزل الله بها من سلطان؛ لأن الله لم يأمر بعبادة هذه ولا جعلها آلهة كما قال: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٩، ٢٠)، وانظر: جامع البيان للطبري (١/ ٨٠)، وقاعدة في الاسم والمسمى للإمام ابن تيمية ضمن مجموعة الفتاوى (٦/ ١٩١).
(٢) قاعدة في الاسم والمسمى للإمام ابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى (٦/ ١٩٢، ١٩٣).
(٣) بدائع الفوائد (١/ ٢٢).

﴿رُسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]. فتكون عبادتهم لما تصوروه في أنفسهم من معنى الألوهية وعبروا عنه بألسنتهم، وذلك أمر موجود في أذهانهم وألسنتهم، لا حقيقة له في الخارج ... فما عبدوا في الحقيقة إلا ذلك الخيال الفاسد الذي عبر عنه»[1].

(د) **وأما دليلهم الرابع**: وهو استدلالهم ببيت لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر[2]

فقد أجاب عنه **الإمام ابن القيم** بعدة أجوبة منها:

١ ـ أن السلام هو الله تعالى، والسلام أيضاً التحية، فإن أراد الأول فلا إشكال، فكأنه قال: ثم اسم السلام عليكما أي بركة اسمه، وإن أراد التحية، فيكون المراد بالسلام: المعنى المدلول، وباسمه: لفظه الدال عليه، والمعنى: ثم اسم هذا المسمى عليكما، فيراد بالأول اللفظ وبالثاني المعنى... وفيه نكتة حسنة: كأنه أراد: ثم هذا اللفظ باقٍ عليكما، جار لا ينقطع مني بل أنا مراعيه دائماً.

٢ ـ أن لبيداً لم يُرد إيقاع التسليم عليهم لحينه، وإنما أراده بعد الحول، ولو قال: (ثم السلام عليكما) كان مسلِّماً لوقته الذي نطق فيه بالبيت، فلذلك ذكر الاسم الذي هو عبارة عن اللفظ، أي إنما اللفظ بالتسليم بعد الحول، وذلك أن السلام دعاء، فلا يتقيد بالزمان المستقبل، إنما هو لحينه[3].

٣ ـ **أن مراد لبيد**: ثم النطق بهذا الاسم وذكره وهو التسليم المقصود، كأنه قال: ثم سلام عليكم، ليس مراده أن السلام يحصل عليهما بدون أن ينطق به، ويذكر اسمه، فإن نفس السلام قول، فإن لم ينطق به ناطق ويذكره لم يحصل[4].

---

(١) قاعدة في الاسم والمسمى للإمام ابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى (٦/ ١٩٤).

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة وقد سبق (ص١٠٥).

(٣) بدائع الفوائد (١/ ٢٣، ٢٤).

(٤) انظر في تخريجات قول لبيد: جامع البيان للطبري (١/ ٨١)، نتائج الفكر للسهيلي=

(هـ) **وأما دليلهم الخامس**: وهو قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى: ١] فقد رد عليهم الإمام ابن القيم قائلاً: «وهذه الحجة عليهم في الحقيقة لأن النبي ﷺ امتثل هذا الأمر وقال: «سبحان ربي الأعلى، سبحان ربي العظيم» ولو كان الأمر كما زعموا لقال: سبحان اسم ربي العظيم، ثم إن الأمة كلهم لا يُجوِّزُ أَحدٌ منهم أن يقول: عبدت اسم ربي، ولا سجدت لاسم ربي، ولا ركعت لاسم ربي، ولا باسم ربي ارحمني، وهذا يدل على أن الأشياء متعلقة بالمسمى لا بالاسم... وعبر لي شيخنا أبو العباس ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ عن هذا المعنى بعبارة لطيفة وجيزة، فقال: المعنى: سبّح ناطقاً باسم ربك متكلماً به، وكذا سبح اسم ربك، المعنى: سبّح ربك ذاكراً اسمه، وهذه الفائدة تساوي رحلة لكن لمن يعرف قدرها فالحمد لله المنان بفضله ونسأله تمام نعمته»[1].

وللناس في (الاسم) المذكور في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى: ١] وقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمٰن: ٧٨] قولان معروفان كلاهما حجة على من استدل بهما في أن الاسم عين المسمى: فمنهم من قال: (الاسم) صلة، والمراد: سبح ربك، وإذا قيل صلة فهو زائد لا معنى له؛ فيبطل قولهم: إن مدلول لفظ اسم «ألف، سين، ميم» هو المسمى ... ومن قال: إنه ليس بصلة، بل المراد تسبيح الاسم نفسه، فهذا مناقض لقولهم مناقضة ظاهرة.

«والتحقيق» أنه ليس بصلة، بل أمر الله بتسبيح اسمه كما أمر بذكر اسمه، والمقصود بتسبيحه وذكره هو تسبيح المسمى وذكره، فإن المسبح والذاكر إنما يسبح اسمه، ويذكر اسمه بقوله: سبحان ربي الأعلى فهو نطق بلفظ (ربي الأعلى) والمراد هو المسمى بهذا اللفظ، فتسبيح الاسم هو تسبيح المسمى ...

= (ص٤٩)، قاعدة في الاسم والمسمى للإمام ابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى (٦/ ٢٠٢)، بدائع الفوائد (١/ ٢٤، ٢٣)، الخصائص لابن جني (ص٢٩، ٣٠).

(١) بدائع الفوائد (١/ ٢١، ٢٢).

والذي يقول: سبحان الله وسبحان ربنا إنما نطق بالاسم الذي هو الله، والذي هو ربنا، فتسبيحه إنما وقع على الاسم، لكن مراده هو المسمى فهذا يبين أنه ينطق باسم المسمى والمراد المسمى وهذا لا ريب فيه، لكن هذا لا يدل على أن لفظ اسم الذي «ألف، سين، ميم» المراد به المسمى[1].

المطلب الثاني

القول بأن الاسم غير المسمى، وأشهر أدلته ومناقشتها

يرى أشهر القائلين بأن الاسم غير المسمى: أن أسماء الله تعالى حروف حادثة مخلوقة تدل على الذات المقدسة، وهي غيرها لحدوثها، فأسماء الله غيره، لأنها مخلوقة وأصحاب هذه الشبهة هم الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من متأخري الشيعة. ومرادهم في قولهم بأن الاسم غير المسمى: أن أسماء الله غيره، وما كان غيره فهو مخلوق فأسماء الله مخلوقة عندهم[2].

مناقشة أهل السنة لأصحاب هذا القول والرد عليهم:

اشتد إنكار السلف على الجهمية القائلين بأن «الاسم غير المسمى لأن أسماء الله غيره، فأسماء الله مخلوقة» ومما ورد في إنكار السلف عليهم ما يلي: **قال أبو داود السجستاني**: سمعت أحمد ذكر له رجل أن رجلاً قال: إن أسماء الله مخلوقة والقرآن مخلوق. قال أحمد: كفر بيِّن[3].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمى فاحكم ـ أو قال: فاشهد ـ عليه بالزندقة، لفظهما سواء»[4].

---

(١) قاعدة في الاسم والمسمى للإمام ابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى (٦/ ٩٨ ـ ٢٠١).

(٢) شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار (ص٥٤٢). سيأتي الرد على هذين المذهبين في المطلب الثالث.

(٣) الرد على الزنادقة ضمن عقائد السلف للنشار (ص١٠٤).

(٤) انظر هذا الأثر: مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤٠٥). وانظر: مختصر المزني على الأُم (٩/ ٣٠٦).

قال أبو الحسن الأشعري[1]: «من زعم أن أسماء الله غيره فهو ضال»[2].

قال أبو بكر بن أبي داود السجستاني[3]: «من زعم أن الاسم غير المسمى، فقد زعم أن الله غير الله، وأبطل في ذلك»[4].

وقال الإمام الشافعي أيضاً: «من حلف باسم من أسماء الله فحنث فعليه الكفارة؛ لأن اسم الله غير مخلوق»[5].

وإلى هذا يذهب الإمام الدارمي حيث يقول: وأسماء الله لا يقال عنها: إنها غير الله، وإنها مستعارة مخلوقة، ابتدعها الخلق فأعاروها خالقهم، لأن في هذا نسبة العجز والوهن إلى الله تعالى، ونسبة الضرورة والحاجة إلى الخلق، لأن المستعير محتاج مضطر، والمعير أعلى وأغنى، ولو كان الاسم مخلوقاً مستعاراً غير الله، لم يأمر الله أن يسبح مخلوقاً غيره، فقال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] ثم ذكر الألهة التي تعبد من دون الله بأسمائها المخلوقة المستعارة، فقال تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ [النجم: ٢٣] يعني أن أسماء الله لم تزل، كما لم يزل الله، وأنه بخلاف هذه الأسماء المخلوقة التي أعاروها الأصنام، فإن لم تكن أسماء الله بخلافها، فأي توبيخ لأسماء الآلهة المخلوقة، إذا كانت أسماؤها وأسماء الله مخلوقة مستعارة؟!.

---

(١) هو: علي بن اسماعيل بن أبي بشر الأشعري، العلامة، كان عجيباً في الذكاء وقوة الفهم، برع في معرفة مذهب الاعتزال، ثم تركه وتبرأ منه ورد عليه، واتخذ مذهباً خاصاً به، ثم آل الأمر به إلى الانتساب إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ومات على ذلك سنة (٣٢٢هـ). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٤٤٦)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٥/ ٨٥)، طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٣٤٧).

(٢) الإبانة عن أصول الديانة للأشعري.

(٣) هو: عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن اسحاق بن بشير بن شداد السجستاني الأزدي، أبو بكر، محدث، حافظ، مقرئ، مفسر، توفي سنة (٣١٦هـ). انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٩/ ٤٦٤)، ميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٤٣٣)، شذرات الذهب لابن العماد (٢/ ٢٧٣).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للّالكائي (٢/ ٢١٢).

(٥) مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٤٠٣، ٤٠٤)، وانظر: مختصر المزني على الأم (٩/ ٣٠٦).

ويناقش الإمام الدارمي الجهمية القائلين بأن أسماء الله مخلوقة وأنها من ابتداع البشر نقاشاً عقلياً، فيقول: «أرأيتم قولكم: إن أسماء الله مخلوقة، فمن خلقها؟ أو كيف خلقها؟ أجعلها أجساماً وصوراً تشغل أعيانها أمكنة دونه من الأرض والسماء؟ أم موضعاً دونه في الهواء؟ فإن قلتم لها أجسام دونه، فهذا ما تنقمه عقول العقلاء، وإن قلتم: خلقها على ألسنة العباد، فدعوه بها، وأعاروه إياها، فهو ما ادعينا عليكم: أن الله كان بزعمكم مجهولاً لا اسم له حتى أحدث الخلق وأحدثوا له اسماً من مخلوق كلامهم، فهذا هو الإلحاد بالله وأسمائه والتكذيب بها. . . . ومن أين علم الخلق بأسماء الخالق قبل تعليمه إياهم، فإنه لم يعلم آدم ولا الملائكة أسماء المخلوقين، حتى علمهم الله من عنده وكان بدء علمها منه . . .»[1].

ثم قال: «وأي تأويل أوحش مما يدعي رجل أن الله كان ولا اسم له؟ ما يدعي هذا مؤمن، ولن يدخل الإيمان قلب رجل حتى يعلم أن الله لم يزل إلهاً واحداً بجميع أسمائه وجميع صفاته لم يحدث له منها شيء، كما لم تزل وحدانيته»[2].

- **لوازم هذا القول:**

إن القائلين بأن الاسم غير المسمى يُلزمون بعدة لوازم، منها:

١ ـ قال الله تبارك وتعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾ [النبأ: ١، ٢] وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] وقال تبارك وتعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦] ومن أعظم الشرك أن يقال: إن العبادة لاسمه واسمه مخلوق، وقد أمر بالعبادة لمخلوق.

٢ ـ وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وقد أجمع المسلمون على أن «هو» إشارة إليه وأن اسمه «هو».

---

(١) رد الدارمي على بشر العنيد (ص١٠ ـ ١٢).

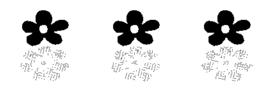
(٢) نفس المرجع (ص١٣).

٣ ـ وقال تبارك وتعالى: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ [الحج: ٣٦] فأمر الله تبارك وتعالى أن يذكر اسمه على البُدن حين نحرها للتقرب إليه. وعلى مذهب المبتدعة لو ذكر اسم زيد أو عمرو أو اللات والعزى يجزيه لأن هذه الأسماء مخلوقة وأسماء الله ﷻ عندهم مخلوقة.

٤ ـ وأجمع المسلمون أن المؤذن إذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، فإنه قد أتى بالتوحيد وأقرَّ بالنبوة إلا المعتزلة فإنه يلزمهم أن يقولوا: أشهد أن الذي اسمه لا إله إلا هو، وأشهد أن الذي اسمه محمد رسول الله، وهذا خلاف ما وردت به الشريعة وخلاف ما عليه المسلمون.

٥ ـ ويلزم الجهمية والمعتزلة على مذهبهم أن الأَيْمان بالله تبارك وتعالى كلها عندهم يجب أن تكون مخلوقة والناس يحلفون بالمخلوق دون الخالق لأن الاسم غير المسمى، والاسم مخلوق عندهم[1].

والمقصود أن السبب الذي دعا الجهمية إلى القول بأن الاسم غير المسمى إنما هو لأجل أن يسلم لهم مذهبهم الفاسد القائل بخلق القرآن. وقابلهم بعض المنتسبين إلى السنة فقالوا: بل الاسم هو المسمى، حتى لا يقال: إن أسماء الله غير الله. وكان الأجدر بهم الاستفصال عن مراد المبتدعة بهذه الألفاظ المحدثة لما فيها من العموم والإجمال واحتمال لمعنيين صحيح وباطل، فلا ينفصل النزاع فيه إلا بتفصيل تلك المعاني وتنزيل ألفاظها عليها.



(١) انظر في اللوازم التي ألزم بها الجهمية والمعتزلة: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للآلكائي (٢/٢٢٨ ـ ٢٣١) وفيه عقد فصلاً كاملاً للرد على الجهمية في قولهم بأن الاسم غير المسمى.



المبحث الثالث

مذهب الإمام ابن القيم في الاسم والمسمى

لقد مر بنا من خلال العرض لأقوال الناس في مسألة الاسم والمسمى في المطلب الأول أن الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ يذهب في هذه المسألة إلى ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن الاسم للمسمى وهو دليل وعلم عليه، وقد نقل الإمام ابن تيمية اتفاق أكثر أهل السنة على هذا القول فقال: «وأما الذين يقولون: الاسم للمسمى كما يقوله أكثر أهل السنة فهؤلاء وافقوا الكتاب والسنة والمعقول»[1]. والجدير بالذكر أن الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ قد ناقش هذه المسألة وبيّن القول الحق فيها غاية البيان، ومن ذلك ما ذكره في شفاء العليل، حيث قال: «فإن قيل: فالاسم عندكم هو المسمى أو غيره؟ فقيل: طالما غلط الناس في ذلك وجهلوا الصواب فيه: فالاسم يراد به المسمى تارة ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت: قال الله كذا، واستوى الله على عرشه، وسمع الله، ورأى، وخلق، فهذا المراد به المسمى من أسماء الله، والرحمن وزنه فعلان، والرحمن مشتق من الرحمة ونحو ذلك، فالاسم هاهنا للمسمى، ولا يقال غيره، لما في لفظ الغير من الإجمال»[2].

ويشير الإمام ابن القيم إلى أن الخطأ الذي وقع فيه من قال بأن «الاسم غير المسمى» منشأه لفظة الغير وعدم فهم المراد منها حيث قال: «وبلاء القوم من لفظة الغير، فإنها يراد بها معنيين: أحدهما المغاير لتلك الذات المسماة بالله، وكل ما غاير الله مغايرة محضة بهذا الاعتبار، فلا يكون إلا مخلوقاً ويراد به مغايرة الصفة للذات، إذا خرجت عنها. فإذا قيل: علم الله وكلام الله غيره،

(١) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٦/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧).

(٢) شفاء العليل (ص٥٤٢).

بمعنى أنه غير الذات المجردة عن العلم والكلام، كان المعنى صحيحاً ولكن الإطلاق باطل، وإذا أريد أن العلم والكلام مغاير لحقيقته المختصة التي امتاز بها عن غيره كان باطلاً لفظاً ومعنىً»[1].

وقد ذكر الإمام ابن القيم جواباً لأهل السنة على القائلين بخلق القرآن فقال: «وبهذا أجاب أهل السنة المعتزلة القائلين بخلق القرآن، وقالوا: كلامه تعالى داخل في مسمى اسمه. فالله تعالى اسم الذات الموصوفة بصفات الكمال، ومن تلك الصفات صفة الكلام، كما أن علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره غير مخلوقة. وإذا كان القرآن كلامه وهو صفة من صفاته فهو متضمن لأسمائه الحسنى، فإذا كان القرآن غير مخلوق ولا يقال: إنه غير الله فكيف يقال: إن بعض ما تضمنه، وهو أسماؤه مخلوقة، وهي غيره فقد حصحص الحق بحمد الله، وانحسم الإشكال، وأن أسماؤه الحسنى التي في القرآن من كلامه، وكلامه غير مخلوق، ولا يقال: هو غيره، ولا هو هو، وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة الذين يقولون: أسماؤه تعالى غيره، وهي مخلوقة، ولمذهب من رد عليهم ممن يقول: اسمه نفس ذاته لا غيره، وبالتفصيل تزول الشبه ويتبين الصواب والحمد لله»[2].

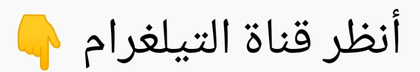
وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له حتى خلق بنفسه أسماء، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم فهذا من أعظم الضلال والإلحاد، فقوله في الحديث: «سميت به نفسك» ولم يقل: خلقته لنفسك، ولا قال: سماك به خلقك، دليل على أنه سبحانه تكلم بهذا الاسم وسمى به نفسه كما سمى نفسه في كتبه التي تكلم بها حقيقةً بأسمائه[3].

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ٢٠).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ٢٠، ٢١).

(٣) شفاء العليل (ص٥٢٤). وانظر: رد الإمام الدارمي على بشر العنيد (١/ ١٦٦) وما بعدها.



أنظر قناة التيلغرام 👇

(تحميل كتب ورسائل علمية)





تحميل كتب و رسائل علمية

channel publik

Info

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

Tautan Undangan

الفصل الثالث

الفرق بين ما يخبر به عن الله تعالى وبين ما يوصف به جلَّ وعلا

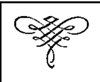
وتحته أربعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول : ما يدخل في باب الإخبار عنه ـ تعالى ـ أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته.

المبحث الثاني : خطأ من اشتق له تعالى من كل فعل اسم من الأسماء.

المبحث الثالث : نماذج لما وقع من الخطأ عن اشتقاق أسماء الله تعالى من أفعاله عند شراح الأسماء الحسنى ـ لا تنفك عن لوازم باطلة ـ.

المبحث الرابع : خلاصة القول بالمنع من هذه الإطلاقات عند الإمام ابن القيم.



المبحث الأول

ما يدخل في باب الإخبار عنه ـ تعالى ـ أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته

لا شك في جواز الإخبار عنه تعالى باسم يفيد الخبر بمعنى من المعاني لم يرد وصفه بلفظه في الكتاب والسنة، ولكن لا يجوز إدخاله في أسمائه الحسنى وصفاته العُلا. وقد عبر الإمام ابن القيم عن هذا الأصل فقال: «إن ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته، كالشيء، والموجود، والقائم بنفسه فإنه يخبر به عنه ولا يدخل في أسمائه الحسنى وصفاته العُليا»[1].

ويؤكد هذا ما ذكره في المدارج فقال: «وكذلك باب الإخبار عنه بالاسم أوسع من تسميته به؛ فإنه يخبر عنه بأنه «شيء وموجود، ومذكور، ومعلوم، ومراد» ولا يسمى بذلك[2].

والمراد من هذا بيان ما يجوز إطلاقه على الله تعالى عن طريق الخبر وذلك بمعنى من المعاني لم يرد وصفه بلفظه في الكتاب والسنة، وإن كان معناه مطلوباً إثباتُه شرعاً لدلالته على معنى حسن أو معنى ليس فيه شائبة ذم قد نفاه عنه بعض المبتدعة فيخبر عنه به للرد عليهم، ومن هذا ما قاله الإمام ابن القيم في النونية على سبيل الإخبار وذلك في معرض الرد على الجهمية والمعتزلة:

وهو القديم فلم يزل بصفاته ... سبحانه متوحداً بل دائم الإحسان[3]

ويذكر الإمام ابن تيمية لجواز الإخبار عنه بما لم يرد وصفه به علة أخرى

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٧٨)، طريق الوصول إلى العلم المأمول للسعدي (ص٢٧١)، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد لابن عيسى (٢/ ٢١٧).
(٢) مدارج السالكين (٣/ ٤٣٣).
(٣) النونية (ص١٣٣).

غير إثبات معنى يستحقه نفاه عنه ناف، وذلك في حال محاورة الخصم ومنازعته في إثبات صفة من صفات الله تعالى، فيقول: «والشارع يفرّق بين ما يُدعى به من الأسماء فلا يُدعى إلا بالأسماء الحسنى، وبين ما يخبر بمضمونه عنه من الأسماء لإثبات معنى يستحقه نفاه عنه ناف لما يستحقه من الصفات، كما أنه من نازعك في قِدمه أو وجوب وجوده قلت مخبراً عنه بما يستحقه: إنه قديم وواجب الوجود»[1].

ونلاحظ أن الإمام ابن القيم لم يقتصر في هذه المسألة على جواز الإخبار عنه تعالى بالأسماء التي لم يتسم بها بل اعتبر الإخبار عنه بالأفعال من هذا الباب أيضاً، وأن كان قد شنع على المتكلمين والفلاسفة إطلاقهم على الله تعالى أسماءً من أفعاله لم يتسم بها فنجده يقول: «ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالاً لم يتسم منها بأسماء الفاعل كأراد وشاء وأحدث، ولم يسم «بالمريد» و«الشائي» و«المحدث» كما لم يسم نفسه «بالصانع» و«الفاعل» و«المتقن»، وغير ذلك من الأسماء التي أطلق أفعالها على نفسه، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء»[2].

قال الإمام ابن القيم في النونية:

وهو المقدِّمُ والمؤخّرُ ذانِكَ الصِفَتانِ ... للأفعال تَابِعَتَانِ[3]

وهما صفاتُ الذاتِ أيضاً إذ هُما ... بالذاتِ لا بالغيرِ قائمتانِ[4]

والحاصل أن إطلاق لفظ القديم على الله سبحانه بقصد التسمية غير سديد لافتقاره إلى دليل يجوّز لنا ذلك الإطلاق[5].

وقال الإمام ابن تيمية: وأما كون القديم الأزلي واحداً، فهذا اللفظ لا يوجد في كتاب الله ولا في سنة نبيه بل ولا جاء اسم «القديم» في أسماء الله تعالى، وإن كان من أسمائه «الأول».

---

(١) درء تعارض العقل والنقل للإمام ابن تيمية (٤/ ١٤٠).

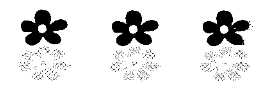
(٢) مدارج السالكين (٣/ ٤٣٣). (٣) النونية (١٤٨).

(٤) النونية: (ص١٤١).

(٥) البيهقي وموقفه من الإلهيات لأحمد عطية (ص١٤١).

والأقوال نوعان: فما كان منصوصاً في الكتاب والسنة، وجب الإقرار به على كل مسلم، وما لم يكن له أصل في النص ولا إجماع، لم يجب قبوله ولا رده حتى يعرف معناه[1].

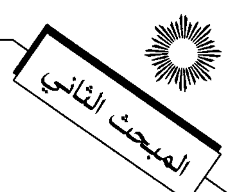
ولا ريب أن وصف الله تعالى بما كان منصوصاً في الكتاب والسنة فيهِ الكفاية وهو الأولى والأحرى؛ لأن ما جاء فيهما من أسمائه وصفاته كمالات في أنفسها لا تكون نقصاً ولا مستلزمة نقص. ولذا فإن الإمام ابن القيم قد أنكر على المتكلمين هذه التسميات قائلاً: «إن وصفه تعالى بكونه رحماناً رحيماً حقيقة أولى من وصفه بالإرادة، وذلك أن من أسمائه الحسنى الرحمن الرحيم، وليس في أسمائه الحسنى المريد، والمتكلمون يقولون مريد لبيان إثبات الصفة، وإلا فليس ذلك من أسمائه الحسنى، لأن الإرادة تناول ما يحسن إرادته وما لا يحسن، فلم يوصف بالاسم المطلق منها، كما ليس في أسمائه الحسنى الفاعل ولا المتكلم، وإن كان فعالاً مريداً متكلماً بالصدق والعدل، فليس الوصف بمطلق الكلام ومطلق الإرادة. ومطلق الفعل لا يقتضي مدحاً أو حمداً حتى يكون ذلك متعلقاً بما يحسن تعلقه به، بخلاف العليم القدير والعدل والمحسن والرحمن الرحيم، فإن هذه كمالات في أنفسها لا تكون نقصاً ولا مستلزمة لنقص البتة، فإذا قيل: إنه مريدٌ حقيقةً وله إرادةٌ حَقيقيةٌ وليس من أسمائه الحسنى المريد، فلأن يكون رحماناً رحيماً حقيقة وهو موصوف بالرحمة حقيقة، ومن أسمائه الرحمن الرحيم أولى وأحرى»[2].



---

(١) منهاج السنة للإمام ابن تيمية (٢/ ١٤٣).

(٢) مختصر الصواعق (ص٣٠٠، ٣٠١) باختصار الموصلي.





خطأ من اشتق له تعالى من كل فعل اسماً من الأسماء

كما رأينا فإن الإمام ابن القيم لم يمنع من الإخبار عنه تعالى باسم لم يرد تسميته به ولكن على سبيل الإخبار وكذلك الفعل؛ وشرطه أن لا يستلزم نقصاً أو شائبة ذم لأن إطلاق هذه التسميات ليست ممدوحة مطلقاً، بل قد تمدح في موضع وتذم في موضع فلا يجوز إطلاقها على الله تعالى مطلقاً من غير قيد أو شرط، ولذا فلا غرو أن يشنع الإمام ابن القيم على بعض شراح الأسماء الحسنى فيقول: «وقد أخطأ ـ أقبح خطأ ـ من اشتق له من كل فعل اسماً، وبلغ بأسمائه زيادة على الألف فسماه «الماكر، والمخادع، والفاتن، والكائد». إذا عُرف ذلك فنقول: إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقاً، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى.

ومن ظن من الجهال المصنفين في شرح الأسماء الحسنى أن من أسمائه الماكر المخادع، المستهزئ، الكائد فقد فاه بأمر عظيم تقشعر منه الجلود، وتكاد الأسماع تصم عند سماعه، وغرّ هذا الجاهل أنه ﷻ أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق له منها أسماء، وأسماؤه كلها حسنى فأدخلها في الأسماء الحسنى، وأدخلها وقرنها بالرحيم الودود الحكيم الكريم. وهذا جهل عظيم فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقاً بل تمدح في موضع وتذم في موضع، فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله مطلقاً، فلا يقال: إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد، فكذلك بطريق الأولى لا يشتق له منها أسماء يسمى بها، بل إذا كان لم يأتِ في أسمائه الحسنى المريد ولا المتكلم ولا الفاعل ولا الصانع، لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم، وإنما يوصف بالأنواع المحمودة منها، كالحليم والحكيم والعزيز والفعال لما يريد، فكيف يكون منها

الماكر المخادع المستهزئ ثم يلزم هذا الغالط أن يجعل من أسمائه الحسنى الداعي والآتي، والجائي والذاهب والقادم والرائد، والناسي والقاسم، والساخط، والغضبان واللاعن إلى أضعاف أضعاف ذلك من الأسماء التي أطلق على نفسه أفعالها في القرآن، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل»[1].

وقال أيضاً: «والرب تعالى يشتق له من أوصافه وأفعاله أسماء ولا يشتق له من مخلوقاته. وكل اسم من أسمائه فهو مشتق من صفة من صفاته، أو فعل قائم به، فلو كان يشتق له اسم باعتبار المخلوق المنفصل يسمى متكوناً ومتحركاً وساكناً وطويلاً وأبيض وغير ذلك لأنه خالق هذه الصفات، فلما لم يطلق عليه اسم من ذلك مع أنه خالقه علم أنه يشتق أسماءه من أفعاله وأوصافه القائمة به»[2].

بهذا القدر من كلام الإمام ابن القيم يتبين لنا أنه لا يمنع من الاشتقاق مطلقاً ولكن بضوابطه المعتبرة التي سبق ذكرها. أما الأسباب المانعة عنده من الاشتقاق فسأذكرها ـ ضمن خلاصة كلامه في المنع من الإطلاقات المجملة ـ في المبحث الرابع وهي مفهوم كلامه رَحِمَهُ اللهُ.

ويعلل الإمام ابن القيم السبب الذي لأجله لا يجوز استعمال هذه الإطلاقات على الله تعالى فيقول: فأما «الواجد» فلم تجيء تسميته به إلا في حديث تعداد الأسماء الحسنى، والصحيح: أنه ليس من كلام النبي ﷺ. ومعناه صحيح فإنه ذو الوجد والغنى، فهو أولى بأن يسمى به من «الموجود» ومن «الموجد». أما «الموجود» فإنه ينقسم إلى كامل وناقص وخير وشر، وما كان مسماه منقسماً لم يدخل اسمه في الأسماء الحسنى كالشيء والمعلوم. ولذلك لم يسم بالمريد، ولا بالمتكلم، وإن كان له الإرادة والكلام، لانقسام مسمى «المريد» و«المتكلم». وأما «الموجد» فقد سمى نفسه بأكمل أنواعه، وهو «الخالق، البارئ، المصور»، فالموجد كالمحدث والفاعل والصانع، وهذا

(١) مختصر الصواعق (ص٢٥٠) باختصار الموصلي.

(٢) شفاء العليل (ص٥٣٠).

من دقيق فقه الأسماء الحسنى. فتأمله وبالله التوفيق[1].

ويقول أيضاً: إن الصفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه بل يطلق عليه منها كمالها، وهذا كالمريد والفاعل والصانع، فإن هذه الألفاظ لا تدخل في أسمائه، ولهذا غلط من سماه بالصانع عند الإطلاق بل هو الفعال لما يريد، فإن الإرادة والفعل والصنع منقسمة، ولهذا إنما أطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلاً وخبراً[2].

والاسم إذا أطلق عليه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل فيخبر به عنه فعلاً ومصدراً. نحو: السميع، البصير، القدير، يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة ويخبر عنه بالأفعال من ذلك نحو: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ [المجادلة: ١] ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَـٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣] هذا إن كان الفعل متعدياً. فإن كان لازماً لم يخبر عنه به نحو «الحي»، بل يُطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل فلا يقال «حيي»[3].

وكما رأينا فإن الإمام ابن القيم لم ينفرد بالإنكار على المتكلمين إطلاقاتهم على الله تعالى هذه الإطلاقات المحتملة للحق والباطل، بل إن الإمام ابن أبي العز قد أشار إلى هذه القضية فقال: وقد أدخل المتكلمون في أسماء الله تعالى: القديم، وليس هو من الأسماء الحسنى، فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن: هو المتقدم على غيره، فيقال: هذا قديم للعتيق، وهذا حديث، للجديد. ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره، لا فيما لم يسبقه عدم، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩] والعرجون القديم: الذي لم يبق إلى حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد الجديد قيل للأول قديم... وأما إدخال القديم في أسماء الله تعالى، فهو مشهور عند أكثر أهل الكلام. وقد أنكر ذلك كثيرٌ من السلف والخلف، منهم ابن حزم. ولا ريب أنه إذا كان مستعملاً في نفس التقدم فإن ما تقدم على الحوادث كلها فهو

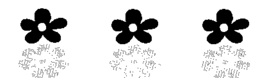
---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٣٣، ٤٣٤).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٧٨)، وانظر: مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٦/ ١٤٢)، تنبيه ذوي الألباب السليمة لسليمان بن سحمان (ص٥٢).

(٣) بدائع الفوائد (١/ ١٧٩).

أحق بالتقدم من غيره. ولكن أسماء الله تعالى هي الأسماء الحسنى التي تدل على خصوص ما يمدح به، والتقدم في اللغة مطلق لا يختص بالتقدم على الحوادث كلها، فلا يكون من الأسماء الحسنى، وجاء الشرع باسمه: الأول. وهو أحسن من القديم لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له، بخلاف القديم، والله تعالى له الأسماء الحسنى لا الحسنة[1].



(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١١٢، ١١٣)، وانظر: مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (١/ ٢٤٥)، التحفة المهدية في شرح الرسالة التدمرية لفالح المهدي (ص٥١).



المبحث الثالث

نماذج لما وقع من الخطأ عن اشتقاق أسماء الله تعالى من أفعاله عند شراح الأسماء الحسنى

من المؤسف حقاً أن أكثر من ألّف في الأسماء الحسنى قد وقع في هذا المحذور الذي أنكره عليهم أئمة السلف وقد ذكر الإمام ابن القيم غلط هؤلاء الذين اشتقوا لله تعالى من أفعاله أسماء ولم يفرقوا بين ما يخبر به عنه، وبين ما يدعى به من الأسماء الحسنى. ومن هؤلاء البيهقي والرازي وأبو عبد الله القرطبي والخطابي وغيرهم. ويجدر بنا الإشارة إلى بعض هذه الأسماء المشتقة من أفعاله تعالى التي وردت في شروحاتهم للأسماء الحسنى، وهي على النحو التالي:

١ - **البيهقي**: فإنه أوردها في مؤلفه الأسماء والصفات، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: (الفعال، ١/ ١١٣)، (الطالب ١/ ١١٤)، (الغالب ١/ ١١٤)، (المدبر ١/ ١٢٨)، (القاضي ١/ ١٦٠)، (الكاشف ١/ ١٦٥)، (فالق الحب والنوى ١/ ١٨٢)، (الدين ١/ ١٩)، (الموفي ١/ ١٩٧)، (الفرد ١/ ٢٢٧).

٢ - **الرازي في لوامع البينات**: (المنتقم، ص: ٣٨٣)، (المقسط، ص: ٣٤٣)، (الجامع، ص: ٣٤٣)، (الباقي، ص: ٣٥٠)، (الشيء، ص: ٣٥٧)، (القديم، ص: ٣٥٨)، (الأزلي، ص: ٣٥٩)، (واجب الوجود لذاته، ص: ٣٥٩)، (الدائم، ص: ٣٥٩)، (المدبر، ص: ٣٦٢).

٣ - **الخطابي في شأن الدعاء**: (المحصي، ص: ٧٩)، (المنتقم، ص: ٩٠)، (البادي، ص: ١٠١)، (الكافي، ص: ١٠١)، (الدائم، ص: ١٠١)، (الصادق، ص: ١٠٢)، (المدبِّر، ص: ١٠٤)، (الديان، ص: ١٠٥).

٤ - **القرطبي في الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**: (القاضي، ١/ ١٩٠)، (الكاتب، ١/ ١٩٦)، (الحاسب، ١/ ٢٠٧)، (الكاشف، ١/ ٢٢٧)،

(الواقي، ١/ ٣١٣)، (المخرج، ١/ ٣٤٨)، (الراتق الفاتق، ١/ ٣٤٩)، الدَّيان، ١/ ٤١٧)، (الهوِّي، ١/ ٤٣١).

٥ ـ أبو بكر بن العربي في أحكام القرآن[1]: (مخزي الكافرين، ٢٠/ ٣٤١)، (حفي، ٢/ ٣٤١)، (سالم، كاف، ٢/ ٣٤٢)، (الكائن، ٢/ ٣٤٣)، (المبرم، ٢/ ٣٤٢)، (مبل، ٢/ ٣٤٢)، (الطيب، ٢/ ٣٤٥)، (المريد، ٢/ ٣٤٦)، (غيور، ٢/ ٣٤٧) ا.هـ.

وقد أحسن الغزالي عندما قال: «ولو جُوِّز اشتقاق الأسامي من الأفعال فستكثر هذه الأسامي المشتقة لكثرة الأفعال المنسوبة إلى الله تعالى في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، و﴿يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ [سبأ: ٤٨]، و﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ [الحج: ١٧، السجدة: ٣٢]، و﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء: ٤]، فيشتق له من ذلك: الكاشف، والقاذف بالحق، والفاصل، والقاضي.. ويخرج ذلك عن الحصر.. »[2].

وفي هذا المعنى قال العلامة ابن سحمان: فاعلم أن من أدخل اسم الصورة في أسماء الله قد أخطأ أيّ خطأ؛ لأن باب الأفعال والإخبار عن الله أوسع من باب الأسماء، ولفظ الصورة لم يذكره أحد من علماء أهل السنة والجماعة في عقائدهم، وإنما ذكر ذلك بعض من ينتسب إلى أهل السنة، فمن اشتق من أفعال الله ﷻ أسماءً وأوصافاً لم يذكرها الله ولا رسوله إلا على سبيل الإخبار، فنقول في ذلك ما قاله الله ورسوله وأخبر به في كتابه وسنة رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث، والله أعلم[3].

كما نجد أن الإمام ابن القيم ينكر على المتكلمين مذهبهم هذا لما قد يفضي إليه من لوازم باطلة مخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، ولذا فهو يُخَطِّئ كل من جَوَّزَ هذه الإطلاقات ويورد الأدلة النقلية والعقلية على بُطلان ذلك

---

(١) له كتاب مؤلف مستقل في الأسماء الحسنى وسمه بـ «الأمد الأقصى في شرح الأسماء الحسنى». انظر: أحكام القرآن (٢/ ٣٣٧).

(٢) المقصد الأسنى للغزالي (ص١٤٨).

(٣) تنبيه ذوي الألباب السليمة لابن سحمان (ص٥٢).

فيقول: «وهذه المسميات لا تنفك عن لوازم ومعانٍ تنزه تعالى عن الاتصاف بها، وهكذا جميع ما أطلق على نفسه من صفاته العلى أكمل معنى ولفظاً مما لم يطلقه، فالعليم الخبير أكمل من الفقيه العارف، والكريم الجواد أكمل من السخي، والخالق البارئ المصور أكمل من الصانع الفاعل، ولهذا لم تجيء هذه في أسمائه الحسنى، والرحيم والرؤوف أكمل من الشفيق، فعليك بمراعاة ما أطلقه سبحانه على نفسه من الأسماء والصفات والوقوف معها وعدم إطلاق ما لم يطلقه على نفسه ما لم يكن مطابقاً لمعنى أسمائه وصفاته، وحينئذ فيطلق المعنى لمطابقته له دون اللفظ ولاسيما إذا كان مُجملاً أو منقسماً إلى ما يمدح به؛ وغيره فإنه لا يجوز إطلاقه إلا مقيداً، وهذا كلفظ الفاعل والصانع فإنه لا يُطلق عليه في أسمائه الحسنى إلا إطلاقاً مُقيداً أطلقه على نفسه كقوله تعالى ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وقوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨] فإن اسم الفاعل والصانع منقسم إلى ما يُمدح عليه وُذم، ولهذا المعنى ـ والله أعلم ـ لم يجيء في الأسماء الحسنى المريد كما جاء فيها السميع البصير، ولا المتكلم ولا الآمر الناهي، لانقسام مسمى هذه الأسماء، بل وصف نفسه بكمالاتها وأشرف أنواعها. ومن هنا يعلم غلط بعض المتأخرين وزلقه الفاحش في اشتقاقه له سبحانه من كل فعل أخبر به عن نفسه اسماً مطلقاً فأدخله في أسمائه الحسنى، فاشتق له اسم الماكر، والخادع، والفاتن، والمضل، والكاتب ونحوها من قوله: ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ومن قوله: ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، ومن قوله: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١] ومن قوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر: ٨] وقوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ﴾ [المجادلة: ٢١] وهذا خطأ من وجوه:

أحدها: أنه سبحانه لم يطلق على نفسه هذه الأسماء فإطلاقها عليه لا يجوز.

الثاني: أنه سبحانه أخبر عن نفسه بأفعال مختصة مقيدة فلا يجوز أن ينسب إليه مسمى الاسم عند الإطلاق.

الثالث: أن مسمى هذه الأسماء ينقسم إلى ما يمدح عليه المسمى به

وإلى ما يذم. فيحسن في موضع ويقبح في موضع، فيمتنع إطلاقه عليه سبحانه من غير تفصيل.

الرابع: أن هذه ليست من الأسماء الحسنى التي يُسمى بها سبحانه، فلا يجوز أن يُسمى بها، فإن أسماء الرب ﷻ كلها حسنى كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وهي التي يحب سبحانه أن يُثنى عليه ويحمد ويُمَجَّد بها دون غيرها.

الخامس: أن هذا القائل لو سُمي بهذه الأسماء وقيل له: هذه مِدْحتُكَ وثناءٌ عليك، فأنت الماكر الفاتن المخادع المضل اللاعن الفاعل الصانع ونحوها؛ لما كان يرضى بإطلاق هذه الأسماء عليه ويعدها مدحة، ولله المثل الأعلى ﷻ عما يقول الجاهلون به علواً كبيراً.

السادس: أن هذا القائل يلزمه أن يجعل من أسمائه اللاعن والجائي والآتي والذاهب والتارك، والمقاتل والصادق، والمنزل، والنازل، والمدمدم، والمدمر، وأضعاف أضعاف ذلك، فيشتق له اسماً من كل فعل أخبر به عن نفسه وإلا تناقض تناقضاً بيناً، ولا أحد من العقلاء طرد ذلك، فعلم بطلان قوله، والحمد لله رب العالمين»[1].

وقد تعرض الإمام ابن تيمية لهذه الإطلاقات وتصدى لها كثيراً وذلك لاشتمالها على حق وباطل وانقسامها إلى محمود ومذموم، كما أنه يقرر الحالة التي يجوز الاستثناء فيها من هذه الإطلاقات عند الحاجة إلى الإخبار عنه تعالى بمعنى من المعاني الثابتة له. فيقول: ويفرق بين دعائه والإخبار عنه، فلا يدعى إلا بالأسماء الحسنى، وأما الإخبار عنه: فلا يكون باسم سيء، ولكن قد يكون باسم حسن، أو باسم ليس بسيء، وإن لم يحكم بحسنه. مثل اسم شيء، وذات وموجود؛ إذا أريد به الثابت، وأما إذا أريد به «الموجود عند الشدائد» فهو من الأسماء الحسنى، وكذلك المريد، والمتكلم فإن الإرادة والكلام تنقسم إلى محمود ومذموم، فليس ذلك من الأسماء الحسنى بخلاف

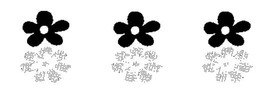
---

(١) طريق الهجرتين (ص٣٢٩، ٣٣٠).

الحكيم، والرحيم والصادق، ونحو ذلك، فإن ذلك لا يكون إلا محموداً[1].

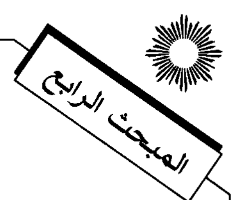
وهكذا فإننا نجد أن الإمام ابن تيمية لا يختلف مع تلميذه ابن القيم في هذه المسألة، وذلك أنه لا بد من التفريق في إطلاق الألفاظ بين ما يُدعى به الله تعالى وبين ما يُخبرُ عنه؛ ففي الدعاء لا يُدعى إلا بأسمائه الحسنى، وفي الإخبار عنه تعالى فلا يكون باسم سيء فيه شائبة نقص، ولكن قد يكون الإخبار عنه باسم حسن أو باسم ليس بسيء، وإن لم يُحكم بحسنه.

وأما إذا احتيج إلى الإخبار عنه مثل أن يقال: ليس هو بقديم، ولا موجود، ولا ذات قائمة بنفسها، ونحو ذلك، فقيل في تحقيق الإثبات: بل هو سبحانه قديم موجود وهو ذات قائمة بنفسها، وقيل: ليس بشيء، فقيل: بل هو شيء فهذا سائغ. وإن كان لا يدعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها ما يدل على المدح[2].



(١) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٦/ ١٤٢).

(٢) نفس المصدر (٩/ ٣٠١).





خلاصة القول بالمنع من هذه الإطلاقات المجملة

لا شك أن منع الإمام ابن القيم من هذه الإطلاقات المجملة، فيه من الوجاهة ما يدعونا أن نقف مع مبيح هذه الإطلاقات موقف الحزم والشدة والمنع، وذلك لما في هذه التسميات من محاذير شرعية وخصوصاً إذا خلت عن القرائن التي تدل على المعنى الصحيح المراد منها، ولهذا نجد أن شيخنا ابن القيم قد أجمل الأسباب المانعة لهذه الإطلاقات لما يلي:

١ ـ إنَّ ما يدخل في باب الإخبار عنه تعالى أوسع مما يدخل في باب أسمائه وصفاته فمثلاً: إذا أطلق على الله تعالى لفظ شيء أو موجود، أو قائم بنفسه فإن هذا يكون من باب الإخبار عنه لا من باب التسمية والوصف، فلا يدخل حينئذ في أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

٢ ـ الاشتقاق لله تعالى من كل فعل اسم حتى بلغ بأسمائه زيادة على الألف، فسماه الماكر والمخادع والفاتن والكائد. وفي هذا من نسبة الله تعالى إلى النقص ما لا يخفى على عاقل(١).

٣ ـ لا يخلو من محذورين وهما: إما لانقسام هذه الألفاظ إلى كامل وناقص وخير وشر ومدح وذم، وبالتالي فلا تدخل في الأسماء الحسنى كالشيء والمعلوم، والمريد والمتكلم، وإما أن يكون الفعل لازماً نحو الحي فلا يطلق عليه الحيي، ولكن يُطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل.

٤ ـ لما فيها من التغرير والتلبيس على الناس في سبيل الاعتقاد الباطل

---

(١) سيأتي الكلام على هذا في فصل مستقل وهو: حكم اشتقاق المصدر والفعل والإخبار بهما عن الله تعالى (ص١٧٣ وما بعدها).

والقول به، بدعوى تنزيه الله تعالى عن الأعراض والأغراض والأبعاض والحدود، والجهات وحلول الحوادث.

ولما سبق من هذه الأمور لا بد من وصفه تعالى بما كان ثابتاً من الأسماء الحسنى وهو أولى وأحرى فإنها كمالات في نفسها لا تكون نقصاً ولا مستلزمة لنقص البتة فمثلاً: إذا قيل إنه مريد حقيقة وله إرادة حقيقية وليس من أسمائه الحسنى المريد، فلأن يكون رحماناً رحيماً حقيقةً، وهو موصوف بالرحمة حقيقة ومن أسمائه الرحيم أولى وأحرى[(١)].

وعلى هذا فلا يجوز استعمالها في حق الله تبارك وتعالى، لا اسماً ولا وصفاً ولا خبراً، إنما يجوز استعمالها في وقت الحاجة مع وجود قرائن تدل على المعنى المراد[(٢)] مثل أن يكون المخاطب لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها ونحو ذلك. كمخاطبة أهل هذه الاصطلاحات ـ المبتدعة الفاسدة من الفلاسفة والمتكلمين ـ الخاصة في أسماء الله وصفاته وأصول الدين باصطلاحهم الخاص[(٣)]، في باب البحث والمناظرة لإقامة الحجة عليهم فيما التزموه من أصولهم الفاسدة، وذلك كقيام الإمام أحمد بالرد على الجهمية والمعتزلة، وكذلك الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على بشر المريسي، وما قام به عبد العزيز الكناني[(٤)] في الرد على من قال بخلق القرآن. وكذلك

---

(١) مختصر الصواعق للموصلي (ص٣٠٠، ٣٠١).

(٢) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز تحقيق جماعة من العلماء (ص١٢٥)، وتنبيه ذوي الألباب السليمة لابن سحمان (ص٧) بتصرف.

(٣) نقض تأسيس الجهمية للإمام ابن تيمية (٢/ ٣٨٩) بتصرف.

(٤) الكناني هو عبد العزيز بن يحيى الكناني سمع من سفيان بن عيينة وناظر بشر المريسي في مجلس المأمون بمناظرة عجيبة فانقطع بشر وظهر عبد العزيز، ومناظرتهما مشهورة مسطورة. وهو معدود في أصحاب الشافعي، قال في وصفه الخطيب البغدادي: كان من أهل العلم والفضل وله مصنفات عدة. انظر: الشذرات لابن العماد (٢/ ٩٥)، ميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٦٣٩)، طبقات الشافعية (٢/ ١٤٤)، العبر للذهبي (١/ ٤٣٤)، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٠/ ٤٤٩)، تهذب التهذيب لابن حجر (٦/ ٤٦٣). وكتاب «الحيدة» هذا كثر الكلام حوله والتشكيك في نسبته للمؤلف الكناني ﷺ=

الإمام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم، وإلا فإنه لا بد من مراعاة ألفاظ الكتاب والسنة. **قال الإمام ابن تيمية**: «ولما انتشر الكلام المحدث، ودخل فيه ما يناقض الكتاب والسنة، وصاروا يعارضون به الكتاب والسنة، صار بيان مرادهم بتلك الألفاظ وما احتجوا به لذلك من لغة وعقل يبين للمؤمن ما يمنعه أن يقع في البدعة والضلال، أو يخلص منها ـ إن كان قد وقع ـ ويدفع عن نفسه في الباطن والظاهر ما يعارض إيمانه بالرسول ﷺ من ذلك»[1].

وعن سبب وقوع هذه الألفاظ المجملة **قال أيضاً**: «وسبب ذلك ما أوقعه أهل الإلحاد والضلال من الألفاظ المجملة التي يظن الظان أنه لا يدخل فيها إلا الحق، وقد دخل فيها الحق والباطل، فمن لم ينقب عنها أو يستفصل المتكلم بها ـ كما كان السلف والأئمة يفعلون ـ صار متناقضاً أو مبتدعاً ضالاً من حيث لا يشعر. وكثير ممن تكلم بالألفاظ المجملة المبتدعة كلفظ الجسم والجوهر والعرض وحلول الحوادث ونحو ذلك، كانوا يظنون أنهم ينصرون الإسلام بهذه الطريقة، وأنهم بذلك يثبتون معرفة الله وتصديق رسوله فوقع منهم من الخطأ والضلال ما أوجب ذلك، وهذه حال أهل البدع كالخوارج وأمثالهم، فإن البدعة لا تكون حقاً محضاً موافقاً للسنة إذ لو كانت كذلك لم تكن باطلاً، ولا تكون باطلاً محضاً لا حق فيه، إذ لو كانت كذلك لم تخف على الناس، ولكن تشتمل على حق وباطل، فيكون صاحبها قد لبّس الحق بالباطل: إما مخطئاً غالطاً، وإما متعمداً لنفاق فيه وإلحاد»[2].

= وقد أثبت نسبته إليه محققه الدكتور: الفقيهي، ونقل عن تسعة من العلماء إثبات نسبة الكتاب له، ومن هؤلاء العلماء الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٤٠٢) في باب: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩] وقال: وأشار ابن بطال إلى أن البخاري انتزع هذه الترجمة من كلام عبد العزيز بن يحيى المكي فإنه قال في كتاب الحيدة: سمى الله تعالى نفسه شيئاً إثباتاً لوجوده ونفياً للعدم عنه كما أجراه على نفسه ولم يجعل لفظ شيء من أسمائه.اهـ. انظر: كتاب الحيدة والاعتذار (ص٦ ـ ١٥) بتحقيق د. الفقيهي.

(١) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٥/ ٤٣٢).

(٢) درء تعارض العقل والنقل للإمام ابن تيمية (٢/ ١٠٤).

الفصل الرابع

حُسن أسماء الله تعالى وإحصاؤها ودعاؤه بها

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حسن أسماء الله تعالى.

المبحث الثاني: إحصاء أسماء الله تعالى.

المبحث الثالث: دعاؤه بها والثناء عليه بموجبها.





حسن أسماء الله تعالى

الحُسن في اللغة ضد القبح؛ تقول: أحسنتُ بفلان، وأسأت بفلان، أي: أحسنت إليه وأسأت إليه. وتأنيث الأحسن: الحسنى، كالكبرى والصغرى تأنيث الأكبر والأصغر(١).

والجدير بالذكر أن أسماء الله تعالى كلها حسنى وصفاته كلها عُليا. وأسماؤه دالة على كمال صفاته وهي مشتقة منها، فهي أسماء وهي أوصاف وهي ألفاظ ذات معان، ولو لم تكن كذلك لم تكن حسنى، ولم تدل على مدح وكمال. وقد عبّر الإمام ابن القيم عن هذه المعاني وذكر وجه الحُسن فيها فقال: «أسماؤه ﷻ كلها أسماء مدح وثناء وتمجيد، ولذلك كانت حسنى، وصفاته كلها صفات كمال، ونعوته كلها نعوت جلال، وأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل»(٢).

ويذكر مواضع الحسن فيها فيقول: «أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله، فهي مشتقة من الصفات، فهي أسماء، وهي أوصاف، وبذلك كانت حسنى إذ لو كانت ألفاظاً لا معاني فيها لم تكن حسنى، ولا كانت دالة على مدح وكمال»(٣).

والمقصود أنه سبحانه لكمال أسمائه وصفاته موصوف بكل صفة كمال، منزه عن كل نقص، له كل ثناء حسن ولا يصدر عنه إلا كل فعل جميل، ولا يسمى إلا بأحسن الأسماء، ولا يُثنى عليه إلا بأكمل الثناء، وهو المحمود

---

(١) الصحاح للجوهري: (٢٠٩٩/٥) (حسن)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (حسن) (١٧٧/٣). المصباح المنير للفيومي (ص٥٢).

(٢) مدارج السالكين (١٤٠/١). (٣) نفس المصدر (٣٦/١، ٣٧).

والمحبوب، والمعظم ذو الجلال والإكرام على كل ما قدّره وخلقه، وعلى كل ما أمر به وشرعه[1].

وقد أخبر الله تعالى عن أسمائه بأنها حُسنى: أي بالغة الحُسن، وتحت هذا سر نفيس بيّنه ابن الوزير[2]، رَحِمَهُ اللهُ، فقال: «وذلك أن الحُسن من صفات المعاني، فكل لفظ له معنيان حسن وأحسن، فالمراد الأحسن منهما، حتى يصح جمعه على حسنى ولا يفسر بالحُسن منهما إلا الأحسن لهذا الوجه»[3].

قال الإمام ابن تيمية: «الحسنى، هي المفضلة على الحسنة، والواحد: الأحاسن»[4].

والمعنى كما **قال الشيخ ابن عثيمين:** «أي البالغة في الحسن غايته، فحسنى على وزن (فُعلى) تأنيث أفعل التفضيل»[5].

ووصف الله سبحانه أسماءه بأنها حسنى في أربعة مواطن من الكتاب العزيز. فقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وقال جل وعلا: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: ١١٠]. وقال ﷻ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤].

---

(١) طريق الهجرتين (ص١٣٠).

(٢) ابن الوزير: هو محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن الفضل بن الحسن الحسن القاسمي، أبو عبد الله، من آل الوزير، مجتهد، باحث ومن أعيان اليمن، تعلم بصنعاء وصعدة، ومكة، وأقبل في آخر حياته على العبادة، توفي سنة (٨٤٠هـ). انظر: البدر الطالع للشوكاني (٢/ ٨١)، الأعلام للزركلي (٦/ ١١٩).

(٣) انظر: إيثار الحق على الخلق لابن الوزير (ص١٦٦)، جامع البيان للطبري (٧/ ١٠٦، ١٠٧)، النهج الأسمى في شرح الأسماء الحسنى للحمود (١/ ٣١)، أسماء الله الحسنى للغصن (ص٦٧).

(٤) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٦/ ١٤١).

(٥) القواعد المثلى لابن عثيمين (٢/ ٢١).

قال الإمام ابن تيمية: «وله الأسماء الحسنى كما سمى نفسه بذلك، وأنزل كتبه، وعلمه من شاء من خلقه كاسمه الحق، والعليم، والرحيم، والحكيم، الأول، والآخر، والعلي، والعظيم، والكبير ونحو ذلك. وهذه الأسماء كلها أسماء مدح وحمد تدل على ما يحمد به ولا يكون معناها مذموماً»(١).

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي(٢) عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]: هذا بيان لعظيم جلاله وسعة أوصافه بأن له الأسماء الحسنى، أي كل اسم حسن وضابطه: أنه كل اسم دالٍّ على صفة كمال عظيمة وبذلك كانت حُسنى، فإنها لو دلت على غير صفة بل كانت علماً محضاً لم تكن حسنى، فإنها لو دلت على صفة ليست بصفة كمال، بل إما صفة نقص أو صفة منقسمة إلى المدح والقدح لم تكن حسنى، فكل اسم من أسمائه دالٌّ على جميع الصفة التي اشتُقت منها، مستغرقٌ لجميع معناها، وذلك نحو «العليم» الدال على أن له علماً محيطاً عاماً لجميع الأشياء فلا يخرج عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، والرحيم الدال على أن له رحمة عظيمة واسعة لكل شيء، و«القدير» الدال على أنه لا يُدعى إلا بها، ولذلك قال: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة(٣).

ويرى الإمام ابن القيم أن وجه الحسن في أسماء الله تعالى يكون باعتبارين: «باعتبار كل اسم على انفراده، وباعتبار اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو الغني الحميد، العفو القدير، الحميد المجيد، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في

---

(١) نقض تأسيس الجهمية للإمام ابن تيمية (٢/ ١٠).

(٢) ابن سعدي: هو العلامة الورع الزاهد، الفقيه الأصولي المدقق الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد السعدي، من نواصر بني تميم، من بني عمرو أحد البطون الكبار من قبيلة بني تميم الشهيرة، توفي سنة (١٣٧٦هـ). انظر: روضة الناظرين للقاضي (٢/ ٢١٩)، وعلماء نجد للبسام (٢/ ٤٢٢)، والأعلام للزركلي(٣/ ٣٤٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٣/ ٥٩).

القرآن، فإن الغنى صفة كمال، والحمد كذلك؛ واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر، فله ثناء من غناه وثناء من حمده وثناء من اجتماعهما، وكذلك العفو القدير، والحميد المجيد، والعزيز الحكيم فتأمله فإنه من أشرف المعارف»[(١)].

ونلاحظ أن الإمام ابن القيم يشير إلى أنواع الإطلاقات الجائزة التي يمكن إطلاقها على الله تعالى ويسوق عليها الأمثلة الدالة على ذلك فيقول: «أسماء الله تعالى منها ما يطلق عليه مفرداً ومقترناً بغيره وهو غالب الأسماء كالقدير والسميع والبصير والعزيز والحكيم. وهذا يسوغ أن يُدعى به مفرداً ومقترناً بغيره فتقول: يا عزيز يا حليم يا غفور يا رحيم، وأن يُفرد كل اسم، وكذلك في الثناء عليه والخبر عنه بما يسوِّغ لك الإفراد والجمع. ومنها ما لا يُطلق عليه بمفرده بل مقروناً بمقابله كالمانع والضار والمنتقم، فلا يجوز أن يُفرد هذا عن مقابله، فإنه مقرون بالمعطِي والنافع والعفو، فهو المعطي المانع، الضار النافع، المنتقم العفو، المعز المذِّل؛ لأن الكمال في اقتران كل اسم من هذه بمقابله؛ لأنه يُرادُ به أنه المتفرد بالربوبية وتدبير الخلق والتصرُّف فيهم عطاءً ومنعاً، ونفعاً وضراً، وعفواً وانتقاماً.

وأما أن يُثنى عليه بمجرد المنع والانتقام والإضرار فلا يسوغ.

فهذه الأسماء المزدوجة تجري الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يَمتنِعُ فصل بعض حروفه عن بعض، فهي وإن تعددت جاريةٌ مجرى الاسم الواحد ولذلك لم تجئ مفردة ولم تطلق عليه إلا مقترنة، فاعلمه.

فلو قلت: يا مُذِلُّ، يا ضارُّ، يا مانع، وأخبرت بذلك لم تكن مثنياً عليه ولا حامداً له حتى تذكر مقابلها.

ولله تعالى جميع أقسام الكمال: كمال من هذا الاسم بمفرده، وكمال من الآخر بمفرده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن: ٦]، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦]، ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ [الممتحنة: ٧]، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]،

---

(١) انظر: بدائع الفوائد (١/ ١٧٧).

فالغنى صفة كمال، والحمد صفة كمال، واقتران غناه بحمده كمال أيضاً. وعلمه كمال، وحكمته كمال، واقتران العلم بالحكمة كمال أيضاً. وقدرته كمال ومغفرته كمال، واقتران القدرة بالمغفرة كمال، وكذلك العفو بالقدرة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]، واقتران العلم بالحلم والله عليم حليم»[١].

ويستفاد من كلام الإمام ابن القيم هذا أن الأسماء الحسنى تنقسم باعتبار إطلاقها على الله تبارك وتعالى إلى ثلاثة أقسام إذا أضفنا إلى القسمين الأولين قسم الأسماء المزدوجة. وتكون على النحو التالي:

القسم الأول: الأسماء المفردة:

وضابطها: ما يسوغ أن يُطلق عليه مفرداً، وهذا يقع في غالب الأسماء كما هو معلوم. ومثالها: الرحمن، القدوس، السميع، العليم، البصير، القدير، الملك...

القسم الثاني: الأسماء المقترنة:

وضابطها: ما يُطلق عليه مقترناً بغيره من الأسماء. وهذا يقع أيضاً في غالب الأسماء وكثيراً ما تختتم آيات القرآن الكريم به[٢]. مثالها: العزيز الحكيم، الغفور الرحيم، الرحمن الرحيم، السميع البصير. وكل من القسم الأول والثاني يسوغ أن يُدعى به مفرداً، ومقترناً بغيره، فتقول: يا عزيز أو يا حكيم، أو يا غفور، أو يا رحيم. وهكذا في حال الثناء عليه أو الخبر عنه بما يسوغ لك الإفراد أو الجمع.

القسم الثالث: الأسماء المزدوجة:

وقال فيها الإمام ابن القيم في النونية:

هَذَا ومِن أَسمَائِه ما ليس يُفـ ـردُ بل يُقال إذَا أَتَى بِقُرآنِ

وهيَ التي تُدعى بِمُزدوجاتِهَا إفرادُها خَطرٌ عَلَى الإنسَانِ

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٥).

(٢) شفاء العليل (ص٤٠٥).

إذْ ذَاكَ مُوهِمُ نوعُ نَقْصٍ جَلَّ ربُّ ... العرشِ عَنْ عَيبٍ وعَنْ نُقْصَانِ
كَالمَانِعِ المُعطيْ وكالضَّارِ الذي ... هُوَ نافعٌ وكمالُهُ الأمرَانِ
ونَظيرُ هذا القابضُ المقرونُ بِا ... سمِ الباسِطِ اللفظانِ مُقتَرَنَانِ
وكَذا المُعِزُّ مع المُذلِّ وخَافِضٍ ... مع رافعٍ لَفْظَانِ مُزدوِجَانِ[1]

وضابطها: ما لا يُطلق عليه بمفرده بل مقروناً بمقابله؛ لأن الكمال في اقتران كل اسم منها بما يقابله.

مثالها: الضار النافع، المعز المذل، المعطي المانع، المنتقم العفو. فهذه الأسماء المزدوجة تجري الأسماء فيها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض، فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد، ولذلك لم تجئ مفردةً، ولم تُطلق عليه إلا مقترنة ببعض.

والسبب في ذلك أن الكمال إنما يحصل في الجمع بين الاسمين لما فيه من العموم والشمول الدال على وحدانيته، وأنه وحده يفعل جميع الأشياء.

وفي هذا المعنى يقول ابن الوزير رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن اسم الضار لا يجوز إفراده على النافع فحين لم يجز إفراده لم يكن مفرداً من أسماء الله تعالى، وإذا وجب ضمه إلى النافع كانا معاً كالاسم الواحد المركب من كلمتين، مثل عبد الله، وبعلبك، فلو نطقت بالضار وحده لم يكن اسماً لذلك المسمى به، ومتى كان الاسم هو الضار النافع معاً كان في معنى مالك الضر والنفع، وذلك في معنى مالك الأمر كله، ومالك الملك، وهذا المعنى من الأسماء الحسنى هو في معنى قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، الآية، وهو في معنى القدير على كل شيء. وميزان الأسماء الحسنى يدور على المدح بالملك والاستقلال وما يعود إلى هذا المعنى، وعلى المدح بالحمد والثناء وما يعود إلى ذلك، وكل اسم دل على هذين الأمرين فهو صالح دخوله فيها، والضار

(١) النونية (ص١٤٧ ـ ١٤٩).

والنافع يرجع إلى ذلك مع الجمع وعدم الفرق مع القصد، فيلزم من أطلقه قصد ذلك مع الجمع»[1].

ونلاحظ أن الإمام ابن القيم لم يكتف بذكر أوجه الحسن في أسماء الله تعالى بل تعدى ذلك إلى إيراد بعض الأحكام المتعلقة بهذه الأسماء الكريمة جاءت على النحو التالي:

أولاً: أسماء الله تعالى أحسن الأسماء وأكملها:

قال الإمام ابن القيم: «فأسماء الله هي أحسن الأسماء وأكملها فليس في الأسماء أحسن منها ولا يقوم غيرها مقامها، ولا يؤدي معناها، وتفسير الاسم منها بغيره ليس تفسيراً بمرادف محض، بل هو على سبيل التقريب والتفهيم.

فإذا عرفت هذا فله من كل صفة كمال وأحسن اسم وأكمله وأتمه معنى، وأبعده، وأنزهه عن شائبة عيب أو نقص. فله من صفات الإدراكات: العليم الخبير دون العاقل الفقيه، والسميع والبصير دون السامع والباصر والناظر.

ومن صفات الإحسان: البر الرحيم الودود دون الشفوق، وكذلك العلي العظيم دون الرفيع الشريف، وكذلك الكريم دون السخي.

وكذلك الخالق البارئ المصور دون الفاعل الصانع المشكِّل، وكذلك سائر أسمائه تعالى يجري على نفسه منها أكملها وأحسنها وما لا يقوم غيره مقامه، فتأمل ذلك، فأسماؤه أحسن الأسماء كما أن صفاته أكمل الصفات، فلا تعدل عما سمى به نفسه إلى غيره. كما لا يتجاوز ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ إلى ما ووصفهُ به المبطلون المعطلون»[2].

ثانياً: تضمن الأسماء الحسنى لأوصاف الكمال:

إن في وصف أسماء الله بأنها حسنى دليلاً على تضمنها لأوصاف الكمال. قال الإمام ابن القيم: «أسماء الرب تبارك وتعالى كلها أسماء مدح،

---

(١) إيثار الحق على الخلق، لابن الوزير (ص١٨٧).

(٢) شفاء العليل (ص٤٠٥)، بدائع الفوائد (١/ ١٦٨).

ولو كانت ألفاظاً مجردةً لا معاني لها، لم تدل على المدح، وقد وصفها الله بأنها حسنى كلها، فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠] فهي لم تكن حسنى لمجرد اللفظ بل لدلالتها على أوصاف الكمال. ولهذا لما سمع بعض العرب قارئاً يقرأ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ﴾ والله غفور رحيم [المائدة: ٣٨] قال: ليس هذا بكلام الله. فقال القارئ: أتكذِّب بكلام الله تعالى؟. فقال: لا، ولكن ليس هذا بكلام الله تعالى. فعاد إلى حفظه وقرأ: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. فقال الأعرابي: صدقت عزَّ فحكم فقطع، ولو غفر ورحم لما قطع، ولهذا إذا خُتمت آية الرحمة باسم عذاب أو بالعكس ظهر تنافر الكلام وعدم انتظامه»[1].

وقال أيضاً في «قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الإسراء: ١١٠]:

أي إنكم إنما تدعون إلهاً واحداً له الأسماء الحسنى، فأي اسم دعوتموه فإنما دعوتم المسمى بذلك الاسم، فأخبر سبحانه أنه إله واحد وإن تعددت أسماؤه الحسنى المشتقة من صفاته، ولهذا كانت حُسنى وإلا فلو كانت كما يقول الجاحدون لكماله أسماءً محضة فارغة من المعاني ليس لها حقائق لم تكن حسنى، ولكانت أسماء الموصوفين بالصفات والأفعال أحسن منها»[2].

وممن أثبت وجود علاقة بين الأسماء والصفات، وقرر أن الأسماء مشتقة من الصفات، وأن الأسماء تتضمن أوصاف الكمال: الحافظ ابن حجر. ففي شرح حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته، فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟»، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»[3].

---

(١) جلاء الأفهام (ص١٣٥، ١٣٦)، وانظر: شفاء العليل (ص٤٠٥).

(٢) الصواعق المرسلة (٣/ ٩٣٨).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٣/ ٣٤٧، ٣٤٨)، برقم (٧٣٧٥).

قال الحافظ: «قوله (لأنها صفة الرحمن) قال ابن القيم: إنما قال: إنها صفة الرحمن، لأن فيها أسماءه وصفاته، وأسماؤه مشتقة من صفاته»[1].

ثالثاً: ليس من أسماء الله تعالى اسم يتضمن الشر:

وكون أسماء الله ﷻ كلها حسنى فإنه ليس منها اسم يتضمن الشر بحال من الأحوال. **قال الإمام ابن القيم**: «إنَّ أسماءَهُ كلها حسنى ليس فيها اسم غير ذلك أصلاً، . . . وهذا يدل على أن أفعاله كلها خير محض لا شر فيها؛ لأنه لو فعل الشر لاشتق له منها اسم ولم تكن أسماؤه كلها حسنى، وهذا باطل، فالشر ليس إليه فكما لا يدخل في صفاته ولا يلحق ذاته لا يدخل في أفعاله، فالشر ليس إليه، لا يضاف إليه فعلاً ولا وصفاً، وإنما يدخل في مفعولاته. وفرق بين الفعل والمفعول فالشر قائم بمفعوله المباين له لا بفعله الذي هو فعله، فتأمل هذا فإنه خفي على كثير من المتكلمين وزلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام، وهدى الله أهل الحق لما اختلفوا فيه بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[2].

وقال أيضاً: «وإنَّ الصواب في هذا الباب ما دل عليه القرآن والسنة من أن الشر لا يضاف إلى الرب تعالى لا وصفاً ولا فعلاً، ولا يتسمى باسمه بوجه من الوجوه، وإنما يدخل في مفعولاته بطريق العموم كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق: ١ ـ ٢] فما هاهنا موصولة أو مصدرية. والمصدر بمعنى المفعول، أي من شر الذي خلقه، أو من شر مخلوقه. وقد يحذف فاعله كقوله حكاية عن مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ [الجن: ١٠]، وقد يسند إلى محله القائم به **وقول إبراهيم الخليل**: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾ [الشعراء: ٧٨ ـ ٨٠] **وقول الخضر**: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] وقال في بلوغ الغلامين ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٣/ ٣٥٦).
(٢) بدائع الفوائد، (١/ ١٨٠).

أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢] وقد جمع الأنواع الثلاثة في الفاتحة في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦ ـ ٧]، والله تعالى إنما نسب إلى نفسه الخير دون الشر فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦] وأخطأ من قال: المعنى بيدك الخير والشر لثلاثة أوجه:

أحدها: أنه ليس في اللفظ ما يدل على إرادة المحذوف، بل ترك ذكره قصداً أو بياناً أنه ليس بمراد.

الثاني: أن الذي بيد الله تعالى نوعان: فضل وعدل، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق فإنه لم يغض ما في يمينه وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع»[1]. فالفضل لإحدى اليدين والعدل للأخرى وكلاهما خير لا شر فيه بوجه.

الثالث: أن قول النبي ﷺ: «لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك» كالتفسير للآية. ففرّق بين الخير والشر وجعل أحدهما في يدي الرب سبحانه، وقطع إضافة الآخر إليه مع إثبات عموم خلقه لكل شيء»[2].

ومن ذلك ما **ذكره الإمام ابن القيم** في طريق الهجرتين عند قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] فوحّد النور الذي هو سبيله، وجمع الظلمات التي هي سبيل الشيطان، ومن فهم هذا فهم السر في إفراد النور وجمع الظلمات في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] مع أن فيه سراً ألطف من هذا يعرفه من يعرف منبع النور، ومن أين فاض وعماذا حصل وأن أصله كله

---

(١) مسند الإمام أحمد (ص٥٥٢) برقم (٧٢٩٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) شفاء العليل (٥٢٩، ٥٣٠).

واحد، وأما الظلمات فهي متعددة بتعدد الحجب المقتضية لها وهي كثيرة جداً، لكل حجاب ظلمة خاصة، ولا ترجع الظلمات إلى النور الهادي ﷻ أصلاً، لا وصفاً ولا ذاتاً ولا اسماً ولا فعلاً، وإنما ترجع إلى مفعولاته، فهو جاعل الظلمات ومفعولاتها متعددة متكثرة، بخلاف النور فإنه يرجع إلى اسمه وصفاته، تعالى أن يكون كمثله شيء وهو نور السماوات والأرض؛ قال ابن مسعود: ليس عند ربكم ليل ولا نهار، نور السماوات والأرض من نور وجهه. ذكره الدارمي[(١)] عنه، وفي صحيح مسلم **عن أبي ذر قلت**: يا رسول الله، هل رأيت ربك؟ قال: «نور، أنى أراه»[(٢)][(٣)]، ومحل الشاهد في كلامه هذا: أن الظلمات لا ترجع إلى الله تعالى لا وصفاً ولا ذاتاً ولا اسماً ولا فعلاً، وإنما تعود إلى مفعولاته. فكل مخلوق فهو مراد له وهو فعله، ووافقوا[(٤)] إخوانهم[(٥)] على أن الفعل عين المفعول والخلق نفس المخلوق، ثم قالوا: والشر مخلوق له ومفعول فهذا فعله وخلقه وواقع بإرادته[(٦)].

وكلام الإمام ابن القيم هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من أن الخير والشر من الله تعالى ولا يكون إلا بقضائه وإرادته، ولا يضاف الشر إليه

---

(١) الرد على بشر المريسي العنيد للدارمي (١/ ٣٦٣).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ١٥) برقم (١٧٨) كتاب الإيمان.

(٣) طريق الهجرتين (ص١٧٧، ١٧٨).

(٤) المتكلمون: كل من سلك المنهج الكلامي في أبواب العقيدة كالجهمية، والمعتزلة والأشاعرة ومن سلك مسلكهم ونحوهم، وقد عرف عن أهل الكلام كثرة جدلهم بالباطل، وقلة تعظيمهم لكلام الله وكلام رسوله ﷺ، بل هم من أجهل الناس بأقواله ﷺ وأحواله وبواطن أموره وظواهرها. انظر: مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٤/ ٩٥).

(٥) الاتحادية: أصحاب وحدة الوجود، القائلون بأن العالم هو الله، والله هو العالم، وذلك مبني على أصلهم الفاسد: أن الله عين هذا الوجود، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. ومن أشرّ زعمائهم: ابن عربي وابن سبعين. انظر: نقض تأسيس الجهمية للإمام ابن تيمية (٢/ ٥٢١ ـ ٥٥٧)، معجم ألفاظ الصوفية للشرقاوي (ص٢٥)، المعجم الفلسفي لجميل صليبا (٢/ ٥٦٩، ٥٧٠)، معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (ص: ١٥١).

(٦) شفاء العليل (ص٢٥٧).

بوجه من الوجوه لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله وإن كان من مقدوره، كما أن الشر المخلوق لا يضاف إلى الله مجرداً عن الخير قط وإنما يذكر على أحد وجوه ثلاثة كما قرر ذلك الإمام ابن تيمية:

الوجه الأول: إما مع إضافته إلى المخلوق، كقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢].

الوجه الثاني: وإما مع حذف الفاعل، كقول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]. ومنه في الفاتحة: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ١]. فذكر الإنعام مضافاً إليه، وذكر الغضب محذوفاً فاعله، وذكر الضلال مضافاً إلى العبد. وكذلك قوله: «وإذا مرضت فهو يشفين».

الوجه الثالث: وإما أن يدخل في العموم، كقوله: «خلق كل شيء». ولهذا إذا ذُكر باسمه الخاص قُرِن بالخير، كقوله في أسمائه الحسنى: الضار النافع - المعطي النافع - الخافض الرافع - المعز المذل. فجمع بين الاسمين لما فيه من العموم والشمول الدال على وحدانيته وأنه وحده يفعل جميع الأشياء، ولهذا لا يُدعى بأحد الاسمين: كالضار والنافع، والخافض والرافع بل يذكران جميعاً، ولهذا كلُ نعمة منه فضلاً، وكل نقمة منه عدلاً[١].

رابعاً: أسماء الله تعالى توقيفية:

لا شك أن أسماء الله الحسنى من الأمور التي ثبتت بالخبر الصادق من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فهي توقيفية؛ ذلك لأنها من قبيل الخبر عن الله، والخبر لا يثبت إلا عن طريق النصوص الصحيحة الصريحة. وقد خالف بعض المعتزلة الحق في هذا الباب، ورأوا أن العقل إذا دل على جواز تسمية الله باسم فيجب أن نسميه به، حتى لو لم يرد بذلك نص صحيح، وقد بالغ في إثبات هذا الأمر أبو علي الجبائي حتى سمى الله بأسماء ينزه الحق ﷻ عنها[٢].

---

(١) منهاج السنة للإمام ابن تيمية (٥/٤٠٩ - ٤١٠).

(٢) مقالات الإسلاميين للأشعري (٢/٢٠٧).

ونجد أن الإمام ابن القيم ينقل لنا منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته مستدلاً على ذلك بما ثبت في الكتاب والسنة فيقول: «إن ما يُطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يُطلق عليه من الإخبار لا يجب أن يكون توقيفياً، كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه. فهو فصل الخطاب في مسألة أسمائه هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع؟»[1]. والحق أن أسماء الله توقيفية لأنها من الأمور الغيبية التي يجب الوقوف فيها على ما جاء في الكتاب والسنة، فلا مجال للعقل فيها بحال؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله من الأسماء لقوله ﷺ: «لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[2]. والتسمية من الثناء، فدل على أن العقل لا مجال له في باب الأسماء إلا التصديق والوقوف عند النصوص الثابتة من الكتاب والسنة. وتسمية الله تعالى بما لم يسمِّ به نفسه، أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حق الله ﷻ؛ لأن التسمية لا تكون إلا لمن له الحق فيها ولأن تسمية المخلوق لخالقه وعدم الوقوف عند النصوص والآثار منها: قول على الله بغير علم، حتى وإن دل الفعل على جواز ذلك واستحسانه فلا تجوز التسمية إلا بورود الدليل الصحيح بذلك، وإلا كان ذلك من القول على الله بلا علم ونحن قد نُهينا عن ذلك بقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة: ١٦٨، ١٦٩].

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٧٨).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ٨٤، ٨٥)، برقم (٧٧١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قال السفاريني في منظومته:

لكنَّها في الحقِ توقيفيَّةٌ　　　لنا بذا أدلةٌ وفيَّةٌ[١]

وقال الخطابي: «ومن علم هذا الباب ـ أعني الأسماء والصفات ـ ومما يدخل في أحكامه ويتعلق به من شرائط: أنه لا يتجاوز فيها التوقيف»[٢].

وذكر البغدادي في أكثر من موضع من أصول الدين أدلة نقلية وعقلية على التوقيف، منها قوله: «الدليل على المنع من القياس في أسماء الله ﷻ، أن العبد لا يضع لمولاه اسماً كما يضع الولد لأبيه اسماً إنما يضع الأب للولد والسيد للعبد اسماً؛ لأن الله تعالى موصوف بأسماء لا يوصف بما في معناها نحو صفته بأنه جواد كريم ولا يوصف بأنه سخي»[٣]. وقوله: «وكل ما نطق به القرآن من أسمائه تعالى فجائز إطلاقه، وما خرج من هذه الأقسام فلا يجوز وصف الله ﷻ به، ومن سماه بالقياس صار من القياس في إياس»[٤].

وقوله في بيان ما يوصف به الله تعالى من فعل لا يعبر عنه باسم: «قال الله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]. ولا يقال له: ساقٍ، وقال: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٥]، ولا يقال له: مستهزئ. وقال أيضاً: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾ [التوبة: ٧٩]، ولا يقال: ساخر، وقال: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفتح: ٦]، ولا يقال: غضبان، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، ولا يقال: مصل، وقال: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [المدثر: ١٧]، ولا يقال: إنه مرهِق، وفي هذا دليل على أن مأخذ أسمائه التوقيف دون القياس»[٥].

وقد ناقش الإمام ابن تيمية هذه القضية وذكر الخلاف فيها فقال: «إنَّ المسلمين في أسماء الله تعالى على طريقتين: كثير منهم يقول إن أسماءه سمعية شرعية فلا يسمى إلا بالأسماء التي جاءت بها الشريعة، فإن هذه عبادة

---

(١) شرح العقيدة السفارينية (ص٦٤).

(٢) شأن الدعاء للخطابي (ص١١١).

(٣) أصول الدين للبغدادي (ص١١٧).

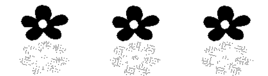
(٤) نفس المصدر والصفحة.

(٥) أصول الدين للبغدادي (ص١٢٩).

والعبادات مبناها على التوقيف والاتباع. ومنهم من يقول: ما صح معناه في اللغة، وكان معناه ثابتاً له لم يحرم تسميته به، فإن الشارع (لم)[1] يحرم علينا ذلك فيكون عفواً.

والصواب القول الثالث: وهو أن يفرق بين أن يُدعى بالأسماء، أو يخبر بها عنه، فإذا دُعي لم يدع (إلا)[2] بالأسماء الحسنى كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وأما الإخبار عنه فهو بحسب الحاجة فإذا احتيج في تفهيم الغير المراد إلى أن يترجم أسماؤه بغير العربية أو يعبر باسم له معنى صحيح لم يكن ذلك محرماً»[3]. ويذكر في موضع آخر بعد ترجمة القول الثالث: «وأما إذا احتيج إلى الإخبار عنه مثل أن يقال: ليس هو بقديم ولا موجود، ولا ذات قائمة بنفسها، وقيل: «ليس بشيء» فقيل: بل هو شيء فهذا سائغ، وإن كان لا يدعى بمثل هذه الأسماء التي ليس فيها ما يدل على المدح كقول القائل: يا شيء..»[4]

فهذا التفريق الدقيق الذي ذكره الإمام ابن تيمية بين الدعاء والإخبار هو الذي يفصل في الأمر، والمتكلمون إنما ذكروا بعض الأسماء التي لم ترد بسبب خوضهم في علم الكلام واصطلاحات الفلاسفة، فاضطروا إلى مجاراتهم، حتى لا ينفوا عن الله تعالى ما هو ثابت ولأجل أنه اصطلاح حادث.



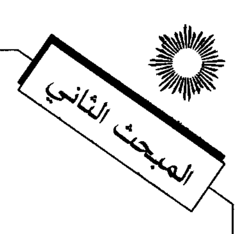
---

(١) في المطبوعة من الجواب الصحيح بدون (لم) والسياق يقتضيها.

(٢) في المطبوعة من الجواب الصحيح بدون (إلا) والسياق يقتضيها.

(٣) الجواب الصحيح للإمام ابن تيمية (٣/ ٢٠٣).

(٤) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٩/ ٣٠١)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل له، (١/ ٢٩٧، ٢٩٨)، الرد على الجهمية للإمام أحمد (ص٢٥، ٢٦)، بدائع الفوائد (١/ ١٧٨)، براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين للشيخ عبد العزيز الحميدي (ص١٨٦، ١٨٧).

إحصاء أسماء الله تعالى

ويُطلق الإحصاء في اللغة على عدة معان:

(١) أن العرب تُعبِّرُ عن كثرة الشيء وسعته بالحصى، يقال: عنده حصى من الناس أي جماعة، وقال الشاعر: «ولسنا إذا عُدَّ الحصى بأقله»[(١)]. وقال:

لكُمْ مجد الله المزوران والحصى ... لكُم قبضةُ من بين أثرىَ واقتَرا[(٢)]

(٢) أن يقال: حصيت الحصى إذا عددته وأحصيته إذا ميَّزْتَ بعضه من بعض. ومن المجاز: لم أر أكثر منهم «حَصَى» أي: عدداً، قال الأعشى:

فلستُ بالأكثر منهم حَصَى ... وإنما العِزَّةُ للكاثِر[(٣)]

(٣) الحصاة: العقل، **قال الشاعر:**

وأَنَّ لسانَ المرءِ ما لَمْ تكُنْ لَهُ ... حصاةٌ على عوراتِهِ لدليلُ[(٤)]

(٤) أن يقال: أحصيت الشيء إذا أطقته واتسعت له، وقال الله عز اسمه: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [المزمل: ٢٠].

وعن أهمية إحصاء أسماء الله تعالى نجد أن الإمام ابن القيم يشير إلى أن العلم بأسماء الله تعالى وإحصاءها أصل لسائر العلوم، بل هو أصل للعلم بكل معلوم فهي من مقتضاها ومرتبطة بها فقال: «إن العلم بأسماء الله ﷻ وإحصاؤها أصل لسائر العلوم، فمن أحصى أسماءه كما ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم؛ إذ إحصاء أسمائه سبحانه أصل لإحصاء كل معلوم»[(٥)].

---

(١) البيت للكميت. انظر: غريب الحديث لأبي عبيد (١/ ١٣٦).

(٢) صدر بيت وعجزه. وإنَّ معدّ اليوم مودٍ ذليلها.

(٣) ديوان الأعشى (ص١٩٣)، وانظر: أساس البلاغة للزمخشري (١/ ١٩٥).

(٤) البيت لطرفة بن العبد في ديوانه (ص١١٢).

(٥) بدائع الفوائد (١/ ١٨٠)

ويفيد الإمام ابن القيم أن مراتب الإحصاء لأسماء الله تعالى شاملة لثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وبالنظر إلى أقوال العلماء في تحديد معنى الإحصاء نجد أن عباراتهم مختلفة في المراد من الإحصاء، وقد حكى الخطابي هذه الأقوال فرأينا إيرادها على ما جاءت عليه لنرى مدى موافقتها لما ذكره عنها الإمام ابن القيم وهي على النحو التالي:

(١) **المراد بالإحصاء**: العدّ حتى تُستوفى حفظاً، ثم يدعى بها. واستدل القائلون بهذا القول بالرواية الثانية للحديث وهي قوله ﷺ: «من حفظها دخل الجنة» قالوا: وهذا نص في الخبر بمعنى الإحصاء أنه الحفظ؛ ومال إلى هذا القول: الإمام الخطابي[(١)]، والإمام النووي[(٢)].

(٢) **المراد بالإحصاء**: الإطاقة؛ كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ [المزمل: ٢٠] أي: لن تطيقوه، ولقوله ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا...»[(٣)] أي: لن تطيقوا وتبلغوا كل الاستقامة؛ والمعنى أن يطيق العبد الأسماء الحسنى، ويحسن المراعاة لها، وأن يعمل بمقتضاها. فإذا قال: (السميع البصير) علم أن الله يسمعه ويراه، وأنه لا تخفى عليه خافية، فيخافه في سره وعلنه، ويراقبه في كافة أحواله.

(٣) **المراد بالإحصاء**: العقل والمعرفة، تقول العرب: فلان ذو حصاة، أي: ذو عقل، ومعرفة بالأمور، قال طرفةُ بن العبد: -

وإنَّ لسان المرء ما لم تكن له حصاة على عوراته لدليل[(٤)]

---

(١) شأن الدعاء (ص٢٦)، قال: وهو أظهرها أي أظهر الأقوال وأرجحها.

(٢) الأذكار للنووي (ص٨٥)، وصحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ٥).

(٣) سنن ابن ماجه (ص٤٢) برقم (٢٧٧)، مسند الإمام أحمد (ص١٦٥٥) برقم (٢٢٧٣٧) من حديث ثوبان، وقال عبد القادر الأرناؤوط - رحمه الله - في تحقيقه جامع الأصول (٩/ ٣٩٥): حديث صحيح لطرقه.

(٤) البيت لطرفة بن العبد. انظر: ديوانه: (ص١١٢).

فيكون معناه: أَنَّ من عرفها، وعقل معانيها، وآمن بها دخل الجنة.

(٤) **المراد بالإحصاء**: قراءة القرآن كاملاً، فيكون القارئ قد استوفى الأسماء كلها في أضعاف التلاوة. فكأنه قال: من حفظ القرآن وقرأه فقد استحق دخول الجنة[(١)].

والحق في معنى الإحصاء أنه شامل لثلاثة أمور كما ذكر الإمام ابن القيم وهي كالتالي:

المرتبة الأولى: إحصاءُ ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهمُ معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤُهُ بها كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال ابن بطال ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ[(٢)]: «الإحصاء يقع بالقول؛ ويقع بالعمل؛ فالذي بالعمل أن لله أسماء يختص بها كالأحد والقدير، فيجب الإقرار بها والخضوع عندها، وله أسماء يستحب الاقتداء بها في معانيها كالكريم والعفو، فيستحب للعبد أن يتحلى بمعانيها ليؤدي حق العمل بها فبهذا يحصل الإحصاء العملي.

وأما الإحصاء القولي فيحصل بجمعها وحفظها والسؤال بها، ولو شارك المؤمن غيره في العد والحفظ، فإن المؤمن يمتاز عنه بالإيمان والعمل بها»[(٣)].

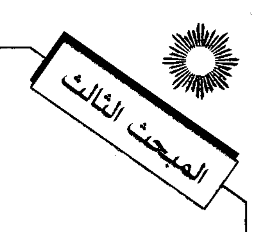
وبهذا يتبين لنا أن القول الصحيح في معنى الإحصاء أنه شاملٌ للإحصاء والفهم والدعاء، ومن قال بأن معنى الإحصاء هو الحفظ أو الإحاطة أو العقل والفهم، فإنما ذكر بعض معاني الإحصاء دون بعض، فكان كمن اكتفى من المعنى بإرادة الجزء عن الكل، والله تعالى أعلم.

---

(١) شأن الدعاء للخطابي، (ص٢٦ ـ ٢٩)، وانظر: تفسير الأسماء الحسنى للزجاج (ص٢١ ـ ٢٢)، الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٢٦).

(٢) ابن بطال هو: علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، أبو الحسن، عالم بالحديث، من أهل قرطبة، له شرح صحيح البخاري، ويعرف بابن اللحام، الإمام الحافظ المحدث توفي سنة (٤٤٩هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/ ٤٧)، الأعلام للزركلي (٤/ ٢٨٥).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر (١٣/ ٣٩٠).





دعاؤه بها سبحانه وتعالى

أولاً: الدعاء في اللغة والاصطلاح:

الدعاء في اللغة: مصدر من قولك: دعوت الشيء أدعوه دعاءً، أقاموا المصدر مقام الاسم، تقول: سمعت دُعاءً كما تقول سمعت صوتاً، أو كما تقول: اللهم اسمع دعائي، وقد يوضع المصدر موضع الاسم كقولهم: رجلٌ عدل، وهذا درهم ضرب الأمير وهذا ثوب نسيج اليمن.

وفي الاصطلاح: استدعاء العبد ربه ـ عَجَلَ ـ العناية واستمداده إياه المعونة.

وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عَجَلَ وإضافة الجود والكرم إليه(1).

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «الدعاء هو العبادة»(2).

ولم يرد هذا اللفظ في أيٍّ من أنواع العبادة الأخرى(3).

وهو نظير قوله ﷺ: «الحج عرفة»(4).

---

(1) شأن الدعاء للخطابي (ص٣، ٤)، لسان العرب لابن منظور (٤/ ٣٦٠) (دعا).

(2) سنن الترمذي (٥/ ٤٥٦)، برقم (٣٣٧٢)، كتاب الدعاء، من حديث النعمان بن بشير، وقال عنه: حسن صحيح. وانظر: سنن ابن ماجه (ص٥٤٦)، برقم (٣٨٢٨) أبواب الدعاء، عون المعبود بشرح سنن أبي داود (٤/ ٢٤٧)، برقم (١٤٧٦) باب الدعاء (٣٥٤)، مسند الإمام أحمد (ص١٣٤٠)، برقم (١٨٥٨١) مسند الكوفيين. وقال عنه الألباني: صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير (١/ ٦٤١).

(3) انظر: شرح الإحياء للزبيدي (٥/ ٤).

(4) جزء من حديث أخرجه أحمد في مسنده (ص١٣٨٦) برقم (١٩١٦٢) من حديث عبد الرحمن بن يعمر، عون المعبود بشرح سنن أبي داود (٣/ ٢٩٦)، برقم (١٩٤٧) باب=

وهذا لعظم شأنه وجلالة أمره؛ ولهذا سماه الله: «صلاةً» كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾ [التوبة: ٩٩]، أي دعوات الرسول ﷺ، وفي قوله تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾ [التوبة: ١٠٣]، أي «دعاءَك، والصلاة بمعنى الدعاء هي حقيقته اللغوية»(١).

فبان بهذا تلازم نوعي الدعاء: «دعاء العبادة»، و«دعاء المسألة» قولاً، وفعلاً، واعتقاداً فلا يصرف شيء منها إلا لله ـ تعالى ـ ومن صرف منها شيئاً لغير الله، فقد دعا غير الله، وعبد غير الله وصلى لغير الله ودان لغير الله، فيكون قد أشرك بالله ـ تعالى ـ شركاً أكبر، مخرجاً من الملة بإجماع المسلمين. ومن استقرأ آيات القرآن العظيم في التحذير من الشرك بالله تعالى، وجد أن أكثرها في التحذير من الشرك في الدعاء ومن هنا صار الدعاء من صميم الاعتقاد، وتوحيد الله في ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته، والمخالفات فيه من أمراض الشبهات المترددة بين الشرك ووسائله من البدع والمحدثات(٢).

ومن أعظم ما يُدعى به الله ويُسأل: أن يدعى بأسمائه الحسنى، ولذا فإن الله تعالى ندب العباد إلى دعائه بها فقال عز من قائل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

= من لم يدرك عرفة، سنن الترمذي (٣/ ٢٢٨)، برقم (٨٨٩) كتاب الحج، سنن النسائي (٥/ ٢٥٦)، برقم (٣٠١٦) فرض الوقوف بعرفة، سنن ابن ماجه (ص٤٣٦، ٤٣٧) برقم (٣٠١٥)، مستدرك الحاكم (٢/ ٦٧٢) برقم (٣١٥٤)، كتاب التفسير، سنن البيهقي (٥/ ١١٦) كتاب الحج، سنن الدارقطني (٢/ ٢٤١)، صحيح الجامع الصغير (١/ ٦٠٦)، وقال عنه الألباني: صحيح، وانظر: إرواء الغليل برقم (١٠٦٤) مشكاة المصابيح برقم (٢٧١٤).

(١) شرح العمدة للإمام ابن تيمية (ص٢٧ ـ ٣١)، وانظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر (١١/ ٩٤، ١٣٦، ١٣٧).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٤٣)، الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية (١/ ٤٨) وما بعدها، مقدمة الرد على المخالف للشيخ بكر أبو زيد، تصحيح الدعاء له (ص١٨، ١٩).

ومن آداب الدعاء أن يدعو الداعي بأسماء الله الحسنى قبل طلبه وسؤاله، ومن تمام الإيمان بالأسماء الحسنى أن لا يدعى الله ﷻ إلا بها[1].

وعن الدعاء بهذه الأسماء، ذكر الإمام ابن القيم أن له مرتبتين: **إحداهما**: دعاء ثناء وعبادة، **والثانية**: دعاء طلب ومسألة.

فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، كذلك لا يُسأل إلا بها. فلا يُقال: يا موجود، أو يا شيء أو يا ذات اغفر لي وارحمني، بل يُسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلاً إليه بذلك. ومن تأمل أدعية الرسل ولاسيما خاتمهم وإمامهم وجدها مطابقةً لهذا. وهذه العبارة أولى من عبارة من قال يتخلق بأسماء الله فإنها ليست بعبارة سديدة، وهي منتزعة من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله على قدر الطاقة، وأحسن منها عبارة أبي الحكم بن برهان وهي التعبد، وأحسن منها العبارة المطابقة للقرآن وهي الدعاء المتضمن للتعبد والسؤال؛ فمراتبها أربعة أشدها إنكاراً عبارة الفلاسفة وهي التشبه وأحسن منها عبارة من قال التخلق، وأحسن منها عبارة من قال التعبد، وأحسن من الجميع الدعاء وهي لفظ القرآن[2].

ونلاحظ أن الإمام ابن القيم قد أنكر قولة: «التخلق بأسماء الله» وذكر أن هذا اللفظ منتزع من أقوال الفلاسفة «بالتشبه بالإله على قدر الطاقة» وذلك أن هذه العبارة منكرة وغير سديدة لعدة أمور:

أولاً: أن صفات الله لا يجوز أن يقال فيها: أخلاق الله، بل الأخلاق للإنسان أما فيما يتعلق بالله فيقال: صفاته.

ثانياً: أن الفلاسفة متناقضون، فتحقيق مذاهبهم نفي الصفات عن الله ﷻ فكيف يدعون إلى التشبه بصفات الله وهم ينفونها عن الله.

---

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة للإمام ابن تيمية (ص١٠٨)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل له (١/ ٢٩٧)، تفسير كلام المنان للسعدي (٣/ ١٢١)، (٥/ ١٤٥).

(٢) بدائع الفوائد، (١/ ١٨١)، وانظر: مدارج السالكين (٣/ ٢٥١، ٢٥٢)، لوامع الأنوار للسفاريني (ص ١٢٧).

ثالثاً: وعلى فرض أن من قال هذه المقالة يثبت صفات الباري، فإن من صفاته ما جاءت النصوص مانعة من إطلاقه على العباد، فقد نهانا الحق عن الإتصاف بالكبر والعظمة، فالله وحده المتكبر العظيم. والصواب أن يقال: إن علينا أن نتخلق بالأخلاق التي أمرنا الله ورسوله التخلق بها، ونبتعد عن الأخلاق التي نُهينا عن التخلق بها، فقد أمرنا الله بالتخلق بصفة الرحمة، والصدق والعلم، والله متصف بهذه الصفات، ونهينا عن التخلق بأخلاق الكبر والعظمة، وهذه من صفات الله. كما نهينا عن التخلق بالكذب والغيبة والنميمة وهذه ليست من صفات الله[1].

وقول الإمام ابن القيم: «بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب فيكون السائل متوسلاً إليه بذلك»، هذا القول منه رحمه الله ذكره في مكان آخر كما سنراه متصلاً في معرض كلامه على الصلاة على النبي ﷺ حيث قال: فإن الصلاة عليه هي نوع حمد له وتمجيد، هذا حقيقتها، فذكر في هذا المطلوب الاسمين المناسبين له، هما أسماء الحميد والمجيد، وهذا كما تقدم أن الداعي يشرع له أن يختم دعاءه باسم من الأسماء الحسنى مناسب لمطلوبه، أو يفتتح دعاءه به، وتقدم أن هذا من قوله: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠]. **قال سليمان عليه الصلاة والسلام** في دعائه ربه: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥] وقال الخليل وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام في دعائهما: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨] وكان النبي ﷺ يقول: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور» مائة مرة في مجلسه[2].

---

(١) الأسماء والصفات للأشقر (ص٣٨، ٣٩).

(٢) المسند الإمام أحمد (٦/٣٢٨) برقم (٤٧٢٦) عن ابن عمر، البخاري في «الأدب المفرد» (ص٢١٧) برقم (٦١٨)، وانظر: عون المعبود بشرح سنن أبي داود (٢/٢٦٦) برقم (١٥١٣) الوتر، سنن الترمذي (٥/ ٤٩٤، ٤٩٥) برقم (٣٤٣٤) كتاب الدعوات، سنن ابن ماجه (ص٥٤٥) برقم (٣٨١٤) باب الاستغفار، صحيح الأدب=

وقال لعائشة رضي الله عنها ـ وقد سألته:

«**إن وافقت ليلة القدر ما أدعو به؟ قال**: قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني». وقال للصديق رضي الله عنه وقد سأله أن يعلمه دعاء يدعو به في صلاته، قال: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت؛ فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم»، وهذا كثير قد ذكرناه في كتاب الروح والنفس. وما قاله الناس في قولة المسيح ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] ولم يقل الغفور الرحيم[1]. وفي هذا ما يدل على أن لا يُسأل الله تعالى في كل مطلوب إلا بما يقتضي ذلك المطلوب من أسمائه تعالى؛ لمناسبة كل اسم بما ذكر معه واقترن به. **وقال في المدارج**: «ومن هاهنا كان قول المسيح عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أحسن من أن يقول: إن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم، أي: إن غفرت لهم كان مصدر مغفرتك عن عزة وهي كمال القدرة، وعن حكمة وهي كمال العلم، فمن غفر عن عجز وجهل بجرم الجاني لا يكون قادراً حكيماً عليماً، بل لا يكون ذلك إلا عجزاً، فأنت لا تغفر إلا عن قدرة تامة وعلم تام، وحكمة تضع بها الأشياء مواضعها. فهذا أحسن من ذكر «الغفور الرحيم» في هذا الموضع الدال ذكره على التعريض بطلب المغفرة في غير حينها، وقد فاتت، فإنه لو قال: وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم، كان في هذا من الاستعطاف والتعريض بطلب المغفرة لمن لا يستحقها ـ ما ينزه عنه ـ منصب المسيح عليه السلام، لاسيما والموقف موقف عظمة وجلال، وموقف انتقام ممن جعل لله ولداً، واتخذه إلهاً من دونه، فذكره العزة والحكمة فيه أليق من ذكر الرحمة والمغفرة، وهذا بخلاف قول الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٥ ـ ٣٦] ولم يقل: فإنك عزيز حكيم لأن

= المفرد للألباني (ص:٢٣١) برقم (٦١٨/٤٨١) عن ابن عمر، وقال عنه: صحيح، وانظر: السلسلة الصحيحة له برقم (٥٥٦).

(١) جلاء الأفهام (ص٤٥٠ ـ ٤٥٢).

المقام مقام استعطاف وتعريض بالدعاء، أي إن تغفر لهم وترحمهم، بأن توفقهم للرجوع من الشرك إلى التوحيد، ومن المعصية إلى الطاعة، كما في الحديث: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». وفي هذا أظهر الدلالة على أن أسماء الرب تعالى مشتقة من أوصاف ومعاني ما قضى به، وأن كل اسم يناسب ما ذكر معه، واقترن به من فعله وأمره[(١)].

والدعاء بها يتناول دعاء المسألة، ودعاء الثناء، ودعاء التعبد. وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويثنوا عليه بها ويأخذوا بحظهم من عبوديتها، وهو سبحانه يحب موجب أسمائه وصفاته، فهو «عليم» يحب كل عليم، «جواد» يحب كل جواد، «وتر» يحب الوتر، «جميل» يحب الجمال، «عفو» يحب العفو وأهله، «حيي» يحب الحياء وأهله، «برٌّ» يحب الأبرار، «شكور» يحب الشاكرين، «صبور» يحب الصابرين، «حليم» يحب أهل الحلم، فلمحبته سبحانه للتوبة والمغفرة، والعفو والصفح خلق من يغفر له، ويتوب عليه، ويعفو عنه[(٢)].

وينبه **الإمام ابن القيم** إلى مقام الكمّل من المؤمنين في باب التعبد لله بأسمائه وصفاته، فيقول: «وأكمل الناس عبودية: المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، كمن يحجبه التعبد باسمه (القدير) عن التعبد باسمه (الحليم الرحيم)، أو يحجبه عبودية اسمه (المعطي) عن عبودية اسمه (المانع)، أو عبودية اسمه (الرحيم والعفو والغفور) عن اسمه (المنتقم)[(٣)] أو التعبد بأسماء التودد، والبر، واللطف، والإحسان، عن أسماء العدل، والجبروت، والعظمة، والكبرياء، ونحو ذلك[(٤)].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٦).
(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٥٢، ٤٥٣).
(٣) المنتقم: ليس من أسماء الله الحسنى، وإنما جاء هنا إخباراً عنه سبحانه وتعالى.
(٤) مدارج السالكين (١/ ٤٢٠).

أنظر قناة التيلغرام 👇

(تحميل كتب ورسائل علمية)





تحميل كتب و رسائل علمية

channel publik

Info

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

Tautan Undangan

الفصل الخامس

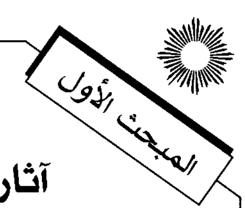
آثار الأسماء الحسنى ومقتضياتها

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: آثار الأسماء الحسنى في الخلق والأمر.

المبحث الثاني: آثار الأسماء الحسنى في العبودية.





آثار الأسماء الحسنى في الخلق والأمر[1]

والأثر في اللغة: بقيَّة ما يُرى من كل شيء وما لا يرى بعد أن تبقى فيه علقة.

قال الخليل: أثر السيف ضَرْبته. وتقول: «من يشتري سيفي وهذا أثره»[2].

وفي الاصطلاح له ثلاثة معان:

الأول: بمعنى: النتيجة، وهو الحاصل من الشيء.

والثاني: بمعنى العلاقة.

والثالث: بمعنى الجُزء[3].

وكلا المعنيين الأول والثاني أقرب إلى مراد الإمام ابن القيم حيث قال فيه: «إنَّ مِنْ فهم معاني الأسماء الحسنى الإيمان بآثارها ومقتضياتها، وذلك يتضمن الإيمان بأن للأسماء الحسنى آثاراً في الخلق والأمر تقتضيها اقتضاء الأسباب لمسبباتها، بل لكل اسم من أسمائه ـ جل وعلا ـ أثر من الآثار في

---

(١) اعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الخلق غير الأمر، وأن الفعل غير المفعول، فالفعل صفة لله والمفعول هو المخلوق، والأمر تنشأ عنه المأمورات والشرائع، والخلق تنشأ عنه المخلوقات كلها، وهذا القول الحق الموافق لما دل عليه القرآن، ولما هو معقول عند أولي الألباب.
أما «الجهمية» ومن تبعهم من المتكلمين فحيث كان أصل قولهم أن الفعل عين المفعول سووا بين الخلق والأمر، وهذا قول متناقض باطل مخالف للنقل بالعقل فكيف يثبتون فرعاً بلا أصل؟ وهل هذا إلا مبطل للفرع والأصل؟. انظر: توضيح الكافية لابن سعدي (ص٦٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٥٤)، (أثر).

(٣) التعريفات للجرجاني (ص٢٣).

الخلق والأمر لابد من ترتبه عليه، كترتب المرحوم وأسباب الرحمة على الراحم، وترتب المرزوق والرزق على الرازق، وترتب المرئيات والمسموعات على السميع والبصير، ونظائر ذلك في جميع الأسماء، بل كما يقول الإمام ابن القيم: «من كان له نصيب من معرفة أسمائه الحسنى واستقرأ آثارها في الخلق والأمر، رأى الخلق والأمر منتظمين بها أكمل نظام، ورأى سريان آثارها فيهما»[1].

ومما قاله في البدائع: «إن العلم بالأسماء الحسنى أصل للعلم بكل معلوم؛ فإن المعلومات إما أن تكون خلقاً له تعالى أو أمراً، إما علم بما كوّنه، أو علم بما شرعه، ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى، وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه»[2].

وقد نظم هذه المعاني في النونية فقال:

أَسمَاؤهُ دلَّت على أوصافِهِ ... مشتقةٌ منها اشتقاقَ معانِ

وصِفاتهُ دلَّت على أسمائِهِ ... والفعلُ مرتبطٌ بهِ الأمرانِ

والحكم نسبتها إلى متعلقا ... ت تقتضي آثارها ببيان[3]

وعن أثر هذه الأسماء في الخلق والأمر نجد أن الإمام ابن القيم يقول: «وأنت إذا فرضت الحيوان بجملته معدوماً؛ فمن يرزق الرازق سبحانه؟ وإذا فرضت المعصية والخطيئة منتفية عن العالم فلمن يغفر؟ وعمَّن يعفو؟ وعلى من يتوب ويحلم؟ وإذا فرضت الفاقات سُدَّت، والعبيد أغنياء مُعافون، فأين السؤال والتضرع والابتهال، والإجابة، وشهود الفضل والمنة، والتخصيص بالإنعام والإكرام؟»[4].

ويزيد هذه المسألة بياناً قائلاً: «فلو لم يكن في عباده من يخطئ ويُذنب ليتوب عليه ويغفر له ويعفو عنه لن يظهر أثر أسمائه الغفور والعفو والحليم والتواب وما جرى مجراها، وظهور أثر هذه الأسماء ومتعلقاتها في الخليقة

---

(1) طريق الهجرتين (ص١٣٠).
(2) بدائع الفوائد (١/ ١٧٩).
(3) النونية (ص١٢٠).
(4) مدارج السالكين (١/ ٢٠٨).

كظهور آثار سائر الأسماء الحسنى ومتعلقاتها؛ فكما أن اسمه الخالق يقتضي مخلوقاً، والبارئ يقتضي مبروءاً، والمصور يقتضي مُصوَّراً ولا بد، فأسماؤه الغفار التواب يقتضي مغفوراً له وما يغفره له، وكذلك من يتوبُ عليه، وأموراً يتوب عليه من أجلها، ومن يحلم عنه، ويعفو عنه، وما يكون متعلق بالحليم والعفو؛ فإن هذه الأمور متعلقة بالغير، ومعانيها مُستلزمةٌ لمتعلقاتها، وهذا باب أوسع من أن يُدرك، واللبيب يكتفي منه باليسير وغليظ الحجاب في وادٍ ونحن في واد.

وإن كان أثل الواد يجمع بيننا فغيرُ خفيٍّ شيحه من خُزامه

فتأمل ظهور هذين الاسمين ـ اسم الرزاق واسم الغفار ـ في الخليقة ترى ما يُعجب العقول، وتأمل آثارهما حق التأمل في أعظم مجامع الخليقة، وانظر كيف وسعهم رزقه ومغفرته، ولولا ذلك لما كان له من قيام أصلاً فلكل منهم نصيبٌ من الرزق والمغفرة؛ فإما متصلاً بنشأته الثانية، وإما مختصاً بهذه النشأة»(1).

وعن اسمَي الأول والآخر وارتباطهما، وظهور أثرهما في توبة العبد بعد ارتكاب الذنب قال الإمام ابن القيم: «وتوبة العبد إلى الله محفوفة بتوبة من الله عليه قبلها وتوبة منه بعدها، فتوبته بين توبتين من ربه، سابقة ولاحقة، فإنه تاب عليه أولاً إذناً وتوفيقاً وإلهاماً، فتاب العبد، فتاب عليه ثانياً، قبولاً وإثابةً، قال الله ﷻ: ﴿لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة: ١١٧، ١١٨] فأخبر سبحانه أن توبته عليهم سبقت توبتهم، وأنها هي التي جعلتهم تائبين، فكانت سبباً مقتضياً لتوبتهم، فدل على أنهم ما تابوا حتى تاب الله عليهم، والحكم ينتفي لانتفاء

---

(1) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٦١، ٢٦٢).

عِلِّيَّتِه، ونظير هذا: هدايته لعبده قبل الإهتداء؛ فإن من ثواب الهدى: الهدى بعده، كما أن من عقوبة الضلالة: الضلالَةُ بعدها، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧] فهداهم أولاً فاهتدوا، فزادهم هُدىً ثاني، وعكسه في أهل الزيغ كقوله تعالى ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥] فهذه الإزاغة الثانية عقوبة لهم على زيغهم، وهذا القدر من سر اسمية الأول والآخر فهو المُعِدُّ، وهو الممد، ومنه السبب والمسبب، وهو الذي يعيذ من نفسه بنفسه، كما قال أعرف الخلق به: «وأعوذ بك منك» والعبد تواب، والله تواب، فتوبة العبد: رجوعه إلى سيده بعد الإباق، وتوبة الله نوعان: إذن وتوفيق، وقبول وإمداد»(١).

وعن ارتباط الخلق والأمر باسم «الله» و«الرب» و«الرحمن» تكلم كلاماً نفيساً رَحِمَهُ اللهُ حيث قال: «وتأمل ارتباط الخلق والأمر بهذه الأسماء الثلاثة وهي: «الله، والرب، والرحمن» كيف نشأ عنها الخلق والأمر والثواب والعقاب؟ وكيف جمعت الخلق وفرقتهم؟ فلها الجمع، ولها الفرق. فاسم «الرب» له الجمع الجامع لجميع المخلوقات، فهو رب كل شيء وخالقه، والقادر عليه لا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السماوات والأرض عبدٌ له في قبضته وتحت قهره؛ فاجتمعوا بصفة الربوبية، وافترقوا بصفة الإلهية، فألّهه وحده السعداء، وأقروا له طوعاً بأنه الله الذي لا إله إلا هو الذي لا تنبغي العبادة والتوكل، والرجاء، والخوف، والحب والإنابة، والإخبات والخشية، والتذلل والخضوع إلا له.

وهنا افترق الناس، وصاروا فريقين: فريقاً مشركين في السعير، وفريقاً موحدين في الجنة؛ فالإلهية هي التي فرقتهم. كما أن الربوبية هي التي جمعتهم، فالدين والشرع والأمر والنهي ـ مظهره وقيامه ـ: من صفة الإلهية، والخلق والإيجاد والتدبير والعقل: صفة من صفات الربوبية، والجزاء بالثواب والعقاب والجنة والنار: من صفة الملك وهو ملك يوم الدين، فأمرهم بإلاهيته، وأعانهم ووفقهم وهداهم وأضلهم بربوبيته وأثابهم وعاقبهم بملكه

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٣٩، ٣٤٠).

وعدله، وكل واحد من هذه الأمور لا تنفك عن الأخرى، وأما الرحمة: فهي التعلق والسبب الذي بين الله وبين عباده، فالتأليه منهم له، والربوبية منه لهم، والرحمة سبب واصل بينه وبين عباده بها أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبها هداهم، وبها أسكنهم دار ثوابه، وبها رزقهم وعافاهم وأنعم عليهم، فبينهم وبينه سبب العبودية وبينه وبينهم سبب الرحمة، واقتران ربوبيته برحمته كاقتران استوائه على عرشه برحمته ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] مطابق لقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ فإن شمول الربوبية وسعتها بحيث لا يخرج شيء عنها أقصى شمول الرحمة وسعتها؛ فوسع كل شيء برحمته وربوبيته، مع أن في كونه رباً للعالمين ما يدل على علوه على خلقه، وكونه فوق كل شيء»[1].

ولا يستريب عاقل أن مقصود **الإمام ابن القيم** من هذه الآثار وهذه الأسباب التي خلقها الله «أنها من لوازم كماله وملكه، وقدرته، وحكمته، فظهور تأثيرها وأحكامها في عالم الشهادة: تحقيق لذلك الكمال، وموجب من موجباته - ولا يعني هذا أنها كانت معطله قبل إيجاد الخلق - فتعمير مراتب الغيب والشهادة بأحكام الصفات من آثار الكمال الإلهي المطلق بجميع وجوهه وأقسامه وغاياته»[2].

«فمن كمال ظهور آثار أسمائه وصفاته ظهور كماله المقدس، وإن كان لم يزل كاملاً فمن كماله ظهور آثار كماله في خلقه وأمره، وقضائه وقدره، ووعده ووعيده، ومنعه وإعطائه، وإكرامه وإهانته، وعدله وفضله، وعفوه وإنعامه، وسعة حلمه وشدة بطشه، وقد اقتضى كماله المقدس سبحانه أنه كل يوم هو في شأن، فمن جملة شؤونه أن يغفر ذنباً، ويفرج كرباً، ويشفي مريضاً، ويفك عانياً، وينصر مظلوماً ويغيث ملهوفاً، ويجبر كسيراً، ويغني فقيراً، ويجيب دعوة، ويقيل عثرة، ويعز ذليلاً ويذل متكبراً، ويقصم جباراً، ويميت ويحيي، ويُضحك ويُبكي، ويخفض ويرفع، ويعطي ويمنع...».

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٣، ٤٤).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٢٠٧).

إلى أن قال: «فتعطيل أسمائه وصفاته ممتنع ومستحيل، وهو تعطيل لربوبيته وإلهيته وملكه وعزه وحكمته، فمن فتح له باب من الفقه في أحكام الأسماء والصفات، وعلم اختصاصها لآثارها ومتعلقاتها واستحالة تعطيلها، علم أن الأمر كما أخبرت به الرسل وأنه لا يجوز عليه سبحانه ولا ينبغي له غيره، وأنه منزه عن خلاف ذلك كما ينزه عن سائر العيوب والنقائص، وهذا باب عزيز من أبواب الإيمان فيفتحه الله على من يشاء من عباده ويحرمه من يشاء»[1].

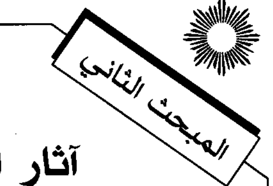
وهذا الذي قرره **الإمام ابن القيم** هو عين ما **أورده الإمام ابن تيمية** في هذه المسألة، بل ونقل إجماع السلف عليها ـ رحمهم الله ـ عند رده على نفاة أفعال الله الاختيارية، فقال: «ومن تأمل نصوص الكتاب والسنة وجدها في غاية الإحكام والإتقان وأنها مشتملة على التقديس لله عن كل نقص، والإثبات لكل كماله وأنه تعالى ليس له كمال ينتظر، بحيث يكون قبله ناقصاً، بل من الكمال: أنه يفعل ما يفعله بعد أن لم يكن فاعله»[2]. فالسمع ـ ويدخل فيه الإجماع ـ: لم ينف أفعال الله الاختيارية، وإنما نفى ما يناقض صفات الكمال؛ كالموت المنافي للحياة، والسِنة والنوم المنافي للقيومية، واللغوب المنافي لكمال القدرة[3].

وهكذا فإن السلف قاطبة على إثبات ما ذهب إليه الإمام ابن القيم حول أفعال الله الاختيارية وأدلة ذلك من القرآن الكريم، والسنة المطهرة أكثر من أن تحصى.



---

(١) انظر: شفاء العليل (ص٤٧٧ ـ ٤٧٩).
(٢) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (١١/ ٣٦١).
(٣) درء تعارض العقل والنقل (٤/ ٦).





آثار الأسماء الحسنى في العبودية

والمقصود بالأثر في كلام الشيخ هو ثمرة العبادة التي يجدها العبد عندما يقوم بموجبها من العلم والمعرفة، وذلك أن لكل صفة من صفات الله تعالى عبودية خاصة بها، فمتى ما تعلمها العبد وأتى بموجبها من العمل تحقق له مراده منها، وأثمرت له أنواعاً من العبودية الظاهرة والباطنة، بحسب معرفته وعلمه[1].

قال الإمام ابن القيم: «والأسماء الحسنى والصفات العُلى مقتضية لآثارها من العبودية والأمر اقتضاؤها لآثارها من الخلق والتكوين، فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها ـ أعني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها ـ وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي تقع على القلب والجوارح:

(١) فعلمُ العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة تثمر له عبودية التوكل عليه باطناً، ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً.

(٢) علمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات والأرض، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يُرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه فيثمر له ذلك الحياء باطناً، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح. ومعرفة غناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه.

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٥١٠) وانظر: طريق الهجرتين (ص١٢٢) بتصرف.

(٣) وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزته تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعاً من العبودية الظاهرة هي موجباتها، وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العُلى يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية، فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات، وارتبطت بها ارتباط الخلق بها. فخلقه سبحانه وأمره هو موجب أسمائه وصفاته في العلم وآثارها ومقتضاها؛ لأنه لا يتزين من عباده بطاعتهم، ولا تشينه معصيتهم. وتأمل قوله ﷺ في الحديث الصحيح[1] الذي يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضُري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني» ذكر هذا عقب قوله: «يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم». فتضمن ذلك أن ما يفعله تعالى بهم في غفران زلاتهم وإجابة دعواتهم، وتفريج كرباتهم ليس لجلب منفعة منهم ولا لدفع مضرة يتوقعها منهم؛ كما هو عادة المخلوق الذي ينفع غيره ليكافئه بنفع مثله، أو ليدفع عنه ضرراً، فالرب تعالى لم يُحسن إلى عباده ليكافئوه، ولا ليدفعوا عنه ضرراً، فقال: «لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضري فتضروني»، إني لست إذا هديتُ مستهديكم، وأطعمت مستطعمكم، وكسوت مستكسيكم وأرويت مستسقيكم، وكفيت مستكفيكم، وغفرت لمستغفركم؛ بالذي أطلب منكم أن تنفعوني، أو تدفعوا عني ضرراً، فإنكم لن تبلغوا ذلك وأنا الغني الحميد، كيف والخلق عاجزون عما يقدرون عليه، من الأفعال إلا بإقداره وتيسيره وخلقه، فكيف بما لا يقدرون عليه، فكيف يبلغون نفع الغني الصمد الذي يمتنع في حقه أن يستجلب من غيره نفعاً، أو يستدفع منه ضرراً، بل ذلك مستحيل في حقه؟!.

ثم ذكر بعد هذا قوله: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، ولو أن

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، (١٦/ ١٩٩)، برقم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة، وهو قطعة من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً»؛ فيبيّن سبحانه أن ما أمرهم به من الطاعات وما نهاهم عنه من السيئات لا يتضمن استجلاب نفعهم، ولا استدفاع ضررهم كأمر السيد عبده، والوالد ولده، والإمام رعيته بما ينفع الآمر والمأمور، ونهيهم عما يضر الناهي والمنهي، فبيّن تعالى أنه المنـزه عن لحوق نفعهم وضرهم به في إحسانه إليهم بما يفعله بهم وبما يأمرهم به، ولهذا لما ذكر الأصلين بعد هذا، وأن تقواهم وفجورهم الذي هو طاعتهم ومعصيتهم لا يزيد في ملكه شيئاً، ولا ينقصه، وأن نسبة ما يسألونه كلهم إياه؛ فيعطيهم إلى ما عنده كَلَا نِسبةٍ، فتضمن ذلك أنه لم يأمرهم ولم يحسن إليهم بإجابة الدعوات، وغفر الزلات، وتفريج الكربات لاستجلاب منفعة، ولا لاستدفاع مضرة، وأنهم لو أطاعوه كلهم لم يزيدوا في ملكه شيئاً، ولو عصوه كلهم لم ينقصوا من ملكه شيئاً، وأنه الغني الحميد. ومن كان هكذا فإنه لا يتزيد بطاعة عباده وأمرهم ونهيهم ما يقتضيه ملكه التام وحمده وحكمته، ولو لم يكن في ذلك إلا أنه يستوجب من عباده شكر نعمه التي لا تُحصى، بحسب قواهم وطاقتهم، لا بحسب ما ينبغي له، فإنه أعظم وأجلّ من أن يقدر خلقه عليه، ولكنه سبحانه يرضى من عباده بما تسمح به طبائعهم وقواهم، فلا شيء أحسن في العقول والفطر من شكر المنعم، ولا أنفع للعبد منه»[1].

ويضرب الإمام ابن القيم مثالاً على الآثار المترتبة على عبودية الله تعالى باسمَي الأول والآخر قائلاً: «فعبوديته باسمه الأول تقتضي التجرد عن مطالعة الأسباب، والوقوف أو الالتفات إليها، وتجريد النظر إلى مجرد سبق فضله ورحمته، وأنه هو المبتدئ بالإحسان من غير وسيلة من العبد، إذ لا وسيلة له في العدم قبل وجوده، وأي وسيلة كانت هناك، إنما هو عدم محض، وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، فمنه سبحانه الإعداد، ومنه الإمداد، وفضله سابق على الوسائل، والوسائل من مجرد فضله، وَجوده، لم تكن بوسائل أخرى.

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٥١٠ ـ ٥١٣).

فمن نزّل اسمه الأول على هذا المعنى أوجب له فقراً خاصاً وعبودية خاصة، وعبوديته باسمه الآخر تقتضي أيضاً عدم ركونه ووقوفه بالأسباب والوقوف معها، فإنها تنعدم لا محالة وتنقضي بالآخرية، ويبقى الدائم الباقي بعدها، فالتعلق بها تعلق بما يعدم وينقضي، والتعلق بالآخر سبحانه تعلق بالحي الذي لا يموت ولا يزول، فالمتعلق به حقيق ألا يزول ولا ينقطع بخلاف التعلق بغيره مما له آخر يغنى به، كذا نظر العارف إليه بسبق الأولية، حيث كان قبل الأسباب كلها، وكذلك نظره إليه ببقاء الآخرية حيث يبقى بعد الأسباب كلها، فكان الله ولم يكن شيء غيره، وكل شيء هالك إلا وجهه، فتأمل عبودية هذين الاسمين وما يوجبانه من صحة الاضطرار إلى الله وحده، ودوام الفقر إليه دون كل شيء سواه، وأن الأمر ابتدأ منه وإليه يرجع، فهو المبتدئ بالفضل حيث لا سبب ولا وسيلة وإليه تنتهي الأسباب والوسائل، فهو أول كل شيء وآخره، وكما أنه رب كل شيء وفاعله وخالقه وبارئه، فهو الحق وغايته التي لا صلاح له ولا فلاح ولا كمال إلا بأن يكون وحده غايته ونهايته ومقصوده، فهو الأول الذي ابتدأت منه المخلوقات، والآخر الذي انتهت إليه عبودياتها وإرادتها ومحبتها، فليس وراء الله شيء يُقصد ويُعبَد ويُتألَّه، كما أنه ليس قبله شيء يخلق ويبرأ»[1].

وللتعبد بهذين الاسمين «الأول والآخر» يرى الإمام ابن القيم أن لهما رتبتين:

الرتبة الأولى: أن تشهد الأولية منه تعالى في كل شيء والآخرية بعد كل شيء، والعلو والفوقية فوق كل شيء، والقرب والدنو دون كل شيء فالمخلوق يحجبه مثله عما هو دونه فيصير الحاجب بينه وبين المحجوب، والرب ﷻ ليس دونه شيء أقرب إلى الخلق منه.

والرتبة الثانية من التعبد: أن يعامل كل اسم بمقتضاه؛ فيعامل سبقه تعالى بأوليته لكل شيء وسبقه بفضله وإحسانه، الأسباب كلها بما يقتضيه ذلك

(١) طريق الهجرتين (ص١٩، ٢٠).

من إفراده وعدم الالتفات إلى غيره والوثوق بسواه والتوكل على غيره، فمن ذا الذي شفع لك في الأزل حيث لم تكن شيئاً مذكوراً حتى سمَّاكَ باسم الإسلام، ووسمك بِسِمَةِ الإيمان، وجعلك من أهل قبضة اليمين، وأقطعك في ذلك الغيب عمالات المؤمنين، فعصمك عن العبادة للعبيد، وأعتقك من التزام الرق لمن له شكل ونديد، ثم وجه وجهة قلبك إليه سبحانه دون ما سواه[1].

وعن سر العبودية وغايتها وحكمتها قال: «إنما يَطَّلِعُ عليها من عرف صفات الرب ﷻ ولم يعطلها، وعرف معنى الإلهية وحقيقتها، ومعنى كونه إلهاً. بل هو الإله الحق، وكل إله سواه فباطل، بل أبطل الباطل، وأن حقيقة الإلهية لا تنبغي إلا له، وأن العبادة موجب إلهيته وأثرها ومقتضاها وارتباطها بها كارتباط متعلق الصفات بالصفات، وكارتباط المعلوم بالعلم والمقدور بالقدرة، والأصوات بالسمع، والإحسان بالرحمة، والعطاء بالجود»[2].

ويذكر الإمام ابن القيم «أنَّ أعرف الناس بأسماء الله وصفاته أشدهم حباً له، فكل اسم من أسمائه وصفاته تستدعي محبة خاصة، فإن أسماءه كلها حسنى وهي مشتقة من صفاته، وأفعاله دالة عليها، فهو المحبوب المحمود على كل ما فعل وعلى كل ما أمر إذ ليس في أفعاله عبث، وليس في أوامره سفه، بل أفعاله كلها لا تخرج عن الحكمة والمصلحة، والعدل، والفضل، والرحمة، وكل واحد من ذلك يستوجب الحمد والثناء والمحبة عليه، ولا يتصور نشر هذا المقام حق تصوره فضلاً عن أن يوفاه حقه، فأعرف خلقه به وأحبهم له ﷺ يقول: «لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك» ولو شهد بقلبه صفة واحدة من أوصاف كماله لاستدعت منه المحبة التامة عليها[3].

وبالنظر والتأمل في أجزاء هذا الفصل يتضح لنا عدة أمور أوردها الإمام ابن القيم وهي لا تخرج عما ذهب إليه أئمة أهل السنة والجماعة، بل هي أصل فيما ذهبوا إليه من أنه لا بد في الأسماء الحسنى من أركان ثلاثة: وهي

---

(١) طريق الهجرتين (ص٢٤، ٢٥).
(٢) مدارج السالكين (١/ ١١٠).
(٣) نفس المصدر (ص١٢٧).

الإيمان بالاسم، وبما دل عليه من المعنى، وبما تعلق به من الآثار. وهذه الأمور جاءت على النحو التالي:

أولاً: أن الأسماء والصفات مقتضية لآثارها من العبودية اقتضاءها لآثارها من الخلق والتكوين، فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها تعنى من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها.

ثانياً: أن مذهب السلف الصالح قائم على الإيمان بأسماء الله وصفاته، وبما دلت عليه من المعاني، وبما تعلقت به من الآثار والأحكام[1].

ثالثاً: أن الوجود خلقاً وأمراً يتعلق بأسماء الله وصفاته، وإن كان العلم بما فيه من بعض أثارها ومقتضياتها؛ إذا عرفت هذا فمن أسمائه الغفار والتواب والعفو فلا بد لهذه الأسماء من متعلقات ولا بد من جناية تغفر، وتوبة تقبل، وجرائم يُعفى عنها[2].

رابعاً: «أن ظهور أحكامها وآثارها لابد منه إذ هو من مقتضى الكمال المقدس والملك التام، وإذا أعطيت اسم المَلِك حقه ـ ولن تستطيع ـ علمت أن الخلق والأمر والثواب والعقاب، والعطاء والحرمان أمر لازم لصفة المُلْك، وأن صفة المُلْك تقتضي ذلك ولا بد، وأن تعطيل هذه الصفة أمر ممتنع. فالملك الحق مقتضي إرسال الرسل وإنزال الكتب وأمر العباد ونهيهم وثوابهم وعقابهم»[3].

خامساً: أن لكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها. من عرفها أثمرت له أنواعاً من العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه[4]

سادساً: من مقتضيات العبودية لله بأسمائه الحسنى التجرد عن مطالعة الأسباب، والوقوف أو الالتفات إليها، وتجريد النظر إلى مجرد سبق فضله

---

(١) مفتاح دار السعادة (٣/ ٥١٠)، وانظر: الكواشف الجلية للسلمان (ص٤٢٥)، طريق الوصول إلى العلم المأمول لابن سعدي (ص٣٤٩).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤١٧ ـ ٤١٩). (٣) التبيان في أقسام القرآن (ص٥٠).

(٤) مفتاح دار السعادة (٢/ ٥١٠) وما بعدها، وانظر: طريق الهجرتين (ص١٢٢).

ورحمته، وأنه هو المبتدئ بالإحسان والإنعام عليه من غير وسيلة من العبد.

سابعاً: أن العبادة موجب إلهيته وأثرها ومقتضاها، وارتباطها بها كارتباط متعلق الصفات بالصفات، وأعظم الناس سعادة أعظمهم عبودية لله.

ومما تجدر الإشارة إليه في خاتمة هذا الفصل: أَنَّ معرفة هذه الآثار على التفصيل لا تجب على كل أحد بل كلٌ بحسبه، فيجب على العالم ما لا يجب على غيره، ولا يعني هذا أيضاً أن تُعرَفْ كل آثار أسماء الله تبارك وتعالى لأن هذا مُحال على البشر معرفته، وليس في مقدورهم الإحاطة به علماً، لأنه قد منع من ذلك فقال ﷻ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. كما تجدر الإشارة إلى أن ما أوردناه عن الإمام ابن القيم من الآثار المتعلقة بأسماء الله الحسنى في بابي العبودية والخلق والأمر إنما هو غيض من فيض، ولا شك أن الإمام ابن القيم قد حاز قصب السبق في معرفة هذا الأصل وفهمه وتدوينه نظماً ونثراً في مؤلفاته العظيمة النافعة ولا غرو في ذلك فهو الذي قال في إحدى إشاراته لهذه المسألة: وهذه الإشارة تكفي اللبيب في مثل هذا الموضع، ويطلع منها على أرض مونقة وكنوز من المعرفة[1].



(١) التبيان في أقسام القرآن (ص٥٠).

الفصل السادس

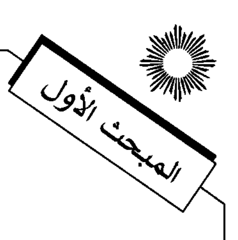
حكم اشتقاق المصدر والفعل من الاسم والإخبار بهما عن الله تعالى

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وجود الاشتقاق في اللغة.

المبحث الثاني: وجود الاشتقاق في أسماءِ الله تعالى.

المبحث الثالث: جواب الإمام ابن القيم عن دعوى عدم الاشتقاق.





وجود الاشتقاق في اللغة

معنى الاشتقاق لغة:

«الأخذ في الكلام يميناً وشمالاً، واشتقاق الحرف: أخذه منه ويقال: شققت الكلام؛ إذا أخرجه أحسن مخرج»[(١)].

أما معناه اصطلاحاً:

«فهو نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى، وتركيباً ومغايرتهما في الصفة»[(٢)].

وأقسامه ثلاثة، وذلك أن التناسب بين المأخوذ والمأخوذ منه إما أن يكون في المعنى واللفظ جميعاً مع ترتيب الحروف الأصول فيهما، وإما أن يكون ذلك التناسب في المعنى وفي اللفظ جميعاً مع عدم الترتيب في الحروف الأصول، وإما أن يكون في المعنى وحده ويكون ـ مع ذلك ـ أكثر حروفهما من نوع واحد وباقيها من مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين[(٣)].

وجوده في اللغة:

وأما عن وجود الاشتقاق في اللغة، فقد قال ابن فارس: «أجمع أهل اللغة ـ إلا من شذ ـ أن للغة العرب قياساً وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض»[(٤)]. ففي لغة العرب ـ على سبيل المثال ـ حرفا الجيم والنون (ج ن)

---

(١) لسان العرب لابن منظور: (١٠/ ١٨٤)، (شقق).

(٢) التعريفات للجرجاني (ص٢٧)، وانظر: تفسير سورة الإخلاص للإمام ابن تيمية (ص٥٧).

(٣) دروس التصريف لمحمد محي الدين (ص١٠، ١١).

(٤) المزهر في علوم القرآن للسيوطي (١/ ٣٤٥).

يدلان على الستر، تقول العرب للدرع: جُنَّة، وأَجَنَّهُ الليل، وهذا جنين، أي هو في بطن أمه، واسم الجِنِّ مشتق من الاجتنان»[1].

(١) نفس المصدر (ص١/ ٣٤٥، ٣٤٦)، وانظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ١٧١ ،١٧٢) (شق).





وجود الاشتقاق في أسماء الله الحسنى

إن أسماء الله مشتقة من صفاته وأفعاله خلافاً لابن حزم؛ حيث أنكر أن تكون أسماء الله مشتقة؛ فقال: «إننا لا نفهم من قولنا: قدير وعالم إذا أردنا بذلك الله تعالى إلا ما نفهم من قولنا: (الله) فقط؛ لأن كل ذلك أسماء أعلام، لا مشتقة من صفة أصلاً»[1].

ونجد أن الإمام ابن القيم يقرر مسألة الاشتقاق بناءً على إجماع أهل اللغة من جهة، ووجود الاشتقاق في كلام العرب من جهة أخرى ولكن الشيخ لا يقر مطلق الاشتقاق الذي قد يلزم منه لوازم باطلة حيث يقول في البدائع: «إنَّ الاسم إذا أطلق عليه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل فيخبر به عنه فعلاً ومصدراً. هذا إن كان الفعل متعدياً، فإن كان لازماً لم يخبر عنه به بل يُطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل»[2].

(١) **وقوله: «إذا أطلق عليه»**: المراد إطلاق الاسم على الله تعالى في القرآن الكريم أو السنة المطهرة.

(٢) **وقوله: «جاز أن يشتق منه المصدر»**: الجواز هنا المقصود به الجواز الشرعي، والاشتقاق هو مجرد الموافقة في المادة العربية لا المعنى النحوي الذي هو: «أخذ كلمة من أخرى لمناسبة بين الكلمتين في المعنى ولو مجازاً»[3].

إذ يلزم من القول بالاشتقاق النحوي كون أسماء الله مخلوقة.

(٣) **وقوله: «أما المصدر»**: فهو الموافق للمصدر النحوي في مادته اللغوية، وهو الاسم الدال على الحدث.

---

(١) الفِصَلَ لابن حزم (٢/ ١٢٩) وانظر: الجزء نفسه (ص: ١٢١و ١٦٥).
(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٧٩).
(٣) دروس التصريف لمحمد محي الدين (ص١٠).

(٤) **وقوله: «والفعل»**: المراد به ما وافق الفعل النحوي، والفعل: «ما دل على معنى في نفسه مقترن بزمان»[(١)].

(٥) **وقوله: «هذا إن كان الفعل متعدياً»**: المراد بالفعل هو المنسوب إلى الاسم الذي وردت نصوص الشرع به، والمتعدي هو: (ما يتعدى أثره فاعله ويجاوزه إلى المفعول به، والمقصود به هنا مجرد الموافقة في المادة مع العلم باختلاف جهة الاشتقاق)[(٢)].

(٦) **وقوله: «فإن كان لازماً»**: أي الفعل المتقدم. واللازم من الأفعال هو «ما لا يتعدى أثره الفاعل ولا يجاوزه إلى المفعول وإنما يبقى قاصراً على فاعله»[(٣)].

(٧) **وقوله: «لم يخبر عنه به»**: الضمير في «عنه» عائدٌ إلى الله ﷻ والضمير في «به» عائدٌ إلى الفعل، والمعنى: أنه لا يستعمل الفعل اللازم في حقه تعالى مراداً به الإخبار عنه بما يستحقه من كمال.

(٨) **وقوله: «بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل»**: بل هنا للانتقال من حكم إلى آخر، والمراد بالفعل هو الفعل اللازم، فهي جملة قصد بها بيان حكم المصدر والاسم بعد بيان حكم الفعل اللازم، هذا وقد تقدم الكلام في القاعدة الثانية أن ما جازت التسمية به فالوصف به جائز إذ التسمية والوصف من جنس واحد.

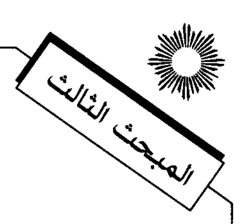
ويرى بعض أهل اللغة كالخليل والزجاج والسهيلي أن لفظ الجلالة (الله) فقط غير مشتق، ودليلهم في أنه غير مشتق: أَنَّ الله سبق الأشياء التي زعموا أنه مشتق منها.

قال السهيلي: «ولا نقول: إن اللفظ قديم، ولكنه متقدم على كل لفظ وعبارة، ويشهد بصحة ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] فهذا نص في عدم المسمى وتنبيه على عدم المادة المأخوذ منها الاسم»[(٤)].

---

(١) جامع الدروس العربية للغلاييني (١/ ٩).
(٢) نفس المصدر (١/ ٣٤)، وانظر: دروس التصريف لمحمد محي الدين (ص١٩٨).
(٣) دروس التصريف لمحمد محي الدين (ص١٩٨).
(٤) نتائج الفكر للسهيلي (ص٥١، ٥٢).





جواب الإمام ابن القيم عن دعوى عدم الاشتقاق

لقد أجاب الإمام ابن القيم عن دعوى عدم اشتقاق أسماء الله تعالى بإجابة شافية، فعرض أولاً قول القائلين بعدم جواز اشتقاق لفظ الجلالة، وثنّىٰ بذكر حجتهم والرد عليها، ثم ثلّث برد عام على من لا يرى اشتقاق أسماء الله فقال: «زعم السهيلي وشيخه أبو بكر بن العربي أن اسم الله غير مشتق، لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها، واسمه تعالى قديم، والقديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق»[1]، ثم رد عليهم بقوله: «لا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى، وأنه مستمد من أصل آخر فهو باطل».

ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى، ولا ألمَّ بقلوبهم، وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى، وهي الإلهية، كسائر أسمائه الحسنى كالعليم والقدير، والغفور، والرحيم، والسميع، والبصير، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب، وهي قديمة، والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسمه (الله).

ثم الجواب العام وهو: أننا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله.

وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه، أصلاً وفرعاً، ليس معناه أن

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ٢٢)، وقد ألّف أبو القاسم الزجاج كتاباً في إثبات اشتقاق أسماء الله الحسنى، أسماه «اشتقاق أسماء الله» وهو مطبوع ومتداول. وانظر: تفسير سورة الإخلاص للإمام ابن تيمية (ص٥٧).

أحدهما تولد من الآخر، وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة»[1].

وعليه، فإن أسماء الله مشتقة من صفاته وأفعاله، فالاسم إذا أُطلق جاز أن يؤخذ منه المصدر والفعل، فيُخبَرُ به عنه فعلاً ومصدراً؛ نحو: (السميع والقدير) يطلق عليه منه: السمع والقدرة، ويخبر عنه بالأفعال من ذلك؛ نحو: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾ [المجادلة: ١]، ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣]، هذا إن كان الفعل مُتعدياً.

أما إن كان الفعل لازماً، فإنه يُطلق عليه منه الاسم والصفة دون الفعل، نحو: (الحي) فإنه يثبت لله اسم (الحي)، وصفة الحياة، أما «الإخبار بالفعل، فلا تقال حيي[2] ولا يحق لأحد أن يشتق من الفعل أو من الصفة اسماً، إلا ما ورد الشرع به؛ لأن الأسماء توقيفية، فلا نسمي الله إلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله ﷺ فإذا ثبت الاسم بالنص علمنا أنه مشتق من الصفة والفعل، أو من الصفة فقط كما سبق[3]. وقال الإمام ابن القيم: «الفعل أوسع من الاسم ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالاً لم يتسم فيها بأسماء الفاعل: كأراد، وشاء، وأحدث، ولم يسم بالمريد، والشافي والمحدث، كما لم يسم نفسه بالصانع، والفعال، والمتقن، وغير ذلك من الأسماء التي أطلق أفعالها على نفسه، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء»[4].

وفي الجملة، فإن أسماء الله مشتقة وهذا هو القول الصحيح، لكن لا يجوز لنا أن نشتق من الفعل، أو من الصفة اسماً؛ ـ وهي التي وردت بصيغة الاسم ـ، فإذا ثبت الاسم بالنص جاز لنا أن نشتق منه صفةً وفعلاً إذا كان الفعل متعدياً، أو صفةً إذا كان الفعل لازماً. وقد وقع بعض المتأخرين في هذا

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٧ و١٦٢)، وانظر: شفاء العليل (ص٥٦٦)، مدارج السالكين (١/ ٢٨).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٧، ١٦٢)، وانظر: شفاء العليل (ص٥٦٦)، ومدارج السالكين (١/ ٢٨).

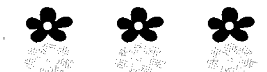
(٣) للاستزادة انظر في اختلاف الناس في اشتقاق الأسماء: «معنى لا إله إلا الله» للزركشي (ص١٤٠ ـ ١٤٥)، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني (١١/ ٢٢٦).

(٤) مدارج السالكين (٣/ ٤١٥)، وانظر: مختصر الصواعق المرسلة للموصلي (١/ ٢٦١).

المحذور ـ الذي نبه إليه **الإمام ابن القيم**، ـ وبلغ بأسماء الله الألف، وذلك لأنه اشتق له من الصفات والأفعال أسماء وهي لم تثبت بالنص.

وما أنكره الإمام ابن القيم على من اشتق من الفعل أو من الصفة اسماً ـ وهي التي وردت بصفة الاسم ـ أنكره الغزالي والأصبهاني وغيرهم ممن كتب في الأسماء الحسنى، وذلك أن مرجع ذلك كله التوقيف والمنع من إطلاق الفعل اللازم من الاسم الوارد في الشرع إطلاقه على الله.

ولا ريب أن صفات الله مصادر تشتق منها أسماؤهُ تعالى بالضوابط المعتبرة المتفق عليها. فإذا ثبت الاسم بالنص جاز لنا أن نشتق منه صفةً وفعلاً، إذا كان الفعل متعدياً، أو صفة إذا كان الفعل لازماً.



الفصل السابع

التفاضل بين الأسماء الحسنى وحصرها بعدد معين مع ثبوت وتعيين الاسم الأعظم لله تعالى

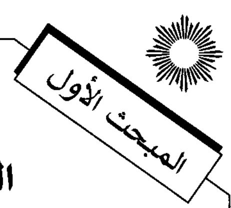
وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول: التفاضل بين الأسماء الحسنى.

المبحث الثاني: الاسم الأعظم بين النفي والإثبات.

المبحث الثالث: تعيين الاسم الأعظم لله تعالى.

المبحث الرابع: الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد.





التفاضل بين الأسماء الحسنى

إنَّ مسألة تفاضل الأسماء بعضها على بعض مبنيةٌ على مسألة أخرى وهي مسألة تفاضل كلام الله بعضه على بعض، وللناس فيه قولان:

القول الأول: أن بعض القرآن أفضل من بعض، وبعض الأسماء أفضل من بعض، وهذا قول الصحابة، والتابعين، وأهل الحديث، وبعض أتباع الأئمة من المالكية والشافعية، والحنابلة؛ لأنه مقتضى ما جاءت به النصوص والآثار، وإلى هذا القول ذهب الإمام ابن القيم[1]، حيث قال في شفاء العليل: «ومنها أن بعض صفاته أو أفعاله سبحانه أفضل من بعض، فإن المستعاذ به أفضل من المستعاذ منه، وهذا كما أن صفة الرحمة أفضل من صفة الغضب ولذلك كان لها الغلبة والسبق ولذلك كلامه سبحانه هو صفته، ومعلوم أن كلامه الذي يثني على نفسه به ويذكر فيه أوصافه وتوحيده أفضل من كلامه الذي يذم به أعداءه ويذكر أوصافهم، ولهذا كانت سورة «الإخلاص» أفضل من سورة «تبت» وكانت تعدل ثلث القرآن دونها، وكانت آية الكرسي أفضل آية في القرآن؛ ولا تصغ إلى قول من غلظ حجابه: إن الصفات قديمة والقديم لا يتفاضل، فإن الأدلة السمعية والعقلية تبطل قوله. وقد جعل سبحانه ما كان من الفضل والعطاء والخير، وأهل السعادة بيده اليمنى، وما كان من العدل والقبض بيده الأخرى، ولهذا جعل أهل السعادة في القبضة اليمنى، وأهل الشقاوة في القبضة الأخرى، والمقسطون على منابر من نور عن يمينه، والسماوات مطويات بيمينه والأرض بالأرض»[2].

---

(١) شفاء العليل (ص٥٤٣)، وانظر: بدائع الفوائد (٢/ ٤٩٠ ـ ٤٩١).

(٢) شفاء العليل (ص٥٣٤).

قال الإمام ابن تيمية: «وأما السلف ـ كالصحابة والتابعين لهم بإحسان ـ فلم يعرف لهم في هذا الأصل منازع، بل الآثار متواترة عنهم به، واشتهر القول بإنكار تفاضله بعد المائتين، لمَّا أظهرت الجهمية القول بأن القرآن مخلوق»[١].

وأدلة هذا القول كثيرة جداً فمنها قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦] وهذا بيان من الله تعالى لكون تلك قد يأتي بمثلها تارة أو خير منها أخرى، فدل ذلك على أن الآيات تتماثل تارة وتتفاضل أخرى.

ومن أدلة هذا القول: كل الآيات التي تبين فضل القرآن المطلق، أو فضله على سائر الكتب السماوية، ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] فهذه الآية تدل على أن كلام الله يفضل بعضه بعضاً.

بل إن القرآن الكريم بعضه أفضل من بعض في ذاته، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥] وقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٧ ـ ١٨]؛ فهذه أدلة من القرآن تبين أن بعض القرآن حسن وبعضهُ أحسن، والأحسن يفضل الحسن ولا شك في ذلك.

كما يستدل أصحاب هذا القول بأدلة السنة المطهرة: ومنها ما رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي سعيد بن المُعلَّى قال: كنت أصلي، فدعاني النبي ﷺ فلم أجبه؛ قلت: يا رسول الله كنت أصلي. قال: «ألم يقل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]؟ ثم قال: «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟» فأخذ بيدي فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله إنك قلت: «لأعلمنك أعظم سورة في القرآن»، قال: «الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»[٢].

---

(١) جواب أهل العلم والإيمان للإمام ابن تيمية (ص٦٧).

(٢) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٨/ ٦٧١) برقم (٥٠٠٦).

ومنها حديث أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أي آية في كتاب الله أعظم؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «يا أُبيّ أتدري أي آية في كتاب الله أعظم؟» قال: قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال: فضرب في صدري وقال: «ليهنك العلم أبا المنذر»[1].

القول الثاني: إن القرآن لا يفضل بعضه بعضاً، وكذلك الأسماء الحسنى وهو قول الأشاعرة ومن تبعهم، وهو قول أكثر الأصوليين من المتكلمين، وهو قول بعض الفقهاء والمفسرين، وهؤلاء ظنوا أن القول بتفاضل كلام الله بعضه على بعض، إنما يكون على قول المعتزلة؛ لأن القول بالتفاضل ـ عندهم ـ مستلزم لكون القرآن مخلوقاً ويشعر بنقص المفضول، فأنكروا التفاضل، وتأولوا النصوص الواردة في ذلك. وممن قال بذلك الباجي والرازي والآمدي وابن حزم وغيرهم على اختلاف في مأخذ الاستدلال بينهم، وعليه أكثر الحنفية[2]، وهو قول أبي حاتم بن حبان[3]، وابن جرير الطبري[4] ونسب ذلك للإمام مالك لكراهة أن تعاد سورة أو تردد دون غيرها من السور لئلا يظن أن بعض القرآن أفضل من بعض، فيؤذن ذلك باعتقاد نقصان المفضول عن الأفضل[5].

قال الإمام ابن تيمية: ولأجل هذا الاعتقاد ـ أي اعتقاد أن القرآن كلام الله غير مخلوق ـ صار من يعتقده يذكر إجماع أهل السنة على امتناع التفضيل في القرآن كما قال أبو عبد الله بن السراج في مصنف صنفه في هذه المسألة، قال: «أجمع أهل السنة على أن ما ورد في الشرع مما ظاهره المفاضلة بين آي القرآن وسوره ليس المراد به تفضيل ذوات بعضها على بعض، إذ هو كلام الله وصفة

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١/ ٥٥٦) فضل سورة الكهف وآية الكرسي، وأحمد في المسند (٥/ ١٤٢).
(٢) المسائل المشتركة للعروسي (ص٢٤٤، ٢٤٥).
(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٢٢٧)، والبرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٤٣٨).
(٤) جامع البيان للطبري (١/ ٤٨١).
(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٢٢٧).

من صفاته، بل هو كله لله فاضل كسائر صفاته الواجب لها نعت الكمال». وهذا النقل للإجماع وهو بحسب ما ظنه لازماً لأهل السنة، فلما علم أنهم يقولون القرآن كلام الله ليس بمخلوق، وظن هو أن المفاضلة إنما تقع في المخلوقات لا في الصفات، قال ما قال. وإلا فلا ينقل عن أحد من السلف والأئمة أنه أنكر فضل كلام الله بعضه على بعض: لا في نفسه، ولا في لوازمه ومتعلقاته، فضلاً على أن يكون هذا إجماعاً[1].

والذين تأولوا النصوص الواردة في ذلك مثل ما تأولوا الخيرية الواردة في قوله تعالى: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦] أن المراد به الخيرية: أن يعود التفاضل إلى التكليف في نفسه، فهو يرجع إلى ما يخصنا به ـ سبحانه ـ من سهولة أو ثواب[2].

والقول بأن المراد بالخيرية السهولة والتخفيف أو كثرة الثواب، تأويل للمعنى المتبادر للذهن وإخراج له عن ظاهِرِهِ، ولهذا قال الإمام ابن تيمية: «لا يجوز أن يراد بالخير من جهة كونه أخف عملاً، أو أشق وأكثر ثواباً؛ لأن هذين الوصفين ثابتان لكل ما أمر الله به مبتدءاً وناسخاً؛ فإنه إما أن يكون أيسر من غيره في الدنيا، وإما أن يكون أشق، فيكون ثوابه أكثر. فإذا كانت هذه الصفة لازمة لجميع الأحكام لم يحسن أن يقال: ما ننسخ من حكم نأت بخير منه أو مثله، فإن المنسوخ ـ أيضاً ـ يكون خيراً ومثلاً بهذا الاعتبار؛ فإنهم إن فسروا الخير بكونه أسهل، فقد يكون المنسوخ أسهل فيكون خيراً، وإن فسروه بكونه أعظم أجراً لمشقته، فقد يكون المنسوخ أسهل فيكون خيراً، وإن فسروه بكونه أعظم لمشقته، فقد يكون المنسوخ كذلك. والله قد أخبر أنه لا بد أن يأتي بخير مما ينسخه أو مثله، فلا يأتي بما هو دونه»[3].

وقال الإمام ابن القيم: وهكذا أسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن

---

(١) جواب أهل العلم والإيمان للإمام ابن تيمية (ص٧٢).
(٢) أسماء الله الحسنى للغصن (ص٨٧).
(٣) جواب أهل العلم والإيمان للإمام ابن تيمية (ص٦٢).

الأسماء وأكملها، فليس في الأسماء أحسن منها ولا يقوم غيرها مقامها، ولا يؤدي معناها، وتفسير الاسم منها بغيره ليس تفسيراً بمرادف محض بل هو على سبيل التقريب والتفهيم. وإذا عرفت هذا كله فله من كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله وأتمه معنى وأبعده وأنزه عن شائبة عيبٍ أو نقص[1].

وقد أشار إلى هذا التفاضل جماعة من العلماء منهم الزركشي حيث قال: ومن تفاضل كلام الله بعضه على بعض لابد من القول: بأن الآيات التي تشتمل على تعديد أسماء الله الحسنى، وبيان صفاته، والدلالة على عظمته وقدسيته، أفضل من غيرها، بمعنى أن مخبراتها أسنى وأجل قدراً[2].

ويدل على تفاوت الأسماء الحسنى في الفضل، وجود أسماء منها دالة على صفة واحدة؛ واشتقاقها واحد، مع الاختلاف في مبانيها، مثل القدير المقتدر القادر، والغفور الغفار الغافر، والرحمن الرحيم ونحو ذلك فإن كلاً منها معدود اسماً مستقلاً وهي متغايرة متفاضلة، دل على تفاضلها صيغ مبانيها، فإن فعَّال وفعيل وفعلان صيغ مبالغة و«فعال» أبلغ من «فاعل»، ثم «فعلان» أبلغ من «فعيل» ولذا ذكر ابن جرير أنه لا تمانع بين أهل العلم بلغات العرب أن الرحمن أبلغ من الرحيم، وهو مذهب أكثر العلماء[3].

وقال الزمخشري: «في الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم، ولذلك قالوا: رحمن الدنيا والآخرة، ورحيم الدنيا، ويقولون: إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى»[4].

وقال الغزالي: «الغافر يدل على أصل المغفرة فقط، والغفور يدل على كثرة المغفرة بالإضافة إلى كثرة الذنوب، حتى إن من لا يغفر إلا نوعاً واحداً من الذنوب **لا يقال له**: الغفور، والغفار يشير إلى كثرة غفران الذنوب على

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٨٤).

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ٤٤١).

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ٥٠٤)، وانظر: معترك الأقران له (١/ ٤١٢).

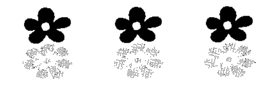
(٤) الكشاف للزمخشري (١/ ٦).

سبيل التكرار، أي يغفر الذنوب مرة بعد مرة ولا يغفر للعائد إلى الذنب مرة بعد أخرى لم يستحق اسم الغفار»[١].

ويدل تفاضل أسماء الله كذلك على أنها أسماء تدل على معانٍ وصفات وليست أعلاماً محضة لا مفهوم لها إلا مجرد الدلالة المحضة على مسماها، فإن الأعلام المحضة لا تدل على معان ولا يشتق منها أوصاف للمسمى ولذلك لا يقع منها التفاضل، إذ لا وجه لتفاضلها، إذ لا يفهم منها جميعاً إلا معنى واحد وهو الدلالة على المسمى لا غير. أما أسماء الله فهي معانٍ وأوصاف، ولذلك تشتق منها الأوصاف لله، ولذلك وقع فيها التفاضل، ولا يقع التفاضل في الأعلام المحضة. وفي ثبوت تفاضل أسماء الله نقض لما ضل به الجهمية والمعتزلة من اعتقاد أن أسماء الله أعلام مترادفة.

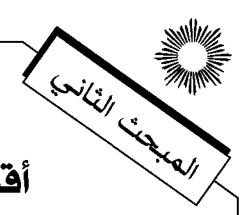
ونلحظ في كلام الإمام ابن القيم أنه يعلل لوجود المفاضلة بين أسماء الله تعالى بدلالة هذه الأسماء على معانٍ وأوصاف حيث يقول:

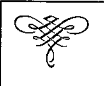
«وأيضا فلو لم تكن أسماؤه ذوات معان وأوصاف لكانت جامدة كالأعلام المحضة التي لم توضع لمسماها باعتبار معنى قام به، فكانت كلها سواء، ولم يكن فرق بين مدلولاتها. وهذا مكابرة صريحة، وبهت بيِّن، فإن من جعل معنى اسم «القدير» هو معنى اسم «السميع البصير» ومعنى اسم «التواب» هو معنى اسم «المنتقم» ومعنى اسم «المعطي» هو معنى اسم «المانع» فقد كابر العقل واللغة والفطرة»[٢].



(١) المقصد الأسنى للغزالي (ص٤١).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٨)





أقوال العلماء في الاسم الأعظم بين النفي والإثبات

الذي يتبين لنا من هذا المطلب أنه مرتبط بالمطلب الأول ارتباطاً وثيقاً بناء على اختلاف الناس في مسألة تفاضل أسماء الله تعالى بين مثبت وناف، فإنهم بالتبع اختلفوا هل يثبت لله تعالى اسم أعظم له خصائص ومزايا تميزه عن غيره من سائر الأسماء الحسنى؟ إلى طائفتين: إحداهما تنفي أن يكون لله تعالى اسم أعظم والأخرى تثبت لله تعالى الاسم الأعظم. وفيما يلي مقولة كل طائفة مع أدلتها.

القول الأول: الذين نفوا أن يكون لله تعالى اسم أعظم.

وهم: الإمام الطبري[(١)]، وأبو الحسن الأشعري ومن بعدهما أبو حاتم بن حبان، والقاضي أبو بكر الباقلاني.

فإنهم نفوا أن يكون لله تعالى اسم أعظم بناءً على أنه: لا يجوز تفضيل بعض الأسماء على بعض، ونسب ذلك بعضهم لمالك لكراهيته أن تعاد سورة أو تردد دون غيرها من السور، لئلا يظن أن بعض القرآن أفضل من بعض[(٢)].

أدلتهم: احتجوا لذلك بما يلي:

أولاً: احتجوا بما تقدم في المطلب الأول من شُبه استدل بها من قال بنفي التفاضل بين كلام الله تعالى وأسمائه وصفاته، ومنها قولهم: يلزم من القول بأن لله تعالى اسماً أعظم أن ما عداه مفضول، والمفضول مظنة النقص والعيب، وليس في أسماء الله تعالى مفضول بل كلها حسنى، فانتفى تخصيص أحد هذه الأسماء بالأعظمية والأفضلية على غيره.

---

(١) جامع البيان (١/ ٤٨١).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٢٢٧).

ثانياً: أن الاسم كلمة مركبة من حروف مخصوصة، اصطلحوا على جعلها معرفةً للمسمى، فعلى هذا: الاسم لا يكون من له في ذاته شرف ومنقبة، إنما شرفه ومنقبته بشرف المسمى. وأشرف الموجودات وأكملها هو الله ﷻ. وكل اسم ذكر العبد ربه به على ما يكون، عارفاً بعظمة الرب فذلك الاسم هو الاسم الأعظم.

ثالثاً: لو كان الاسم الأعظم موجوداً لدعا به النبي ﷺ في المواقف الصعبة التي تعرض لها النبي ﷺ كيوم بدر ويوم الأحزاب وغيرها، ولأجابه الله تعالى في كل ما دعاه ومن ذلك دعاؤه لأمته ﷺ ثلاث دعوات، فاستجاب الله تعالى له اثنتين ومنعه الثالثة، كما في حديث سعد بن أبي وقاص قال: قال النبي ﷺ: «سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة؛ سألت ربي ألا يهلك أمتي بالسَّنة فأعطانيها، وسألته ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها»(١)، فلو كان هناك اسم أعظم لسأل به النبي ﷺ ما مُنع منه وهو الرحيم بأمته عليه الصلاة والسلام.

رابعاً: وذهب بعضهم إلى أن ذلك راجع إلى حالة الداعي وليس إلى اسم بعينه، كما روي عن جعفر الصادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: «إن كل اسم من أسمائه تعالى يكون في غاية العظمة، إلا أن الإنسان إذا ذكر اسم الله عند تعلق قلبه بغير الله لم ينتفع به، وإذا ذكره عند انقطاع طمعه من غير الله كان ذلك الاسم الأعظم». روي عنه في قصة مفادها أن رجلاً سأله عن الاسم الأعظم فأمره أن يغتسل بماء شديد البرودة والزمان شتاء، ففعل فلما أراد أن يخرج مُنع من الخروج فتضرع إلى المانع حتى انقطع رجاؤه منه ثم تضرع إلى الله فخلّي سبيله، فجاء إلى جعفر الصادق فقال: الآن علمني اسم الله الأعظم؟ فقال: يا هذا إنك قد تعلمت الاسم الأعظم، ودعوت الله فأجابك، فقال: وكيف ذلك؟! فذكر له الكلام المذكور آنفاً.

وروي نحو هذا عن الجنيد في امرأة فقدت ابنها فترددت إليه تسأله أن يدعو لها ليعود ابنها، وهو في كل مرة يقول لها: اذهبي واصطبري، فقالت

(١) صحيح الجامع الصغير للألباني (١/ ٦٧٢) برقم (٣٥٩٣٩).

مرة: عيل صبري، وما بقيت لي طاقة فادح لي. فقال لها الجنيد: إن كان كما قلت فاذهبي فقد رجع ابنك فمضت، ثم عادت تشكر الله فقيل للجنيد: بم عرفت ذلك؟ قال: قال الله تعالى ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢].

قال الرازي بعد ذكر هذه الآثار: «واعلم أنه ظهر من هذا الكلام أن العبد كلما كان انقطاع قلبه عن الخلق أتم، كان الاسم الذي به يذكر الله ﷻ أعظم»[(١)].

وحملوا ما ورد في ذلك من الآثار على أن المراد بالأعظم: العظيم، وأن أسماء الله كلها عظيمة. وعبارة أبي جعفر الطبري: اختلفت الآثار في تعيين الاسم الأعظم، والذي عندي أن الأقوال كلها صحيحة، إذ لم يرد في خبر منها أنه الاسم الأعظم ولا شيء أعظم منه.

قال الحافظ ابن حجر: «فكأنه يقول: كل اسم من أسمائه تعالى يجوز وصفه بكونه أعظم، فيرجع إلى معنى: عظيم كما تقدم.

ونقل عن ابن حبان قوله: الأعظمية الواردة في الأخبار إنما يراد بها مزيد من ثواب الداعي بذلك، كما أطلق ذلك في القرآن والمراد به: مزيد ثواب القاري»[(٢)].

ويمكن أن يجاب على هذه الأدلة بما يلي:

أولاً: قولهم: يلزم من القول بأن لله تعالى اسماً أعظم أن ما عداه مفضول. والمفضول مظنة النقص والعيب، فإنه عند مثبتي التفاضل ليس بلازم وإنما يكون هناك فاضل وأفضل وحسن وأحسن وعظيم وأعظم.

ثانياً: أما قولهم بأن الاسم كلمة مركبة من حروف مخصوصة، فيجاب عليه بأن شرف الاسم ليس مرده الحروف المركبة المخصوصة، وإنما إلى المعاني التي تحملها هذه الحروف الدالة على شرف المسمى ﷻ، فكلما كان الاسم يحمل معاني أكثر كان هذا دلالة على شرف المسمى وأعظميته.

ثالثاً: أن يكون المراد النظر إلى حال الداعي ومدى التجائه إلى الله ﷻ،

---

(١) لوامع البينات للرازي (ص٩٣).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٢٢٧).

فهذا حق أنه كلما كان العبد أكثر التجاءً إلى الله تعالى وأعظم تعلقاً وأخلص في الدعاء كلما كان أحرى بالقبول وأن يستجيب الله تعالى له، ولكن هذا لا ينافي أن يكون بعض الأسماء أعظم من بعض.

رابعاً: أما تفسير الأعظمية بأنها مزيد ثواب الداعي إلى آخره فإنه من باب التفسير باللازم، بل إن زيادة ثواب الداعي بذلك الاسم تدل على غير هذا الاسم وأعظميته.

خامساً: أما حمل الروايات الواردة بلفظ: الأعظم على معنى: عظيم فهذا مردود لأمرين: الأمر الأول: أن أسماء الله تعالى كلها عظيمة، وعليه فلا معنى لهذه الأحاديث لو لم يكن لهذا الاسم ميزة يختص بها، الأمر الثاني: أن حمل أعظم بمعنى عظيم، وأكبر بمعنى كبر وأهون بمعنى هين: (باطل عند حذاق النحاة) كما ذكر ذلك السهيلي[1].

سادساً: أما كون النبي ﷺ لم يؤثر عنه أنه دعا بهذا الاسم في تلك المواطن، فلا يعني عدم وجود هذا الاسم، وقد يكون عند النبي ﷺ من الأسباب والحكم المخفية عنا ما منعه من دعاء الله تعالى بهذا الاسم، ومن هذا أنه ﷺ مجاب الدعوة[2].

القول الثاني: الذين أثبتوا لله تعالى الاسم الأعظم وأدلتهم.

ذهب جمهور العلماء قديماً وحديثاً إلى إثبات الاسم الأعظم لله تعالى وذلك لورود النص الصريح بذلك عن النبي ﷺ، فكتبهم طافحة بذكره ومنهم ابن ماجه، وابن أبي شيبة، والبغوي وابن حبان، والطحاوي، وابن منده والإمام ابن تيمية وابن القيم وغيرهم، ومنهم من عقد له باباً مستقلاً باسم (اسم الله الأعظم)، أما الأحاديث التي جاءت بالنص عليه فهي على النحو التالي:

أولاً: حديث عبد الله بن بريدة الأسلمي عن أبيه أنه قال: سمع النبي ﷺ

---

(١) الروض الأنف للسهيلي (ص١/٢٠٢).

(٢) اسم الله الأعظم لشيخنا الدكتور عبد الله الدميجي (ص١٠٠). قد استفدت منه كثيراً في الترجيح عند تعارض الأقوال.

رجلاً يدعو وهو ويقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، قال: فقال: (والذي نفسي بيده لقد سألت الله باسمه الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى) وفي أحد لفظي أبي داود: (لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب)[1].

ثانياً: حديث أنس: أنه كان مع رسول الله ﷺ جالساً ورجل يصلي، ثم دعا: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت الحنان المنان، بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم. فقال النبي ﷺ: (لقد دعا باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى)[2].

ثالثاً: حديث أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: إن النبي ﷺ قال: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] وفاتحة سورة آل عمران ﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢﴾ [آل عمران: ١، ٢]».

رابعاً: حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إن اسم الله الأعظم لفي سور من القرآن ثلاث؛ البقرة وآل عمران وطه)[3]. هذا ما أمكننا الوقوف عليه من الأحاديث المرفوعة التي يمكن الاحتجاج بها على ثبوت الاسم الأعظم لله تبارك وتعالى، ولكن على ضعف في بعض طرقها. أما ما عداها من الأحاديث والآثار فلا تسلم أسانيدها من مقال، وهذه في مجموعها تقوم بها الحجة في إثبات أن لله تعالى اسماً أعظم وهو اسم مخصوص من بين سائر أسمائه الحسنى[4].

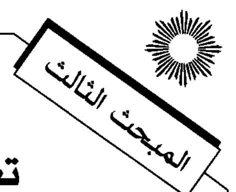
---

(١) عون المعبود بشرح سنن أبي داود (٤/ ٣٦٢).

(٢) عون المعبود بشرح سنن أبي داود (٤/ ٣٦٢). وانظر: ابن ماجه (٢/ ١٢٦٨) برقم (٣٨٥٨)، ومسند الإمام أحمد (ص:) برقم (١٣٨٣٤).

(٣) سنن ابن ماجه في الدعاء (٢/ ١٢٦٧) برقم (٣٨٥٦)، ومعجم الطبراني الكبير (٨/ ٢١٤، ٢١٥) برقم (٧٧٥٨).

(٤) انظر: الاسم الأعظم للدميجي (ص١٠٨).

تعيين الاسم الأعظم لله تعالى

اختلف العلماء في تعيين الاسم الأعظم على نحو أربعين قولاً[1] قد أفردها السيوطي بالتصنيف[2]، وسنقتصر في بيان تعيين هذا الاسم على قولين فقط لأنهما أشهر الأقوال وأقواها، فأدلتهما صحيحة واستدلالات كلا الطرفين فيها قوة ووجاهة، أما ما عداها فهي ضعيفة بل وفيها الشاذة والغريبة التي لا دليل عليها من نص ولا استنباط.

فالقول الأول: يرى أن الاسم الأعظم هو (الحي القيوم) وإلى هذا الرأي يذهب شيخنا الإمام ابن القيم[3].

والقول الثاني: يرى أن الاسم الأعظم هو (الله).

فمن أدلة أصحاب القول الأول:

١ ـ حديث أبي أمامة الذي فيه: فالتمستها فوجدت أنها الحي القيوم[4].

٢ ـ حديث أنس أنه كان مع رسول الله ﷺ جالساً ورجلٌ يصلي ثم دعا: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: (لقد دعا باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل أعطى)[5]، والاسم

---

(١) انظر: تحفة الذاكرين للشوكاني (ص٧١).

(٢) انظر: الحاوي للفتاوى للسيوطي (١/ ٣٩٤).

(٣) انظر: زاد المعاد (٤/ ٢٠٤)، وانظر: النونية (ص٢٨).

(٤) انظر: سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٦٧) برقم (٣٨٥٦). وانظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٢٢٨).

(٥) انظر: سنن النسائي (٣/ ٥٢)، وانظر: سنن أبي داود (٢/ ٧٩) برقم (١٤٩٥). قال عنه الألباني: صحيح، انظر: مشكاة المصابيح (٢/ ٧٠٩).

المشترك بين ما ورد في حديث أنس وحديث أبي أمامة: (الحي القيوم).

٣ ـ وبأن النبي ﷺ كان إذا كربه أمر قال: (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث).

٤ ـ ولأن مدار الأسماء الحسنى كلها على هذين الاسمين وإليهما يرجع معانيها فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، فلا يختلف عنها صفة منها إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة، وأما القيوم: فهو متضمن كمال غناه وكمال قدرته فإنه القائم بنفسه فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته، فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال أتم انتظام[1].

أما أصحاب القول الثاني فيستدلون بجميع الأدلة التي وردت في إثبات الأسماء الحسنى وأنه يتكرر فيها اسم الله. منها:

١ ـ أن لفظ الجلالة (الله) هو الاسم المذكور في كل الأحاديث الواردة، قال أبو جعفر: فهذه الآثار قد رويت عن رسول الله ﷺ متفقة في اسم الله الأعظم أنه (الله) ﷻ.

٢ ـ أن هذا الاسم هو المأثور عن السلف كابن عباس وجابر بن زيد والشعبي وابن المبارك وعليه جمهور العلماء من بعدهم.

٣ ـ لما لهذا الاسم من الخصائص والمزايا المعنوية واللفظية ما لا يوجد في غيره. منها: أن هذا الاسم ما أطلق على غير الله تعالى، والعرب كانت تطلق على آلهتهم التي يعبدونها (آلهة)! ولا يطلقون هذا الاسم إلا على الله تعالى، قال الله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]. وهذا أحد معنيي ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] ولذلك لم يُثَنَّ ولم يجمع، لذا فهذا أشرف أسماء الله[2].

---

(١) الصواعق المرسلة (٣/ ٩١١)، وانظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص١٢٠، ١٢١)، وشرح النونية للهراس (١/ ١٠٩، ١١٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١٠٢)، وانظر: التوحيد لابن منده (١/ ٢١).

٤ ـ أن هذا الاسم هو الأصل في أسماء الله وسائر الأسماء مضافة إليه. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] فأضاف سائر الأسماء إليه، ولا محالة أن الموصوف أشرف من الصفة، ولأنه يقال: الرحمن الرحيم الملك القدوس كلها أسماء لله تعالى، ولا يقال: الله اسم الرحمن الرحيم فدل على أن هذا الاسم هو الأصل[١].

• مناقشة أدلة الفريقين:

(١) أدلة القائلين بأن الاسم الأعظم لفظ الجلالة (الله):

أولاً: أما الاستدلال بأن لفظ الجلالة هو الاسم المشترك بين جميع الأحاديث الواردة، سواء كان وروده بلفظ الجلالة (الله) أو بلفظ (اللهم) ففيه نظر، وذلك أن هذا اللفظ لم يرد في جميع النصوص التي ذكر النبي ﷺ أن الاسم الأعظم فيها، ومن ذلك حديث أسماء بنت يزيد المتقدم، فلفظ الجلالة لم يرد في الآية التالية وهي قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

ثانياً: وأما الاستدلال بأنه المأثور عن السلف رضوان الله عليهم فلم يؤثر عن أحد من الصحابة فيما وقفت عليه إلا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وقد أُثر عنه غيره (الحي القيوم) ومثل: (رب رب).

ثالثاً: وأما الاستدلال بالخصائص والمزايا التي تميز بها لفظ الجلالة، فلا شك أن هذه المزايا والخصائص صحيحة، وتدل على شرف هذا الاسم، لكن لا يلزم من ذلك أنها تدل على أنه الاسم الأعظم المعني في هذا الحديث.

رابعاً: ثم لو كان الاسم الأعظم هو لفظ الجلالة لكان هذا واقعاً من كل داع؛ لأن غالب الداعين لا يخلو دعاؤهم من قول (اللهم) كما هو معلوم، وعليه فلا معنى للتطلع للدعاء بالاسم الأعظم ما دام واقعاً مدعواً به عند أكثر الداعين.

---

(١) شأن الدعاء للخطابي (ص٢٥).

خامساً: وأيضاً لو كان الاسم الأعظم هو لفظ الجلالة لما كان لتخصيصه ببعض السور معنى، كما في حديث أبي أمامة، ولا معنى أيضاً لتخصيصه ببعض الآيات كما في حديث أسماء، لأنه «قلَّ أن توجد آية أو سورة في القرآن إلا وقد ورد فيها لفظ الجلالة».

(٢) أدلة القائلين بأن اسم الله الأعظم (الحي القيوم):

أولاً: استدلالهم بحديث أبي أمامة فيه نظر؛ لأن النبي ﷺ أطلق ولم يحدد الآيات. وتحديد الآيات التي فيها اسم (الحي القيوم) ليس من قول النبي ﷺ، إنما هو اجتهاد من بعض الرواة كما صرحوا هم بذلك، كما تقدم قول الراوي للحديث: «فالتمستها فوجدت أنها (الحي القيوم)». وهذا الاجتهاد منهم رحمهم الله غير مُسَلَّمٌ به لعدة أمور منها:

(أ) لو سلمنا بأن ما في سورة «طه» هو آية: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١] لكان اسم (الحي القيوم) غير وارد في حديث بريدة مع أنه أصح الأحاديث كما تقدم.

(ب) أن هذا الاسم غير وارد في الآية الثانية في حديث أسماء بنت يزيد، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ولذلك قال الطحاوي ـ رحمه الله ـ: «وقد روي عن أسماء بنت يزيد الأنصارية ما يخالف الحديث الذي استخرج منه أبو حفص ما استخرج».

(ج) قال الطحاوي أيضاً: «قد يحتمل أن يكون ما في (طه) سوى ذلك وقول الله فيها ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طه: ٧ ـ ٨] يرجع ما في (طه) إلى مثل ما يرجع إليه في سورة البقرة، وما في سورة آل عمران أنه (الله) تعالى».

ثانياً: أما الاستدلال بحديث أنس فالحديث ذكر جملة من الأسماء الحسنى ولم يحدد واحداً منها، فتحديده بأنه (الحي القيوم) لا دليل عليه. وكونه الاسم المشترك بين حديث أنس وحديث أبي أمامة هو (الحي القيوم) وهذا ما لم يثبت كما تقدم.

ثالثاً: أما الاستدلال بأنهُ ﷺ كان إذا كربه أمر قال: (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث) فهذا ليس فيه ما يدل على أنه هو الاسم الأعظم المقصود في تلك الأحاديث.

رابعاً: والاستدلال بخصائص هذين الاسمين يمكن أن يرد عليهما بما ورد على خصائص لفظ الجلالة كما تقدم.

الترجيح:

إنه بعد ذكر هذين الاسمين وإيراد القولين منهما ـ أعني لفظ الجلالة والحي القيوم ـ وعرض أدلة كل قول فإن الذي ترجح عندي أن الجزم بتحديد الاسم وتعيينه على نحو قطعي من الأمور المتعذرة؛ لأن العلم به من الأمور الموقوفة على الوحي السماوي لا مجال للاجتهاد فيه ويعوزه الدليل، وما ورد عن النبي ﷺ في هذا الموضوع مما يمكن الاحتجاج به ليس حري في تعيينه، وما روي عمن تقدم من العلماء ـ ومنهم الإمام ابن القيم ـ في تحديده إنما هو اجتهاد منهم في فهم هذه النصوص الواردة.

وحيث تبين لي أنه لم يصح من الأدلة الواردة عن النبي ﷺ في هذا الموضوع إلا الأحاديث الأربعة المذكورة آنفاً على ضعف في بعض طرقها، فهي جميعاً لم تحدد الاسم الأعظم بعينه، وإنما جاءت على النحو التالي:

(١) حديث بريدة وفيه أورد جملة من الثناء على الله بالتوحيد، وبعض الأسماء الحسنى وتنزيه الخالق عن الوالد والولد، والكفء.

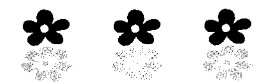
(٢) حديث أنس وفيه أورد جملة من الحمد لله والثناء عليه ببعض أسمائه الحسنى.

(٣) حديث أسماء بنت يزيد، ذكر أنه في آيتين من سورة البقرة وآل عمران اشتملت الآية الأولى على التوحيد ونفي الشرك، وعلى إثبات بعض الأسماء الحسنى، واشتملت الثانية على التوحيد أيضاً وإثبات بعض الأسماء الحسنى غير المذكورة في الآيات السابقة.

(٤) أما حديث أبي أمامة فقد وسع فيه مجال تحري هذا الاسم، فبيّن أنه في سور من القرآن ثلاث: في البقرة وآل عمران وطه.

وجملة الأسماء المفردة والإضافية التي وردت في أحاديث بريدة وأنس وأسماء هي (لفظ الجلالة (الله)، الأحد، الصمد، المنان، بديع السموات والأرض، ذو الجلال والإكرام، الحي، القيوم، الرحمن الرحيم) إضافة إلى كلمة التوحيد لا إله إلا الله، جاءت بضمير المخاطب مرة (أنت) بدل لفظ الجلالة، وبضمير الغائب (هو) مرة أخرى.

أما حديث أبي أمامة هذا فهو عام غير محدد[١].



(١) انظر: اسم الله الأعظم لشيخنا الدكتور عبد الله بن عمر الدميجي (ص١٦٣).



المبحث الرابع

«الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تُحد بعدد»

إن مسألة حصر الأسماء الحسنى ودخولها تحت عدد معين لم يرد بها دليل من الكتاب والسنة، ولم ينقل عن أحد من سلف الأمة، ولذا فإننا نجد أن الإمام ابن القيم قد أشار إلى هذه المسألة في بدائع الفوائد قائلاً: «إن أسماء الله الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد، فإن لله تعالى أسماءً وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل»[1]. وما ذكر الإمام ابن القيم هو القول الصواب وإن كان العلماء قد انقسموا في مسألة عدد الأسماء الحسنى إلى فريقين:

الفريق الأول: يقولون: «إن أسماء الله الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تُحد بعدد».

وهذا هو الصواب كما ذكرنا وعلى ذلك مضى سلف الأمة وأئمتها، وهو قول جمهور العلماء. وقد نقل الإمام النووي عليه الاتفاق، ولم يخالفهم فيه إلا طائفة من المتأخرين كابن حزم والسهيلي والرازي[2].

أما الفريق الثاني: فيقولون إن أسماء الله الحسنى محصورة بعدد معين، وزعموا أنها محصورة فيه، وإن كانوا على اختلاف في تحديد الرقم الذي يحددونه لأسماء الله، فهناك من يقول:

(١) إن أسماء الله ثلاثمائة فقط[3].

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٨٦).

(٢) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٢٢/ ٤٨٢).

(٣) الجوائز والصلات لنور الحسن (ص٤٠).

(٢) إن لله ألف اسم[١].

(٣) هي ألف وواحد[٢].

(٤) إن لله أربعة آلاف اسم، ألف لا يعلمه إلا الله، وألف لا يعلمه إلا الله والملائكة، وألف لا يعلمه إلا الله والملائكة والأنبياء، وأما الألف الرابع فإن المؤمنين يعلمونه فثلاثمائة منه في التوراة وثلاثمائة في الإنجيل، وثلاثمائة في الزبور ومائة في القرآن تسعة وتسعون منها ظاهرة، وواحد مكتوم[٣].

(٥) **ومنهم من يقول**: هي مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً عدد الأنبياء عليهم السلام، لأن كل نبي تمده حقيقة اسم خاص به مع إمداد بقية الأسماء له لتحققه بجميعها[٤].

(٦) **ومنهم من يقول**: إن أسماء الله تسعة وتسعون فقط[٥].

والحق أن القول الأول القائل: بأن أسماء الله لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد هو الصواب، كما سنرى ذلك من خلال الأدلة.

ولا ريب أن أسماء الله الحسنى غير محصورة بعدد معين ولا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد، وهذا قد دلت عليه نصوص كثيرة من أحاديث الرسول ﷺ منها: ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان وهو يقول: «اللهم أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[٦].

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٢٢٠). وانظر: زاد المعاد (١/ ٨٨) وعزاه لأبي الخطاب بن دحية الكلبي.
(٢) الجوائز والصلات (ص٤٠).
(٣) لوامع البينات للرازي (ص١٠٢)، وانظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٢٢٠).
(٤) الجوائز والصلات لنور الحسن (ص٤٠).
(٥) المحلّى لابن حزم (٨/ ٣١).
(٦) صحيح مسلم بشرح النووي (٤/ ٢٧١)، برقم (٤٨٦)، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود.

ووجه الدلالة في هذا الحديث (أنه ﷺ أخبر أنه لا يحصي ثناءً عليه، ولو أحصى جميع أسمائه لأحصى صفاته كلها فكان يحصي الثناء عليه؛ لأن صفاته إنما يعبر عنها بأسمائه)[1].

ومنها: ما ورد في حديث الشفاعة الطويل أنه ﷺ قال: «ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي»[2].

ووجه الدلالة من هذا الحديث أن هناك محامد من أسماء الله وصفاته يفتح الله بها على رسوله ﷺ في ذلك الوقت، وهي بلا شك غير المحامد المأثورة في الكتاب والسنة.

ومنها: حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما أصاب عبداً هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحاً»[3].

ويستدل الإمام ابن القيم على أن الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تُحد بعدد بحديث ابن مسعود هذا، وذلك أن فيه قسماً من أسمائه تعالى قد استأثر الله بعلمه في علم الغيب فلم يطلع عليه الخلق، فيقول بعد إيراده لهذا الحديث: «فجعل أسماءه ثلاثة أقسام: قسم سمَّىٰ به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته، أو غيرهم ولم ينزل به كتابه، وقسم أنزل به كتابه فتعرَّف به

---

(١) درء تعارض العقل والنقل للإمام ابن تيمية (٣/ ٣٣٢، ٣٣٣).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٣/ ٤٠٣)، برقم (٧٤١٠)، كتاب التوحيد من حديث أنس بن مالك، وانظر: سنن الترمذي (٤/ ٦٢٢)، برقم (٢٤٣٤)، كتاب صفة القيامة، من حديث أبي هريرة.

(٣) مسند الإمام أحمد (ص٣١٨)، برقم (٣٧١٢)، المستدرك للحاكم (٢/ ١٨٨)، برقم (١٩٢٠)، كتاب الدعاء، قال الهيثمي: رواه أحمد، وأبو يعلى والبزار، إلا أنه قال: «وذهاب غمي» مكان «همي»، والطبراني ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير الجهني وقد وثقه ابن حبان، انظر: مجمع الزوائد للهيثمي (١٠/ ١٣٦).

إلى عباده، وقسم استأثر به في علم غيبه فلم يطلع عليه أحدٌ من خلقه، ولهذا قال: «استأثرت به» أي انفردت بعلمه وليس المراد انفراده بالتسمي به، لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل بها كتابه. ومن هذا قول النبي ﷺ في حديث الشفاعة: «فيفتح عليّ من محامده بما لا أحسنه الآن»، وتلك المحامد هي تفي بأسمائه وصفاته. ومنه قوله ﷺ: لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[١].

والشاهد من قوله ﷺ: «أو استأثرت به في علم الغيب عندك» أن أسماءه أكثر من تسعة وتسعين، وأن له أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره[٢].

وبهذا يتبين أن أسماء الله غير محصورة في عدد معين وهذا هو قول جمهور العلماء كما سنرى، ولم يخالف في ذلك إلا ابن حزم[٣].

فهو يرى أنها محصورة بتسعة وتسعين اسماً. واستدل على ذلك بقول النبي ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة» فيرى أن هذا الحديث أفاد الحصر[٤].

ولا دلالة في الحديث لما ذهب إليه؛ لأن الحديث لا يفيد الحصر لأن الأصل في الكلام الاتصال لا الانفصال. يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما قوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة» فالكلام جملة واحدة. وقوله ﷺ: «من أحصاها دخل الجنة» صفة لا خبر مستقبل، والمعنى: له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة، وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها وهذا كما تقول: لفلان مائة مملوك قد أعدهم للجهاد، فلا ينفي هذا أن يكون له مماليك سواهم معدّون لغير الجهاد، وهذا لا خلاف بين العلماء فيه»[٥].

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٨٣).
(٢) شفاء العليل (ص٢٧٧).
(٣) الفِصَل لابن حزم (٢/ ٣٤٥)، وانظر: المحلى له (٨/ ٣١).
(٤) الفصل لابن حزم (٢/ ٣٤٥).
(٥) بدائع الفوائد (١/ ١٨٣)، وانظر: شفاء العليل (ص٢٧٧)، درء تعارض العقل والنقل للإمام ابن تيمية (٣/ ٣٣٢)، مجموع الفتاوى له (٢٢/ ٤٨٦).

والحديث لا يدل على الحصر كما ذكره غير واحد من العلماء، وإليك بعض أقوالهم:

١ ـ **الإمام ابن تيمية** حيث نقل على عدم الحصر قول جمهور العلماء فيه قائلاً: «والصواب الذي عليه جمهور العلماء أن قول النبي ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة» معناه أن من أحصى التسعة والتسعين من أسمائه دخل الجنة، وليس مراده أنه ليس له إلا تسعة وتسعون اسماً»[1].

ويستطرد رحمه الله في بيان هذا الحديث قائلاً: فإن الذي عليه جماهير المسلمين أن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين قالوا: ـ ومنهم الخطابي ـ قوله: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها. . .» التقييد بالعدد عائد إلى الأسماء الموصوفة بأنها هي هذه الأسماء؛ فهذه الجملة هي قوله: «من أحصاها دخل الجنة» صفة للتسعة والتسعين وليست جملة مبتدأة، ولكن موضعها النصب، ويجوز أن تكون مبتدأة والمعنى لا يختلف والتقدير: إن لله أسماءً بقدر هذا العدد من أحصاها دخل الجنة كما يقول القائل: إن لي مائة غلام أعددتهم للعتق، وألف درهم أعددتها للحج فالتقييد بالعدد هو في الموصوف بهذه الصفة لا من أصل استحقاقه لذلك العدد، فإنه لم يقل إن أسماء الله تسعة وتسعون.

قال: ويدلك على ذلك قوله في الحديث الذي رواه أحمد في المسند: «اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك»، فهذا يدل على أن لله أسماءً فوق تسعة وتسعين يحصيها بعض المؤمنين.

وأيضاً فقوله «إن لله تسعة وتسعين» تقييد بهذا العدد بمنزلة قوله: ﴿تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠].

فلما استقلّوهُم قال: «وما يعلم جنود ربك إلا هو» فأن لا يعلم أسماءه إلا هو أولى؛ وذكر أن هذا لو كان قد قيل منفرداً لم يغير النفي إلا بمفهوم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل للإمام ابن تيمية (٣/ ٣٣٢).

العدد الذي هو دون مفهوم الصفة، والنزاع فيه مشهور وإن كان المختار عندنا أن التخصيص بالذكر ـ بعد قيام المقتضي للعموم ـ يفيد الاختصاص بالحكم، فإن العدل عن وجوب التعميم إلى التخصيص إن لم يكن للاختصاص بالحكم وإلا كان تركاً للمقتضي بلا معارض وذلك ممتنع.

فقوله: «إن لله تسعة وتسعين» قد يكون للتحصيل بهذا العدد فوائد غير الحصر، و(منها: ذكر أن إحصاءها يورث الجنة؛ فإنه لو ذكر هذه الجملة منفردة وأتبعها بهذه منفردة لكان حسناً؛ فكيف والأصل في الكلام الاتصال وعدم الانفصال، فتكون الجملة الشرطية صفة لا ابتدائية. فهذا هو الراجح في العربية مع ما ذكر من الدليل)[(١)].

٢ ـ **وقد نقل الإمام النووي** الاتفاق على أن الحديث المذكور ليس فيه حصر لأسمائه ﷻ، فليس معناه أنه ليس له أسماء غير هذه التسعة والتسعين وإنما مقصود الحديث أن هذه التسعة والتسعين من أحصاها دخل الجنة، فاطراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء[(٢)].

٣ ـ وممن لا يرى في حديثه ﷺ حصراً لأسماء الله تعالى **البيهقي** حيث يقول في الأسماء والصفات: «وليس في قول النبي ﷺ تسعة وتسعون اسماً نفي غيرها، وإنما وقع التخصيص بذكرها لأنها أشهر الأسماء وأبينها معاني»[(٣)].

٤ ـ وممن قال بالزيادة على ما وردت به الروايات: **الغزالي**، واستدل على ذلك بأدلة فقال: «وقد ورد في الحديث: «لا تقولوا جاء رمضان، فإن رمضان اسم من أسماء الله تعالى، ولكن قولوا جاء شهر رمضان»[(٤)].

---

(١) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٦/ ٣٨١، ٣٨٢).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ٥)، وانظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٢٢٣).

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٢٧)، وانظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٢٢٤)

(٤) رواه ابن عدي وأبو الشيخ والبيهقي وضعّفه الديلمي من حديث أبي هريرة. انظر: =

وكذلك ورد عنه ﷺ أنه قال: «ما أصاب أحداً هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري وجلاء حُزني، وذهاب همي، إلا أذهب الله ﷻ همه وحزنه وأبدل مكانه فرحاً وقوله: «استأثرت به في علم الغيب عندك» يدل على أن الأسماء غير محصورة فيما وردت به الروايات المشهورة»[(١)].

٥ ـ وكذلك نجد أن الإمام **ابن كثير** عند الكلام على سرد الأسماء الحسنى يقول: «وليعلم أن الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين بدليل ما رواه الإمام أحمد في مسنده»[(٢)].

٦ ـ كما نجد أن **البغدادي** يشير إلى أن الفائدة ليست في حصر أسمائه الحسنى بتسعة وتسعين المنع من الزيادة عليها، لورود الشرع بأسماء له سواها، وإنما فائدته أن معاني جميع أسمائه محصورة في معاني هذه التسعة والتسعين[(٣)].

واختلف العلماء في تحديد الحكمة من حصر الثواب المخصوص في هذا العدد المعيَّن على وجوه:

الوجه الأول: ما ذكره الفخر الرازي[(٤)] ونسبه إلى الأكثر أنه تعبد لا يعقل معناه كما يقال في عد الصلوات الخمس.

= تخريج إحياء علوم الدين للعراقي وابن السبكي والزبيدي (٤/ ١٧٩١) برقم (٢٨٣٩) تحقيق الحداد.

(١) المقصد الأسنى للغزالي (ص١٤٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٦٩). وانظر الحديث في: مسند الإمام أحمد (ص٥٧٢) برقم (٧٦١٢).

(٣) أصول الدين للبغدادي (ص١٢٠).

(٤) الفخر الرازي: هو محمد بن عمر بن الحسين التيمي البكري الطبري الرازي، أبو عبد الله، الفخر الرازي، الملقب بابن الخطيب، ولد سنة ٥٤٤هـ، كان كثير الرحلة، فرحل إلى خوارزم، وطوس، وهراة، وبلاد ما وراء النهر، وغيرها من البلاد. قال عنه الذهبي: «رأس في الذكاء والعقليات، لكنه عري عن الآثار». انظر ترجمته: وفيات=

الوجه الثاني: ما حكي عن أبي خلف محمد بن عبد الملك الطبري[1] أنه قال: «إنما خص هذا العدد إشارة إلى أن الأسماء لا تؤخذ بالقياس».

الوجه الثالث: أن الحكمة هي وجود معاني الأسماء الحسنى في هذه الأسماء التسعة والتسعين.

الوجه الرابع: الإشارة إلى تفرد الله بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، إذ إن الأعداد إما فرد وإما زوج (الفرد أفضل من الزوج ومنتهى الإفراد من غير تكرار تسعة وتسعون لأن مائة وواحداً يتكرر فيه الواحد».

الوجه الخامس: أن هذا العد قصد به الحصر فهي مائة اسم استأثر الله بواحد منها، واختلف في تعيينه فقيل: هو لفظ الجلالة الله. وممن جزم بذلك السهيلي[2] فقال: (الأسماء الحسنى مائة على عدد درجات الجنة، والذي يكمل المائة (الله) ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] فالتسعة والتسعون لله فهي زائدة عليه وبه تكمل)[3].

وهذا الوجه أضعفها إذ هو مبني على حصر الأسماء الحسنى، وهو معارض بحديث: «أسألك بكل اسم هو لك . . .» الحديث.

= الأعيان لابن خلكان (٣/ ٣٨١)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١/ ٥٠٠)، الأعلام للزركلي (٦/ ٣١٣).

(١) الطبري: هو محمد بن عبد الملك بن خلف السلمي الطبري، أبو خلف، ولد سنة (٤٧٠هـ)، فقيه شافعي، له علم بالتصوف، له كتب منها: سلوة العارفين وأنس المشتاقين، والكناية في الفقه، قال الفيروزآبادي: بديع في فنه، وقال ابن الأثير: استحسنه كل من رآه. انظر ترجمته: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/ ٢٤٠، ٢٤١)، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٤٨)، معجم المؤلفين لكحالة (٣/ ٤٦٤).

(٢) السهيلي: هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الختمي السهيلي ولد سنة (٥٠٨هـ) حافظ، عالم باللغة والسير، ضرير، ولد في مالقه، نبغ فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه، من مؤلفاته: الروض الأنف، نتائج الفكر، الإيضاح والسنن، انظر ترجمته: وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ٦٨)، العبر للذهبي (٣/ ٨٢)، شذرات الذهب لابن العماد (٢/ ٢٧١)، الأعلام للزركلي (٣/ ٣١٣).

(٣) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٢٢).

والحق أن هذه التأويلات فيها ضربٌ من التكلّف، وليس عليها دليل يدل على واحد منها؛ بل ولم يرد فيها عن الأئمة المعتبرين ما يؤيد هذه التأويلات وتفويض العلم فيها إلى الله تعالى هو الصواب.

كما أنه لم يثبت حديث صحيح في تعيين التسعة والتسعين اسماً ـ كما سنرى ذلك في الفصل القادم ـ وعليه؛ فإن الذي يجزم بتعيين هذا العدد من الأسماء من الكتاب والسنة فإن جزمه غير سليم؛ لأنه لم يقم على تعيينها دليل يصح القول به ويعوّل عليه، والأسماء في الكتاب والسنة أكثر من هذا العدد[1]، لأن أصح رواية سردت الأسماء من الأحاديث هي رواية الوليد بن مسلم التي رواها الترمذي وغيره وسرد الأسماء فيها ضعف، وفي الكتاب والسنة أسماء لله لم ترد في حديث الترمذي، مثل اسم (الرب)، (المنان)، (الوتر)، (السبوح)، (الشافي)، الخ[2].

ويورد البغوي احتمالاً وجيهاً للتوفيق بين الروايات فيقول: «يحتمل أن يكون ذكر هذه الأسامي من بعض الرواة، وجمع هذه الأسامي في كتاب الله ﷻ وفي أحاديث الرسول ﷺ نصاً أو دلالة، ولله ﷻ أسماء سوى هذه الأسماء أتى بها الكتاب والسنة، وتخصيص بعضها بالذكر لكونها أشهر الأسماء.

وقيل: معنى قوله: «من أحصاها» معناه: أحصى من أسماء الله تعالى تسعاً وتسعين دخل الجنة، سواءٌ أحصى مما جاء في حديث الوليد بن مسلم أو من سائر ما دل عليه الكتاب أو السنة[3].

وفي كلام ابن الوزير ما يدل دلالة قطعية أن أسماء الله تعالى ليست محصورة في التسعة والتسعين حيث يقول: «وقد ثبت أن أسماء الله تعالى أكثر من ذلك المروي (أي التسعة والتسعون) بالضرورة والنص. أما الضرورة فإن في كتاب الله أكثر من ذلك، وأما النص: فحديث ابن مسعود رضي الله عنه»[4].

---

(١) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٢٢/ ٤٨٢)، والعواصم والقواصم لابن الوزير (٧/ ٢٢٨).

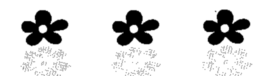
(٢) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٨٢ ـ ٤٨٦). (٣) شرح السنة للبغوي (٣/ ٧٧).

(٤) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير (ص١٦٩). وحديث ابن مسعود سبق تخريجه (ص٢٠١).

ويمكن أن نخلص من هذه الأقوال بنتيجتين:

الأولى: أن أسماء الله غير محصورة بعدد معين.

الثانية: أنه لم يرد في تعيين الأسماء التسعة والتسعين حديث صحيح، وغاية ما هنالك من سرد الأسماء، إنما هو من اجتهادات بعض العلماء التي يندرج فيها الصواب والخطأ، وفي عدم تعيينها حكمة بالغة، وهي أن يتطلبها الناس ويتحرونها في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ حتى يحرص العباد ويجتهدوا في عبادة الله بجميع ما يعرفونه من الأسماء الحسنى[١].



(١) المجموع الثمين للشيخ محمد العثيمين (٢/ ٦٩).

الفصل الثامن

«دراسة الروايات والطرق
التي سردت الأسماء الحسنى»

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: طرق الحديث الذي ليس فيه سرد الأسماء الحُسنى.

المبحث الثاني: دراسة الروايات والطرق التي سردت الأسماء الحُسنى.

تمهيد

إن الكلام عن طرق حديث الأسماء الحسنى متعلق بما قد سبق الكلام عليه في مبحث إحصاء الأسماء الحسنى، وذلك أن الكلام على ما سبق فرع عن الكلام على هذا المبحث، فكما رأينا فإن العلماء قد انقسموا في مسألة حصر الأسماء الحسنى إلى فريقين:

فريق يرى حصر الأسماء الحسنى في التسعة والتسعين، وفريق آخر لا يرى أن أسماء الله مقصورة على التسعة والتسعين بناءً على الحديث، وذكرنا أن دليلهم في ذلك أن الحديث لا يمنع من الزيادة على العدد المذكور، وقد ذهب الإمام ابن القيم إلى القول بعدم الحصر وذلك لأن حديث الوليد بن مسلم فيه إدراج عن شيوخه من أهل الحديث، كما سنرى هذا عند الكلام عن طرق الحديث. أما الذين يرون أن الحديث يفيد الحصر مثل: القرطبي[1] والنووي[2] والشوكاني[3] وغيرهم فإنهم ما بين معتقد لصحة

---

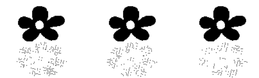
(١) جامع الأحكام للقرطبي (٧/ ٣٢٥).
القرطبي: محمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي. من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أهل قرطبة
من مؤلفاته: الجامع لأحكام القرآن، والأسنى في شرح الأسماء الحسنى، والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة. انظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٣٢٢).

(٢) الأذكار للنووي (ص٩٤).
النووي: هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، الفودي، الشافعي، أبو زكريا محي الدين، علَّامة بالفقه، والحديث، مولده ووفاته في نوى. من قرى حوران بسورية. من كتبه: «تهذيب الأسماء والصفات، وشرح المهذب للشيرازي، وشرح صحيح مسلم». انظر: الأعلام للزركلي (٨/ ١٤٩).

(٣) تحفة الذاكرين للشوكاني (ص٦٥).
الشوكاني: هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد، من كبار=

حديث الأسماء، أو مقلد لمن صحح أو مستأنس بمتابعة الأكثر على القبول.

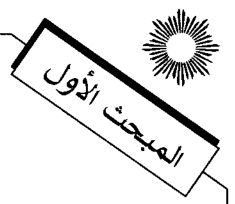
وقبل العرض لدراسة الروايات والطرق التي سردت الأسماء الحسنى وذكر أقوال الفريقين بالتفصيل نود الإشارة أنه سبق أن ذكرنا **أن الإمام ابن القيم**: يرى أن الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد، فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده، لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل كما في الحديث الصحيح: «أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحد من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك»، فجعل أسماءَه ثلاثة أقسام: قسم سمى به نفسه فأظهره لمن يشاء من ملائكته أو غيرهم ولم ينزل به كتابه، وقسم أنزل به كتابه فتعرف به إلى عباده، وقسم استأثر به في علم غيبه فلم يطلع عليه أحداً من خلقه[1].



= علماء اليمن، من أهل صنعاء ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان) ونشأ بصنعاء، وولي القضاء بها سنة (١٢٢٩) ومات حاكماً بها وكان يرى حرمة التقليد، له (١١٤) مؤلفاً، منها: نيل الأوطار. انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٢٩٨).

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٨٣).





طرق الحديث
الذي ليس فيه سرد الأسماء الحسنى

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة».

وقد رواه عن أبي هريرة خمسة من التابعين، وهم: عبد الرحمن الأعرج[1]، ومحمد بن سيرين[2]، وهمام بن منبه[3]، وأبو رافع[4]، وأبو سلمة[5] ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، وتفصيل القول فيمن رواه عنهم، ومن أخرج هذه الطرق كما يلي:

---

(١) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، أبو داود المدني، قال ابن المديني: ثقة، توفي سنة (١١٧هـ). انظر ترجمته: تهذيب التهذيب لابن حجر (٦/ ٢٩٠)، تقريب التهذيب لابن حجر (١/ ٥٠١).

(٢) محمد بن سيرين الأنصاري، أبو بكر بن أبي عمرة البصري، إمام وقته، ثقة من كبار التابعين، توفي سنة (١١٠). انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٦٠٦)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٦/ ٢١٩) تقريب التهذيب لابن حجر (٢/ ١٦٩).

(٣) همام بن منبِّه بن كامل بن شيخ اليماني، أبو عقبة الأينادوي، قال ابن معين: ثقة، وقال أحمد: كان همام يغزو ويشتري الكتب لأخيه وهب. توفي سنة (٣٢هـ). انظر ترجمته: الكاشف للذهبي (٣/ ٢٠٨)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٢/ ٣٢١).

(٤) نفيع بن رافع الصائغ، أبو رافع المدني، نزيل البصرة، قال العجلي: بصري تابعي ثقة من كبار التابعين، وقال أبو حاتم: ليس به بأس، وهو ثقة ثبت. انظر ترجمته: الكاشف للذهبي (٣/ ٢٠٨) تهذيب التهذيب لابن حجر (١٠/ ٤٧٢)، تقريب التهذيب لابن حجر (٢/ ٣٠٦).

(٥) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني، قيل: اسمه عبد الله، وقيل: اسماعيل، وقيل: اسمه كنيته. قال أبو زرعة: ثقة. توفي سنة (٩٤هـ). انظر ترجمته: تهذيب التهذيب لابن حجر (١٢/ ١١٥)، تقريب التهذيب لابن حجر (٢/ ٤٣٠).

١ ـ رواية الأعرج، رواها عنه: أبو الزناد، ورواها عن أبي الزناد[(١)] جمع، منهم:

(أ) شعيب بن أبي حمزة[(٢)].

(ب) سفيان بن عيينة[(٣)].

(ج) مالك بن أنس[(٤)].

(د) ورقاء بن عمر[(٥)].

٢ ـ رواية محمد بن سيرين، رواها عنه:

(أ) أيوب السختياني[(٦)].

---

(١) عبد الله بن ذكوان القرشي، أبو عبد الرحمن المدني، ثقة فقيه، توفي سنة (١٣٠هـ). انظر ترجمته: تهذيب التهذيب لابن حجر (٥/ ٢٠٣)، تقريب التهذيب لابن حجر (١/ ٤١٣).

(٢) أخرج الحديث بهذا الطريق: البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلَّا واحدة (انظر: فتح الباري (١٣/ ٣٧٧) برقم (٧٣٩٢). وفي كتاب الشروط، باب: ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار. انظر: فتح الباري (٥/ ٣٥٤) برقم (٢٧٣٦)، وابن منده في كتاب التوحيد برقم (١٥٦) والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الإيمان (١٠/ ٢٧). وشعيب بن أبي حمزة، اسم أبيه دينار، الأموي، مولاهم، أبو بشر الحمصي، قال العجلي: ثقة. توفي سنة (١٦٢هـ). انظر ترجمته: تهذيب التهذيب لابن حجر (٤/ ٣٥٢)، تقريب التهذيب لابن حجر (١/ ٣٥٢).

(٣) أخرج حديثه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، برقم (٢٦٧٧)، والحميدي في مسنده برقم (١١٣٠)، (٢/ ٤٧٩)، والدارمي في رده على المريسي (ص١٢). وسفيان بن عيينة هو ابن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي سكن مكة، ثقة حافظ فقيه امام حجة، إلَّا أنه تغير حفظه في آخر حياته. توفي سنة (١٩٨هـ). انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي (٨/ ٤٥٤)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٤/ ١١٧).

(٤) أخرج حديثه ابن منده في كتاب التوحيد، حديث رقم (١٥٤) (٢/ ١٤).

(٥) أخرج حديثه ابن منده في كتاب التوحيد، حديث رقم (١٥٥) (٢/ ١٥). وورقاء بن عمر هو: ابن كليب اليشكري، صدوق، عالم، من ثقات التابعين، قال أحمد: ثقة صاحب سنة، وقال ابن معين: ورقاء ثقة. انظر ترجمته: ميزان الاعتدال للذهبي (٤/ ٣٣٢)، تهذيب التهذيب لابن حجر (١/ ٣٩٧).

(٦) أخرج حديثه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب: في أسماء الله تعالى، وفضل من أحصاها، حديث رقم (٢٦٧٧)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٦٧). وأيوب=

(ب) هشام بن حسان[1].

(ج) عبد الله بن عون[2].

(د) خالد الحذاء[3].

(هـ) عاصم بن سليمان[4].

(و) عوف بن أبي جميلة[5].

= السختياني هو: أيوب بن أبي تميمة بن كيسان السختياني، أبو بكر البصري، كان سيد الفقهاء، قال النسائي: ثقة ثبت من كبار الفقهاء العباد. توفي سنة (١٣١هـ). انظر ترجمته: تهذيب التهذيب لابن حجر (١/ ٣٩٧)، تقريب التهذيب له، (١/ ٨٩).

(١) أخرج حديثه الترمذي في جامعه، كتاب الدعوات، حديث رقم (٣٥٧٣)، وأحمد في مسنده (٢/ ٤٢٧)، وابن منده في كتاب التوحيد، حديث رقم (١٥٩)، وابن حبان في صحيحه، كتاب الرقاق، حديث رقم (٨٠٤). وهشام بن حسان هو: الأزدي الفردوسي، أبو عبد الله البصري. ذكره ابن حبان في الثقات، وقال أبو داود: إنما تكلموا في حديثه عن الحسن وعطاء؛ لأنَّه كان يرسل، وقال ابن حجر: ثقة، وهو من أثبت الناس في ابن سيرين. توفي سنة (١٤٨هـ). انظر ترجمته: تهذيب التهذيب لابن حجر (١١/ ٣٤)، تقريب التهذيب له (٢/ ٣١٨).

(٢) أخرج حديثه أحمد في مسنده (٢/ ٥١٦)، وابن منده في كتاب التوحيد، حديث رقم (١٥٩). وعبد الله بن عون هو: ابن أرطبان المزني، أو عبد الله البصري، من أقران أيوب في العلم والعمل والسن. ثقة يثب فاضل، توفي سنة (١٥٠هـ). انظر ترجمته: تهذيب التهذيب لابن حجر (٥/ ٣٤٦)، تقريب التهذيب له (١/ ٤٣٩).

(٣) أخرج حديثه أحمد في مسنده (٢/ ٤٩٩).

وخالد الحذاء هو: ابن مهران، أبو المنازل البصري، لقب بالحذاء، لأنَّه كان يجلس عند الحذائين أو لأنه كان يكثر من قول: احذ على هذا النحو، وهو ثقة يرسل، توفي سنة (١٤١هـ). انظر ترجمته: تهذيب التهذيب لابن حجر (٣/ ١٢٠)، تقريب التهذيب لابن حجر (١/ ٢١٩).

(٤) أخرج حديثه ابن منده في كتاب التوحيد، حديث رقم (١٦٠) وحديث (٢٤٤). وعاصم بن سليمان هو: عاصم بن سليمان الأحول، أبو عبد الرحمن البصري، مولى بني تميم، قال عنه أحمد: شيخ ثقة من حفاظ الحديث. توفي سنة (١٤٢هـ). انظر ترجمته: تهذيب التهذيب لابن حجر (٥/ ٤٢)، تقريب التهذيب له (١/ ٣٨٤).

(٥) أخرج حديثه ابن منده في كتاب التوحيد، حديث رقم (١٦١). وعوف بن أبي جميلة هو: العبدي الهجري أبو سهل البصري، المعروف بالأعرابي، واسم جميلة: الندوية، ويقال أن ندوية اسم أمه، واسم أبيه: رزين، قال ابن معين: ثقة، وهو ثقة رُمي بالتشيع. توفي سنة (١٤٦هـ). انظر ترجمته: تهذيب التهذيب لابن حجر (٨/ ١٦٦)، تقريب التهذيب له (٢/ ٨٩).

٣ ـ رواية همام بن منبه، رواها عنه:
(أ) أيوب السختياني[١].
(ب) معمر بن راشد[٢].
٤ ـ رواية أبي رافع، رواها عنه: قتادة[٣].
٥ ـ رواية أبي سلمة، رواها عنه: محمد بن عمرو بن علقمة الليثي[٤].
ولعله يكفي في بيان الحكم على الحديث أن يرويه الإمامان الجليلان البخاري ومسلم.

---

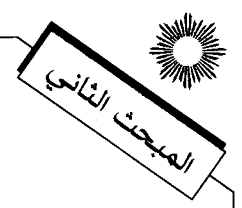
(١) أخرج حديثه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر، حديث رقم (٢٦٧٧) وأحمد في مسنده (٢/ ٢٦٧).

(٢) أخرج حديثه أحمد في مسنده (٢/ ٣١٤) وابن منده في كتاب التوحيد، حديث رقم (١٥٨)، والبغوي في معالم التنزيل (٢/ ٢١٧)، وفي شرح السنة له، كتاب الدعوات حديث رقم (١٢٥٦)، والبيهقي في الاعتقاد (ص٣٠).
ومعمر بن راشد هو: الأزدي الحراني، أبو عروة بن أبي عمرو الأنصاري، سكن اليمن، وهو ثقة فاضل، إلَّا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عروة شيئاً. توفي سنة (١٥٤هـ). انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٥)، تهذيب التهذيب لابن حجر (١٠/ ٢٤٣)، تقريب التهذيب له (٢/ ٢٦٦).

(٣) أخرج حديثه الترمذي في جامعه، كتاب الدعوات، حديث رقم (٣٥٧٣). وهذا الطريق فيه مقال، انظر: التوحيد لابن منده (٢/ ١٦). وقتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز بن عمرو السدوسي، أبو الخطاب البصري، ولد أكمه، وهو ثقة ثبت. توفي سنة (١١٧هـ). انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٢٦٩)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٨/ ٣٥١)، تقريب التهذيب له (٢/ ١٢٣).

(٤) أخرج حديثه ابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، حديث رقم (٣٨٦٠)، وأحمد في مسنده (٢/ ٥٠٣). وهذا الطريق فيه مقال. انظر: كتاب التوحيد لابن منده (٢/ ١٦).
وقد روى عن أبي هريرة غير هؤلاء مثل: عطاء بن يسار، وسعيد المقبري، وسعيد بن المسيب، وعبد الله بن شفيق، ومحمد بن جبير بن مطعم والحسن البصري، كلها عند أبي نعيم، وعواك بن مالك البزار، وكل هذه أسانيد ضعيفة.
انظر: كتاب التوحيد لابن منده (٢/ ١٦) وفتح الباري لابن حجر (١١/ ٢١٨).
ومحمود بن عمرو الليثي هو: أبو عبد الله، ويقال: أبو الحسن المدني، قال أبو حاتم: صالح الحديث، يُكتب حديثه وهو شيخ، وقال النسائي: ليس به بأس وهو صدوق له أوهام، توفي سنة (١٤٥هـ). انظر ترجمته: تهذيب التهذيب لابن حجر (٩/ ٣٧٥)، تقريب التهذيب له (٢/ ١٩٦). وللتوسع في معرفة طرق الحديث انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢١٨).





دراسة الروايات والطرق التي سردت الأسماء الحسنى

للحكم على هذه الأحاديث التي ذكر فيها سرد الأسماء بالصحة أو الضعف، لا بد من النظر في أسانيد الطرق التي ورد فيها سرد الأسماء، والنظر كذلك في متن الحديث بحسب القواعد المعتبرة عند المحدثين، حتى يمكن إصدار حكم على الحديث من حيث صحته أو ضعفه.

فأما من جهة السند: فقد روي الحديث وفي آخره سرد الأسماء بثلاثة طرق:

١ ـ **الطريق الأول:** وهو طريق عبد العزيز بن الحصيني عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة: الله، الرحمن، الرحيم، الإله، الرب، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، الحليم، العليم، السميع، البصير، الحي، القيوم، الواسع، اللطيف، الخبير، الحنان، المنان، البديع، الودود، الغفور، الشكور، المجيد، المبدئ، المعيد، النور، البادي، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، العفو، الغفار، الوهاب، القادر، الأحد، الصمد، الوكيل، الكافي، الباقي، الحميد، المغيث، الدائم، المتعالي، ذو الجلال والإكرام، المولى، النصير، الحق، المبين، الباعث، المجيب، المحيي، المميت، الجليل، الصادق، الحافظ، المحيط، الكبير، القريب، الرقيب، الفتاح، التواب، القديم، الوتر، الفاطر، الرزاق، العلام، العلي، العظيم، الغني، المليك، المقتدر، الأكرم، الرؤوف، المدبر، القدير، المالك، القاهر، الهادي، الشاكر، الكريم، الرفيع، الشهيد، الواحد، ذو الطول، ذو المعارج، ذو

الفضل، الخلاق، الكفيل، الجميل»[1].

٢ ـ **الطريق الثاني**: وهو طريق عبد الملك بن محمد الصنعاني[2] قال: حدثنا أبو المنذر زهير بن محمد التميمي[3]، حدثنا موسى بن عقبة[4]، حدثني عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً ـ مائة إلا واحداً؛ إنه وتر يحب الوتر ـ من حفظها دخل الجنة، هي: الله، الواحد، الصمد، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الخالق، البارئ، المصور، الملك، الحق، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الرحمن، الرحيم، اللطيف، الخبير، السميع، البصير، العليم، العظيم، البار، المتعال، الجليل، الجميل، الحي، القيوم، القادر، القاهر، العلي، الحكيم، القريب، المجيب، الغني، الوهاب، الودود، الشكور، الماجد، الواحد، الوالي، الراشد، العفو، الغفور، الحليم، الكريم، التواب، الرب، المجيد، الولي، الشهيد، المبين، البرهان، الرؤوف، الرحيم، المبدئ، المعيد، الباعث، الوارث، القوي، الشديد، الضار، النافع، الباقي، الواقي، الخافض، الرافع، القابض، الباسط، المعز، المذل، المقسط،

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٣٢) باب: بيان أن لله جل ثناؤه أسماء أخر، وانظر: الاعتقاد له (ص٣١) باب: ذكر أسماء الله وصفاته عزت أسماؤه وجل ثناؤه. مستدرك الحاكم (١/ ١٦٦ ـ ١٦٨) كتاب الإيمان: «إن لله تسعة وتسعين اسماً».

(٢) عبد الملك بن محمد الحميري البرسمي، أبو الزرقاء، ويقال: أبو محمد الصنعاني، قال ابن حبان: كان يجيب فيما يسأل عنه وينفرد بالموضوعات، ولا يجوز الاحتجاج بروايته، وهو لين الحديث. انظر ترجمته: تهذيب التهذيب لابن حجر (٦/ ٤٢٢)، وتقريب التهذيب له (١/ ٥٢٢).

(٣) زهير بن محمد التميمي، أبو المنذر الخراساني، المروزي، الخرقي، سكن الشام ثم الحجاز، رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة؛ فضعف بسببها. قال أبو حاتم: حدث بالشام من حفظه فكثر غلطه. توفي سنة ١١٢هـ. انظر ترجمته: ميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٨٤)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٣/ ٣٤٨)، تقريب التهذيب لابن حجر (١/ ٢٦٤).

(٤) موسى بن عقبة بن عياش الأسدي، مولى آل الزبير، ثقة فقيه، إمام في المغازي. توفي سنة ١٤١هـ. انظر ترجمته: تهذيب التهذيب لابن حجر (١٠/ ٣٦٠)، تقريب التهذيب له (٢/ ٢٨٦).

الرازق، ذو القوة، المتين، القائم، الدائم، الحافظ، الوكيل، الفاطر، السامع، المعطي، المحيي، المميت، المانع، الجامع، الهادي، الكافي، الأبد، العالم، الصادق، النور، المنير، التام، القديم، الوتر، الأحد، الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»[1].

٣ ـ **الطريق الثالث**: وهو طريق الوليد بن مسلم[2] قال: أخبرنا شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً؛ مائة غير واحدة، من أحصاها دخل الجنة.

هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، التواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور»[3].

---

(١) سنن ابن ماجه (ص٥٥٢) برقم (٣٨٦١) الدعاء.

(٢) الوليد بن مسلم هو: الوليد بن مسلم القرشي، مولى بني أمية، أبو العباس الدمشقي، عالم الشام، وهو ثقة لكن كان كثير تدليس التسوية، توفي سنة (٩٦هـ). انظر ترجمته: تهذيب التهذيب لابن حجر (١١/١٥١)، تقريب التهذيب لابن حجر (٢/٣٣٦).

(٣) انظر: سنن الترمذي (٥/ ٥٣٠، ٥٣١) برقم (٣٥٠٦) أبواب الدعوات، (٨٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب التوحيد لابن منده (٢/ ٢٠٥) برقم (٣٦٦)، =

فالطريق الأول مداره على: عبد العزيز بن الحصين، وعبد العزيز هذا ضعفه العلماء ونقل الإمام الذهبي[1] تضعيف العلماء له، ومن هذه الأقوال:

قول البخاري: ليس بالقوي عندهم.

وقول مسلم: ذاهب الحديث. وضعفه ابن معين[2].

وقال ابن عدي[3]: الضعف على رواياته بيِّن.

ثم ذكر الذهبي حديث سرد الأسماء[4].

وقال البيهقي: ضعيف الحديث عند أهل النقل[5].

وذكره العقيلي[6] **في الضعفاء**، وذكر في ترجمته حديث سرد الأسماء، وقال: لا يتابع عليه (أي في هذا الحديث)؛ لأن فيه ليناً واضطراباً[7].

= سنن البيهقي (١٠/ ٢٧) كتاب الإيمان، الاعتقاد له (ص٣٣ ـ ٣٥)، الأسماء والصفات له (١/ ٢٨) بيان الأسماء التي من أحصاها دخل الجنة. الرد على الجهمية (ص١٨). شرح السنة للبغوي (٥/ ٣٢) برقم (١٢٥٧) كتاب الدعوات، مستدرك الحاكم (١/ ١٦٦) برقم (٤٢ ـ ٤٤) كتاب الإيمان، «إن لله تسعة وتسعين اسماً».

(١) التركماني هو: محمد بن أحمد بن عثمان التركماني الأصل، الدمشقي الذهبي. ولد بدمشق، وطلب العلم بها، من أهم وأشهر مؤلفاته: تذكرة الحفاظ، سير أعلام النبلاء، توفي سنة (٧٤٨هـ). انظر ترجمته: الدرر الكامنة لابن حجر (٣/ ٤٢٦)، شذرات الذهب لابن العماد (٦/ ١٥٣)، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٢٢).

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٦٢٧)، وانظر: التلخيص الحبير لابن حجر (٤/ ١٩٠).

(٣) ابن عدي هو: عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد الجرجاني، أبو أحمد، نشأ بجرجان، قال حمزة السهمي: لم يكن في زمانه مثله، صاحب كتاب الكامل في ضعفاء الرجال، وقال الذهبي: لأبي أحمد بن عدي كتاب الكامل، هو أكمل الكتب وأجلّها في ذلك، توفي سنة (٣٦٥هـ). انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي(١٦/ ١٥٤)، وانظر: طبقات الشافعية للسبكي (٣/ ٣١٥).

(٤) ميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٦٢٧). (٥) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٣٣)

(٦) العقيلي هو: محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي، صاحب الجرح والتعديل، ثقة جليل القدر، عالم بالحديث، مقدم في الحفظ، توفي سنة (٣٢٢هـ). انظر ترجمته: شذرات الذهب لابن العماد (٢/ ٢٩٥)، الرسالة المستطرفة للكتاني (ص١٠٨)، الأعلام للزركلي (٧/ ٢١٠).

(٧) الضعفاء الكبير للعقيلي (٣/ ١٥).

وقال ابن حجر: متفق على ضعفه[1].

ووثقهُ الحاكم[2] في مستدركه، وتعقبه عليه الذهبي في تلخيصه المستدرك وقال: بل ضعفوه، [3]وقال ابن حجر عن توثيق الحاكم له: وأعجب من كل ما تقدم (أي من ذكر أقوال العلماء في تضعيفه) أن الحاكم أخرج له في المستدرك، وقال: ثقة[4].

وبهذا تبين أن الحديث بهذا السند ضعيف، وقرينةُ ضعفه أن الحديث روي بالسند نفسه عن غير عبد العزيز بن الحصين، ولم يقع فيه سرد الأسماء، فقد روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده عن عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة»[5].

وأما الطريق الثاني: فعمدته عبد الملك بن محمد الصنعاني، وهو ممن لا يحتج بحديثه، فنقل ابن حجر قول ابن حبان عنه: لا يجوز الاحتجاج بروايته[6].

وقال الذهبي: ليس بحجة.

وقال ابن حجر: لين الحديث[7].

---

(١) التلخيص الحبير لابن حجر (٤/ ١٩٠).

(٢) الحاكم هو: محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري، الشهير بالحاكم، ويعرف بابن البيع، من أكابر حفاظ الحديث، صاحب كتاب المستدرك على الصحيحين. توفي سنة (٤٠٥هـ). انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/ ١٦٢)، تبيين كذب المفتري لابن عساكر (ص٢٢٧)، الأعلام للزركلي (٧/ ١٠١).

(٣) المستدرك للحاكم (١/ ١٧).

(٤) لسان الميزان لابن حجر (٤/ ٢٩).

(٥) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ٧) برقم (٢٦٧٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. وانظر: مسند الإمام أحمد (ص٥٧٢) برقم (٧٦١٢) مسند المكثرين، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) تهذيب التهذيب لابن حجر (٦/ ٤٢٢).

(٧) تقريب التهذيب لابن حجر (١/ ٥٢٢).

وقد ضعف البوصيري[(١)] في مصباح الزجاجة هذا الحديث بهذا الطريق لضعف عبد الملك بن محمد الصنعاني[(٢)]. وبهذا القدر من أقوال أهل هذا الفن يكون الحديث بهذا السند ضعيفاً.

وأما الطريق الثالث: فمداره على: الوليد بن مسلم الدمشقي، وفي كلام بعض العلماء ما يشعر بتوثيق الوليد، وقد نقل الحافظ ابن حجر أقوال بعض العلماء فيه، ومن هذه الأقوال: **قول عبد الله بن أحمد[(٣)] عن أبيه: ما رأيت أعقل منه.**

وقول علي بن المديني[(٤)]: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي[(٥)] عن الوليد، ثم سمعت من الوليد، وما رأيت من الشاميين مثله.

وقول ابن سعد[(٦)]: كان ثقة كثير الحديث[(٧)] لكن يؤخذ على الوليد أنه

---

(١) البوصيري هو: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز البوصيري القاهري الشافعي، محدث، جمع زوائد ابن ماجه على باقي الكتب الخمسة مع الكلام على أسانيدها، توفي سنة (٨٤٠هـ). انظر ترجمته: الضوء اللامع للسخاوي (١/ ٢٥١)، حسن المحاضرة للسيوطي (١/ ٣٦٣)، معجم المؤلفين لكحالة (١/ ١٧٥).

(٢) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (٤/ ١٤٨).

(٣) هو: عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن الشيباني، أبو عبد الرحمن البغدادي، وَلد الإمام أحمد بن حنبل وهو ثقة، توفي سنة (٢٩٠هـ). انظر ترجمته: تهذيب التهذيب لابن حجر (٥/ ١٤١)، تقريب التهذيب له (١/ ٤٠١).

(٤) علي بن عبد الله بن جعفر المديني، أحد الأعلام الأثبات، الحافظ، له نحو مائتي مصنف، من أعلم الناس بالعلل والرجال، توفي سنة (٢٣٤هـ). انظر ترجمته: طبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/ ٢٢٥)، سير أعلام النبلاء للذهبي (١١/ ٤٢)، طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ١٤٥).

(٥) ابن مهدي هو: عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن العنبري، وقيل: الأزدي، أبو سعيد البصري اللؤلؤي، الإمام الحافظ العلم، ثقة ثبت، عارف بالرجال والحديث، قال ابن المديني: ما رأيت أعلم منه. توفي سنة (١٩٨هـ). انظر ترجمته: تهذيب التهذيب لابن حجر (٦/ ٢٧٩)، تقريب التهذيب له (١/ ٤٩٩).

(٦) ابن سعد هو: محمد بن سعد الزهري، مؤرخ ولد بالبصرة، وسكن بغداد، وتوفي بها، لازم الواقدي المؤرخ، وأشهر كتبه: الطبقات الكبرى. توفي سنة (٢٣٠هـ). انظر ترجمته: الفهرست لابن النديم (ص١٤٥)، الأعلام للزركلي (٧/ ٦).

(٧) تهذيب التهذيب لابن حجر (١١/ ١٥٢، ١٥٣)

يدلس تدليس التسوية[1].

قال أبو مسهر[2]: **الوليد مدلس، وربما دلس عن الكذابين**[3].

قال عنه الذهبي: إذا قال (حدثنا)، فهو حجة[4].

وقال: كان مدلساً، فينتقي من حديثه ما قال فيه: (عن)[5].

وقال الحافظ ابن حجر: ثقة، لكنه كثير التدليس والتسوية[6].

وخلاصة القول: إنه ثقة، إذا صرح بالسماع، وهو في هذا الحديث قد صرح به وأتى بلفظ (أخبرنا).

وبقية رجال السند في الحديث ثقات، فشيخ الوليد بن مسلم: شعيب بن أبي حمزة (الحافظ)[7] وهو ثقة عابد[8].

وأما أبو الزناد: عبد الله بن ذكوان فهو: (الإمام الثبت)[9] وقال الذهبي: عمدة في الدين[10]، وقال ابن حجر: ثقة فقيه[11].

---

(١) تدليس التسوية: هو أن يجيء المدلس إلى حديث سمعه من شيخ ثقة، وقد سمعه الشيخ الثقة من شيخ ضعيف، وذلك الشيخ الضعيف يرويه عن شيخ ثقة، فيعمد المدلس الذي سمع الحديث من الثقة الأول فيسقط منه شيخه الضعيف، ويجعله من رواية شيخه الثقة عن الثقة الثاني بلفظ محتمل كالعنعنة ونحوها، فيصير الإسناد كله ثقات، وممن كان يصنع هذا الوليد بن مسلم، والأعمش، وسفيان الثوري. انظر: التقييد والإيضاح للعراقي (ص٩٦)، فتح المغيث للسخاوي (١/ ١٩٣)، تدريب الراوي للسيوطي (١/ ٢٢٤).

(٢) أبو مسهر هو: عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى بن مسلم الغساني، أبو مسهر الدمشقي، قال أحمد: رحم الله أبا مسهر، ما كان أثبته، وهو ثقة فاضل. توفي سنة (٢١٨ هـ). انظر ترجمته: تهذيب التهذيب لابن حجر (٦/ ٩٨)، تقريب التهذيب له (٢/ ٤٦٥).

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي (٤/ ٣٤٧).

(٤) ميزان الاعتدال للذهبي (٤/ ٣٤٨).

(٥) الكاشف للذهبي (٣/ ٢٤٢).

(٦) تقريب التهذيب لابن حجر (٢/ ٣٣٦).

(٧) الكاشف الذهبي (٢/ ١٢).

(٨) تقريب التهذيب لابن حجر (١/ ٣٥٢).

(٩) انظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٤١٨).

(١٠) انظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٤٢٠).

(١١) انظر: تقريب التهذيب لابن حجر (١/ ٤١٣).

وأما الأعرج: عبد الرحمن بن هرمز: فهو ثقة ثبت عالم[1].

فهذا السند رجاله ثقات، لكن قد روي عن الوليد بن مسلم بطريق أخرى، ولم يذكر الأسماء. فقد أخرج الدارمي عن هشام بن عمار الدمشقي[2] حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا خليد بن دعلج[3] عن قتادة عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «لله تسعة وتسعون اسماً، من أحصاها دخل الجنة»[4].

ويبقى القول أن أقرب الطرق إلى الصحة هي رواية الوليد بن مسلم عن شعيب بن أبي حمزة، كما قال ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني[5]، ومع ذلك فالحديث ضعيف، وكما علق الألباني على كلام الترمذي بعد إخراجه هذه الرواية، حيث قال الترمذي: هذا حديث غريب[6]، فعلق عليه الألباني، وقال: أي: ضعيف[7].

وأما من جهة المتن ففيه أمور قادحة غير ما في السند من تفرد الوليد بن مسلم ذكرها الحافظ ابن حجر في الفتح، فقال راداً على الحاكم في تعليله عدم إخراج البخاري ومسلم لرواية سرد الأسماء بأنه لتفرد الوليد بن مسلم فقط[8]، فقال: «وليست العلة عند الشيخين تفرد الوليد فقط، بل الاختلاف فيه، والاضطراب، وتدليسه واحتمال الإدراج وغيرها».

فالعلة هنا ليست في السند فقط، بتفرد الوليد أو تدليسه، بل هناك علل

---

(١) تقريب التهذيب لابن حجر (١/ ٥٠١).

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر (١١/ ٥١) وانظر: تقريب التهذيب له (٢/ ٣٢٠).

(٣) هو: خليد بن دعلج السدوسي، أبو عمر، بصري، نزل القدس، عدّه الدارقطني من المتروكين، ولم يخرج له أحد من الستة وهو ضعيف. توفي سنة (١٦٦هـ). انظر ترجمته: ميزان الاعتدال للذهبي (١/ ٦٦٣)، تقريب التهذيب لابن حجر (١/ ٢٢٧).

(٤) الرد على الجهمية للدارمي (ص١٨)، وخليد ضعيف، وانظر: تقريب التهذيب لابن حجر (١/ ٢٢٧).

(٥) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١١/ ٢١٩).

(٦) سنن الترمذي (٥/ ١٩٣).

(٧) مشكاة المصابيح (١/ ٧٠٢).

(٨) انظر: المستدرك للحاكم (١/ ١٦).

أخرى في المتن أيضاً، من الاختلاف والاضطراب، واحتمال الإدراج وغيرها.

أما الاختلاف بين الروايات والاضطراب بينها، فهذا حاصل بين الطرق الثلاثة التي ورد فيها سرد الأسماء، فلم تتفق روايتان على سرد موحد للأسماء لا اختلاف بينها.

كما أن الروايات عن الوليد بن مسلم نفسه بينها اختلاف واضطراب. فالرواية المشهورة عن الوليد بن مسلم والتي عوّل عليها غالب من شرح الأسماء الحسنى، وهي التي أخرجها الترمذي في جامعه[1].

وهذه الرواية قد خالفها رواية أخرى أخرجها الطبراني[2] عن أبي زرعة الدمشقي عن صفوان بن صالح[3] عن الوليد بن مسلم. ففي رواية الطبراني وقعت المخالفة لعدة أسماء منها: (القائم، الدائم) بدل (القابض،الباسط)، و(الشديد) بدل (الرشيد)، و(الأعلى، المحيط، مالك يوم الدين) بدل (الودود، المجيد، الحكيم)[4].

وكذلك وقع عند ابن حبان عن الحسن بن سفيان عن صفوان بن صالح عن الوليد: (الرافع) بدل (المانع).

ووقع في صحيح ابن خزيمة في رواية صفوان أيضاً مخالفة في بعض الأسماء قال: (الحاكم) بدل (الحكيم)، و(القريب) بدل (الرقيب)، و(المولى)

---

(١) سنن الترمذي (٥/ ٥٣٠، ٥٣١) برقم (٣٥٠٦) كتاب الدعوات، من حديث أبي هريرة.

(٢) هو: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني، الحافظ الثقة، صاحب المعاجم الثلاثة، واسع الحفظ، بصير بالعلل، كثير الرحلة والشيوخ، توفي سنة (٣٦٠هـ). انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٦/ ١١٩)، لسان الميزان لابن حجر (٣/ ٧٣).

(٣) هو: صفوان بن صالح بن صفوان بن دينار الثقفي، مولاهم، أبو عبد الملك الدمشقي، روى عن الوليد بن مسلم ومروان بن محمد وابن عيينة، قال الترمذي: ثقة عند أهل الحديث، وقال أبو زرعة: كان صفوان يدلس تدليس التسوية. توفي سنة (٢٣٧هـ). انظر ترجمته: تهذيب التهذيب لابن حجر (٤/ ٤٢٦). تقريب التهذيب له (١/ ٢٦٨).

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٢٢٠).

بدل (الوالي)، و(الأحد) بدل (المغني)[1].

وأما رواية الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد التميمي، فقد وقع فيها مخالفة في ثلاثة وعشرين اسماً، فليس في رواية زهير: «الفتاح، القهار، الحكم، العدل، الحسيب، الجليل، المحصي، المقتدر، المقدم، المؤخر، البر، المنتقم، المغني، النافع، الصبور، البديع، الغفار، الحفيظ، الكبير، الواسع، الأحد، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام» وذكر بدلاً منها: «الرب، الفرد، القاضي، القاهر، المبين، الصادق، الجميل، البادي، القديم، البار، الوفي، البرهان، الشديد، الواقي، القدير، الحافظ، العادل، المعطي، العالم، الأحد، الأبد، الوتر، ذو القوة»[2].

هذه هي الروايات التي وردت عن الوليد بن مسلم في سرد الأسماء، وكما هو غير خافٍ وجود الاختلاف والاضطراب الواضح بين الروايات.

وإلى هنا فإن الحافظ ابن حجر أشار إلى العلل الواردة في رواية الوليد من جهة السند ومن جهة المتن، ونذكرها هنا بالتفصيل وهي على النحو التالي:

العلة الأولى: الاختلاف فيه والاضطراب في السند والمتن.

أما من جهة السند: فقال الحافظ ابن حجر: «وقد اختلف في سنده على الوليد. فأخرجه عثمان الدارمي في «النقض على المريسي» عن هشام بن عمار عن الوليد فقال: عن خليد بن دعلج عن قتادة عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة فذكره بدون التعيين.

(وعند الدارمي أيضاً) قال الوليد: وحدثنا سعيد بن عبد العزيز مثل ذلك وقال: كلها في القرآن (هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) وسرد الأسماء. وأخرجه أبو الشيخ بن حبان من رواية أبي عامر القرشي عن الوليد بن مسلم بسند آخر، فقال: حدثنا زهير بن محمد بن موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة، قال زهير: فبلغنا غير واحد من أهل العلم قال: إن أولها أن تفتح بلا إله إلا الله...... وسرد الأسماء.

---

(١) نفس المصدر (١١/ ٢٢٠).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٢٢٠).

أما من جهة المتن: فقد وقع اختلاف في سرد الأسماء وذلك بالزيادة والنقص بين رواية ورواية وكذا تقديم وتأخير، وتكرار في إحدى الروايات.

العلة الثانية: تدليس الوليد:

الوليد مدلس تدليس التسوية، وهذا النوع من التدليس يسمى عند المتقدمين (تجويداً) فيقولون: جوَّده فلان، يريدون ذكر فيه من الأجواد وحذف الأدنياء، وسماه المتأخرون (تدليس التسوية) وذلك أن المدلس الذي سمع الحديث من شيخه الثقة عن ضعيف عن ثقة، يسقط الضعيف من السند ويجعل الحديث عن شيخه الثقة عن الثقة الثاني بلفظ محتمل، فيستوي الإسناد كله ثقات، وهو شر أنواع التدليس وأفحشها لأن شيخه، وهو الثقة الأول، ربما لا يكون معروفاً بالتدليس، فلا يحترز الواقف على السند عن عنعنة وأمثالها من الألفاظ المحتملة التي لا يقبل مثلها من المدلسين، ويكون هذا المدلس الذي يحترز من تدليسه قد أتى بلفظ السماع الصريح عن شيخه، فأمن بذلك من تدليسه، وفي ذلك غرر شديد، ولا يقال في مثل هذا النوع «قد صرح بالتحديث» إذ لابد من التصريح بالتحديث من قِبَلِ كل من فوق المدلس.

قال الدارقطني: الوليد يروي عن الأوزاعي أحاديث هي عند الأوزاعي عن ضعفاء عن شيوخ أدركهم الأوزاعي، كنافع وعطاء والزهري فيسقط أسماء الضعفاء مثل عبد الله بن عامر الأسلمي وإسماعيل بن مسلم.

وقال صالح بن محمد جزرة: سمعت الهيثم بن خارجة قال: قلت للوليد: قد أفسدت حديث الأوزاعي. قال: وكيف؟ قلت: تروي عن الأوزاعي عن نافع، وعن الأوزاعي عن الزهري، وعن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير، وغيرك يدخل بين الأوزاعي وبين نافع عبد الله بن عامر الأسلمي، وبينه وبين الزهري قرة وغيره، فما يحملك على هذا؟ قال: أنبل الأوزاعي أن يروي عن مثل هؤلاء الضعفاء، قلت: فإذا روى الأوزاعي عن هؤلاء الضعفاء مناكير فأسقطتهم أنت وصيّرتها من رواية الأوزاعي عن الثقات، ضعّف الأوزاعي؟ قال: فلم يلتفت إلى قولي[1].

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي (٤/٣٤٨).

وقال ابن الوزير: «الوليد مدلس مكثر من التدليس حتى عن الكذابين، وتعاطى تدليس التسوية فلا ينفع قوله: حدثنا ولا سمعتُ؛ لأن معنى تدليس التسوية أنه قد سمع من شيخه شعيب، ثم أسقط شيخ شعيب الذي بينه وبين أبي الزناد، فيحتمل أن يكون في الإسناد ساقط، ضعيف، بل كذاب، فكيف يحسن الحديث مع هذا، مع أنه قد رواه الثقات الحفاظ عن أبي الزناد بغير ذكر الأسماء.

وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي عن ابن عيينة، عن أبي الزناد بغير ذكر الأسماء.

ورواه البخاري عن أبي اليمان الحكم بن نافع، والنسائي عن علي بن عياش كلاهما عن شعيب بغير ذكر الأسماء. ولذلك ذكرت أن صفوان لم يتابع على ذلك الوليد، ولم يتابع الوليد على ذلك عن شعيب، كما لم يتابع شعيب على ذلك عن أبي الزناد، ولو صح عن شعيب.

وأما قول الحاكم: أنه لا خلاف أن الوليد بن مسلم أوثق وأحفظ وأعلم وأجل من أبي اليمان، وبشر بن شعيب وعلي بن عياش، فما يغني ذلك شيئاً مع ما ذكرنا من التدليس الفاحش عنه وتدليس التسوية، فما يصح له مع ذلك حديث إلا أن يخلو الإسناد عنه، وعمَّن فوقه من العنعنة ونحوها منه إلى الصحابي على أقل الأحوال، ولم يحصل ذلك»[1].

العلة الثالثة: احتمال الإدراج:

وهذه هي العلة الرئيسية لرد الحديث عند الإمام ابن القيم ولذلك قال: «والصحيح أنه ـ أي العد ـ ليس من كلام النبي ﷺ»[2]، بل ذهب أكثر العلماء إلى أن سرد الأسماء ليس من كلام النبي ﷺ وإنما هو مدرج في الحديث.

يشهد لذلك ما يلي:

١ ـ ورود الحديث عن الوليد بن مسلم بدون سرد الأسماء.

---

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير (٧/ ٢٠٢، ٢٠٣).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٤١٥).

٢ ـ ورود الحديث بدون سرد الأسماء، بالطريق التي روى بها الوليد بن مسلم، لكن عن غير الوليد بن مسلم.

٣ ـ الاختلاف الشديد في سرد الأسماء والزيادة والنقص في تلك الروايات.

٤ ـ روي عن بعض السلف أنهم حاولوا استخراج الأسماء الحسنى من القرآن الكريم، من ذلك ما قاله الحافظ ابن حجر: وروينا في (فوائد تمام) من طريق أبي الطاهر بن السرح عن حبان بن نافع، عن سفيان بن عيينة، حديث: «إن لله تسعة وتسعين اسماً». قال: فوعدنا سفيان أن يخرجها لنا من القرآن، وهذا فيه دلالة على أن سرد الأسماء مدرج، إذ لو ثبت أن الرسول ﷺ هو الذي عدَّ الأسماء الحسنى، لما اجتهد بعض السلف في إخراجها من النصوص، وهم يعلمون أن الرسول ﷺ قد عدَّها في الحديث. وقد أخطأ من رفع حديث سرد الأسماء إلى النبي ﷺ.

٥ ـ أقوال العلماء الكثيرة التي تبين أن سرد الأسماء ليس من كلام النبي ﷺ، أنه مدرج، ومن أقوالهم ما يلي:

قال الداودي[(١)]: **«لم يثبت أن النبي ﷺ عيّن الأسماء»**[(٢)].

وقال البيهقي في حديثه عن رواية عبد العزيز بن الحصين: «يحتمل أن يكون التفسير وقع من بعض الرواة، وكذلك في حديث الوليد بن مسلم»[(٣)].

وقال الإمام ابن تيمية: «والحديث الذي عدّد الأسماء الحسنى .. ليس هو عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبي ﷺ، بل هذا ذكره الوليد بن

---

(١) الداودي هو: عبد الرحمن بن مظفر اليوشنجي الداودي، أبو الحسن، الإمام، العلامة الورع القدوة، قال أبو القاسم عبد الله بن علي: كان أبو الحسن الداودي لا تسكن شفتيه من ذكر الله، توفي سنة (٤٦٧هـ). انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨/ ٢٢٢)، طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ١٧)، البداية والنهاية (١٢/ ١١٢).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١/ ٢٦٠).

(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٣٢).

مسلم عن سعد بن عبد العزيز[1]، أو عن بعض شيوخه»[2].

وقال في موضع آخر: «قد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن هاتين الروايتين (يعني روايتي الترمذي من طريق الوليد، وابن ماجه من طريق عبد الملك بن محمد) ليست من كلام النبي ﷺ، وإنما كل منهما من كلام بعض السلف»[3].

وقال أيضاً: «إن التسعة والتسعين اسماً لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي ﷺ، وأشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي الذي رواه الوليد بن مسلم عن شعيب بن أبي حمزة، وحفاظ أهل الحديث يقولون: هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث، وفيها حديث ثان أضعف من هذا، رواه ابن ماجه، وقد روي في عددها غير هذا النوعين من جمع بعض السلف»[4].

وقال الإمام ابن كثير: «الذي عوّل عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث (أي حديث الوليد عن الترمذي، مدرج فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني، عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك، أي أنهم جمعوها من القرآن. .»[5].

وجزم الحافظ ابن حجر أن سرد الأسماء مدرج، استدل على ذلك

---

(١) سعد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقي، مفتي دمشق، أحد الأئمة، قال النسائي: ثقة ثبت، وقال الذهبي: كان سعيد من العباد القانتين، وكان ممن يحيي الليل، توفي سنة (١٦٧هـ). انظر ترجمته: ميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ١٤٩)، تقريب التهذيب لابن حجر (١/ ٣٠١).

(٢) أقوم ما قيل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل للإمام ابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى (٨/ ٨٩٦).

(٣) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٦/ ٣٧٩).

(٤) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٢٢/ ٤٨٢).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٥٧).

باختلاف الروايات[1] وقال أيضا: «والتحقيق أن سردها إدراج من الرواة»[2]. كما أنه رجح أن سرد الأسماء ليس مرفوعاً إلى النبي ﷺ[3].

ويرى ابن الوزير أن جميع الروايات التي سردت الأسماء الحسنى ليست صحيحة بما فيها رواية الوليد بن مسلم، وأن من صحح هذه الروايات أو بعضها فهو متساهل في التصحيح[4].

وعلّق الصنعاني[5] على كلام الحافظ قائلا: «اتفق الحفاظ من أئمة الحديث أن سردها إدراج من بعض الرواة»[6]، وضعّف الألباني حديث الوليد بن مسلم الذي هو أقرب الطرق إلى الصحة[7].

وختاماً فإنه لم يثبت في سرد الأسماء حديث صحيح عن النبي ﷺ يحتج به، وكل الطرق والروايات التي رويت في هذا ضعيفة، إما من جهة السند، أو من جهة المتن، أو من كليهما. وقد رأينا أن السند في رواية الوليد معلول بتفرد الوليد وتدليسه، وفي المتن اختلاف واضطراب وإدراج، **والله أعلم**.



---

(١) التلخيص الحبير لابن حجر (٤/ ١٩٠)، وانظر: مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٦/ ٣٧٩، ٣٨٠).
(٢) بلوغ المرام لابن حجر (ص٢٤٦) حديث (١٣٩٦).
(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٢٦٠).
(٤) العواصم والقواصم لابن الوزير (٧/ ٢٠١ ـ ٢٠٧).
(٥) الصنعاني هو: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الصنعاني، أبو إبراهيم عز الدين، المعروف بالأمير، إمام مجتهد من اليمن، يلقب بالمؤيد بالله، من أشهر مصنفاته: سبل السلام. توفي سنة (١١٨٢هـ). انظر ترجمته: البدر الطالع للشوكاني (٢/ ١٣٣)، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٦٣).
(٦) سبل السلام للصنعاني (٤/ ١٠٨).
(٧) ضعيف الجامع الصغير للألباني (٢/ ١٧٨) برقم (١٩٤٣).

الفصل التاسع

«حقيقة الإلحاد في أسماء الله تعالى وأقسامه»

وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول : حقيقة الإلحاد في أسماء الله تعالى وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : معنى الإلحاد لغةً وشرعاً.

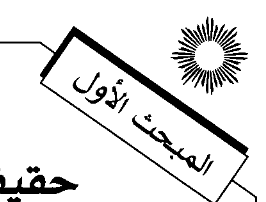
المطلب الثاني : حقيقة الإلحاد كما يصورها الإمام ابن القيم.

المطلب الثالث : أنواع الإلحاد في أسماء الله تعالى.

المبحث الثاني : أقسام الطوائف الملحدة في أسماء الله تعالى.

المبحث الثالث : بيان الإمام ابن القيم لوازم أقوال الجهمية المعطلة.

المبحث الرابع : نماذج من صور الإلحاد في الماضي والحاضر.





حقيقة الإلحاد في أسماء الله تعالى

المطلب الأول

معنى الإلحاد في اللغة والشرع

ويظهر لنا أن الإمام ابن القيم لا يخرج في تعريفه للإلحاد في اللغة عما قرره أهل اللغة، حيث يقول إن الإلحاد في اللغة: «مأخوذ من الميل كما يدل عليه مادته (ل ح د)، فمنه اللحد وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط»[(١)].

ونقل قول ابن السكيت وفيه أن «الملحد المائل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه» ومنه الملتحد وهو مفتعل من ذلك، وقوله تعالى: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧] أي: من تعدل إليه، وتهرب إليه، وتلتجئ إليه، وتبتهل إليه، فتميل عن غيره، تقول العرب: التحد فلان إلى فلان: إذا عدل إليه»[(٢)].

وفي الشرع عرّفه بما يدل على توافقه مع المعنى اللغوي حيث يقول فيه: «هو الميل والعدول بأسماء الله وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها»[(٣)].

---

(١) الصحاح للجوهري (٢/ ٥٣٤، ٥٣٥)، وانظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤/ ٢٣٦)، بدائع الفوائد (١/ ١٨٥)، الصواعق المرسلة (١/ ٢١٧)، الكواشف الجلية للسلمان (ص٩٥).

(٢) والإلحاد لغة له معان عدة؛ فمن معاني (ألحد) مال، وعدل، وحاول، وماري، وجار، وظلم في الحرم، وأثم، واحتكر الطعام، وهذه الأقوال متقاربة والإلحاد يعمّها. انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي (ص٣١٧)، لسان العرب لابن منظور (١٢/ ٢٤٦)، إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٦٤، ١٦٥).

(٣) الصواعق المرسلة (١/ ٢١٥)، وانظر: بدائع الفوائد (١/ ١٨٥).

المطلب الثاني

حقيقة الإلحاد في أسماء الله تعالى

وعن حقيقة الإلحاد نجد أن الإمام ابن القيم يوضح حقيقته مستدلاً عليه بأقوال السلف في معناه فيقول: «وحقيقة الإلحاد فيها ـ أي في الأسماء الحسنى ـ العدول بها عن الصواب فيها وإدخال ما ليس من معانيها فيها، وإخراج حقائق معانيها عنها، هذا حقيقة الإلحاد، ومن فعل ذلك فقد كذب على الله»[1].

ونجده قد نظم هذا المعنى في النونية فقال:

وحقيقةُ الإلحادِ فيها الميلُ   بالإشراكِ والتعطيلِ والنكرانِ[2]

وقد نقل عليه تفسير ابن عباس فقال: «وقال ابن عباس ومجاهد: «عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه، فسموا بها أوثانهم؛ فزادوا ونقصوا فاشتقوا اللّات من الله، والعُزَّى من العزيز، ومناة من المنان».

وروي عن ابن عباس: «يلحدون في أسمائه» يكذبون عليه. وهذا تفسير بالمعنى[3].

المطلب الثالث

أنواع الإلحاد في أسماء الله تعالى

لقد حصر الإمام ابن القيم أنواع الإلحاد في أربعة أمور تقريباً، ويعدّ أي واحدٍ منها إلحاداً.

فالأول: جحودها وإنكارها.

والثاني: جحود معانيها وتعطيلها.

والثالث: تحريفها عن الصواب، وإخراجها عن الحق بالتأويلات الباطلة.

---

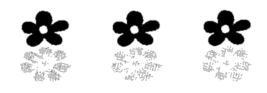
(١) مدارج السالكين (١/ ٣٠)، وانظر: توضيح الكافية الشافية لابن سعدي (ص١٣٣).

(٢) النونية (ص١٤٩).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٩).

والرابع: جعلها أسماء للمخلوقات المصنوعات كإلحاد أهل الاتحاد فإنهم جعلوها أسماء هذا الكون محمودها ومذمومها، حتى قال زعيمهم أبو سعيد الخرَّاز: «وهو المسمى بكل اسم مذموم عقلاً وشرعاً وعرفاً»، تعالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً[1].

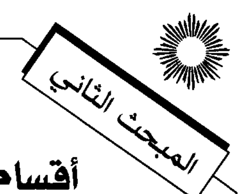
وقد وقع هذا الإلحاد كله فيما مضى، بل ووقع في عصرنا هذا من جنس **ما ذكر الإمام ابن القيم** الشيء الذي يعجب المسلم لوقوعه من أناس يزعمون الانتساب إلى العلم، حتى إنهم جعلوا الإلحاد في أسماء الله له من الخصائص كذا وكذا، ومنهم من قال: من خصائص اسم الله أنه حار إلى غير هذا من الشطط، بل إن السحرة والمشعوذين أصبحوا يروجون ذلك في الحروز والطلاسم الشيطانية التي يصنعونها للسذج وضعاف العقول من عوام المسلمين[2].



(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٩)، وانظر: مختصر الصواعق (ص٢٩٧).

(٢) سيأتي ذكر شيء من هذا قريباً في المبحث الرابع.





أقسام الطوائف الملحدة في أسماء الله تعالى

اختلف العلماء في تقسيماتهم للملحدين في أسماء الله تعالى بناءً على تفصيل بعضهم وإجمال بعضهم الآخر في التقسيم، وهو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد. فمن العلماء من عدّها قسمين كالنحاس[1] وابن العربي[2]، وعدّها الإمام ابن القيم ثلاثة كما في النونية كما سنرى، وعدّها خمسة أقسام كما في بدائع الفوائد[3].

فالمُلحِدُونَ إذاً ثلاثُ طوائفٍ ... فَعليهمُ غضبٌ من الرحمٰنِ
المشركون لأنهم سَمَّوا بهَا ... أوثانهم قالوا إلٰهٌ ثانِ
هُم شَبَّهوا المخلوقَ بالخلاقِ ... عكسٌ مشبهُ الخلاقِ بالإنسانِ
هَذا وثالثهُمْ نافيها ونافي ... ما تدلُ عليهِ بالبهتانِ
ذا جاحدَ الرحمٰنِ رأساً لم يُقِرَّ ... بخالقٍ أبداً ولا رحمٰنِ
هذا هو الإلحادُ فاحذرهُ لعلَّ ... الله أن يُنجيكَ مِن نيرانِ
وتفوز بالزلفى لديهِ وجنَّةُ ... المأوىَ مع الغفرانِ والرضوانِ[4]

قال الهراس في شرحه:

الأولى: من يجعل لله شريكاً في أسمائه فيسمي بها بعض مخلوقاته، وذلك كتسمية المشركين آلهتهم: اللات من الإله والعزى من العزيز ومناة من المنان.

والثانية: من تمثيل صفاته سبحانه بصفات المخلوقين فيعتقدون أن علمه

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (٢/ ١٦٤، ١٦٥).
(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٨٠٥).
(٣) سيأتي الكلام عليها عما قليل بالتفصيل إن شاء الله تعالى.
(٤) النونية (ص١٤٩، ١٥٠)

كعلمهم وقدرته كقدرتهم، وحياته كحياتهم[1].

ويزيد الشيخ حافظ الحكمي هذا القسم بياناً فيقول: إلحاد المشبهة الذين يكفون صفات الله عزَّ وجلَّ، ويشبّهونها بصفات خلقه مضادة له تعالى ورداً لقوله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] وهو مقابل لإلحاد المشركين فأولئك جعلوا المخلوق بمنزلة الخالق وسوّوه به، وهؤلاء جعلوا الخالق بمنزلة الأقسام المخلوقة وشبّهوه بها تعالى وتقدس عن إفكهم[2].

وأما ثالث الطوائف من أهل التعطيل والإلحاد: فهو الذي ينفي الأسماء وينفي ما تدل عليه من المعاني بالكذب والبهتان، وذلك مثل الجهمية أتباع الجهم بن صفوان والفلاسفة، أتباع مذهب أرسطو وغيره من حَكَمَة اليونان[3].

وهؤلاء في الحقيقة جاحدون لوجود الخالق الرحمن، فإنه لا يعقل وجود ذات في الخارج بلا اسم ولا صفة، وإنما يقدر وجودها في الأذهان[4].

ويقسم الشيخ حافظ الحكمي النفاة إلى قسمين: قسم أثبت ألفاظ أسمائه تعالى دون ما تضمنته من صفات الكمال فقالوا: رحمن بلا رحمة، عليم بلا علم، حكيم بلا حكمة، قدير بلا قدرة، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، وأفردوا بقية الأسماء هكذا وعطلوها عن معانيها وما تقتضيه وتتضمنه من صفات الكمال لله تعالى، وهم في الحقيقة كمن بعدهم وإنما أثبتوا الألفاظ دون المعاني تستراً وهو لا ينفعهم.

وقسم لم يتستروا بما تستر به إخوانهم، بل صرحوا بنفي الأسماء وما تدل عليه من المعاني، واستراحوا من تكلف أولئك ووصفوا الله تعالى بالعدم المحض الذي لا اسم له ولا صفة، وهم في الحقيقة جاحدون لوجود ذاته تعالى مكذبون بالكتاب وبما أرسل الله به رسله. وكل هذه الأقسام الأربعة كل

---

(١) شرح النونية للهراس (٢/ ١٢٧، ١٢٨).

(٢) معارج القبول لحافظ الحكمي (١/ ١٢٨).

(٣) تُرجمت كتبهم في زمن المأمون.

(٤) معارج القبول لحافظ الحكمي (١/ ١٢٧، ١٢٨).

فريق منهم يكفر مقابله، وهم كما قالوا كلهم كفار بشهادة الله وملائكته وكتبه ورسله والناس أجمعين من أهل الإيمان والإثبات، الواقفين مع كلام الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وآله وصحبه أجمعين[1].

ويزيد الإمام ابن القيم على الأقسام الثلاثة التي ذكرها في النونية كما مر معنا؛ قسمين آخرين ذكرهما في البدائع ليصبح مجموعها خمسة أقسام، وهي على النحو التالي:

أحدها: أن يسمي الأصنام بها كتسميتهم اللات من الإله، والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهاً. وهذا إلحاد حقيقة فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أباً، وتسمية الفلاسفة له موجباً بذاته أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك.

وثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس منه النقائص، كقول أخبث اليهود: إنه فقير، وقولهم: إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم: (يد الله مغلولة) وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية وأشياعهم: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد، ويقولون لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً وشرعاً ولغةً وفطرةً، وهو يقابل إلحاد المشركين، فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه. ثم الجهمية وفروخهم[2] متفاوتون في هذا الإلحاد فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب، وكل من جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ فقد ألحد في ذلك

---

(١) معارج القبول لحافظ الحكمي (١/ ١٢٩).

(٢) المقصود من هذه الكلمة «المعتزلة» فإنهم فروخ الجهمية.

فليستقل أو ليستكثر[1]. ويستشهد لهذا القِسم بما **نظمه في النونية فقال فيها**:

والملحد الثاني فذو التعطيلِ إذ ... ينفي حقائقَها بلا برهانِ
ما ثم غير الاسم أوَّله بما ... ينفي الحقيقة نفي ذي البطلانِ
أَنَّىٰ وتلك أدلةٌ لفظيةٌ ... عزلت عن الإيقانِ منذ زمانِ[2]

وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالى الله عما يقول المشبهون علواً كبيراً فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه، وبرَّأ الله أتباع رسوله ﷺ وورثته القائمين بسنته عن ذلك كله، فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه ولم يجحدوا صفاته ولم يشبهوها بصفة خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظاً ولا معنى، بل أثبتوا له الأسماء والصفات، ونفوا عنه مشابهة المخلوقات فكان إثباتهم بريئاً من التشبيه وتنزيههم خَلِيًّا من التعطيل، لا كمن شبّه حتى كأنه يعبد صنماً أو عطّل حتى كأنه لا يعبد إلا عدماً.

وأهل السنة وسط في النِحل كما أن أهل الإسلام وسط في الملل، توقد مصابيح معارفهم من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء. فنسأل الله تعالى أن يهدينا لنوره، ويسهل لنا السبيل إلى الوصول إلى مرضاته ومتابعة رسوله، إنه قريب مجيب[3].

وقال في النونية:

هذا وثاني نوعَيَ السَّلْبِ الذي ... هُوَ أولُ الأنواع في الأوزَانِ
تنزيهُ أوصافُ الكمالِ له عن ... التشبيهِ والتمثيلِ والنكرانِ
لَسنَا نشبهُ وصفُه بِصفاتِنا ... إنَّ المشبَه عابدُ الأوثانِ
كلا ولا نُخلِيهِ من أوصافِه ... إنَّ المُعَطِّلَ عابدُ البُهتَانِ
مَنْ مَثَّلَ الله العظيمَ بخلقهِ ... فهو النسيبُ لمشركٍ نصرانِي

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٨٦).
(٢) النونية (ص١٥٠).
(٣) بدائع الفوائد (١/ ١٨٦، ١٨٧).

أو عطل الرحمٰنَ من أوصافهِ   فهو الكفورُ وليسَ ذا إيمانِ[1]

قال الهراس: فمن شبّه صفات الله بصفات خلقه لم يكن عابداً لله في الحقيقة وإنما يعبد وثناً صوّره له خياله ونحته فكره، فهو من عباد الأوثان، لا من عباد الرحمن، فهو نسيب أي مشابه ومشاكل لهؤلاء النصارى الذين عبدوا المسيح ابن مريم وجعلوه إلههم، وأما رب العالمين فهو فوق ما يظنون وأعلى مما يتوهمون، فإنه كما أن ذاته لا تشبهها ذوات المخلوقين فصفاته لا تشبهها صفاتهم[2].

ونص على هذا الإمام الطحاوي في عقيدته فقال: «ولا يشبهه الأنام».

وقال شارح الطحاوية ابن أبي العز: هذا رد لقول المشبهة الذين يشبهون الخالق بالمخلوق ﷻ، قال ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وليس المراد نفي الصفات كما يقول أهل البدع، فمن كلام أبي حنيفة رحمه الله في «الفقه الأكبر»: لا يشبه شيئاً من خلقه ولا يشبهه شيءٌ من خلقه. ثم قال بعد ذلك: وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا... ا.هـ. وقال نعيم بن حماد: من شبّه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه[3].

وفي معرض الرد على الجهمية معطلة الصفات **ذكر الإمام ابن القيم** أن سورة الفاتحة متضمنة للرد عليهم من وجوه أحدها: من قوله «الحمد لله» فإن إثبات الحمد الكامل له يقتضي ثبوت كل ما يحمد عليه من صفات كماله، ونعوت جلاله، إذ من عدم صفات الكمال فليس بمحمود على الإطلاق، وغايته: أنه محمود من وجه دون وجه، ولا يكون محموداً بكل وجه، وبكل اعتبار بجميع **أنواع الحمد**: إلا من استولى على صفات الكمال جميعها، فلو عدم منها صفة واحدة لنقص من حمده بحسبها، وكذلك في إثبات الرحمة له:

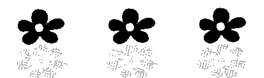
---

(١) النونية (ص١٤٠).   (٢) شرح النونية للهراس (٢/ ٦٣).
(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص١١٧، ١١٨).

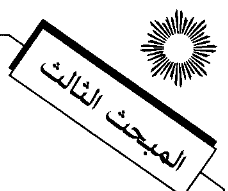
ما يتضمن إثبات الصفات التي تستلزمها: من الحياة والإرادة والقدرة، والسمع والبصر وغيرها، وكذلك صفة الربوبية تستلزم جميع صفات الفعل وصفة الإلهية تستلزم جميع **صفات الكمال**: ذاتاً وأفعالاً، كما تقدم بيانه؛ فكونه محموداً إلهاً ورباً رحماناً رحيماً، ملكاً، معبوداً، مستغاثاً، هادياً، منعماً، يرضى ويغضب مع نفي قيام الصفات به: جمعٌ بين النقيضين وهو من أمحل المحال. وهذه الطريق تتضمن إثبات الصفات الخبرية من وجهين:

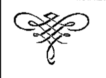
أحدهما: أنها من لوازم كماله المطلق فإن استواءه على عرشه من لوازم علوه، ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا في نصف الليل الثاني: من لوازم رحمته وربوبيته، وهكذا سائر الصفات الخبرية.

الوجه الثاني: أن السمع ورد بها ثناءً على الله ومدحاً له، وتعرفاً منه إلى عباده بها فجحدُها وتحريفها عما دلت عليه، وعما أريد بها، مناقض لما جاءت به[1].



(١) مدارج السالكين (١/ ٧٥، ٧٦).





بيان الإمام ابن القيم
لوازم أقوال الجهمية المعطلة للأسماء

كما رأينا فيما مر معنا فإن الإمام ابن القيم بعد أن عرضنا له في المبحثين السابقين معنى الإلحاد وحقيقة وأنواع الطوائف الملحدة في أسماء الله تعالى، فإنه يجدر بنا في هذا المبحث أن نعرض لوازم أقوال هذه الطوائف الضالة، التي أشار إليها الإمام ابن القيم وشيخه الإمام ابن تيمية لِنرىٰ الهُوَّةَ السحيقة التي وقع فيها من وقع من الطوائف المبتدعة. وإليك مجمل أقوالهم المخالفة قبل الرد عليها وهي على النحو التالي:

الأول: أن هذه الأسماء حقيقة في العبد مجاز في الرب، قال به المتكلمون وهو قول غلاة الجهمية، وهذا أخبث الأقوال وأشدها فساداً.

والثاني: مقابله وهو أنها حقيقة في الرب مجاز في العبد، وهذا قول أبي العباس الناشئ(١).

وفي معرض الرد على هذه الطوائف الضالة نجد أن الإمام ابن القيم قد كشف تلبيساتهم وتَنَقُّصِهِمْ الأنبياء والرسل وتعطيلهم لأسماء الله تعالى وصفاته فقال: إن الرسل صلوات الله عليهم لم يسكتوا عن الكلام في هذا الباب، بل تكلموا فيه بغاية الإثبات المناقض لما عليه الجهمية المعطلة، وعند الجهمية أن الساكت عنه خير من المتكلم فيه بالإثبات المناقض لتعطيلهم، والمتكلم فيه بالنفي والتعطيل الذي يسمونه تنزيهاً خير من الساكت عنه، فجعلوا المتكلم فيه بالإثبات آخر المراتب، وهو أحسَنها ولا ريب أن هذا يستلزم غاية القدح في

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٨١).

الرسل والتنقص لهم، ونسبتهم إلى القبيح، ووصفهم بخلاف ما وصفهم الله به، ومضمون هذا أنهم لم يهدوا الخلق ولم يعلموهم الحق بل لبسوا عليهم ودلسوا، وأضلوهم، وعرضوهم للجهل المركب ولو تركوهم في جهلهم البسيط لكان خيراً لهم، بل تركوهم في حيرة مذبذبين لا يعرفون الحق من الباطل ولا الهدى من الضلال، فقصد هؤلاء الضالين كلام الأنبياء لا يشفي عليلاً ولا يروي غليلاً، ولا يبين الحق من الباطل ولا الهدى من الضلال، بل يكون كلام من تسفسط في العقليات[1]، وتقرمط في السمعيات[2].

وفي موضع آخر نجد أن الإمام ابن القيم يبيّن تناقض أقوالهم ومعارضة بعضهم بعضاً في الأدلة والأحكام فيقول: «إن أقوال هؤلاء النفاة المعطلة متناقضة مختلفة وذلك يدل على بطلانها، وأنها ليست من عند الله، وما جاء به الرسول متسق متفق يصدق بعضه بعضاً، ويوافق بعضه بعضاً، وهذا يدل على أنه حق في نفسه، قال تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. ولولا خشية الإطالة لذكرنا في هذا الموضع من تناقضهم في مسائلهم ودلائلهم في كل مسألة ما يتعجب منه العاقل، ويتنبه به الغافل، وأما مناقضة بعضهم بعضاً، ومعارضة بعضهم بعضاً في الأدلة والأحكام فأمر لا خفاء به، فالواحد منهم متناقض مع نفسه، وأصحابه متناقضون فيما بينهم، وهم وخصومهم في هذا الباب أشد تناقضاً، ومناقضتهم لنصوص الوحي معلومة وهم متناقضون لما تعلم صحته بصريح العقل فهم في: ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ [النور: ٤٠].

ولكن لا يرى هذه الظلمات إلا من هو في نور السمع والعقل ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]»[3].

---

(١) تسفسط في العقليات: أي لجأ إلى التمويه والمغالطة في الأدلة العقلية كما يفعل السفسطائيون. انظر: التعريفات للجرجاني (ص٨٠).

(٢) تقرمط في السمعيات: أي سلك مسلك القرامطة في جعلهم للنص معنى باطناً يخالف مقتضى لفظه لغةً وشرعاً. انظر: التحفة المهدية (ص٥٩).

(٣) الصواعق المرسلة (٣/ ١١٥٨ ـ ١١٥٩).

وكذلك الإمام ابن تيمية فإنه ذكر لازم أقوالهم ورد على اعتراضاتهم وأتباعهم من أربعة أوجه. قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن قال إنه ليس بحي ولا سميع ولا بصير ولا متكلم، لزمه أن يكون ميتاً أصم أعمى أبكم. فإن قال: ـ المعترض ـ العمى عدم البصر عما من شأنه أن يقبل البصر، وما لا يقبل البصر، كالحائط لا يقال له أعمى ولا بصير.

(١) قيل لهُ: هذا اصطلاح اصطلحتموه، وإلا فما يوصف بعدم الحياة والسمع والبصر والكلام يمكن وصفه بالموت والصمم والعمى والخرس والعجمة.

(٢) وأيضاً: فكل موجود يقبل الاتصاف بهذه الأمور ونقائضها، فإن الله قادر على جعل الجماد حياً، كما جعل عصا موسى حية، ابتلعت الحبال والعصي.

(٣) وأيضاً فالذي لا يقبل الاتصاف بهذه الصفات أعظم نقصاً ممن يقبل الإتصاف بها مع اتصافه بنقائضها، فالجماد الذي لا يوصف بالبصر ولا العمى ولا الكلام ولا الخرس، أعظم نقصاً من الحي الأعمى الأخرس.

فإذا قيل: إن الباري ﷻ لا يمكن اتصافه بذلك، كان في ذلك من وصفه بالنقص أعظم مما إذا وصف بالخرس، كان تشبيهاً له بالجماد الذي لا يقبل الاتصاف بواحد منهما، وهذا التشبيه بالجمادات لا بالحيوانات فكيف ينكر من قال ذلك على غيره ما يزعم أنه تشبيه بالحي!.

(٤) وأيضاً فنفس نفي هذه الصفات نقص، كما أن إثباتها كمال فالحياة من حيث هي هي ـ مع قطع النظر عن تعيين الموصوف بها ـ صفة كمال. وكذلك العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والفعل ونحو ذلك، وما كان صفة كمال فهو ﷻ أحق بأن يتصف به من المخلوقات، فلو لم يتصف به مع اتصاف المخلوق به لكان المخلوق أكمل منه»[١].

إذاً شبهة الجهمية نفاة الأسماء والصفات كما ذكر الإمام ابن القيم: أنهم

---

(١) التدمرية للإمام ابن تيمية (ص٦١ ـ ٦٣).

يرون إطلاق هذه الأسماء على الله يوجب تشبيهاً لله بخلقه، ولذا يجب نفي الأسماء عنه بزعمهم.

ونقل الشهرستاني عن الجهم بن صفوان قوله: لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه، لأن ذلك (بزعمه) يوجب تشبيهاً[(١)].

ولهذا نقل عن جهم أنه لا يسميه باسم من الأسماء التي تسمى بها الخلق: كالحي والعالم، والبصير، بل يسميه قادراً خالقاً، لأن العبد عنده ليس بقادر، إذ كان هو رأس الجهمية الجبرية[(٢)].

وهذا القول من الجهمية من أعظم الإلحاد في أسماء الله تعالى وأشدها فساداً، **يقول الإمام ابن القيم**: «ونفي معاني أسمائه الحسنى من أعظم الإلحاد فيها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولأنها لو لم تدل على معانٍ وأوصاف، لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها ويوصف بها، لكن الله أخبر عن نفسه بمصادرها، وأثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، فعلم أن القوي من أسمائه ومعناه الموصوف بالقوة، وكذلك قوله ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠] فالعزيز من له العزة فلولا ثبوت القوة والعزة له، لم يسم قوياً عزيزاً»[(٣)].

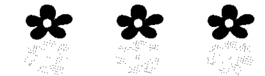
وكذا فإن رؤوس الجهمية والمعتزلة يتهمون الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وأتباعهم بالتشبيه، قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: إن الجهمية والمعتزلة إلى اليوم يسمون من أثبت شيئاً من الصفات مشبهاً ـ كذباً منهم وافتراء ـ حتى إن منهم من غلا ورمى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك، حتى قال ثمامة بن الأشرس، من رؤساء الجهمية: ثلاثة من الأنبياء مشبهة، موسى حيث قال: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ٧]، وعيسى حيث قال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٧٩).
(٢) درء تعارض العقل والنقل للإمام ابن تيمية (٥/ ١٨٧).
(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٧).

﴿وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المائدة: ١١٦]، ومحمد صلى الله عيه وسلم حيث قال: «ينزل ربنا»، وحتى أن جُلَّ المعتزلة تدخل عامة الأئمة: مثل مالك وأصحابه، والثوري وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيدة وغيرهم في قسم المشبهة[١].

ولهذا اتفق جميع طوائف المسلمين وغيرهم على الرد على هؤلاء الملاحدة، وبيان أنه ليس كل ما اتفق شيئان من الأشياء، يجب أن يكون أحدهما مثلاً، ولا يجوز أن ينفى عن الخالق سبحانه كل ما يكون فيه موافقة لغيره في معنى ما، فإنه يلزمه عدمه بالكلية، كما فعله هؤلاء الملاحدة، بل يلزم نفي وجوده ونفي عدمه، وهو غاية التناقض والإلحاد والكفر والجهل[٢].



(١) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٥/ ١١٠).

(٢) درء تعارض العقل والنقل للإمام ابن تيمية (٥/ ٣٢٧).





نماذج من صور الإلحاد في الماضي والحاضر

إن الإلحاد في أسماء الله تعالى وصفاته ليس كما قد يظن البعض أنه قد وقع في زمن قد مضى وانقضى، بل إنه لا يزال موجوداً حتى عصرنا هذا وله صور متعددة بحسب أبناء الزمان، فكما أنه وقع في القديم من الجهمية المعطلة نفي الأسماء الحسنى والصفات العُلى، وإثبات ذات مجردة[1] ووقع من المعتزلة إثبات الأسماء دون معانيها حيث جعلوها مجرد أعلام فقط[2]، ونفوا الصفات[3] ومثلهم الرافضة[4] والإباضية[5] والأشاعرة الذين لا يثبت جمهورهم سوى سبع صفات[6]، ومثلهم الماتريدية الذين يثبتون ما أثبته الأشاعرة، ويزيدون ما أسموه بصفة «التكوين»[7].

---

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٢١٤)، وانظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (٢: ٩٦)، الفرق بين الفِرق للبغدادي (٢١١)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٦)، المواقف في علم الكلام للإيجي (ص٤٢٨)، التبصير في الدين (ص١٠٨).

(٢) انظر: الرسالة التدمرية للإمام ابن تيمية (ص١٨).

(٣) انظر: شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار (ص١٤٩ ـ ٢٩١)، وانظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٢٦٤ ـ ٢٦٧)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٤٣)، المواقف في علم الكلام للإيجي (ص٤١٥)، التبصير في الدين (٢/ ٦٣)، المعتزلة وأصولهم الخمسة لعواد المعتق (ص٨٤ ـ ٩١).

(٤) أوائل المقالات في المذاهب المختارات لابن النعمان (ص٥٤ ـ ٥٦)، وانظر: اعتقادات الصدوق لابن النعمان (ص١٨٦ ـ ١٩٧).

(٥) الموجز لأبي عمار عبد الكافي الإباضي (١/ ١٧٨)، وانظر: الإباضية عقيدة ومذهباً، صابر طعمة (ص٩٠ ـ ١٠٧).

(٦) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٩٥)، وانظر: المواقف في علم الكلام للإيجي (ص٢٧٩ ـ ٢٩٩)، أصول الدين لعبد القاهر البغدادي (ص٨٩ ـ ١١٢)، المطالب العالية للرازي (٣/ ٢٢١)، شرح السنوسية الكبرى لمحمد السنوسي (ص١٠٠ ـ ٢٤٥)

(٧) التمهيد في أصول الدين للنسفي (ص١٢ ـ ٣٢)، وانظر: شرح كتاب الفقه الأكبر لملا=

ومعلوم أن هذه المذاهب يعج بها العالم الإسلامي، بل هي السائدة في الجامعات والمعاهد وغيرها.

ومما يلحق بما ذكرناه: تسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه، ولم يسمه به أعلم الخلق بربه كتسمية المتصوفة إياه «هو»، وإطلاق الفلاسفة والمتكلمين لفظ «الجسم» و«الجوهر»[1] و«العرض»[2] وغير ذلك من الألفاظ على الله تعالى[3].

ومن ذلك أيضاً: إطلاق كل اسم محمود أو مذموم عليه، ووصفه بكل وصف قبيح أو مذموم، كما عليه غلاة الصوفية من أهل وحدة الوجود كابن عربي وابن سبعين وغيرهم. والجدير بالذكر أن الإمام ابن القيم قد صور مذهبهم في النونية تصويراً كاملا فقال:

فأتى فَريقٌ ثم قال وجدتُه ... هذا الوجودُ بعينهِ وعيانِ
ما ثَمَّ مَوجُودٌ سِواهُ وإنَّما ... غَلِطَ اللِّسانُ فقال موجودانِ
فهو السماءُ بعينِهَا ونجومِها ... وكذلك الأفلاكُ والقمرانُ

إلى أن قال:

وهو الغمامُ بعينهِ والثلجُ والـ ... أمطارُ مع بردٍ ومَعْ حُسْبَانِ
وهو الهواءُ بعينِهِ والماءُ والتُـ ... ـربُ الثقيلُ ونفسَ ذي النِّيرَانِ

= علي القاري (ص٢٥ ـ ٣٨)، الماتريدية للحربي (ص٢٣٩).

(١) الجوهر: إحدى المقولات الكلية عند المناطقة، ويعرفونه بأنه (الموجود لا في موضوع). انظر: معيار العلم للغزالي (٢٢٨)، التعريفات للجرجاني (٣٨)، جامع العلوم (١/ ٤٧٩) الكليات (ص٣٤٦ ـ ٣٤٧)، تسهيل المنطق، د. عبد الكريم الأثري (ص٢٦).

(٢) العرض بفتح العين والراء، إحدى المقولات الكلية، (وهو الموجود في موضوع). انظر معيار العلم (٢٢٩)، جامع العلوم (٢/ ٣٦٩)، التعريفات (ص٣٥١)، تسهيل المنطق للأثري (ص٢٦).

(٣) مختصر الصواعق للموصلي (٣١٠)، وانظر: بدائع الفوائد (١/ ١٦٩، ١٧٠)، لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ١٢٨).

هـذي بَسَـائِطُـهُ ومِـنْـهُ تَـركَّـبَـتْ   هـذي الـمظاهـرُ ما هُنا شيئانِ
وهـو الـفـقـيـرُ لأجَـلِ ظُـهـورهِ   فـيـهَـا كَـفـقْـرِ الـروحِ لـلأَبْـدانِ

إلى أن قال:

فـالـقـوم مـا صـانـوهُ عـن إنسٍ ولا   جـنٍّ ولا شـجـرٍ ولا حـيـوانِ
كَـلَّا ولا عُـلـوٍ ولا سُـفـلٍ ولا   وادٍ ولا جـبـلٍ ولا كـثـبـانِ
كَـلَّا ولا طـعـمٍ ولا ريـحٍ ولا   صـوتٍ ولا لـونٍ مـن الألـوانِ
لـكـنـه الـمطعومُ والـملبوسُ والـ   ـمـشـمـومُ والـمـسـمـوعُ بـالآذانِ
وكـذاكَ قَـالـوا إنـهُ الـمـنـكـوحُ والـ   ـمذبوحُ بـل عـيـن الـغـويِّ الـزانِـي
فـالـكـلُّ عـيـنُ الله عـنـد مـحـقـقٍ   والـكَـلُّ مـعـبـودٌ لـذي الـعـرفـانِ
هـذا هـو الـمـعـبـود عـنـدهُـمُ فـقـل   سبحانك اللهم ذا السُّبْحَانِ[1]

ومن الإلحاد في أسمائه تعالى: القول فيها بغير علم، كما يزعم بعض شراحها أن اسمه ـ تعالى ـ كذا له من الخصائص كذا وكذا، حتى زعم أحدهم أن من خصائص اسم «الله» كونه حار[2].

ومن الإلحاد المعاصر فيها: الاستهانة بها فيما يجعله السحرة منها في الحروز الشركية، واستجلاب الشياطين بجعلها رموزاً عليهم والله تعالى أعلم.



---

(١) النونية (ص١٦ ـ ١٨).

(٢) المختصر في معاني أسماء الله الحسنى لمحمود سامي (ص٨٨١). وانظر في الخواص التي جعلها هؤلاء المبتدعة لأسماء الله ـ تعالى ـ: كتاب «ولله الأسماء الحسنى» لأحمد عبد الجواد، فقد ذكر لكل اسم خاصية، كقوله في اسم «الخبير»: وقالوا: من ذكره سبعة أيام أتته روحانية من عند (الخبير: جل جلاله) فتخبره بكل خبر يريد، انظر المرجع المذكور (ص٩٠، ٩١). قلت: وهذه خاصية بدعية صوفية.

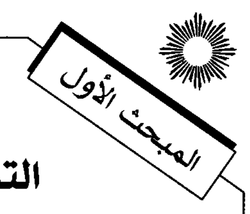
الفصل العاشر

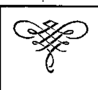
مذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء الحسنى وأحكامها

وفي هذا الفصل مبحثان:

المبحث الأول: التوقيف في أسماء الله تعالىٰ وصفاته.

المبحث الثاني: أحكام الأسماء الحسنى ومتعلقاتها.





التوقيف في أسماء الله وصفاته

إن هذه المسألة من المسائل التي وقع الخلاف فيها، وإن كان أهل السنة قاطبة يقولون بالتوقيف في أسماء الله وصفاته.

إلا أننا نجد بعض الفرق المخالفة كالمعتزلة والكرامية تقول بجواز القياس وإطلاق اللفظ على الله تعالى، إذا دلَّ العقل عليه وكان ثابتاً في حق الله[1].

ونجد أن الإمام ابن القيم يقرر منهج أهل السنة والجماعة في أن أسماء الله الحسنى وصفاته العليا توقيفية، ذاكراً ذلك في أكثر من موضع فقال في البدائع: «وبرأ الله أتباع رسوله ﷺ وورثته القائمين بسنته فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه، ولم يجحدوا صفاته ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظاً ومعنى، بل أثبتوا له الأسماء والصفات ونفوا عنه مشابهة المخلوقات، فكان إثباتهم بريئاً من التشبيه وتنزيههم خلياً من التعطيل، لا كمن شبّه حتى كأنه يعبد صنماً أو عطّل حتى كأنه لا يعبد إلا عدماً»[2].

وقال في المدارج: «فإن لله سبحانه ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فالعارفون به، المصدقون لرسله، المقرون بكماله يثبتون له الأسماء والصفات، وينفون عنه مشابهة المخلوقات، فيجمعون بين الإثبات ونفي التشبيه، وبين التنـزيه وعدم التعطيل، فمذهبهم حسنة بين سيئتين، وهدى بين ضلالتين، فصراطهم صراط المنعم عليهم، وصراط غيرهم صراط المغضوب عليهم والضالين. قال الإمام أحمد رحمه الله: لا نزيل عن الله صفة من

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٣٣٧).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٨٧).

صفاته. لأجل شناعة المشنعين[1]»[2].

ولبيان هذه المسألة نجد أن الإمام ابن القيم يضرب لها الأمثلة الدالة على أن هذه الأسماء والصفات لا يقوم غيرها مقامها فيقول: «لله من صفة الإدراكات العليم الخبير دون العاقل الفقيه، والسميع البصير دون السامع والباصر، ومن صفات الإحسان: البر الرحيم الودود، دون الرفيق والشفوق ونحوها، وكذلك العلي العظيم دون الرفيع والشريف، وكذلك الكريم دون السخي، والخالق البارئ المصور دون الفاعل الصانع المشكل، والغفور العفو دون الصفوح الساتر»[3].

وأهل السنة وسط في النِّحل كما أن أهل الإسلام وسط في الملل، توقد مصابيح معارفهم من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء، فنسأل الله تعالى أن يهدينا لنوره ويسهل لنا السبيل إلى الوصول إلى مرضاته ومتابعة رسوله، إنه قريب مجيب[4].

وهكذا نجد أن الإمام ابن القيم قد ترجم لنا مذهب أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته حيث إنهم يثبتون لله منها ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو أثبته له رسوله ﷺ، لا يتجاوزون فيها التوقيف لأنها من الأمور الغيبية، والأمور الغيبية لا تؤخذ إلا من الكتاب والسنة.

وعلى هذا، فإن أهل السنة والجماعة بنوا هذا الفهم على ثلاثة أصول:

الأصل الأول: التصديق بما أخبر الله تعالى به عن نفسه وما أخبر به الرسول ﷺ عن ربه تبارك وتعالى.

الأصل الثاني: نفي التمثيل فلا مماثل يماثل رب العالمين في صفاته كما أنه لا مثيل له في ذاته. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

---

(١) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد (١/ ٢٧٧).
(٢) مدارج السالكين (٣/ ٣٧٥، ٣٧٦).
(٣) بدائع الفوائد (١/ ١٨٤، ١٨٥).
(٤) بدائع الفوائد (١/ ١٨٧).

الأصل الثالث: التفويض[1] فقد كان السلف رضوان الله عليهم يفوّضون علم الحقائق والكيفيات في الصفات إلى الله ﷻ، مع إثبات اللفظ والمعنى لله ﷻ[2].

إذاً مذهب سلف الأمة وأئمتها بحسب هذه الأصول: أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، فلا يجوز نفي صفات الله التي وصف بها نفسه، ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين بل هو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله[3].

وممن نقل مذهب السلف في التوقيف ابن قدامة المقدسي حيث قال: «ومذهب السلف رحمة الله عليهم الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه في آياته وتنـزيله، وعلى لسان رسوله من غير زيادة عليها ولا نقص منها»[4].

وقال في لمعة الاعتقاد ـ رحمه الله ـ: «ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حد[5] ولا غاية، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ونقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه لا نتعدى ذلك . . ولا نتعدى القرآن والحديث . . وعلى هذا درج السلف، وأئمة الخلف ﷺ كلهم متفقون على

---

(١) التفويض: قال الفيروزآبادي: «فوض إليه الأمر أي صيره إليه، وجعله الحاكم فيه»، القاموس المحيط (ص٦٥١)، (فوّض). لسان العرب لابن منظور (١٠/٣٤٨) فوّض.

(٢) معنى التفويض عند السلف والآثار الواردة فيه. وانظر: ذم التأويل لابن قدامة المقدسي (ص١١ ـ ٢٧)، التدمرية للإمام ابن تيمية (ص٨٩ ـ ١١٦)، علاقة الإثبات والتفويض لرضا نعسان معطي (ص٦٩ ـ ٧٨)، التحفة المهدية لفالح آل مهدي (ص١١).

(٣) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٥/ ١٩٥).

(٤) ذم التأويل لابن قدامة (ص١١).

(٥) هذا من الألفاظ المجملة المحتملة لأكثر من معنى التي لم ترد في نص، فيجب عدم إطلاقها على الله إلا بدليل صحيح. وذكره هنا إنما هو من باب إلزام المخالف بما التزم به.

الإقرار والإصرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله»[1].

وحكى إجماع السلف أبو الحسن الأشعري فقال: «وأجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه، ووصفه به نبيه من غير اعتراض فيه ولا تكييف له، وأن الإيمان به واجب، وترك الكيف له لازم»[2].

وكذلك عبد القاهر البغدادي، عند بيانه لأصول أهل السنة التي اجتمعوا عليها: وقالوا في الركن الخامس ـ وهو الكلام في أسماء الله تعالى وأوصافه ـ إن مأخذ أسماء الله تعالى التوقيف فيها: إما بالقرآن، وإما بالسنة الصحيحة، وإما بإجماع الأمة عليه، ولا يجوز إطلاق اسم عليه من طريق القياس. وهذا خلاف قول المعتزلة البصرية في إجازتها إطلاق الأسماء عليه بالقياس[3].

ونقل الأصبهاني في الحجة قول أبي الشيخ رحمه الله حيث قال: «فهذه أسماء الله تعالى التي سمى بها نفسه في كتابه، وما سماه به رسوله ﷺ فمن سمى الله تعالى بغير ما سمى به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ أو زاد في صفاته صفة لم يسم بها نفسه أو رسوله ﷺ فهو مبتدع ضال»[4].

وقال السفاريني في منظومته:

صِفَاتُهُ كَذَاتِهِ قَدِيمَةٌ … أَسْمَاؤُهُ ثَابِتَةٌ عَظِيمَةٌ

لَكِنَّهَا فِي الحَقِّ تَوْقِيفِيَّةٌ … لَنَا بِذَا أَدِلَّةٌ وَفِيَّةٌ

وقال في شرحها: (لنا) معشر أهل السنة، (بذا) أي: باعتبار ثبوت التوقيف في أسماء الباري، (أدلة) جمع دليل. (وفيةٌ) عالية توفي بالمقصود؛ لأن ما لم يثبت عن الشارع لم يكن مأذوناً في إطلاقه عليه، والأصل المنع حتى يقوم دليل الإذن، فإذا ثبت كان توقيفاً[5].

---

(١) لمعة الاعتقاد لابن قدامة (ص١٤).

(٢) رسالة إلى أهل الثغر للأشعري (ص١٣٣).

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي (ص٣٣٧).

(٤) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١/ ١٥٩، ١٦٠).

(٥) شرح العقيدة السفارينية (ص٦٦، ٦٧).

وهذا الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: «وأصل دين المسلمين أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في كتبه وبما وصفته به رسله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يثبتون له تعالى ما أثبته لنفسه وينفون عنه ما نفاه عن نفسه، ويتّبعون في ذلك أقوال رسله، ويجتنبون ما خالف أقوال الرسل كما قال تعالى ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠] أي عما يصفه الكفار المخالفون للرسل ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨١] لسلامة ما قالوه من النقص والعيب ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٢] فالرسل وصفوا الله بصفات الكمال ونزهوه عن النقائص المناقضة للكمال، ونزهوه عن أن يكون له مثل في شيء من صفات الكمال، وأثبتوا له صفات الكمال على وجه التفصيل، ونفوا عنه التمثيل»(١).

ومن المعلوم أن منهج السلف في الصفات هو منهجهم في الأسماء لا فرق، فأسماء الله أعلام وأوصاف وأسماء الله دالة على صفات كماله؛ ولذلك قال أهل العلم إن من شرط صحة الإيمان بالاسم إثبات الاسم وإثبات ما دل عليه من الصفة، وإثبات الحكم المترتب على هذه الصفة ـ الذي يعبر عنه بالأثر ـ وقد كان السلف ـ رضوان الله عليهم ـ في ذكرهم معتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، لا يذكرون الأسماء الحسنى غالباً، وإنما يكتفون بذكر الصفات، وذلك يحمل على أحد وجهين:

(١) إما لأنه ما من اسم إلا ويتضمن صفة.

(٢) أو لأن الخلاف في الأسماء خلاف ضعيف لم ينكره إلا غلاة الجهمية والمعتزلة(٢).

وممن أثبت الوجه الأول ـ وهو أنه ما من اسم إلا ويتضمن صفةً: الحافظ ابن حجر وقرر أن الأسماء مشتقة من الصفات، وأن الأسماء تتضمن

---

(١) الجواب الصحيح للإمام ابن تيمية (٣/ ١٣٩، ١٤٠).

(٢) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (ص٤٢)، شرح السنة للبغوي (٥/ ٢٩)، الكواشف الجلية للسلمان (ص٤٢٤)، المنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى للحمود (١/ ١٧).

الصفات؛ ففي شرح حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته، فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟» فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»[١].

قال الحافظ ابن حجر: «قوله (لأنها صفة الرحمن) قال ابن التين: إنما قال: إنها صفة الرحمن، لأن فيها أسماءه وصفاته، وأسماؤه مشتقة من صفاته»[٢].

وقرر هذا الوجه أيضاً الإمام ابن القيم في المدارج حيث قال: «أسماء الرب تبارك وتعالى دالة على صفات كماله، فهي أسماء، وهي أوصاف، وبذلك كانت حسنى»[٣].

ومن خلال هذه النصوص يتبين لنا أن منهج السلف في الأسماء هو منهجهم في الصفات لا فرق في ذلك.

ومن قال بالتوقيف في أسماء الله تعالى وعدم جواز القياس: الخطابي، حيث أورد في ذلك كلاماً عزيزاً وجملة نافعة من الأمثلة الدالة على بطلان القياس في أسماء الله تبارك وتعالى، حيث قال: «ومن علم هذا الباب، أعني: الأسماء والصفات، ومما يدخل في أحكامه وما يتعلق به من شرائط أنه لا يتجاوز فيها التوقيف، ولا يستعمل فيها القياس؛ فيلحق بالشيء نظيره في ظاهر وضع اللغة ومتعارف الكلام؛ فالجواد: لا يجوز أن يُقاس عليه: السخي وإن كانا متقاربين في ظاهر الكلام. وذلك أن السخي لم يرد به التوقيف كما ورد بالجواد ثم إن السخاوة موضوعة في باب الرخاوة واللين، يُقال: أرض سخية وسخاوية إذا كان فيها لين ورخاوة، وكذلك لا يقاس عليه: السمح لما يدخل السماحة من معنى اللين والسهولة. وأما الجود فإنما هو سعة العطاء، من

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري(١٣/ ٣٤٧، ٣٤٨) برقم (٧٣٧٥).
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٣/ ٤٤١).
(٣) مدارج السالكين (١/ ٥١، ٥٢).

قولك: جاد السحاب إذا أمطر فأغزر، ومطر جود، وفرسٌ جواد؛ إذا: بذل ما في وسعه من الجري. وقد جاء في الأسماء: «القوي» ولا يقاس عليه الجَلدِ وإن كانا يتقاربان في نعوت الآدميين، لأن باب التجلد يدخله التكلف والاجتهاد، ولا يقاس على «القادر» المطيق ولا المستطيع لأن الطاقة والاستطاعة إنما تطلقان على معنى قوة البنية، وتركيب الخلقة، ولا يقاس على «الرحيم» الرفيق، وإن كانت الرحمة في نعوت الآدميين نوعاً من رقة القلب، وضعفه عن احتمال القسوة»[(١)].

وقد تكلم **الحافظ ابن حجر** على الاختلاف الذي وقع بين العلماء في الأسماء الحسنى: هل هي توقيفية أو لا؟

فقال: «واختلف في الأسماء الحسنى: هل هي توقيفية، بمعنى أنه لا يجوز لأحد أن يشتق من الأفعال الثابتة لله أسماء، إلا إذا ورد نص إما في الكتاب أو السنة؟ **فقال الفخر**: المشهور عن أصحابنا[(٢)] أنها توقيفية. وقالت المعتزلة، والكرامية[(٣)]: إذا دل العقل على أن معنى اللفظ ثابت في حق الله جاز إطلاقه على الله.

وقال القاضي أبو بكر والغزالي: الأسماء توقيفية دون الصفات.

قال ـ يعني الرازي ـ: وهذا هو المختار. واحتج الغزالي بالاتفاق على أنه لا يجوز لنا نسمي رسول الله ﷺ باسم لم يسمه به أبوه، ولا سمى به نفسه، وكذا كل كبير من الخلق، قال: فإذا امتنع ذلك في حق المخلوق فامتناعه في حق الله أولى»[(٤)].

---

(١) شأن الدعاء للخطابي (ص١١١، ١١٢).

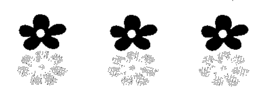
(٢) يقصد الأشاعرة، لأن الفخر الرازي أشعري كما هو معروف.

(٣) الكرامية: أصحاب محمد بن كرام، يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب، وأنكروا أن تكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيماناً، وزعموا أن المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ كانوا مؤمنين على الحقيقة، وزعموا أن الكفر بالله هو الجحود والإنكار له باللسان. انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٢٢٣)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٢٤).

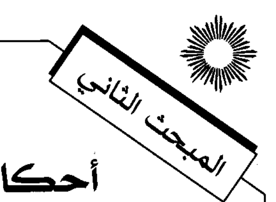
(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٢٢٣).

وما نسبه **الحافظ للقاضي أبي بكر والغزالي** من التفريق بين الأسماء والصفات، بجعل الأسماء توقيفية دون الصفات فهذا تفريق غير مقبول نقلاً ولا عقلاً، بل هذا من تناقضات المتكلمين في التفريق بين المتماثلات بلا برهان، وما احتج به الغزالي من أن أسماء الله توقيفية حجة عليه فيما ذهب من التفريق؛ لأنه إذا كان يمتنع في حق الله تعالى أن يسمى بما لم يسم به نفسه، فكذلك يمتنع أن يوصف بما لم يصف به نفسه، وهذا ما يدل عليه النقل والعقل.

وفي خاتمة هذا المطلب يتقرر لدينا صواب ما قاله الإمام ابن القيم من أن أهل السنة والجماعة لا يطلقون على الله من الأسماء والصفات إلا ما جاء به الكتاب والسنة، وهو الحق الذي يجب التزامه في الأسماء والصفات وفي سائر أبواب العقيدة فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل ـ مهما بلغ ـ لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص[1].



(١) انظر: القواعد المثلى للشيخ ابن عثيمين (ص١٦).





أحكام الأسماء الحسنى ومتعلقاتها

وكذلك من مذهب أهل السنة والجماعة أنهم يؤمنون:

١ ـ بالأسماء الحسنى.

٢ ـ وبما دلت عليه من صفات.

٣ ـ وبأحكام تلك الصفات ومتعلقاتها.

وبيان ذلك يظهر بالأمثلة. فمثلاً: الرحمن اسم من أسماء الله، والرحمة صفة من صفاته وأنه يرحم من يشاء.

والقدير اسم من أسماء الله، والقدرة صفة من صفاته وأنه يقدر بها على فعل كل شيء. وهكذا في بقية أسماء الله الدالة على أوصاف متعدية.

أما إن كانت تدل على وصف غير متعدٍ فإنها تتضمن:

(١) إثبات الاسم منه.

(٢) إثبات الصفة التي تضمنها. ومثله: الحي، القيوم.

وهذه القاعدة ذكرها غير واحد من العلماء[١].

وهي من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها، لدلالة الكتاب والسنة عليها فوجب الإيمان بأسماء الله كلها وصفاته جميعها وبأحكام تلك الصفات، فهم يؤمنون مثلاً بأنه رحمن رحيم ذو الرحمة العظيمة التي اتصف بها المتعلقة بالمرحوم، فالنعم كلها من آثار رحمته. وهكذا يقال في باقي الأسماء الحسنى فيقال. عليم ذو علم عظيم يعلم به كل شيء، قدير ذو قدرة يقدر على كل شيء. فإن الله قد أثبت لنفسه الأسماء الحسنى والصفات العليا،

---

(١) الكواشف الجلية للسلمان (ص٥٦)، وانظر: التنبيهات السنية للرشيد (ص٢٠).

وأحكام تلك الصفات، فمن أثبت شيئاً منها، ونفى الآخر كان مع مخالفته للنقل والعقل متناقضاً ومبطلاً[1].

وعن أحكام أسماء الله تعالى وصفاته ومقتضى آثارها نجد أن الإمام ابن القيم يقول فيها: «فانظر إلى ما في الوجود من آثار رحمته الخاصة والعامة؛ فبرحمته أرسل إلينا رسوله ﷺ، وأنزل علينا كتابه وعلّمنا من الجهالة، وهدانا من الضلالة، وبصّرنا من العمى، وأرشدنا من الغي، وبرحمته عرّفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرفنا به أنه ربنا ومولانا، وبرحمته علمنا ما لم نكن نعلم، وأرشدنا لصالح ديننا ودنيانا، وبرحمته أطلع الشمس والقمر، وجعل الليل والنهار. . .»[2].

وقال أيضاً: ومنها: أنَّ أسماءه الحسنى تقتضي آثارها اقتضاء الأسباب التامة لمسبباتها، فاسم «السميع، البصير» يقتضي مسموعاً ومبصراً، واسم «الرزاق» يقتضي مرزوقاً، واسم «الرحيم» يقتضي مرحوماً، وكذلك أسماء «الغفور، والعفو، والتواب، والحليم» يقتضي من يغفر له، ويتوب عليه، ويعفو عنه، ويحلم. ويستحيل تعطيل هذه الأسماء والصفات إذ هي أسماء حسنى وصفات كمال، ونعوت جلال، وأفعاله حكمةٌ وإحسان وجود، فلا بد من ظهور آثارها في العلم. وقد أشار إلى هذا أعلم الخلق بالله صلوات الله وسلامه عليه، حيث يقول: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم»[3]. وأنت إذا فرضت الحيوان بجملته معدوماً، فمن

---

(١) الفتاوى السعدية لابن سعدي (ص١١).

(٢) مختصر الصواعق للموصلي (ص٣٠٣).

(٣) الحديث صحيح بشواهده ومنها:

١ ـ عن أبي أيوب بلفظ: «يا أبا أيوب لو لم تذنبوا......» الحديث أخرجه الخطيب البغدادي (٤/ ٢١٧).

٢ ـ وعن ابن عمرو مرفوعاً بلفظ: «لو لم تذنبوا لخلق الله خلقاً يذنبون ثم يغفر لهم». قال في المجمع (١٠/ ٢١٥): رواه الطبراني في الكبير والأوسط وقال فيه: «لخلق الله خلقاً يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم وهو الغفور الرحيم».

٣ ـ عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً بلفظ: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم=

يرزق الرزاق سبحانه؟ وإذا فرضت المعصية والخطيئة منتفية من العالم فلمن يغفر؟ وعمّن يعفو؟ وعلى من يتوب ويحلم؟. وإذا فرضت الفاقات كلها قد سُدت، والعبيد أغنياء معافون، فأين السؤال والتضرع والابتهال؟ والإجابة وشهود الفضل والمنة، والتخصيص بالإنعام والإكرام؟

فسبحان من تعرّف إلى خلقه بجميع أنواع التعرفات، ودلهم عليه بأنواع الدلالات، وفتح لهم إليه جميع الطرقات، ثم نصب إليه الصراط المستقيم وعرّفهم به ودلّهم عليه ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢][١].

وهكذا فإننا نرى الإمام ابن القيم كثيراً ما يؤكد على هذه القضية في كتبه عند الكلام عن الأسماء والصفات، وذلك يبين لنا بجلاء منهجه الواضح في أسماء الله وصفاته، حيث إنه لا بد من إثبات متعلقاتها من المعاني الدالة عليها مطابقة وتضمناً والتزاماً فهو كثيراً ما يتكلم عن هذه المتعلقات والآثار[٢]. وفي ذلك تأكيد على ما ذهب إليه من أن أسماء الله الحسنى ذوات معان وأوصاف، وهو حين يعرض لمثل هذه المسألة ويورد أمثلتها فإنما يقررها في نفس السامع وفي نفس الوقت يرد على من أنكر متعلقاتها وآثارها من الفرق الضالة كالجهمية والمعتزلة، وغيرهم فإنهم عطلوا هذه الأسماء عن أوصافها ومعانيها فهو يرد عليهم في هذا الموضع قائلاً: «ومن المحال تعطيل أسمائه عن أوصافها ومعانيها، وتعطيل الأوصاف عما تقتضيه وتستدعيه من الأفعال عن المفعولات، كما أنه يستحيل تعطيل مفعوله عن أفعاله وأفعاله عن صفاته، وصفاته عن أسمائه، وتعطيل أسمائه وأوصافه عن ذاته. وإذا كانت أوصافه صفات كمال،

= يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم». رواه البزار، قال الهيثمي في (١/ ٢١٥): «وفيه يحيى بن كثير صاحب البصري. وهو ضعيف».
وقال الشيخ الألباني لكن له شاهد من حديث أبي هريرة بهذا اللفظ تماماً بزيادة في أوله: «والذي نفسي بيده». فالحديث صحيح لغيره.
انظر: السلسلة الصحيحة للألباني (٢/ ٦٩٣، ٦٩٤) برقم (٩٧٠).

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٣٠).
(٢) وقد يعبر عنها بالشواهد.

وأفعاله حِكَماً ومصالح، وأسماؤه حسنى ففرض تعطيلها عن موجباتها مستحيل في حقه . . . فاسمه «الحميد، المجيد» يمنع ترك الإنسان سُدى مهملاً معطلاً، لا يؤمر ولا ينهى، ولا يثاب ولا يعاقب، وكذلك اسمه «الحكيم» يأبى ذلك. وكذلك اسمه «الملك» واسمه «الحي» يمنع أن يكون معطلاً من الفعل، بل حقيقة «الحياة» الفعل فكل حي فعال، وكونه سبحانه «خالقاً قيوماً» من موجبات حياته ومقتضياتها. اسمه «السميع البصير» يوجب مسموعاً ومرئياً، واسمه «الخالق» يقتضي مخلوقاً وكذلك «الرزاق» واسمه «الملك» يقتضي مملكة وتصرفاً وتدبيراً، وإعطاءً ومنعاً وإحساناً وعدلاً، وثواباً وعقاباً، واسم «البر، المحسن، المعطي، المنان» ونحوها مقتضٍ آثارها وموجباتها. إذا عُرف هذا فمن أسمائه سبحانه «الغفار، التواب، العفو» فلا بد لهذه الأسماء من متعلقات، ولا بد من جناية تغفر، وتوبة تقبل وجرائم يُعفى عنها، ولا بد لاسمه «الحكيم» من متعلق يظهر فيه حكمه، إذ اقتضاء هذه الأسماء لآثارها كاقتضاء اسم «الخالق، الرازق، المعطي، المانع» للمخلوق والمرزوق والمعطي والممنوع، وهذه الأسماء كلها حسنى. . . وهو سبحانه الحميد المجيد وحمده ومجده يقتضيان آثارهما. ومن آثارهما: مغفرة الزلات، وإقالة العثرات والعفو عن السيئات والمسامحة على الجنايات، مع كمال القدرة على استيفاء الحق، والعلم منه سبحانه بالجناية ومقدار عقوبتها، فحلمه بعد علمه، وعفوه بعد قدرته»[1].

وقد قرر الإمام ابن القيم مذهب أهل السنة والجماعة في أحكام الأسماء الحسنى ومتعلقاتها، مع ذكره لدلالة الصفات على الأسماء والأفعال وارتباطها ببعضها ارتباط المقتضى بمقتضيه فقال في النونية:

واشهدْ عليهِم أنهُم قد أثبتُوا	الأسماءِ والأوصافِ للديانِ
وكذلك الأحكامِ أحكامُ الصفا	تِ وهذه الأركانِ للإيمانِ
قالوا عليمٌ وهو ذو علم	ويعلمُ غايةَ الإسرارِ والإعلانِ
والوصفُ قائم بالذات والأ	سماءُ أعلامٌ لهُ بوزانِ

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٥٠ ـ ٤٥٢).

أسماؤه دلَّتْ علَى أوصافهِ مشتقةٌ منها اشتقاقَ معانِ
وصفاتُهُ دلَّتْ على أسمائهِ والفعلُ مرتبطٌ به الأمرانِ
والحُكمُ نِسبتُها إلى متعلقاتٍ تقتضي آثارها بِبَيانِ[1]

الخلاصة:

كما رأينا مما سبق معنا في هذا الفصل أن الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ لا يخرج ـ فيما أوردنا عنه في هذا الموضوع الذي يعدُّ ترجمة لمذهب أهل السنة والجماعة ـ عما قرره الأئمة الكبار من أقوال حوت جملة من الأحكام المستفادة أجملناها في النقاط التالية:

١ ـ الإيمان بثبوت الأسماء الحسنى الواردة في الكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان.

٢ ـ الإيمان بأن الله هو الذي يسمي نفسه، ولا يسميه أحد من خلقه فالله عز وجل هو الذي تكلم بهذه الأسماء، وأسماؤه منه، وليست محدثة مخلوقة كما يزعم الجهمية والمعتزلة والكلابية والأشاعرة والماتريدية.

٣ ـ الإيمان بأن هذه الأسماء دالة على معان في غاية الكمال، فهي أعلام وأوصاف، وليست كالأعلام الجامدة التي لم توضع باعتبار معناها كما يزعم المعتزلة.

٤ ـ احترام معاني تلك الأسماء وحفظ ما لها من حرمة في هذا الجانب، وعدم التعرض لتلك المعاني بالتحريف والتعطيل كما هو شأن أهل الكلام.

٥ ـ الإيمان بما تقتضيه تلك الأسماء من الآثار وما ترتب عليها من الأحكام. وبالجملة فإن أهل السنة كما رأينا من نصوصهم يؤمنون بأسماء الله إيماناً صحيحاً وفق ما أمرت به نصوص الكتاب والسنة، ووفق ما كان عليه فَهْمُ سلف الأمة بخلاف أهل الباطل الذين أنكروا ذلك وعطلوه، فألحدوا في أسماء الله كلٌّ بحسب ما ذهب إليه.

---

(١) النونية (ص١٢٠).

القسم الثاني

تطبيقات القواعد المحررة في القسم الأول على الأسماء الحسنى



تمهيد

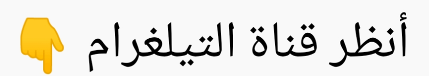
في هذا القسم بيانٌ لمعاني الاسماء الحسنى لغة وشرعاً، وما ترتب عليها من الآثار الإيمانية، ويتخلله الرد على بعض الطوائف المخالفة في فهم بعض هذه الاسماء من كلام الإمام ابن القيم وغيره من العلماء المحققين. وقد جرى استخراج جملة وافرة من الاسماء الحسنى جمعنا شتاتها من مؤلفات الإمام ابن القيم، نرجو أن نكون قد حققنا منها شيئاً من أمنيته في التعليق على معانيها، كما أننا قد قارنا بين ما أورده في معاني هذه الاسماء وبين من تكلم على معاني هذه الاسماء كالغزالي، والرازي، والخطابي، والبيهقي، والزجاج والقرطبي وغيرهم، ونحسب أن الإمام ابن القيم قد انفرد بتحقيق كثير من مسائل هذه الدراسة التي بين أيدينا، مع أنه قد ترك الكلام على بعض الأسماء المنصوص عليها في الكتاب والسنة وذلك لوضوحها من جهة، ولكونه لم يرد التأليف في موضوع الأسماء الحسنى من جهة أخرى مما دعانا إلى إيرادها والكلام عليها إتماماً للفائدة التي ابتدأها ـ رحمه الله ـ مع مراعاة ذكر أدلة هذه الاسماء من الكتاب والسنة، ومن أورد هذه الأسماء من العلماء الذين جمعوها وتكلموا على معانيها بشيء من البيان والتفصيل. هذا وقد بلغ عدد هذه الأسماء في هذا القسم سبعون اسماً من أسماء الله الحسنى. والجدير بالذكر أن الكلام على هذه الاسماء سينتظم الأمور التالية:

أ ـ تتبع الاسم عند شراح الأسماء الحسنى وذكر مظان وجوده.

ب ـ أدلة الاسم من الكتاب والسنة.

ج ـ تعريفه في اللغة والاصطلاح.

د ـ ذكر الآثار الإيمانية لكل اسم من هذه الأسماء الحسنى.



(تحميل كتب ورسائل علمية)



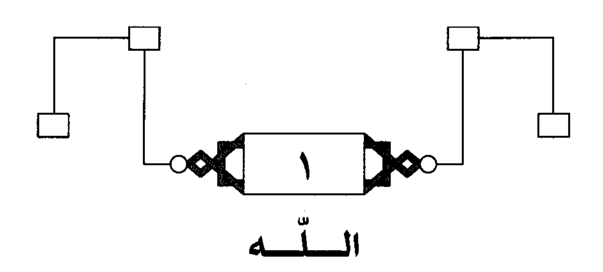


تحميل كتب و رسائل علمية
channel publik

Info

t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

Tautan Undangan



اللّـــه

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة في عدة مواضع من كتاب الله تعالى. وقد عدّه العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[١]. يرى فريق من العلماء أنه الاسم الأعظم ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [طه: ٨] وهو مأخوذ في **اللغة** من أله، وتقديرها فعلانية بالضم تقول: إلهٌ بيّن الإلهية والألهانية، وأصله من أَلِه يأله إذا تحير[٢].

قال أبو الهيثم: وأصله أَلِهَ ولاهٍ، إن الخلق يولهون إليه في حوائجهم ويضرعون إليه فيما يصيبهم ويفزعون إليه في كل ما ينوبهم، كما يوله كل طفل إلى أمه[٣].

وقد ضعَّف الزجاج هذا القول (وهو أن أصل إله: ولاه)[٤].

ويشير الإمام ابن القيم إلى أن القول الصحيح: أن الله أصله الإله: «فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال فيدخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسنى، ولهذا كان القول الصحيح أن الله أصله الإله كما هو قول سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذ منهم»[٥].

وهذا القول هو عين ما ذهب إليه الإمام أبي جعفر الطبري، حيث قال: «الله» أصله «الإله» أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم، فالتقت اللام التي هي

---

(١) أورد هذا الاسم جميع من ذكر الأسماء الحسنى بلا استثناء.

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/ ٦٢)، وانظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك (٢/ ٥٦٩).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٢٥).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٢٥)، وانظر: معالم التنزيل للبغوي (١/ ٥١).

(٥) بدائع الفوائد (١/ ٤٩٢).

عين الاسم واللام الزائدة هي ساكنة فأدغمت في الأخرى، فصارت في اللفظ لاماً واحدة مشددة[1].

أمَّا في الشرع: فنجد أن الإمام ابن القيم يتفق مع شيخه الإمام ابن تيمية[2] والحافظ ابن رجب[3] في أنَّ «الإله» هو الذي تألهه العباد حُباً وذُلاً وخوفاً ورجاءً وتعظيماً وطاعةً له، بمعنى «مألوه» وهو الذي تألهه القلوب أي: تحبه وتذل له، وأصل «التأله»: «التعبد»[4].

وعند اشتقاق لفظة «الإله» نجد أن الإمام ابن القيم لا يختلف مع من يرى الاشتقاق من العلماء، ويتضح ذلك من خلال تعقبه من قال بمطلق الاشتقاق كالسهيلي[5]، وشيخه ابن العربي حيث يقول: «ولا ريب إن أُريد بالاشتقاق هذا المعنى وأنه مستمد من أصل آخر فهو باطل، ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى ولا ألمَّ بقلوبهم، وإنَّما أرادوا أنَّه دال على صفة له تعالى وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى كالعليم والقدير والغفور والرحيم والسميع والبصير، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة والقديم لا مادة له، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسمه «الله»، ثم الجواب عن الجميع أننا لا نعني بالاشتقاق إلَّا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى، لا أنَّها متولدة منها تولد النوع من أصله»[6].

وقال في النونية:

وكذا اختلافهُم أمشتقاً يُرى	أم جامداً قولانِ مشهورانِ
والأصلُ ماذا فيه خلفٌ ثابتٌ	عند النُّحاة وِذاكَ ذو ألوانِ
هذا ولفَظ اللهِ أظهرُ لفظةٍ	نطقَ اللسانُ بِها مدى الأزمانِ[7]

---

(١) جامع البيان للطبري (١/ ٨٣)، وانظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٩).
(٢) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٣/ ١٠١)، (١٠/ ٢٨٤).
(٣) فتح المجيد (ص٥٣).
(٤) مدارج السالكين (٣/ ٢٧).
(٥) نتائج الفكر للسهيلي (ص٥٢، ٥١).
(٦) بدائع الفوائد (١/ ٢٦، ٢٥).
(٧) النونية (ص١١٣).

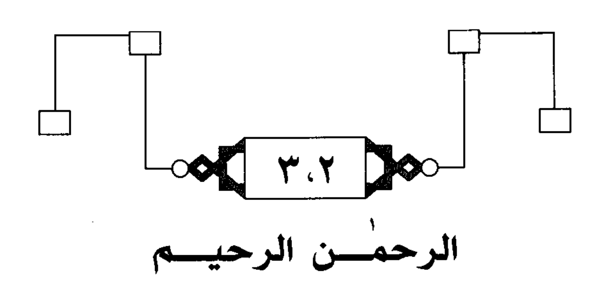
ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن عندما يدرك أن الله ﷻ متصف بهذا الاسم الكريم «الله»، فلا ريب أنه يحرص أن يقوم بحقه من التعبد الذي هو كمال الحب مع كمال الذل والتعظيم، ومن كان كذلك فقد تم له غناه بالله وصار من أغنى العباد ولسان حاله يقول:

غَنيتُ بلا مالٍ عن الناسِ كُلِّهِم   وإنَّ الغنَى العالِي عن الشيءِ لا بِهِ

فيا له من غِنى ما أعظم خطره، وأجلّ قدره. فمن مقتضاه وموجباته أن يذكر الله به ويثني به عليه، **قال الإمام ابن القيم**: «فقد قال أعلم الخلق به ﷺ: «لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك» وكيف تحصى خصائص اسم لمسماه كل كمال على الإطلاق، وكل مدح وحمد، وكل ثناء وكل مجد وكل إجلال، وكل كمال، وكل عز وكل جمال، وكل خير وإحسان، وجود، وفضل فله ومنه. فما ذكر هذا الاسم في قليل إلَّا كثّره ولا عند خوف إلَّا أزاله، ولا عند كرب إلَّا كشفه، ولا عند هم وغمٍّ إلا فرَّجه، ولا عند ضيق إلَّا وسعه، ولا تعلق به ضعيف إلا أفاده القوة، ولا ذليل إلَّا أناله العزة ولا فقير إلَّا أصاره غنياً، ولا مستوحش إلَّا آنسه، ولا مغلوب إلَّا أيّده ونصره، ولا مضطر إلا كشف ضُرَّه، ولا شريد إلا آواه، فهو الاسم الذي تكشف به الكربات، وتستنزل به البركات وتُجاب به الدعوات وتقال به العثرات، وتستدفع به السيئات، وتستجلب به الحسنات، وهو الاسم الذي قامت به السماوات والأرض، وبه أنزلت الكتب، وبه أرسلت الرسل، وبه شرعت الشرائع، وبه قامت الحدود، وبه شرع الجهاد، وبه انقسمت الخليقة إلى السعداء والأشقياء، وبه حقت الحاقة، ووقعت الواقعة، وبه وضعت الموازين القسط، ونُصب الصراط، وقام سوق الجنة والنار، وبه عُبد رب العالمين»[1].

(١) تيسير العزيز الحميد لسليمان آل الشيخ (ص٣٠، ٣١).



الرحمن الرحيم

اسمان من أسماء الله الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عدّهما العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ١].

ومن السنة: حديث أبي هريرة ﷺ: قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الخلق، كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش: أن رحمتي تغلب (أو غلبت) غضبي»[2].

مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم، وفي كلام الإمام ابن جرير الطبري ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا[3].

وأصل الرحمة في اللغة: الرقة والعطف والرأفة، يقال: رحمه يرحمه، إذا رقَّ له وتعطف عليه[4].

وفي الشرع: ما يدل على موافقة معناه في اللغة من أنهما مشتقان من الرحمة، «والرحمن» أشد مبالغة من «الرحيم» ولكن ما الفرق بينهما؟ والجواب أن هناك قولين في الفرق بين هذين الاسمين:

الأول: إن اسم «الرحمن» هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا بمعنى أنَّها عامة.

---

(١) ورد ذكر هذين الاسمين عند الجميع بلا استثناء.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦/ ٣٥٢) برقم (٣١٩٤) كتاب بدء الخلق.

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٢٠) وانظر: الصحاح للجوهري (٥/ ١٩٢٩)، (رحمة). وانظر: جامع البيان للطبري (١/ ٨٤، ٨٥).

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٤٩٨)، (رحيم).

والرحيم: هو ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة، وهي خاصة بالمؤمنين، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]، وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فذكر الاستواء باسمه «الرحمن» ليعم جميع خلقه برحمته. وقال ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] فخص المؤمنين باسمه الرحيم[١].

والثاني: أن الرحمن دال على صفة ذاتية، و«الرحيم» دال على صفة فعلية. ويزيد الإمام ابن القيم هذا المعنى وضوحاً فيقول: إن «الرحمن» دال على الصفة القائمة به سبحانه و«الرحيم» دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل. فالأول: دال على أن الرحمة صفته، والثاني: دال على أنه يرحم خلقه برحمته. ثم يقول: وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: «وكان بالمؤمنين رحيماً» «إنه بهم رؤوف رحيم» ولم يجيء قط «رحمن بهم» فعلم أن «رحمن» هو الموصوف بالرحمة «ورحيم» هو الراحم برحمته. وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم ينجل لك صورتها[٢].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن عندما ينظر إلى هذا الوجود لا تخفى عليه رحمة الله العظيمة الخاصة والعامة.

قال الإمام ابن القيم: فبرحمته أرسل إلينا رسوله وأنـزل علينا كتابه، وعلّمنا من الجهالة، وهدانا من الضلالة، وبصّرنا من العمى، وأرشدنا من الغي، وبرحمته عرّفنا من أسمائه وصفاته وأفعاله ما عرفنا به أنه ربنا ومولانا، وبرحمته علّمنا ما لم نكن نعلم، وأرشدنا لمصالح ديننا ودنيانا، وبرحمته أطلع الشمس والقمر وجعل الليل والنهار، وبسط الأرض وجعلها مهاداً وفراشاً وقراراً، وكفاتاً للأحياء والأموات، وبرحمته أنشأ السحاب وأمطر المطر،

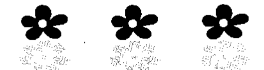
---

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١/ ٨٥، ٨٤).

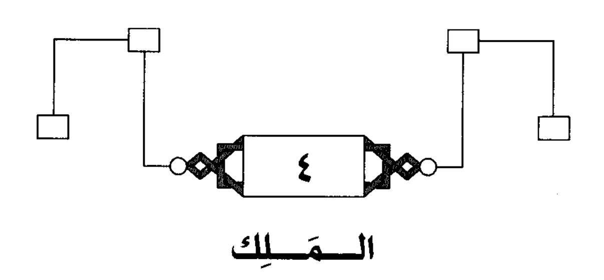
(٢) بدائع الفوائد (١/ ٢٧).

وأطلع الفواكه والأقوات والمراعي. ومن رحمته سخّر لنا الخيل والإبل والأنعام وذللها منقادة للركوب والحمل والأكل والدر، وبرحمته وضع الرحمة بين عباده ليتراحموا بها وكذلك بين سائر أنواع الحيوان، فهذا التراحم الذي بينهم بعض آثار الرحمة التي هي صفته ونعمته، واشتق لنفسه منها اسم «الرحمن الرحيم» وأوصل إلى خلقه معاني خطابه برحمته وبصَّرهم ومكَّنَ لهم أسباب مصالحهم برحمته. . . . ولمَّا استوى على عرشه بهذا الاسم الذي اشتقه من صفته وتسمى به دون خلقه، كتب بمقتضاه على نفسه يوم استوائه على عرشه حين قضى الخلق كتاباً فهو عنده وضعه على عرشه «إن رحمته سبقت غضبه»، وكان هذا الكتاب العظيم الشأن كالعهد منه سبحانه للخليقه كلها بالرحمة لهم والعفو عنهم والصفح عنهم والمغفرة والتجاوز والستر والإمهال والحلم والأناة.

ومن رحمته أن خلق مائة رحمة كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض، فأنـزل منها إلى الأرض رحمة واحدة نشرها بين الخليقة ليتراحموا بها، فبها تعطف الوالدة على ولدها، والطير والوحش والبهائم، وبهذه الرحمة قوام العالم ونظامه[1].



(١) مختصر الصواعق (ص٣٠٣، ٣٠٤).



الـمَـلِك

اسم من أسماء الله الثابتة بالكتاب والسنة وقد عدّه العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى(١). ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ [آل عمران: ٢٦] وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ﴾ [الحشر: ٢٣] ومن السنة: قوله ﷺ «يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟»(٢). والمُلك **في اللغة** يدل على قوة في الشيء وصحة، يقال: أملك عجينة: قوي عجينهُ وشدهُ(٣).

وفي اللسان: المَلِك ـ بفتح فكسر ـ هو الله تعالى وتقدس. ملك الملوك، له الملك وهو مالك يوم الدين، وهو مليك الخلق، أي ربهم ومالكهم(٤).

أما في الشرع: فنجد أن الإمام ابن القيم يعَرِّفه تعريفاً جامعاً مانعاً فيقول فيه: فهو ملكهم المتصرف فيهم، وهم عبيده ومماليكه، وهو المتصرف لهم المدبر لهم كما يشاء النافذ القدرة فيهم، الذي له السلطان التام عليهم(٥) وإلى هذا المعنى ذهب الزجاج(٦) وابن كثير(٧).

وعن حقيقة الملك **قال الإمام ابن القيم**: فإن حقيقة الملك إنما تتم بالعطاء والمنع والإكرام والإهانة والإثابة، والعقوبة، والغضب والرضا،

---

(١) ورد ذكر هذا الاسم عند الجميع باستثناء سفيان بن عيينة والأصبهاني في الحجة.
(٢) مسند الإمام أحمد (ص٦٥٠) برقم (٨٨٥٠) عن أبي هريرة.
(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٣٥١، ٣٥٢).
(٤) لسان العرب لابن منظور (١٣/ ١٨٢)، (ملك)، المفردات للراغب (ص٤٧٢).
(٥) بدائع الفوائد (١/ ٤٩٠، ٤٩١).
(٦) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٣٠).
(٧) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٩٠، ٤٩١).

والتولية والعزل وإعزاز من يليق به العز وإذلال من يليق به الذل، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾[1] [آل عمران: ٢٦].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن عندما يدرك أن الله ﷻ من أسمائه الملك وصفته أنه المالك الحقيقي الذي لا يشركه فيه مشارك ولا ينازعه فيه منازع، فلا ريب أنه يزاد إيماناً إلى إيمانه أن الله مالكه ومليكه، ملاذه ومعاذه الذي لا غنى عنه بحال.

قال الإمام ابن القيم: كما أن من صفات الكمال وأفعال الحمد والثناء أنَّه يجود ويعطي ويمنح فمنها أن يعيذ وينصر، ويغيث، فكما يجب أن يلوذ به اللائذون، يجب أن يعوذ به العائذون، وكمال الملوك أن يلوذ بهم أولياءَهم، ويعوذوا بهم كما قال أحمد بن حسين الكندي[2] في ممدوحه:

يا من ألوذُ به فيما أؤملهُ ... ومن أعوذُ به فيما أُحاذرهُ

لا يجبرَ الناسُ عظماً أنت كاسرهُ ... ولا يهيضون عظماً أنت جابرهُ[3]

ولو قال ذلك في ربه وفاطره لكان أسعد به من مخلوق مثله، والمقصود أن ملك الملوك يجب أن يلوذ به مماليكه، وأن يعوذوا به كما أمر رسوله أن يستعيذ به من الشيطان الرجيم في غير موضع من كتابه، وبذلك يظهر تمام نعمته على عبده إذ أعاذه وأجاره من عدوه، فلم يكن إعاذته، وإجارته منه بأدنى النعمتين، والله تعالى يحب أن يكمل نعمته على عباده المؤمنين ويريهم نصره لهم على عدوه، وحمايتهم منه وظفرهم به. فيا لها من نعمة كمل بها سرورهم

---

(١) انظر: طريق الهجرتين (ص١٢٣، ١٢٤).

(٢) الكندي هو: أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الوفي الكندي، أبو الطيب المتنبي: الشاعر الحكيم، أحد مفاخر الأدب العربي، له الأمثال السائرة، والحكم البالغة والمعاني المبتكرة، وفي علماء الأدب من يعده أشعر الإسلاميين. انظر: الأعلام للزركلي (١/ ١١٥).

(٣) ديوان المتنبي (٢/ ٢٢٥).

ونعيمهم وعدل أظهره في أعدائه وخصمائه[١].

وفي العصور المتأخرة وُجدَ من تسمى بملك الملوك وقاضي القضاة وهذه الألقاب من شعائر ملوك الفرس من الأعاجم المجوس ونحوهم، وقد أنكر هذا جمعٌ من العلماء منهم ابن رجب وابن الجوزي والإمام ابن القيم، واعتبر الحافظ ابن رجب[٢] ذلك من نواقض كمال التوحيد[٣]. وفصَّل الإمام ابن القيم في هذا المعنى فقال: ولا يجوز لأحد أن يتسمى بأسماء الله المختصة به، وأما الاسماء التي تطلق عليه وعلى غيره: كالسميع، والبصير، والرؤوف، والرحيم فيجوز أن يخبر بمعانيها عن المخلوق، ولا يجوز أن يتسمى بها على الإطلاق بحيث يطلق عليه كما يطلق على الرب تعالى[٤].

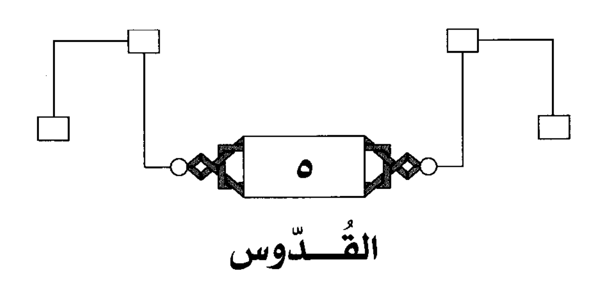


(١) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٤٩٠، ٤٩١).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (٣/ ٧٥، ٨٤).

(٣) لقوله ﷺ: «إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك» زاد ابن أبي شيبة في روايته: «لا مالك إلا الله ﷻ». قال الأشعث: قال سفيان: مثل شاهان شاه. وقال أحمد بن حنبل: سألت أبا عمرو عن أخنع؟ قال: أوضع. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/ ١٧٢) برقم (٢١٤٣) كتاب الأدب، عن أبي هريرة.

(٤) تحفة المودود (ص١٤٣، ١٤٤).



القُدّوس

اسم من أسماء الله الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عدّه العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣].

ومن السنّة قوله ﷺ: «سبّوح قدوس رب الملائكة والروح»[2]. والقدوس على وزن «فعول» بالضم، من أبنية المبالغة[3].

وله معنيان **في اللغة**: **أحدها**: أن القدوس فعول من القُدس وهو الطهارة، والقُدُس بالتحريك السطل بلغة أهل الحجاز لأنه يتقدس منه، أي: يتطهر فيه.

وثانيها: أن القدس البركة، والأرض المقدسة أي المباركة، وهو قول قتادة، وإليه ذهب ابن الأعرابي[4].

أما في الشرع: فإن هذا الاسم مما اتفق على معناه بين العلماء كالبيهقي[5] والغزالي[6]، وابن كثير[7] والشوكاني[8] وغيرهم حيث هو عندهم: «الطاهر عن كل عيب المنزه عن كل نقص». ونلاحظ أن الإمام ابن القيم يوافق

---

(١) ورد ذكر هذا الاسم عند الجميع بلا استثناء. إلا أنه لم يرد ذكره في طريق الوليد بن مسلم عند أبي نعيم وكذا في طريق عبد الملك بن محمد الصنعاني.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٤/ ٢٧٢)، برقم (٤٨٧) كتاب الصلاة عن مطرف بن عبد الله.

(٣) لسان العرب لابن منظور (١١/ ٦١)، تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٣٠)، شأن الدعاء للخطابي (ص٤٠).

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٦٣، ٦٤).

(٥) الاعتقاد للبيهقي (ص٣٧).

(٦) المقصد الأسنى للغزالي (ص٦٥).

(٧) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٦٤).

(٨) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٠٧).

هؤلاء الجِلَّة من العلماء فيقول فيه: فالقدوس المنـزه عن كل شر ونقص وعيب، كما قال أهل التفسير: هو الطاهر من كل عيب المنـزه عما لا يليق به[1]. كما نلمح هنا وجه الاتفاق بين معنييهِ اللغوي والشرعي.

وقد أشار الإمام ابن القيم إلى تسمية الله تعالى بهذا الاسم في نونيتهِ فقال:

هذا ومن أوصافه القدوس ذو الـ تنـزيه بالتعظيم للرحمن[2]

ويشرح ابن سعدي هذا البيت فيقول: وضابط ما ينـزه عنه أمران ذكرهما المؤلف:

أحدهما: أنه الكامل المنـزه عن مماثلة أحد من المخلوقات فليس كمثله شيء في جميع نعوته لكمال أوصافه.

والثاني: أنَّه المنـزه عن كل عيب ونقصان، والنقصان يرجع إلى ما يناقض أوصاف كماله، فالقدوس السلام يرجع هاهنا إلى التنـزيه، ويلزم من التنـزيه التعظيم والثناء عليه بصفات الكمال، لأنَّ التنـزيه والسلب المحض ليس مدحاً حتى يتضمن إثبات ضده وهو الكمال[3].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن يُنـزه الله تعالى عن النقائص ويوصف بكل كمال، وبخاصة عندما يعلم المؤمن أن الله قد وصف نفسه بالكمال ووصفه به رسوله ﷺ، فكما أنه قد نـزَّه ذاته عن النقائص والعيوب فهو منـزه في أسمائه الحسنى وصفاته العُلا، كما أنَّه منـزه عنها في أقواله وأفعاله تعالى. **قال الإمام ابن القيم** عند كلامه على قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢]: والشر مسند في الآية إلى المخلوق المفعول لا إلى خلق الرب تعالى الذي هو فعله وتكوينه فإنَّه لا شر فيه بوجهٍ ما. فإنَّ الشر لا يدخل في شيء من صفاته ولا في أفعاله، كما لا يلحق ذاته تبارك وتعالى فإنَّ

---

(١) انظر: شفاء العليل (ص٣٦٠). (٢) النونية (ص١٤٥).

(٣) التوضيح المبين لابن سعدي (ص١٢٤).

ذاته لها الكمال المطلق، والجلال التام ولا عيب فيها ولا نقص بوجه ما. وكذلك أفعاله كلها خيرات محضة لا شر فيها أصلاً، ولو فعل الشر سبحانه لاشتق له منها اسم، ولم تكن أسماؤه كلها حسنى ولعاد إليه منه حكم، تعالى الله وتقدس عن ذلك[1].

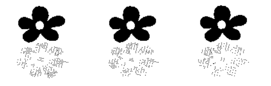
ويؤكد الإمام ابن القيم على هذا المعنى قائلاً: إن ما يفعله الله تعالى من العدل بعباده وعقوبة من يستحق العقوبة منهم خيرٌ محض، حيث يقول: إنَّه خير محض إذ هو محض العدل والحكمة وإنَّما يكون شراً بالنسبة إليهم، فالشر وقع في تعلقه بهم وقيامه بهم لا في فعله القائم به تعالى. ونحن لا ننكر أن الشر يكون في مفعولاته المنفصلة فإنَّه خالق الخير والشر، ولكن هنا أمران ينبغي أن يكونا منك على بال:

أحدهما: أن ما هو شر، أو متضمن للشر، فإنَّه لا يكون إلا مفعولاً منفصلاً لا يكون وصفاً له، ولا فعلاً من أفعاله.

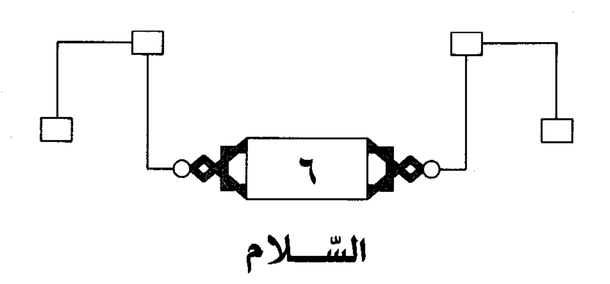
الثاني: أنَّه كونه شراً هو أمر نسبي إضافي فهو خير من جهة تعلق فعل الرب وتكوينه به، وشر من جهة نسبته إلى من هو شر في حقه[2].

وليس معنى التنـزيه هو تعطيل صفات الله ونفي معاني أسمائه الحسنى كما ظنه الجهمية والمعتـزلة ومن شابههم من الفرق الضالة، وإنما هو تنـزيه عن مشابهة الخلق كما قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فتنـزيه أهل السنة ليس فيه تعطيل، وإثباتهم بريءٌ من التشبيه والآية السابقة فيها تنـزيه وإثبات، وكل تنـزيه ونفي في الكتاب فإنَّما هو لثبوت كمال ضده وأما النفي المحض فلا كمال فيه وهو مذموم[3].



(١) بدائع الفوائد (١/ ٤٥٠).
(٢) التفسير القيم، جمع الفقي (ص٥٥٠، ٥٥١)، وانظر: بدائع الفوائد (١/ ٤٥٠).
(٣) بدائع الفوائد (١/ ٤٥٠).



٦

السّــلام

اسم من أسماء الله الحسنى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عدّه العلماء ضمن الأسماء الحسنى[١]. ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣].

ومن السنة قوله ﷺ: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام..»[٢]. صيغة مبالغة من السالم.

والسلام **في اللغة**: السالم مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء[٣].

قال الإمام ابن القيم: وأما السلام الذي هو اسم من أسماء الله ففيه قولان: أحدهما أنه اسم مصدر، وإطلاقه عليه كإطلاق العدل عليه والمعنى أنه ذو السلام وذو العدل على حذف المضاف، والثاني أن المصدر بمعنى الفاعل هنا أي السالم كما سمّيت ليلة القدر سلاماً، أي سالمة من كل شر بل هي خير لا شر فيها[٤].

وفي الشرع ما يدل على موافقته لمعناه في اللغة، وإلى هذا المعنى ذهب جمع من العلماء في بيان معناه، فالخطابي يرى أنه الذي سلم من كل عيب، وبرئ من كل آفة ونقص يلحق المخلوقين[٥].

وكذلك نجد الغزالي يُفَصِّل في المعنى ويزيده بياناً فيعبّر عنه تعالى بالذي

---

(١) ورد ذكر هذا الاسم عند الجميع باستثناء الأصبهاني في الحجة.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٥/ ١٢٥) برقم (٥٩١) كتاب المساجد من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٩٠).

(٤) بدائع الفوائد (١/ ٣٧٧).

(٥) شأن الدعاء للخطابي (ص٤١).

تسلم ذاته عن العيب، وصفاته عن النقص وأفعاله عن الشر، حتى إذا كان كذلك لم يكن في الوجود سلامةً إلا وكانت معزية إليه صادرة منه[1].

كما نجد أن البيهقي ينقل هذا المعنى بعينه[2]، بينما ينقل القرطبي عن ابن العربي في «ذو السلام بمعنى النسبة ثلاثة أقوال عن أهل العلم:

الأول: ومعناه الذي سلم من كل عيب وبرئ من كل نقص.

الثاني: معناه ذو السلام، أي المسلم على عباده في الجنة، كما قال: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

الثالث: أي معناه الذي سلم الخلق من ظلمه»[3].

وقد أبان الإمام ابن القيم عن هذه المعاني الثلاثة، متابعاً فيه من ذكرنا من أهل العلم، وأفرد لهذا الاسم مبحثاً طويلاً في بدائع الفوائد، وفصَّل في معاني لفظة السلام، وأشار فيه إلى أن السلام أبلغ من السالم، ولما كانت لفظة السلام تحمل معنى سلامته تعالى من النقص والعيب وسلامة خلقه من الظلم[4]، قال في النونية:

وهو السلام على الحقيقة سالم ... من كل تمثيل ومن نقصان[5]

ويشير الإمام ابن القيم إلى أن من معاني كلمة السلام إطلاقها على ليلة القدر لشرفها وفضلها كما أطلقت على أهل الجنة، فكانت دارهم دار السلام وجعلت تحية لهم وكرامة من ربهم تعالى فيقول في النونية:

فالدارُ دارُ سلامةٍ وخطابُهمْ ... فِيهَا سلامُ اسم ذي الغفرانِ
فبَينا همُ في عَيْشِهِمْ وسرورِهِمْ ... وأرزاقُهم تجرِي عليهِمْ وتُقسَم
إذا هُم بنورٍ ساطعٍ قد بدا لهمْ ... سلامٌ عليكُم طبتُم ونعمتمُ
سلامٌ عليكم يسمعونَ جميعهُم ... بآذانهم تسليمهُ إذ يُسلِّمُ
يقولُ سلوني ما اشتهيتُم فكلّ ما ... تريدون عِندي إنني أنَا راحمُ

---

(١) المقصد الأسنى للغزالي (ص٦٧).
(٢) الاعتقاد للبيهقي (ص٥٥).
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨، ٤٦).
(٤) بدائع الفوائد (١/ ٣٧٥)، وانظر: شفاء العليل (ص٣٦١).
(٥) النونية (ص١٤٥).

فقالوا جميعاً نحنُ نسألُك الرِّضَى   فأنت الذي تولِي الجمِيلَ وترحمُ[1]

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أَنَّ المؤمن متى علم حقيقة السلام واستشعر معانيه واتصاف معبوده به، أدرك دلالته على الأمن والطمأنينة، والحصانة والسلامة، ومن هنا يقول الإمام ابن القيم: والله سبحانه هو أولى باسم السلام من كل مسمى به لسلامته سبحانه من كل عيب ونقص من كل وجه، فهو السلام الحق بكل اعتبار، والمخلوق سلام بالإضافة، فهو سبحانه سلام في ذاته عن كل عيب ونقص يتخيله وهم، وسلام في صفاته، من كل عيب ونقص وسلام في أفعاله من كل عيب ونقص وشر وظلم وفعل واقع على غير وجه الحكمة، ..... وهذا هو حقيقة التنـزيه الذي نـزه به نفسه، ونـزهه به رسوله، والسلام من الصاحبة والولد والسلام من النظير والكفء والمسمى والمماثل، والسلام من الشريك، ولذلك إذا نظرت إلى أفراد صفات كماله وجدت كل صفة سلاماً مما يضاد كمالها[2].

فحياته سلام من الموت ومن السِّنة والنوم وكذلك قيوميته وقدرته سلام من التعب واللغوب، وعلمه سلام من عزوب شيء عنه أو عرض نسيان أو حاجة إلى تذكر وتفكر! وإرادته سلام من خروجها عن الحكمة والمصلحة، وكلماته سلام من الحاجة إلى غيره بوجه ما، بل كل ما سواه محتاج إليه، وهو غني عن كل ما سواه، وملكه سلام من منازع فيه أو مشارك أو معينٌ مظاهر أو شافع عنده بدون إذنه، وإلاهيته سلام من مشارك له فيها، بل هو الله الذي لا إله إلا هو، وحلمه وصفحه ومغفرته وتجاوزه سلام من أن تكون عن حاجة منه أو ذل أو مصانعة كما يكون من غيره، بل هو محض جوده وإحسانه وكرمه، وكذلك عذابه وانتقامه وشدة بطشه وسرعة عقابه سلام من أن يكون ظلماً أو تشفياً أو غلظة أو قسوة، بل هو محض حكمته وعدله ووضعه الأشياء مواضعها، وهو مما يستحق عليه الحمد والثناء كما يستحقه على إحسانه وثوابه ونعمه، بل لو وضع الثواب موضع العقوبة لكان مناقضاً لحكمته ولعزته،

---

(١) النونية (ص٢٦١).

(٢) انظر: بدائع الفوائد (١/ ٣٧٥).

فوضعه العقوبة موضعها هو من حمده وحكمته وعزته، فهو سلام مما يتوهم أعداؤه والجاهلون به من خلاف حكمته.

وقضاؤه وقدره سلام من العبث والجور والظلم، ومن توهم وقوعه على خلاف الحكمة البالغة، وشرعه ودينه سلام من التناقض والاختلاف والاضطراب وخلاف مصلحة العباد ورحمتهم والإحسان إليهم وخلاف حكمته، بل شرعه كله حكمة ورحمة ومصلحة وعدل، وكذلك عطاؤه سلام من كونه معاوضة أو لحاجة إلى المعطى، ومنعه سلام من البخل وخوف الإملاق بل عطاؤه إحسان محض لا لمعاوضة ولا لحاجة، ومنعه عدل محض وحكمه لا يشوبه بخل ولا عجز.

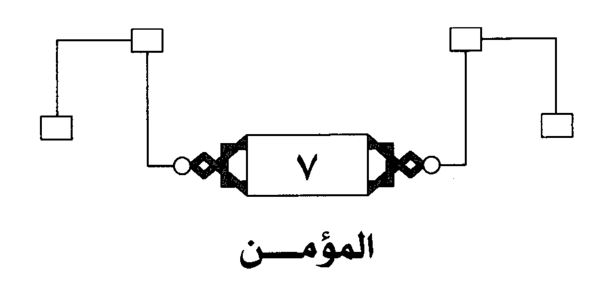
واستواؤه وعلوه على عرشه سلام من أن يكون محتاجاً إلى ما يحمله أو يستوي عليه، بل العرش محتاج إليه وحملته محتاجون إليه فهو الغني عن العرش وعن حملته.. ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا سلام مما يضاد علوه وسلام مما يضاد غناه، وكماله سلام من كل ما يتوهم معطل أو مشبه.. وموالاته لأوليائه سلام من أن تكون عن ذل كما يوالي المخلوق المخلوق، بل هي موالاة رحمة وخير وإحسان وبر، كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١]، وكذلك محبته لمحبيه وأوليائه سلام من عوارض محبة المخلوق للمخلوق.. فتأمل كيف تضمن اسمه السلام كل ما نزه عنه تبارك وتعالى وكم ممن حفظ هذا الاسم لا يدري ما تضمنه من هذه الأسرار والمعاني[(١)].

ومن موجبات هذا الاسم الكريم أن الله تعالى قد اشتق لأوليائه تحية بينهم: سلام عليكم، وكانت أولى من جميع تحيات الأمم التي منها ما هو محال وكذب، نحو قولهم: تعيش أَلف سنة، وما هو قاصر المعنى مثل: أنعم صباحاً، ومنها ما لا ينبغي إلا لله مثل السجود، فكانت التحية بالسلام أولى من ذلك كله لتضمنها السلامة التي لا حياة ولا فلاح إلا بها، فهي الأصل المقدم على كل شيء[(٢)].

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ٣٧٥، ٣٧٦).

(٢) نفس المصدر (١/ ٣٨٤).



المؤمـــن

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب العزيز، وقد عدّه العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[١]. ودليله من الكتاب: قوله تعالى: ﴿ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وفي اللغة له معنيان: المعنى الأول: التصديق[٢]، والثاني: الأمان الذي هو ضد الإخافة[٣].

وفي الشرع: نجد أن العلماء قد عبَّروا عن هذا الاسم بعبارات مختلفة فمنهم من ذهب إلى أن المؤمن يعني الذي يؤمِّنُ خلقه من ظلمه، كابن جرير[٤]، بينما ذهب الزجاجي[٥] وابن كثير[٦] والشوكاني[٧] إلى الجمع بين معنيين أحدهما: أنه الذي يأمن عباده من بأسه وعذابه. والثاني: أنه المصدق عباده المؤمنين.

أما الإمام ابن القيم فنجد أنه لم يذكر في معناه سوى وجهاً واحداً فقال فيه: ومن أسمائه تعالى: «المؤمن» وهو في أحد التفسيرين المصدق الذي يصدّق الصادقين بما يقيم لهم من شواهد صدقهم، فهو الذي صدق رسله وأنبياءه فيما بلغوا عنه، وشهد لهم بأنهم صادقون بالدلائل التي دل بها على صدقهم قضاءً وخلْقاً[٨].

---

(١) ورد ذكر هذا الاسم عند الجميع باستثناء الأصبهاني في الحجة.
(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٣١).
(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ١٣٣).
(٤) جامع البيان للطبري (١٢/ ٥٢).
(٥) اشتقاق أسماء الله للزجاجي (ص٢٢١).
(٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤٣).
(٧) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٠٧).
(٨) مدارج السالكين (٣/ ٤٨٥).

ومن خلال هذا المعنى يتبين لنا حرص الإمام ابن القيم ودقته في متابعة العلماء الذين تكلموا على معاني أسماء الله تعالى. وقد ينقل أقوالهم مرتضياً لها ومشيداً بها، كما قد ينفرد عنهم في المعاني التي قد يقع فيها الخلاف، ونلمح في اختياره هذا الوجه من التفسيرين ترجيحاً لهذا المعنى، وذلك أن من يصدِّق عباده المؤمنين فهو يؤمِّنهم من بأسه وعذابه تعالى.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن عندما يعلم أن الله تعالى متصف بالأمان لعباده وتصديق أنبيائه ورسله وأوليائه فلا ريب أنه يثق بوعد الله وأمانِه له من كل خوف، وذلك أن الله تعالى يصدق عباده المؤمنين ما وعدهم به من النصر والتمكين في الأرض، ومن الثواب الحسن في الآخرة، بل ويصدق الكفار ما وعدهم به من العذاب والخزي والخذلان في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

ومن تأمل سيرة النبي ﷺ وصحابته الكرام وجد أنَّها لا ينقضي منها العجب لما حباهم الله به من النصرة على الأعداء والتمكين ـ ولو لم يكن من ذلك إلا أن النبي عليه الصلاة والسلام نُصر بالرعب مسيرة شهر من أمامه ومسيرة شهر من خلفه[1]، وما سمع به الأعداء إلا انهزموا في أماكنهم بل ومُنع الرسول ﷺ بحرس من الملائكة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] لكان في هذا الكفاية ـ فكيف إذا كان قد أيَّد ـ الله تعالى ـ أتباعه ففتحوا مشارق الأرض ومغاربها بهذا الدين الخاتم واثتلوا به ملك الفرس والرومان، ودانت لهم العرب والعجم، فما زالوا كذلك حتى ربَطت فرسانهم خيولها

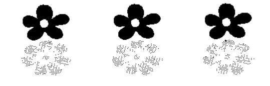
---

(١) مسند الإمام أحمد (ص٩٩٧) برقم (١٤٣١٤) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

بأرض الهند والسند، وبلغوا غياهب أفريقيا، ففتحوا البلاد ومصَّروا الأمصار فأصبحوا بعد العيلة أغنياء، وبعد الذلة أعزاء، وبعد الرق أحراراً طلقاء بل جعلهم الإسلام ملوكاً وأمراء.

وما أجمل أن يكون حظ المؤمن من هذا الاسم الكريم، أن يأمن المؤمنون شره وغوائله فإن النبي ﷺ صح عنه قوله: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه»[1] أي: لا يكون الرجل مؤمناً كامل الإيمان حتى يأمن جاره بوائقه، أي: شروره وغوائله، وقال أيضاً ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[2].

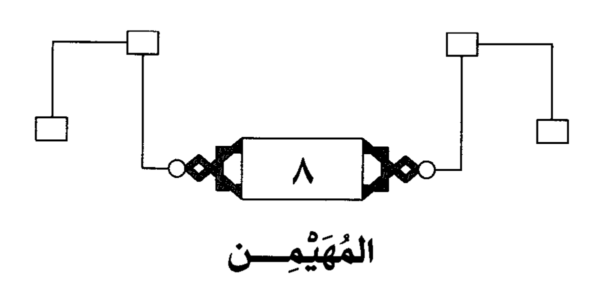
وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن: من أمّنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده»[3].



(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٠/ ٥٤٣) برقم (٦٠١٦) كتاب الأدب، عن أبي شريح.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١/ ٧٣)، برقم (١٠)، كتاب الإيمان، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٣) مسند الإمام أحمد (ص٦٥٤) برقم (٨٩١٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



المُهَيْمِن

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب العزيز، وقد عدّه العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. وهو من أبنية المبالغة بمعنى مفيعل[2]، ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣].

وفي اللغة نجد أن العلماء قد اختلفوا في معنى هذا الاسم نقلها الأزهري فقال: الهيمنة هي القيام على الشيء والرعاية له.

وقال بعضهم: معناه الأمين، وهو أَمَّن غيره من الخوف، وأصله أمن فهو مؤامن ـ بهمزتين ـ قلبت الهمزة الثانية ياءً كراهة اجتماعهما فصارت مؤيمن، ثم صُيرت هاء كما قالوا: هراق.

ويرجح الأزهري أن معنى مهيمن مؤيمن ـ الهاء بدل من الهمزة ـ كما قالوا: هرقت وأرقت وكما قالوا: إياك وهياك، ثم قال: هذا على قياس العربية صحيح مع ما جاء في تفسيره أنه بمعنى الأمين، وقيل: بمعنى مؤتمن[3].

وفي الشرع: نجد أن المفسرين أيضاً قد اختلفت عباراتهم في معنى هذا الاسم، يدل على ذلك ما قاله الإمام ابن جرير حيث نقل هذا الخلاف فقال: وقوله المهيمن اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم: المهيمن: الشهيد، قاله مجاهد وقتاده وغيرهم[4].

وقال أيضاً: الهيمنة: الحفظ والارتقاب، يقال: إذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده قد هيمن فلان عليه فهو يهيمن هيمنةً. وهو عليه مهيمن، وبنحو

---

(١) ورد ذكر هذا الاسم عند الجميع بلا استثناء.
(٢) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ٢٤٧).
(٣) لسان العرب لابن منظور (١٥/ ١٤٠).
(٤) جامع البيان للطبري (١٢/ ٥٥) وقد رواه عنهما بأسانيد صحيحة.

الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل إلا أنهم اختلفت عباراتهم عنه[1].

ونجد أن الرازي قد حكى هذا الخلاف وحصر تفسيره للمهيمن في ستة أوجه:

الأول: المهيمن هو الشاهد، وفيه قوله: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

والثاني: المهيمن هو المؤمن قلبت الهمزة هاء؛ لأن الهاء أخف من الهمزة.

والثالث: قال الخليل بن أحمد: هو الرقيب الحافظ، ومنه قول العرب: فلان على كذا إذا كان محافظاً.

الرابع: قال المبرد: المهيمن الحدِب المشفق تقول العرب للطائر إذا طار حول وكره ورفرف عليه وبسط جناحه يذب عن فرخه: «قد هيمن الطائر».

الخامس: قال الحسن البصري: المهيمن المصدق.

السادس: قال الغزالي: اسم لما كان موصوف مجموع صفات ثلاث، أحدها: العلم بأحوال الشيء، والثاني: القدرة التامة، والثالث: المواظبة على تصليح تلك المصالح[2].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن الذي عرف معنى المهيمن لا بد أن يكون مدركاً أن الله تعالى هو الشاهد على خلقه بما يصدر عنهم من أقوال وأفعال، لا يغيب عنه من أقوالهم وأفعالهم شيء، فسِرُّهُم عنده علانية وغيبهم شهادة، وله الكمال في هذا فلا يضل ولا ينسى ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤] كما أنه القائم على خلقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم وتدبير أمورهم على الوجه الذي تقتضيه حكمته وسعه علمه وإحاطته بهم ﷻ، وكل هذه المعاني الجليلة مما يُثمر للمؤمن مراقبة لنفسه لعلمه باطلاع الله تعالى عليه وهيمنته على كل شيء، وكما

(١) جامع البيان للطبري (٤/٦٠٦).

(٢) لوامع البينان للرازي (ص٢٠١، ٢٠٢).

أن الله تعالى مهيمن على كل شيء فإن كلامه المنزل على خاتم أنبيائه ورسله مهيمن على ما قبله من الكتب، كما جعل رسوله خاتمة الأنبياء والرسل فقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

وكذا دينه تعالى الذي أنزله على خاتم الأنبياء وصفوتهم، وأعلاهم منـزلة، وأفصحهم لغة، وأعظمهم قدراً، وأقربهم منـزلة، فكان هذا الدين العظيم وحملته شهوداً على الأمم والأديان السماوية والرسالات السابقة التي نفدت وبادت، وأخبر الرسول ﷺ أن تلك الأمم كلها ستدول فكان ذلك حيث قال ﷺ: «لتفتحنَّ عصابة من المسلمين كنـز آل كسرى الذي في الأبيض»[١].

وقال ﷺ: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقنَّ كنوزهما في سبيل الله»[٢].

وقد تحقق ذلك عندما أذن الله بهيمنة دينه ورسله وأوليائه وزالت تلك الأمم ودالت بالفتوحات الإسلامية التي مكنت للإسلام وجعلته رسالة عالمية أخرج الله به الناس من الظلمات الى النور، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، وأصبح الإيمان بالله هو قطب رحى التنافس فيه لأنه المحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلا هالك، حتى قال رسول الله ﷺ في أهله: «لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجال من فارس»[٣]، وفي لفظ: «لو كان الإيمان عند الثريا لذهب به رجل من فارس حتى يتناوله»[٤].

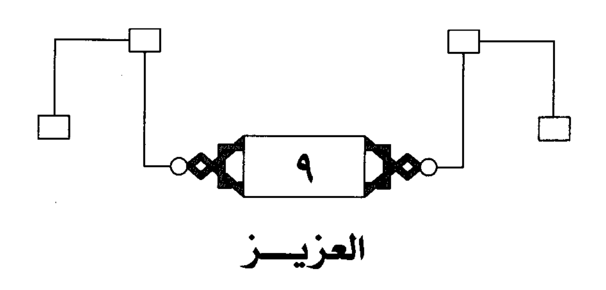
---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٨/ ٥٩) كتاب الفتن وأشراط الساعة، من حديث جابر بن سمرة.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٨/ ٥٨) برقم (٢٩١٩)، كتاب الفتن وأشراط الساعة، من حديث أبي هريرة.

(٣) صحيح الجامع الصغير للألباني (٢/ ٩٣٥) برقم (٥٢٨٠) من حديث أبي هريرة، وقال عنه الألباني: صحيح.

(٤) نفس المصدر والصفحة برقم (٥٢٨١).



العزيـــز

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عدّه العلماء ضمن جمعهم للاسماء الحسنى[1]. ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١] وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥] وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

ومن السنة مرفوعاً: «قال الله ﷻ: العزة إزاري، والكبرياء ردائي فمن ينازعني، عذبته»[2]. والعِزُّ في اللغة: يدل على شدة وقوة وما ضاهاهما، من غلبةٍ وقهر قال الخليل: العِز لله جل ثناؤه، وهو من العزيز[3]، ويقال: عزَّه على أمرٍ يعُزُّه: إذا غلبه على أمره. وفي المثل: «من عزَّ بزَّ» أي من غلب سلب[4].

وللإمام ابن القيم تخريج عزيز في أخذ المعاني من قوة الألفاظ ومناسبة تلك الحروف لذلك يستدل عليه بمذهب أساطين العربية وسيبويه، وابن جني[5].. أنهم في الغالب يجعلون الضمة التي هي أقوى الحركات للمعنى الأقوى، والفتحة الخفيفة للمعنى الخفيف والمتوسط، والمتوسط للمتوسط فيقولون: «عزَّ يَعَزُّ» بفتح العين إذا صلب، وأرضٌ عَزَاز، صلبة ويقولون: «عَزَّ يعِزُّ» بكسرها إذا امتنع والممتنع فوق الصلب، ثم يقولون: عزَّ يعُزُّه إذا غلبه[6].

---

(١) ورد ذكر هذا الاسم عند الجميع بلا استثناء.
(٢) مسند الإمام أحمد (ص٥٥٧) برقم (٧٣٧٦) عن أبي هريرة.
(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٣٨، ٣٩).
(٤) الصحاح للجوهري (٣/٨٨٥)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (٩/١٥٥).
(٥) الخصائص لابن جني (٣/٢٦٤) باب قوة اللفظ لقوة المعنى.
(٦) جلاء الأفهام (ص٢٤٢).

وفي الشرع: نجد أن الإمام ابن القيم ينقل في معنى هذا الاسم قول الخطابي فيه متابعاً له في هذا المعنى فيقول: العزة يراد بها ثلاثة معانٍ: عِزة القوة، وعزة الامتناع، وعزة القهر، والرب تبارك وتعالى له العزة التامة بالاعتبارات الثلاث، ويقال من الأول: عزَّ يعَزُّ ـ بفتح العين ـ في المستقبل. ومن الثاني: عزَّ يعِزُّ ـ بكسرها ـ ومن الثالث: عز يعُزُّ ـ بضمها ـ أعطوا أقوى الحركات لأقوى المعاني، وأخفها لأخفها، وأوسطها لأوسطها. وهذه العزة مستلزمة للوحدانية إذ الشركة تنقص العزة، ومستلزمة لصفات الكمال، لأن الشركة تنافي كمال العزة، ومستلزمة لنفي أضدادها، ومستلزمة لنفي مماثلة غيرها له في شيء منها[١].

ونلاحظ هنا أن الإمام ابن القيم قد انفرد عن غيره من شراح الأسماء بتقريب هذه المعاني المرادة من العزيز فخالفهم في العرض والطريقة، كما أنه أورد لوازم العزة كالوحدانية والكمال ونفي أضدادها من المماثلة وغيرها، ولم يتطرق العلماء إلى هذه الطريقة ولا أوردوا اللوازم، كما رأيناهُ عند الطبري[٢] والبيهقي[٣] والحليمي[٤] وغيرهم ممن تعرضوا لشرح هذا الاسم الجليل.

وقد جمع الشيخ رَحِمَهُ اللهُ معاني هذا الاسم الكريم في النونية وأشار إلى المراد منه في ثلاثة أمور فالأول: عزة الامتناع، وذلك مفهوم قوله: «فلن يرام جنابه» والثاني: عزة القهر والغلبة، والثالث: عزة القوة والقدرة على الأشياء، وجمعها في النونية فقال:

وهو العزيزُ فلن يُرام جنابهُ ... أنَّى يُرام جنابُ ذي السلطانِ
وهو العزيزُ القاهرُ الغلابُ لم ... يغلبهُ شيءٌ هذهِ صفتانِ
وهو العزيزُ بقوةٍ هي وصفهُ ... فالعزُّ حينئذٍ ثلاثُ معانِ
وهي التي كمُلت لهُ سبحانُه ... من كل وجهٍ عادم النقصانِ[٥]

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٦٨، ٢٦٩).
(٢) جامع البيان للطبري (١٢/ ٥٣).
(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٩٦).
(٤) المنهاج للحليمي (١/ ١٩٥).
(٥) النونية (ص١٤٢).

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن متى عرف أن الله تعالى متصف بالعزة ومن أسمائه العزيز أدرك أنه الذي لا يُغلب ولا يُقهر بل ويمتنع على أعدائه أن يصلوا إليه بكيدهم وأذاهُم، فهو الذي منح المؤمنين القوة والعزة كما قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] وأنه تعالى قد أثبت لنفسه صفة العزة وأخبر عنه النبي ﷺ فيما يرويه عنه تبارك وتعالى بقوله: «العزَّة إزاري والكبرياء ردائي»[١]. فعزة كل أحد ونصيبه من هذا الاسم الكريم بقدر علو رتبته في الدين، فإنه كلما كانت هذه الصفة فيه أكمل كان وجدان مثله أقل وكان أشد عزةً وأكمل رفعةً.

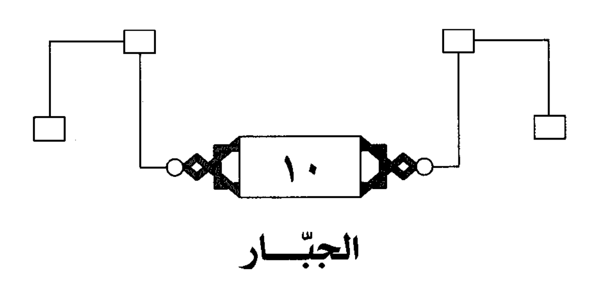
قال الإمام ابن القيم: وعلى العبد أن يعرف عزته في قضائه ﷻ، وهو أنه سبحانه العزيز الذي يقضي بما شاء وأنه لكمال عزته حكم على العبد وقضى عليه بأن قلَّب فيه وصرَّف إرادته بما يشاء وحال بين العبد وقلبه، وجعله مريداً شائياً لما شاء فيه العزيز الحكيم، وهذا من كمال العزة إذ لا يقدر على ذلك إلا الله.... فإذا عرف العبد عزَّ سيده ولاحظ بقلبه وتمكن شهوده منه، كان الاشتغال به عن ذُلِّ المعصية أولى به وأنفع له، لأنه يصير مع الله لا مع نفسه، ومن معرفة عزه في قضائه: أن يعرف أنه مدبر مقهور ناصيته بيد غيره لا عصمة له إلَّا بعصمته ولا توفيق إلا بمعونته، فهو ذليل حقير في قبضة عزيز حميد. ومن شهود عزته أيضاً في قضائه أن يشهد أن الكمال والحمد والغناء التام والعزة، كلها لله، وأن العبد نفسه أولى بالتقصير والذم والعيب والظلم والحاجة.

وكلما ازداد شهوده الذلة، ونقصه وعيبه وفقره، ازداد شهوده نصرة الله وكماله، وحمده، وغناه، وكذلك بالعكس، فنقصُ الذنب وذلته يطلعه على مشهد العزة، ومنها: أن العبد لا يريد معصية مولاه من حيث هي معصيته، فإذا شهد جريان الحكم، وجعله فاعلاً لما هو غير مختار له، مريد بإرادته ومشيئته واختياره، فكأنه مختار غير مختار مريد غير مريد، شاءٍ غير شاءٍ، فهذا يشهد عزة الله وعظمته، وكمال قدرته[٢].

---

(١) مسند الإمام أحمد (ص٥٥٧)، برقم (٧٣٧٦) عن أبي هريرة.

(٢) مدارج السالكين (١/٢٢٦، ٢٢٧).



الجبّــــار

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عدّه العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

والجبار صيغة مبالغة من جبر، وقد نقل الإمام ابن القيم معناه في اللغة فقال: وأما الجبر فيرجع في اللغة إلى ثلاثة أصول: **أحدها**: أن يغني الرجل من فقر، أو يجبر عظمة من كسر، وهذا من الإصلاح، وهذا الأصل يستعمل لازماً ومتعدياً يقال: جبرت العظم، وجبر، وقد جمع الصحاح بينهما في قوله: قد جبر الدين الإلهُ فجبر[2].

الأصل الثاني: الإكراه والقهر، وأكثر ما يستعمل هذا على أفعل، يقال: أجبرته على كذا إذا أكرهته عليه.

والأصل الثالث: من العز والامتناع، ومنه: نخلة جبارة. قال الجوهري: والجبار من النخل: ما طال وفات اليد.

قال الأعشى:

طـريـقٌ وجَـبَّـارٌ رواءٌ أصـولُـهُ ... عليه أبابيلٌ مِن الطيرِ تنعَبُ[3]

أما في الشرع: فنجد أن الإمام ابن القيم ينقل عن الخطابي في معنى هذا الاسم ثلاثة أمور كلها داخلة فيه بحيث يصح إرادتها منه كما سيأتي:

أحدها: أنه الذي يجبر ضعف الضعفاء من عباده، ويجبر كسر القلوب المنكسرة من أجله الخاضعة لعظمته وجلاله.

---

(١) ورد ذكر هذا الاسم عند الجميع باستثناء الأصبهاني.

(٢) طبقات الشعراء لابن سلام (٢/ ٧٥٤). (٣) شفاء العليل (ص٢٥١).

الثاني: أنه القهار، دان كل شيء لعظمته، وخضع كل مخلوق لجبروته وعزته فهو يجبر عباده على ما أراد مما اقتضته حكمته ومشيئته، فلا يستطيعون الفكاك منه.

والثالث: أنه العلي بذاته فوق جميع خلقه فلا يستطيع أحدٌ أن يدنو منه[1].

وعلى هذا فنجد أن الإمام ابن القيم رجح ثلاثة أصول في المعنى اللغوي وكذا يرجح ثلاثة معان لهذا الاسم في الشرع فيقول: الجبار في صفة الرب يرجع إلى ثلاثة معان: الملك والقهر والعلو، فإن النخلة إذا طالت وارتفعت وفاتت الأيدي سميت جبارة، ولهذا جعل سبحانه اسمه الجبار مقروناً بالعزيز والمتكبر. وكل واحد من هذه الأسماء الثلاثة تضمن الاسمين الأخيرين، وهذه الأسماء الثلاثة نظير الأسماء الثلاثة وهي الخالق البارئ المصور، فالجبار المتكبر يجريان مجرى التفصيل لمعنى اسم العزيز، كما أن البارئ المصور تفصيل لمعنى اسم الخالق، فالجبار من أوصافه يرجع إلى كمال القدرة والعزة والملك[2].

ونلاحظ في كلام الإمام ابن القيم ذكره لوازم هذا الاسم من كمال القدرة والعزة والملك. وقد أشار الشوكاني إلى أحد أوجه معاني هذا الاسم الكريم فقال فيه: الجبار وجبروت الله وعظمته والعرب تسمي الملك: الجبار[3]، وأشار ابن سعدي إلى وجهين من أوجه المعنى فقال فيه: «الجبار» وهو بمعنى العلي الأعلى، وبمعنى القهار، وبمعنى الرؤوف الجابر للقلوب المنكسرة[4].

وقال في النونية:

وكذلك الجبارُ من أوصافهِ ... والجبرُ في أوصافه نوعانِ

جبر الضعيفِ وكل قلبٍ قد غَدا ... ذا كرَّةٍ فالجبرُ منه دانِ

والثاني جبَر القهرِ بالعِزِّ الذي ... لا ينبغي لسواهُ من إنسانِ

---

(١) شرح النونية للهراس (٢/ ١٠٢).

(٢) شفاء العليل (ص٥٥١، ٥٥٢).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٠٨).

(٤) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٥/ ٣٠١).

وله مسمَّى ثالثٌ وهو العُلُوّ   فُليسَ يدنُو مِنهُ من إنسَانِ
من قولهم جبَّارةٌ للنخلةِ العُليَا   التي فاتَتْ لِكُلِّ بنانِ[1]

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن عندما يدرك اتصافُه تعالى بجبر ضعف الضعفاء والمنكسرة قلوبهم من عباده فإنه يلتجئ إلى الله تعالى عند حلول المصائب والشدائد، فكم جبر سبحانه من كسير، وأغنى من فقير وأعزَّ من ذليل، وأزال من شدة، ويسر من عسير؟ وكم جبر من مصاب فوفَّقه للثبات والصبر، وأعاضه من مصابه أعظم الأجر؟

كما أن المؤمن بمقتضى هذا الاسم العظيم يدرك أنه الجبار الذي دان لعظمته كل شيء، وخضع كل مخلوق لجبروته وعزته، فهو يجبر عباده على ما أراد مما اقتضته حكمته ومشيئته فلا يستطيعون الفكاك منه فكما جبرهم قضاءً وقدراً، فقد جبرهم أيضاً على ما شاء من أمر أو نهي، يعني أنه شرع لهم من الدين ما ارتضاه هو كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ [الشورى: ١٣]، فشرع لهم من الشرائع ما شاء فأرسل لهم الرسل وأمرهم بما ينفعهم ونهاهم عن العدول عن طريقهم ومخالفتهم فمن أطاعهم فله الجنة ومن عصاهم فله النار، ولم يجبر أحداً من خلقه على إيمان أو كفر بل لهم المشيئة في ذلك، فهو سبحانه أَجلُّ وأعظم وأقدر من أن يجبر عبده ويكرهه على فعل يشاءه منه، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] ومع ذلك فهم لا يخرجون عن مشيئته، بل إذا شاء من عبده، أن يفعل فعلاً جعله قادراً عليه، مريداً له محباً مختاراً لإيقاعه، وهو أيضاً قادرٌ على أن يجعله فاعلاً باختياره مع كراهته له وبغضه ونفرته عنه، فكل ما يقع من العباد بإراداتهم ومشيئتهم فهو سبحانه الذي جعلهم فاعلين له سواءً أحبوه أو أبغضوه وكرهوه، وهو سبحانه لم يجبرهم في النوعين كما يجبر غيره من لا يقدر على جعله فاعلاً بإرادته ومشيئته[2].

---

(١) النونية (ص١٤٥).

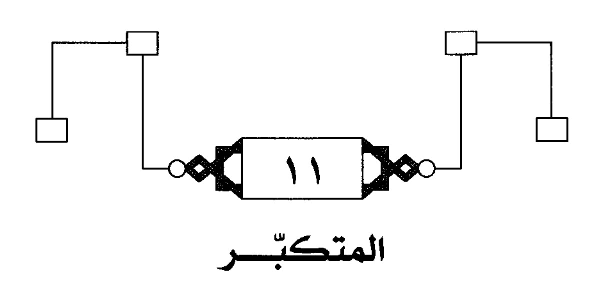
(٢) شفاء العليل (ص٢٥٤).

ولا يجوز أن يتصف المخلوق باسم الجبار لما في هذه الصفة من العبث والنقص والذم في حق المخلوقين، **قال الإمام ابن القيم**: وأما المخلوق فاتصافه بالجبار ذم له ونقص كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥] وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥] أي مسلَّط تقهرهم وتكرههم على الإيمان.

وفي الترمذي وغيره عن النبي ﷺ: «يُحشرُ الجبارون والمتكبرون يوم القيامة أمثال الذرِّ يطؤهم الناس»[(١)][(٢)].



(١) سنن الترمذي (٤/ ٦٥٥)، برقم (٢٤٩٢) صفة القيامة (٤٧) وقال: هذا حديث حسن من حديث عبد الله بن عمرو.
(٢) شفاء العليل (ص٢٥٤).



المتكبّر

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عدّه العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣].

ومن السنة قال في الحديث القدسي: «العز إزاري، والكبرياء ردائي فمن ينازعني، عذبته»[2].

والكبر **في اللغة**: خلاف الصغر، وأجمع ما قيل في هذا الاسم، أن الكِبر نقيض الصِغر وكبَّر الأمر: جعله كبيراً، واستكبره: رأَهُ كبيراً كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ [يوسف: ٣١] أي أعظمنه، والتكبير: التعظيم، والتكبر والاستكبار: التعظم، والكُبر: الرفعة في الشرف، والكبرياء أي العظمة والتجبر، وتاء المتكبر ليست تاء التعاطي والتكلف كما يقال: فلان يتعظم وليس بعظيم، ويتسخى وليس بسخي وإنما هي تاء التفرد والتخصص[3].

أما في الشرع: فبالنظر إلى أقوال المفسرين نجد تقارباً بيناً في أقوالهم فهم يجعلون المتكبر صفة تنـزيه لله تعالى، فالخطابي يقول فيه: (هو المتعالي عن صفات الخلق، ويقال: هو الذي يتكبر عن عُتاة خلقه إذا نازعوه العظمة فيقصمهم)[4].

---

(١) ورد ذكر هذا الاسم عند الجميع باستثناء الأصبهاني في الحجة.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ٢٦٤) برقم (٢٦٢٠)، وانظر: كتاب البر والصلة عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما.
(٣) الصحاح للجوهري (٢/ ٨٠١)، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤/ ١٤٠، ١٣٩) شأن الدعاء للخطابي (ص٤٨).
(٤) شأن الدعاء للخطابي (ص٤٨).

وهكذا قول القرطبي لا يخرج عما قرره الخطابي في المتكبر من التكبر عن كل سوء، المتعظم عما لا يليق به من صفات الحدث والذم. ونلمح في أصل اللفظة أن الكبر بمعنى الامتناع وقلة الانقياد(١).

بينما نجد الأصبهاني لا يفسر معنى هذا الاسم مكتفياً بالإشارة إلى اشتقاق كلمة الكبر والكبرياء، وذلك لوضوح معنى الكبر عند الناس(٢).

أما الإمام ابن القيم فنجده ينقل عن علماء السلف من المفسرين معنى هذا الاسم من عدة أوجه فيقول: وكذلك الكبير من أسمائه والمتكبر، قال قتادة وغيره: هو الذي تكبر عن السوء، وعن أبي اسحاق: الذي يكبر عن ظلم عباده(٣). فهو وإن كان لم يشر إلى ما سبق نقله من معنى المماثلة وتنـزيه صفاته إلا أننا نلاحظ في هذه المعاني تنـزيه الله تعالى عن صفات خلقه، المتكبر عن كل سوء المتعظم عما لا يليق به من صفات الخلق.

كما نلاحظ في هذه المعاني ما يدل على ثبوت صفة الكبر لله تعالى، وأنها صفة كمال في حق الله تعالى بخلاف المخلوقين فإنها صفة نقص وعيب في حقهم، وبذلك ورد قوله ﷺ في ذم هذه الصفة في حق المخلوق حيث قال: «الكبر بطر الحق وغمط الناس»(٤).

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن عندما يدرك أن الله تعالى من أسمائه المتكبر وصفته الكِبر والعظمة عن كل سوء فإن ذلك يُحدثُ له تواضعاً لله تعالى، وذلك أن الكبر في المخلوق خصلةٌ ذميمة يُبغِضُها الله تعالى، كما أن الكبر والحرص أول ذنب عُصي به الله تعالى. **قال الإمام ابن القيم**: أول ذنب عصى اللهَ به أبوا الثقلين: الكبر والحرص، فكان الكبر ذنب إبليس اللعين فآل أمره إلى ما آل إليه، وذنب آدم نبينا عليه السلام: كان من الحرص والشهوة فكان عاقبته التوبة والهداية.. وذنب

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨/ ٣١، ٣٢).

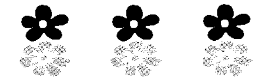
(٢) الحجة للأصبهاني (١/ ١٤١). (٣) مختصر الصواعق (ص٢١٢).

(٤) الجامع الصغير للألباني (٢/ ٨٤٥) برقم (٤٦٠٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

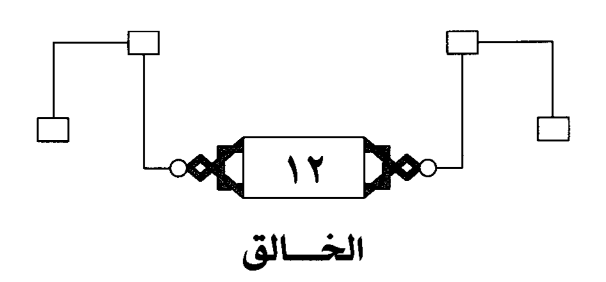
إبليس حمله على الاحتجاج بالقدر والإصرار، وذنب آدم أوجب له إضافته إلى نفسه والاعتراف به والاستغفار. فأهل الكبر والإصرار والاحتجاج بالقدر مع شيخهم وقائدهم إلى النار إبليس، وأهل الشهوة المستغفرون التائبون المعترفون بالذنوب التي لا يحتجون عليها بالقدر: مع أبيهم آدم في الجنة.

والكبر شر من الشرك الذي لا يغفره الله تعالى، **قال الإمام ابن القيم**: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ الله يقول: التكبر شر من الشرك، فإن المتكبر يتكبر عن عبادة الله تعالى والمشرك يعبد الله وغيره. قلت - أي الإمام ابن القيم -: ولذلك جعل الله النار دار المتكبرين كما قال تعالى في سورة الزمر وفي سورة غافر: ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: ٧٦] وفي سورة التنزيل ﴿أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوًى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠]. وأخبر أن أهل الكبر والتجبر هم الذين طبع الله على قلوبهم، فقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ [غافر: ٣٥]، وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١١٦] تنبيهاً على أنه لا يغفر الكبر الذي هو أعظم من الشرك، وكما أن «من تواضع لله رفعه» فكذلك من تكبر على الانقياد للحق أذلّه الله ووضعه، وصغّره وحقّره[2].



(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ١١٧، ١١٨) برقم (١٤٧)، كتاب الإيمان عن عبد الله بن مسعود.
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٤٥، ٣٤٦).



الخـــالق

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عدّه العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٤].

ومن السنة: قال الله تعالى: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا شعيرة»[2].

وهو في كلام العرب على وجهين:

أحدهما: الإنشاء على مثال أبدعه لم يسبق إليه، أحدثه بعد إذ لم يكن.

والآخر: التقدير، وخلق الأديم يخلقه خلقاً: قدَّره لما يريد قبل القطع وقاسه ليقطع منه مزاده أو قربه.

فمن الأول: قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ [الزمر: ٦] أي: يخلقكم نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً.

ومن الثاني: قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧] أي تقدرونه وتهيئونه، وهو كذب كقوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٧][3].

وفي الشرع: نجد أن العلماء يذهبون في معنى هذا الاسم الكريم أيضاً إلى أمرين لا يخرجان عمّا قرره أهل اللغة في معنى هذا الاسم الكريم:

الأول: الإنشاء على غير مثال سبق.

---

(١) ورد ذكر هذا الاسم عند الجميع بلا استثناء.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٠/ ٤٧١) برقم (٥٩٥٣).

(٣) الصحاح للجوهري (٤/ ١٤٧٠)، وانظر: غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٧٠)، الزاهر للأنباري (١/ ٨٨).

الثاني: التقدير للأشياء.

وبالرجوع إلى كلام الشراح لاسم الخالق نجد الخطابي يقول فيه: الخالق: هو المبدع للخلق والمخترع له على غير مثال سبق. ويستدل عليه بقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

ومن الثاني قوله: فمعنى الخلق التقدير، ويستدل عليه بقوله تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾ [آل عمران: ٤٩][١].

وقال الزجاج: فالخالق في اسم الله تعالى هو ابتداء تقدير النشء، فالله خالقها ومنشئها وهو متممها ومدبرها فتبارك الله أحسن الخالقين[٢].

وقد أشار إلى هذين المعنيين أيضاً أبو المظفر السمعاني في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾ [الحشر: ٢٤]. فقال: «أي: مقدر الأشياء ومخترعها»[٣].

وقال البغوي: هو الله الخالق: المقدِّر والمقلِّب للأشياء بالتدبير إلى غيره[٤].

وللغزالي في المقصد كلامٌ حسنٌ يذكر فيه أن الخلق والإبراء والتصوير بينها علاقة وطيدة من حيث قربها وحجيتها في سياق واحد، ولكن الواقع أن لكل صفة من هذه الصفات الثلاث ما يخصها من حيث المعنى وفي هذا يقول: (قد يُظن أن هذه الاسماء مترادفة وأن الكل يرجع إلى الخلق والاختراع، ولا ينبغي أن يكون كذلك، بل كل ما يخرج من العدم إلى الوجود فيفتقر إلى التقدير أولاً، وإلى الإيجاد على وفق التقدير ثانياً، وإلى التصوير بعد الإيجاد ثالثاً. والله تعالى: خالق من حيث إنه مقدر، وبارئ من حيث إنه مخترع موجد، ومصور من حيث إنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب)[٥].

---

(١) شأن الدعاء للخطابي (ص٤٩).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٣٦، ٣٧).

(٣) تفسير القرآن لأبي المظفر (٥/ ٤١٠).

(٤) تفسير البغوي (١/ ٨٨).

(٥) المقصد الأسنى للغزالي (ص٧٢).

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بالخلق والتقدير والإنشاء على مثال أبدعه لم يسبق إليه فإنه يزداد يقيناً أن الله تعالى خالق كل شيء، وكل ما سواه مخلوق له مربوب له لا خالق غيره، فالسماوات والأرض ومن فيهن وما بينهما وحركات أهلها وسكناتهم وأرزاقهم وآجالهم وأقوالهم وأعمالهم كلها مخلوقات له محدثة، كائنة بعد أن لم تكن، وهو خالق ذلك كله وموجده ومعيده، فمنه مبدؤها وإليه منتهاها «ألا إلى الله تصير الأمور»[1]. قال الإمام ابن القيم في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر: ٦٢]:

وهذا علم محفوظ لا يخرج عنه شيء من العالم أعيانه وأفعاله وحركاته وسكناته، وليس مخصوصاً بذاته وصفاته، فإنه الخالق بذاته وصفاته، وما سواه مخلوق له، واللفظ قد فرَّق بين الخالق والمخلوق، وصفاته سبحانه داخلة في مسمى اسمه فإن الله سبحانه اسم للإله الموصوف بكل صفة كمال، المنزه عن كل صفة نقص، ومقال[2].

وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ﴾ [يٰس: ٧٧]، وقوله: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ﴾ [المؤمنون: ١٢]، قال: وقد سجل القرآن الكريم من مثل هذه الآيات الشيء الكثير الذي يدعو العبد أن يتأمل في أصل خلقته، وما يتبع ذلك من تطور ليرى ما في ذلك من أسرار وحكم مما يعجز الإنسان أن يقف على بعضها والتي تدل على وجود خالقها وعظمته. . . . وفي قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] قال: فإن أقرب شيء للإنسان نفسه فإذا أمعن النظر فيها يجد آثار التدبير واضحة[3].

ولكل اسم من اسمائه أثر من الآثار في الخلق والأمر لا بد من ترتبه عليه كترتب المرزوق والرِّزق على الرازق، وترتب المرحوم وأسباب الرحمة

---

(١) معارج القبول للحكمي (١/ ١٣١).

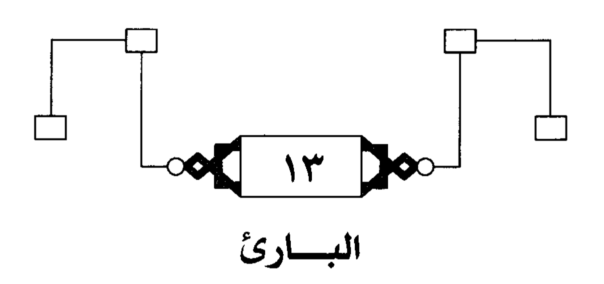
(٢) شفاء العليل (ص١١٦، ١١٥).

(٣) مفتاح دار السعادة (٢/ ٧، ٦).

على الراحم، وترتب المرئيات والمسموعات على السميع البصير، ونظائر ذلك في جميع الأسماء فلو لم يكن في عباده من يخطئ ويذنب ليتوب عليه ويغفر له ويعفو عنه، لن يظهر أثر أسمائه الغفور والعفو والحليم والتواب وما جرى مجراها. وظهور أثر هذه الاسماء ومتعلقاتها في الخليقة كظهور آثار الاسماء الحسنى ومتعلقاته، فكما أن اسمه الخالق يقتضي مخلوقاً، والباري يقتضي مبروءاً، والمصور يقتضي مصوراً ولا بد[1].



(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٦١).



البــارئ

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عدّه العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[١]. ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ . . .﴾ [الحشر: ٢٤].

ومن السنة: حديث أبي جحيفة، قال: سألت علياً رضي الله عنه: هل عندكم شيء ما ليس في القرآن؟ فقال: «والذي فلق الحبة.. وبرأ النسمة، ما عندنا إلا ما في القرآن، إلا فهماً»[٢].

والبرء **في اللغة** له معنيان: أحدهما: الخالق، يقال: برأ الخلق يبرؤهم بَرءاً، وثانيهما: التباعد عن الشيء ومزايلته، من ذلك البُرء وهو السلامة من السُّقم ومن ذلك البراءَة من العيب والمكروه، ويقال: برئ إذا تخلص[٣]. ويقال: برأ الخلق: فطرهم، وقيل: البرء خلق على صفة فكل مبروء مخلوق وليس كل مخلوق مبروءاً، لأن البرء فيه فصل بعض الخلق من بعض، فصورة زيد مفارقة لصورة عمرو، وهكذا[٤].

وفي الشرع ما يدل على معناه في اللغة أيضاً، وفي كلام العلماء ما يدل على هذا المعنى ويؤكده إلا أن عباراتهم متنوعة في معناه، وإن كان مدلولها واحد وهو الإيجاد والإبداع في الخلق، فنجد الإمام الطبري يرى أن البارئ هو الذي برأ الخلق فأوجدهم بقدرته[٥].

بينما نجد الخطابي لا يرى فرقاً بين الخلق والبرء، إلا أنه يخصص لفظة

---

(١) ورد ذكر هذا الاسم عند الجميع بلا استثناء.
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٢/٣٠٣) برقم (٦٩٠٣).
(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/٢٣٦)، وانظر: الصحاح للجوهري (٦/٢٢٧٩).
(٤) تفسير أسماء الله للزجاج (ص٣٧).
(٥) جامع البيان للطبري (١٢/٥٤).

البرء بالحيوان عن غيره من سائر المخلوقات فيقول: البارئ هو الخالق، إلا أن لهذه اللفظة من الاختصاص بالحيوان ما ليس لها بغيره من الخلق، وقلما يستعمل في خلق السماوات والأرض والجبال، فيقال: برأ الله السماء، كما يقال: برأ الله الإنسان وبرأ النسم[1].

وقد يقول قائل: إذا كان معنى البرء هو الخلق فما معنى الخالق؟

وللإجابة على هذا التساؤل يمكن أن نعرض لمعناه من خلال قول الحليمي فيه: «إن هذا الاسم يحتمل معنيين: أحدهما الموجد، والآخر قلب الأعيان والإبداع»[2].

وإذا أردنا التمييز بين لفظي الخلق والإبراء نجد أن أحسن ما قيل فيه ما ذكره الحافظ ابن كثير في التفسير من أن الخلق هو التقدير، والبرء هو الفري وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئاً ورتّبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله ﷻ.

قال الشاعر:

ولأنت تَفرِي ما خلقتَ وبعـ ... ـضَ القوم يخلقُ ثُمَّ لا يَفرِي[3]

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن عندما يدرك أن الله تعالى متصف ببرأ الخلق وإيجادهم لا على مثال سابق، فإنه يزداد إيماناً وثقةً في قدرة الله تعالى على برء الخلق جميعاً من التفاوت، وجعلهم كلهم خلقاً مستوياً ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا نقص ولا عيب، ولا خلل أبرياء من ذلك كله. وأن الباري تعالى لم يخلقه عبثاً ولم يتركه سُدًى وهملاً، وإنَّما خلقه لعبادته وحده، فليس بعد الخلق استفاد اسم «الخالق» ولا بأحداثه البرية استفاد اسم «الباري» وذلك من كماله، ولا يجوز أن يكون فاقداً لهذا الكمال، أو معطلاً عنه في وقت من

---

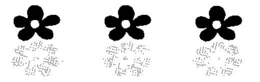
(١) شأن الدعاء للخطابي (ص٥٠). (٢) المنهاج للحليمي (١/ ١٩٢، ١٩٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤٣) والبيت لزهير بن أبي سُلمى، انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة (١/ ١٣٩).

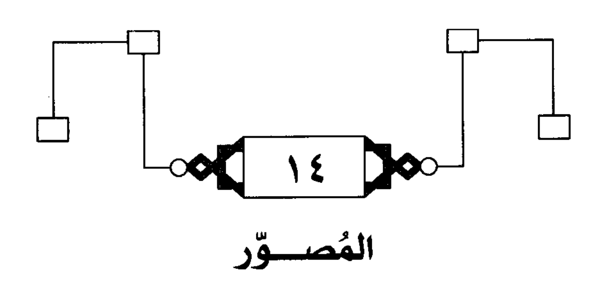
الأوقات، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧].

قال الإمام ابن القيم: فسل المعطل الجاحد ما تقول في دولاب دائر على نهر قد أحكمت آلاته، وأحكم ترتيبه، وقدّرت إدارته أحسن تقدير وأبلغه بحيث لا يرى الناظر فيه خللاً في مادته ولا في صورته، وقد جعل على طريقة عظيمة فيها من كل أنواع الثمار والزروع يسقيها حاجتها، وفي تلك الحديقة من يلم شعثها ويحسن مراعاتها وتعهدها، والقيام بجميع مصالحها، فلا يختل منها شيء ولا يتلف ثمارها، يقسم قيمتها عند الجذاذ على سائر المخارج بحسب حاجتهم وضروراتهم فيقسم لكل صنف منهم ما يليق به. ويقسمه هكذا على الدوام، أترى هذا اتفاقاً بلا صانع، ولا مختار ولا مدبر، أفترى ما يقول لك عقلك لو كان كذلك وما الذي به وما الذي يرشد إليه؟ ولكن من حكمة العزيز الحكيم أن خلق قلوباً عمياء لا بصائر لها، فلا ترى هذه الآيات الباهرة إلا رؤية الحيوانات البهيمة كما خلق أعيناً لا أبصار لها، والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره وهي لا تراها فما ذنبها إن أنكرتها وجحدتها، فهي تقول في ضوء النهار: هذا الليل ولكن أصحاب الأعين لا يعرفون شيئاً، ولقد أحسن القائل:

وهبني قلتُ هذا الصبحُ ليلٌ ... أيعمَى العالمونَ عن الضياءِ(١)



(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٤١) والبيت للمتنبي، انظر: ديوانه (١/ ١٠).



المُصـــوّر

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عدّه العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[١]. **ودليله من الكتاب** قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤].

ومن السنة قوله ﷺ: «لما صوّر الله آدم في الجنة؛ تركه ما شاء الله أن يتركه...»[٢].

وفي اللغة: صورة المخلوق: هي هيئة خلقته[٣]، وتطلق على حقيقة الشيء وعلى صفته[٤]. والتصوير: التخطيط والتشكيل.

وهو من خصائص الله تعالى، وقد حرَّم سبحانه على الخلق أن يصوّروا صوراً، فلا ينبغي لأحدٍ أن يصوّر صورة لأن الله ﷻ تفرد بالخلق، وهو سبحانه يخلق الخلق ويصوّره ثم يخرجه ذا روح، والمخلوق لا يقدر على مثل ذلك، فإذا تكلف ما لا يستطيع عُذِّب بذلك يوم القيامة[٥].

وفي الشرع: نجد أن كلام العلماء في هذا الاسم يكمل بعضه بعضاً. فالإمام الطبري يقول فيه: هو المصور خلقه كيف شاء[٦].

ويزيد الخطابي هذا المعنى بياناً فيقول فيه: وهو سبحانه الذي صوّر جميع الموجودات ورتّبها فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز

---

(١) ورد ذكر هذا الاسم عند الجميع بلا استثناء.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ٢٤٨)، برقم (٢٦١١) عن أنس رضي الله عنه.
(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٣٢٠، ٣٢٠).
(٤) لسان العرب لابن منظور (٧/ ٤٣٨)، (صور).
(٥) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١/ ١٣١، ١٣٢).
(٦) جامع البيان للطبري (١٢/ ٤٧٩).

بها على اختلافها وكثرتها[1]، قال الزجاج: وقد صوّر سبحانه كل صورة لا على مثال احتذاه ولا رسم ارتسمه، تعالى عن ذلك علواً كبيراً[2].

وقال ابن كثير: وهو سبحانه إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار، وهو ينفِّذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها[3].

وقد فرَّق بعضهم بين الخالق والبارئ والمصور، فقال:

الخالق: هو المخرج من العدم إلى الوجود جميع المخلوقات، مقدّرها على صفاتها.

والبارئ: خالق الناس من البرى وهو التراب.

والمصور: خالق الصور المختلفة.

فالخالق عام، والبارئ أخص منه، والمصور أخص من الأخص[4].

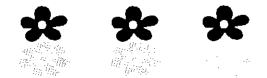
ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بهذه الصفة العظيمة فإنه يستيقن عظمة الخالق البارئ المصور الذي صوَّر جميع الموجودات ورتَّبَهَا، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة وهيئة منفردةً يتميز بها على اختلافها وكثرتها، فهو الذي صوّر الأشياء وعدَّلها، وألبسها حلل الكمال، وأعطى كل موجود صورة تناسبه، وجبل الإنسان على صور مختلفة، تميز بعضها من بعض في الأشكال والأحجام. وهذه خصوصية انفرد الله بها عن الخلق لأنَّ الخلق عندما صوّروا الصور أغراهم الشيطان حتى أوقعهم في مضاهاة الخالق، وكان أول شرك وقع في قوم نوح عليه السلام وكان سببه صنع الصور فكان ذلك فتنةً عظيمة في نفوس الخلق، وما زال الشيطان بهم حتى أوقعهم في أعظم ذنب وهو الشرك بالله

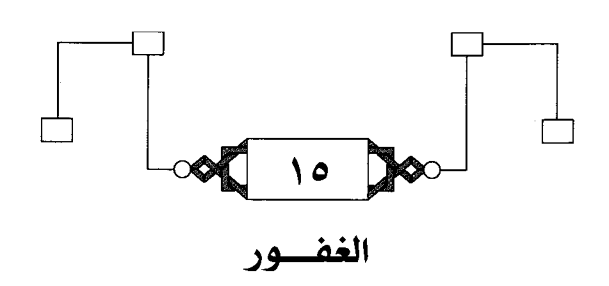
---

(١) شأن الدعاء للخطابي (ص٥١، ٥٢).
(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٣٧).
(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤٤).
(٤) عارضة الأحوذي لابن العربي (١٣/ ٣٥).

تعالى، ومن هنا نعلم أنَّه لا بد من سد الذريعة حتى ولو لم يقصد بالصورة مضاهاة خلق الله تعالى أو العبادة، فكم من أُناسٍ تذرعوا في مقارفة الإثم بحجة أنَّهم لا يصنعون الصور إلَّا لمجرد الذكرى ونسوا أو تناسوا أن ذلك مدعاة للوقوع في كبائر الذنوب. وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ حيث قال: «لتتبعُنَّ سنن من كان قبلكم القُذَّة حذو القُذَّة ولو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه»[1].



(١) مسند الإمام أحمد (ص٨٣٦) برقم (١١٨٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.



الغفـــور

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [الزمر: ٥].

ومن السنة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «... بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»[2].

نقل القرطبي إجماع الأمة عليه[3]، وغفور من أبنية المبالغة، لأنَّه يفعل ذلك بعباده مرة بعد أخرى إلى ما لا يُحصى[4].

وأصل الغفر في اللغة مأخوذ من: التغطية والستر، غفر الله له ذنوبه، أي سترها[5].

وفي الشرع: نجد أن معنى اسم الغفور متفق عليه بين العلماء: أنه الذي يستر ذنوب عباده عن الخلق، وإلى هذا المعنى ذهب الخطابي حيث قال: فالغفار: الستار لذنوب عباده، المسدل عليهم ثوب عطفه ورأفته[6].

وكذلك الزجاج ممن يقول معنى الغفر في الله سبحانه: هو الذي يستر ذنوب عباده ويغطيهم ويسترهم[7].

---

(١) ورد ذكر هذا الاسم عند الجميع بلا استثناء.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١/ ١٩٠)، برقم (١٢٥) كتاب الإيمان.

(٣) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ١٦٤).

(٤) اشتقاق أسماء الله للزجاج (ص٩٤).

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٣٨٥).

(٦) شأن الدعاء للخطابي (ص٥٢).

(٧) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٢٨).

كما نجد الحليمي يقول فيه: الغفار هو الذي يستر على المذنب ولا يؤاخذه فينشره ويفضحه[1].

وقال الأصبهاني: ومن أسمائه تعالى: الغافر والغفور والغفار، وهو الذي يستر الذنوب عن الخلق ولا يظهرها[2].

وفي ترتيب هذه الأسماء من حيث قوة معانيها ذكر ابن العربي في ذلك ثلاثة أقوال أحدها: إن غافراً فاعل من غفر، وإن قولنا غفور للمبالغة إذا تكرر، وإن الغفار أشد مبالغة منه[3].

ونلاحظ أن لكل اسم من هذه الأسماء معنىً خاصاً به أشار إليها الحليمي:

أحدها: الغفار وقد سبق الإشارة إليه.

والثاني: الغافر: وهو المبالغ في الستر.

والثالث: الغفور: وهو الذي يكثر منه الستر على المؤمنين من عباده ويزيد عفوه على مؤاخذته[4].

ونجد الإمام ابن القيم قد أشار إلى أكثر هذه الأسماء مبالغة في المعنى فقال في النونية:

وهوَ الغفورُ فلو أتى بِقُرابِهَا ... من غير شركٍ بل من العصيانِ
لأتاهُ بالغفرانِ ملءُ قرابِها ... سبحانَهُ هو واسعُ الغفرانِ[5]

ومن خلال معنى هذا الاسم في اللغة والشرع نجد التوافق الكبير بين هذين المعنيين، وذلك أن لفظة المغفرة مأخوذة من الغفر، أي: بمعنى تغطية وستر ذنوب العباد.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بأنه غافر وغفور للذنوب والخطايا

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٥٠). (٢) الحجة للأصبهاني (١/ ١٤٤).
(٣) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ١٦٤، ١٦٥).
(٤) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٥٠). (٥) النونية (ص١٤٥).

والسيئات كلها صغيرها وكبيرها فإنه يطمع فيما عند الله من واسع الرحمة والمغفرة، فلا ييأس من رحمة الله ومغفرته فيكون بذلك قد تحقق له موعود الله بالمغفرة، ويزداد من العمل الصالح في كل حين، وإذا ألَمَّ بشيءٍ من الذنوب استغفر الله وتاب إليه وأناب لقوله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وعن أبي هريرة ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ عبداً أصاب ذنباً فقال: يا رب إني أذنبت ذنباً فاغفر لي، فقال ربه: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويآخذ به، فغفر له ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً آخر، وربما قال: ثم أذنب ذنباً آخر، فقال: يا رب إني أذنبت ذنباً آخر فاغفره لي، فقال ربه: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له، ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنباً آخر وربما قال: ثم أذنب ذنباً آخر فقال: يارب إني أذنبت ذنباً آخر فاغفره لي، فقال ربه: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به. فقال ربه: غفرت لعبدي فليعمل ما شاء»[1].

قال الإمام ابن القيم: إن مغفرة الله وتجاوزه عن الذنوب والسيئات فضل منه ورحمة عظيمة للعباد وهو غنيٌ عن العالمين، لا ينتفع بالمغفرة لهم لأنه سبحانه لا يضره كفرهم أصلاً ولا يغفر لهم خوفاً منهم لا جهلاً ولا عجزاً لأنَّه قوي عزيز، ومن ههنا كان قول المسيح عليه السلام ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٨] أحسن من أن يقول: وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم، أي إن غفرت لهم كان مصدر مغفرتك عن عِزَّةٍ وهي كمال القدرة، وعن حكمة وهي كمال العلم، فمن غفر عن عجز وجهل بجرم الجاني لا يكون قادراً حكيماً عليماً، بل لا يكون ذلك إلَّا عجزاً، فأنت لا تغفر إلَّا عن قدرة تامة وعلم تام وحكمة تضع بها الأشياء في مواضعها[2].

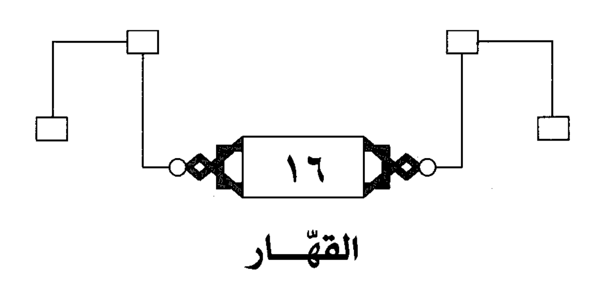
---

(١) مسند الإمام أحمد (ص٦٧٣) برقم (٩٢٤٥).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٤٥، ٣٤٦).

ولا يجوز للعبد أن يُسرف في الخطايا والذنوب بحجة أن الله غفور رحيم، لأنَّ مغفرة الله لعباده إنَّما تكون للتائبين الصادقين الأوابين الذين لا يصرون على فعل الخطايا والذنوب. قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥] وقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].





١٦
القهّــار

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب العزيز، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[١]. ودليله من الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨، ٦١]. وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦].

والقهر في اللغة مأخوذ من الغلبة والعلو، والأخذ من فوق، وقهره يقهره قهراً: غلبه، وتقول: أخذتهم قهراً، أي من غير رضاهم، وأقهر الرجل: صار أصحابه مقهورين[٢].

أما في الشرع: فنجد أنَّ العلماء قد عبروا عن معنى القهار بما يدل على ثبوت جميع معاني العلو والقهر والغلبة لله تعالى، فالطبري يقول: القاهر المذلل المستعبد خلقه العالي عليهم، ومن صفة كل قاهر شيئاً أن يكون مستعلياً عليه، ويلخص معناه بقوله: فمعنى الكلام إذاً: والله الغالب عباده المذلل لهم العالي عليهم، بتذليله لهم وخلقه إياهم فهو فوقهم بقهره إياهم وهم دونه[٣].

وقال ابن منده: القهار فوق خلقه قهرهم بقدرته عليهم[٤].

وكذلك القهارُ من أوصافِهِ　　فالخلقُ مقهورونَ بالسلطانِ
لو لم يكُن حيّاً عزيزاً قادراً　　ما كان من قهرٍ ولا سلطانِ[٥]

---

(١) التوحيد لابن منده (٢/ ١٦٩)، وانظر: شأن الدعاء للخطابي (ص٥٣)، الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٦٤)، الحجة للأصبهاني (١/ ١٦٢) الأسنى للقرطبي (١/ ٢١٢)، وانظر: إيثار الحق لابن الوزير (ص١٧١)، توضيح الكافية لابن سعدي (ص١٩٧)، القواعد المثلى لابن عثيمين (ص٤١)، له الأسماء الحسنى للشرباصي (١/ ١١٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٣٥)، (قهر). وانظر: الصحاح (٢/ ٨٠١)، لسان العرب لابن منظور (١١/ ٣٣٤)، النهاية (٤/ ١٢٩).

(٣) جامع البيان للطبري (٥/ ١٦١).

(٤) التوحيد لابن منده (٢/ ١٦٩).

(٥) النونية (ص١٤٥).

كما يشير الإمام ابن القيم إلى لوازم هذا الاسم موافقاً فيه الطبري[1] في أن صفة القهر تسلتزم العلو على العباد ذاتاً وقهراً وشأناً، كما أن من لوازم القهار كمال حياته وعزته وقدرته، وقد نظم الحكمي لوازم هذا الاسم في سلّمه فقال:

الأحدُ الفردُ القديرُ الأزلي ... الصمدُ البَرُّ المهيمنُ العليّ
عُلُو قهرٍ وعلو الشأنِ ... جَلَّ عن الأضدادِ والأعوانِ[2]

وقال السعدي في التوضيح المبين: ومحال أن يكون قاهراً لكل شيء وهو غير حي ولا عزيز ولا قادر ولهذا قال:

لو لم يكن حيّاً عزيزاً قادراً ... ما كان من قهرٍ ولا سلطان[3]

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أَنْ يدرك المؤمن أنَّ الله تعالى هو القهار وحده سبحانه قهر عباده وغلبهم على ما أراد، قهرهم بالموت الذي كتبه عليهم فلا يستطيعون له دفعاً، وليس لهم منه ملجأ أو مهرباً ولو أوتوا من القوة والجبروت ما أوتوا. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: ٦١، ٦٢] وقهرهم سبحانه بالأمراض والمصائب والنكبات التي قدرها عليهم فلا يملكون ردها عن أنفسهم. وما أحسن قول من قال: القهار الذي طاحت عند صولته صولة المخلوقين وبادت عند سطوته قوى الخلائق أجمعين، قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] فأين الجبابرة والأكاسرة عند ظهور هذا الخطاب؟ وأين الأنبياء والمرسلون، والملائكة المقربون في هذا العتاب؟ وأين أهل الضلال والإلحاد والتوحيد والإرشاد؟ وأين آدم وذريته وأين إبليس وشيعته؟ وكأنهم بادوا وانقضوا زهقت

---

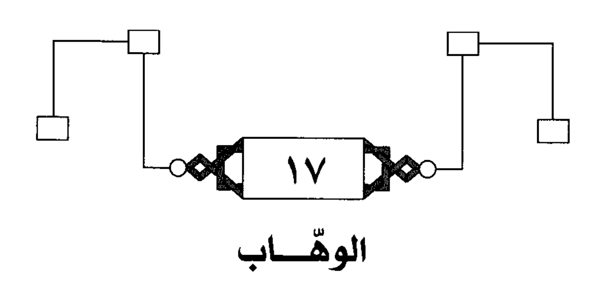
(١) جامع البيان للطبري (٥/ ١٦١).
(٢) سلم الوصول للحكمي (ص٢٦).
(٣) التوضيح المبين لابن سعدي (ص١١٩، ١٢٠).

النفوس، وتبددت الأرواح وتلفت الأجسام والأشباح وتفرقت الأوصال، وبقي الموجود الذي لم يزل ولا يزال[1].

وما أقبح أن يتصف المخلوق الفقير إلى ما سواه بهذه الصفة العظيمة التي لا تليق إلا بالخالق تعالى، ولم يدّعيها سوى عدو الله فرعون عليه لعنة الله حيث علا في الأرض على بني إسرائيل حتى قال فيهم ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧].



(١) لوامع البينات للرازي (ص٢٣٠، ١٣١).



الوهّــاب

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. ودليله من الكتاب: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

ومن السنة: حديث أبي هريرة ﷺ: «... ثم ذكرت قول أخي سليمان: رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي...»[2].

وفي اللغة: الوهاب من واهب، وهو كثير الهبات. من أبنية المبالغة على وزن فعَّال.

قال ابن سيده: وهب كل الشيء يهبه وهباً ـ بالتحريك، ووهبت له هبة وموهبة ووهباً إذا أعطيته، ورجلٌ واهب موهَاب، ووهوب ووهابة أي كثير الهبة لأمواله[3].

وقال الزجاج: الوهاب: هو فعال من قولك: وهبتُ أهبُ هبةً[4].

أما في الشرع: فنجد أن العلماء لا يقيدون معنى هذا الاسم بصفة معينة وإنما يطلقون في معناه لكثرة هباته تعالى، وقد نفهم ذلك من خلال تنوع عبارات العلماء فيه حيث نجد الإمام الطبري عند بيانه لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ يقول: يعني إنك أنت المعطي عبادك التوفيق والسداد للثبات على

---

(١) ورد ذكر هذا الاسم عند الجميع بلا استثناء.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٥/ ٣٩)، برقم (٥٤١) كتاب المساجد.

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥/ ٢٣١)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (٦/ ٤٩٢٩)، تفسير الأسماء الحسنى للزجاج (ص٣٨).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٣٨).

دينك وتصديق كتابك ورسلك. وقال: الوهاب لمن يشاء من خلقه ما يشاء من ملك وسلطان وغيره[1].

وفي سياق هذا المعنى يقول الخطابي: الوهاب هو الذي يجود بالعطاء عن ظهر يد من غير استثابة[2].

وكذلك نجد الحليمي يشير إلى هذا المعنى قائلاً: الوهاب هو المتفضل بالعطايا والمنعم بها لا عن استحقاق عليه[3].

ونلاحظ أن الإمام ابن القيم أيضاً يطلق المعنى ولا يقيده بصفة معينة، وذلك أن لفظه موضوع للدلالة على السعة والكثرة والزيادة بحيث يدخل في معناه المعبر عنه باللفظ الكثير من معاني أسماء الله وصفاته العلية، فيقال فيه ما يقال في اسم العظيم[4] وهذا هو اللائق بهذا الاسم الكريم ويعبر عنه في النونية قوله:

وكذلكَ الوهابُ من أسمائهِ ... فانظُر مواهبهُ مدَى الأزمانِ
أهلُ السمواتِ العُلى والأرضِ عنْ ... تلكِ المواهبِ ليس ينفكانِ[5]

وبناءً على ما تقدم فإن الوهاب هو الكثير الهبات والعطايا التي يتقلب فيها أهل سماواته وأرضه، والتي لا تنفك عنهم طرفة عين منذ أن خلق السماوات والأرض كما قال ﷺ: «إن يمين الله ملآى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، ألم تروا إلى ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض مما بيده»[6].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن يدرك المؤمن أنَّ الله تعالى هو الوهاب وحده فالخلق خلقه والأمر

---

(١) جامع البيان للطبري (٣/ ١٢٥).
(٢) شأن الدعاء للخطابي (ص٥٣).
(٣) المنهاج للحليمي (٣/ ١٢٥).
(٤) بدائع الفوائد (١/ ١٧٥).
(٥) النونية (ص١٤٦).
(٦) انظر: صحيح الجامع الصغير للألباني (١/ ٤٥٢) برقم (٢٢٧٧) من حديث أبي هريرة. وانظر: شرح النونية للهراس (٢/ ١٠٦، ١٠٧).

أمره يدبرهم بتدبيره، نواصيهم بيده يهب من يشاء ويمنع من يشاء وكل ذلك دائرٌ بين العدل والفضل، ومن تيقن هذه المعاني اطمأن قلبه إلى مولاه تعالى وكان أوثق بما عنده مما في يده قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]. يقول ابن كثير: وفي هذه الآية تنبيه وإرشاد إلى شكر الله تعالى على رسوله ﷺ وهذه الأمة؛ لأن الله تعالى حوّل النبوة من بني إسرائيل إلى النبي العربي القرشي الأمي المكي خاتم الأنبياء على الإطلاق، ورسول الله إلى جميع الثقلين الإنس والجن الذي جمع الله فيه محاسن من كان قبله وخصه بخصائص لم يعطها نبياً من الأنبياء ولا رسولاً من الرسل(١).

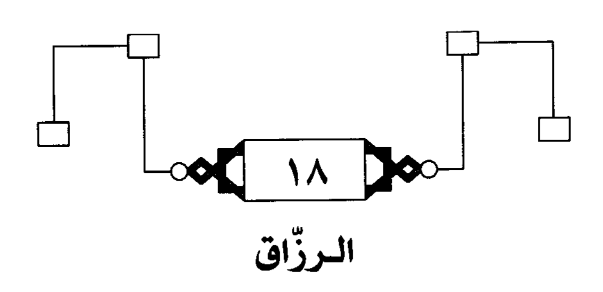
ولا ريب أن هذه الهبة من أعظم الهبات التي امتنَّ الله بها على هذه الأمة فكانت سبباً عظيماً في إخراج العباد من الظلمات إلى النور ومن الغي إلى الرشاد، وهذه خُلعة سنية عظيمة لاتخاذ الله نبيه ﷺ خليلاً وجعله للناس إماماً.

ومن مقتضى الإيمان بهذا الاسم الكريم أن يعلّق المؤمن قلبه بالله تعالى؛ لأن الذي وهب النبوة والملك والسلطان هو الذي يهب المال والذرية، فوسع الخلق جوده ودامت مواهبه واتصلت مننه وعوائده. قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

قال ابن كثير: يخبر تعالى أنه خالق السماوات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع وأنه يخلق ما يشاء، ثم قال: فجعل الناس أربعة أقسام منهم من يعطيه البنات، ومنهم من يعطيه البنين، ومنهم من يعطيه النوعين ذكوراً وإناثاً، ومنهم من يمنعه هذا وهذا فيجعله عقيماً لا نسل ولا ولد له(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٣٥٦).
(٢) تفسير ابن كثير (٤/١٢١).



الرزّاق

اسم من أسماء الله الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. ودليله من الكتاب: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨].

ومن السنة مرفوعاً قوله ﷺ: «إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق»[2]. من أبنية المبالغة من رزاق للدلالة على الكثرة، ومأخوذ من الرزق بفتح الراء الذي هو المصدر، والرزق: كالخلق صفة من صفات الفعل.

والرّزق في اللغة: عطاء الله جل ثناؤه، يقال: رزقه الله رزقاً[3].

والأرزاق نوعان: ظاهرة للأبدان كالأقوات، وباطنة للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم[4].

وفي الشرع: نجد أن عبارات العلماء في معنى «الرزاق» متقاربة ومتفقة في مدلولها. فالإمام الطبري يقول فيه: هو الرزاق خلقه المتكفل بأقواتهم[5]. كما أن الخطابي يقول فيه: هو المتكفل بالرزق والقائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها، وسع الخلق كلهم رزقه ورحمته، لم يختص بذلك مؤمناً دون كافر، ولا ولياً دون عدو[6].

---

(١) التوحيد لابن منده (٢/ ١٢٥). وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٧٢)، الأسنى للقرطبي (١/ ٢٧٧)، إيثار الحق لابن الوزير (ص١٧١).

(٢) مسند الإمام أحمد (ص٩٨٤)، برقم (١٤١٠٣) من حديث أنس ﷺ.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٣٨٨)، (رزق). وانظر: الصحاح للجوهري (٤/ ١٤٨١)، (رزق).

(٤) لسان العرب لابن منظور (٥/ ٢٠٣)، (رزق).

(٥) جامع البيان للطبري (١١/ ٤٧٦).

(٦) شأن الدعاء للخطابي (ص٥٤).

ويقول الأصبهاني: والرازق المتكفل بالرزق القائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها[1].

ولا يخرج الإمام ابن القيم عما قرره العلماء في معنى هذا الاسم، إلَّا أننا نجده قد تناول هذا المعنى بشيء من التفصيل فذكر أن الرزق من أفعاله تعالى له نوعان: الأول: ما يتعلق برزق الأبدان، والثاني: رزق القلوب بالعلم والإيمان. وقال في النونية:

وكـذلـكَ الـرَّزاقُ مـن أسـمـائـهِ	والـرزقُ مِـنْ أفـعـالـهِ نَـوعَـانِ
رزقٌ عـلـى يـدِ عـبـدهِ ورسـولـهِ	نـوعـانِ أيـضـاً ذان مـعـروفـانِ
رزقُ القلوبِ العلمِ والإيمانِ والـ	ـرزقِ الـمـعـدِ لـهـذهِ الأبـدانِ
هـذا هـو الـرزقُ الـحـلالُ وربُـنَـا	رزّاقـهُ والـفـضـلُ لـلـمـنـانِ
والثانِي سَوقُ القُوتِ للأعضاءِ في	تـلـكَ الـمـجـاريْ سَـوْقِـهِ بِـوزَانِ
هذا يكونُ من الحلالِ كما يكونُ	مـن الـحَـرام كِـلاهُـمـا رِزقـانِ
واللهُ رازِقُـهُ بـهـذَا الاعـتـبَـارِ	وَلـيـسَ بـالإِطـلاقِ دونَ بـيـانِ[2]

ومن هنا يتضح لنا أن رزق الله لعباده نوعان. عام وخاص. **فالعام**: إيصاله لجميع خلقه كل ما يحتاجون إليه في معاشهم وقيامهم، فيسهل لهم سبيل الأرزاق ويديرها في أجسامهم، فهذا عام للبر والفاجر والمسلم والكافر بل للإنس والجن والحيوان كلها.

وهذا الرزق قد يكون من الحلال الذي لا تبعة على العبد فيه، وقد يكون من الحرام ولكنه يسمى رزقاً بهذا الاعتبار.

وأما الثاني: فهو الرزق المطلق أو الرزق العام. وهو النافع المستمر نفعه في الدنيا والآخرة وهو الذي يحصل على يد الرسول ﷺ وهو نوعان:

١ ـ أحدهما رزق القلوب بالعلم والإيمان.

٢ ـ والثاني رزق الأبدان بالرزق الحلال الذي لا تبعة فيه، فإن الرزق

---

(١) الحجة للأصبهاني (١٤٨/١).
(٢) النونية (ص١٤٦).

الذي خص به المؤمنين والذي يسألونه منه شامل للآخرين[1].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أَنَّ الله تعالى قد تكفَّل بالرزق وسمّى نفسه الرزاق لكثرة ما يرزق ومن يرزقه، فهو يرزق من في الأرض والسماء، فرزقه لهم جميعاً كرزقه لآحادهم ومن عرفَ هذا من ربه وخَالقه. فإنه لا يخاف ضيق العيش وقلة اليد؛ قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]. قال ابن كثير: أي لا تطيق جمعه ولا تحصيه، ولا تدخر شيئاً لغد «الله يرزقها» أي يفيض لها رزقها على صفتها وييسره عليها، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتى الذر في قرار الأرض والطير في الهواء والحيتان في الماء[2]. ومن مقتضى الإيمان بهذا الاسم العظيم أن لا يخاف العبد قلة اليد وضيق العيش؛ لأن الرزق يطلب صاحبه كما أن أجله يطلبه بل أكثر كما صح عن النبي ﷺ من حديث أبي الدرداء: «إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله»[3]. كما ينبغي للمؤمن إذا دعا ربه في حصول الرزق أن يستحضر بقلبه هذين الأمرين، فإذا قال مثلاً: «اللهم ارزقني» أراد ما يصلح به قلبه من العلم والهدى والمعرفة والإيمان، وما يصلح به بدنه من الرزق الحلال الهنيء الذي لا صعوبة فيه ولا تبعة تعتريه[4].

ومن مقتضى الإيمان بهذا الاسم أيضاً أن يعلم المؤمن أن الله تعالى يرزق المخلوقين بلا مؤنة ولا كلفة ولا مشقة، فرزقه لهم جميعاً كرزقه لآحادهم. قال الطحاوي: «رازق بلا مؤنة»[5]، بل لو سألوه جميعاً فأعطاهم ما سألوه لم ينقص ذلك من ملكه شيئاً كما قال تعالى في الحديث القدسي: «يا

---

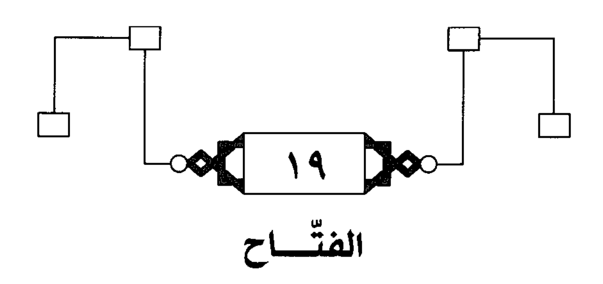
(١) شرح النونية للهراس (٢/ ١٠٨).
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٠).
(٣) صحيح الجامع للألباني (١/ ٣٣٦) برقم (١٦٣٠) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.
(٤) شرح النونية للهراس (٢/ ١٠٨).
(٥) العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص١٢٢).

عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر»[1]. كما أن من مقتضى الإيمان بهذا الاسم العظيم أن يعلم المؤمن أن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره، ولكن تقوى الله وطاعته سبب عظيم للرزق والبركة فيه. كما أن المعصية تنقص الرزق والبركة وتمنعه لأن ما عند الله تعالى لا ينال إلا بطاعته، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١] وقال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليُحرم الرزق بسبب الذنب يصيبه»[2].

قال المناوي: واعلم أن من الحوادث ما ظاهره عنف وباطنه لطف كحرمان الرزق بما يصيبه من الذنب، فإن العبد إذا أعرض عن زبه واشتغل بما أسبغ عليه من نعمه وأحب إقباله عليه، حرمه سعة ما بسط له ليخاف فيرتدع ويضيق عليه جهات الرزق فيلجأ إليه ويقبل بالتفرغ عليه، ومن أراد به غير ذلك زاده على ذنبه نعماً ليزداد إعراضاً وشغلاً[3].



(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ١٩٩) برقم (٢٥٧٧) عن أبي ذر رضي الله عنه.
(٢) مسند الإمام أحمد (ص١٦٥٦) برقم (٢٢٧٤) عن ثوبان رضي الله عنه، وفيض القدير للمناوي (٢/ ٤٢١) وحسّنه، إلا أن الألباني قال عنه: ضعيف. انظر: ضعيف الجامع الصغير (ص٢٠٩) برقم (١٤٤٧).
(٣) فيض القدير للمناوي (٢/ ٤٢١).



الفتّاح

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. ودليله من الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

ومن السنة: قوله ﷺ: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه»[2].

من أبنية المبالغة: على وزن فعَّال. والفاء والتاء والحاء في اللغة أصل صحيح يدل على خلاف الإغلاق. يقال: فتحت الباب وغيره فتحاً. فالفتح والفتاحة: الحكم، والله تعالى الفاتح، أي الحاكم. قال الشاعر في الفتاحة:

أَلا أَبلِغْ بَني عوفٍ رسولاً ... بأنيْ عَن فَتاحَتِكُمْ غنيٌّ[3][4]

وفي الشرع: نجد أن العلماء يذهبون في معنى الفتاح إلى إثبات أمرين هما أخص معاني هذا الاسم: **الأول**: الفتاح بحكمه الديني وحكمه الجزائي.

---

(١) التوحيد لابن منده (٢/ ١٥٨). وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٦٤)، الأسنى للقرطبي (١/ ٢٢٠)، إيثار الحق لابن الوزير (ص١٧١)، توضيح الكافية (ص١٩٩)، القواعد المثلى لابن عثيمين (ص٤١).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ٢٥٢)، برقم (٢٤٠٥) كتاب فضائل الصحابة، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) البيت منسوب للأشعر بن مرثد الجعفي، شاعر جاهلي، انظر: معجم الشعراء الجاهليين لعزيزة فوال (ص٣٢٩)، القاموس المحيط (ص٤٠٧).

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٤٦٩، ٤٧٠)، (فتح). وانظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٦٤١)، لسان العرب لابن منظور (١٠/ ١٧١)، (فتح).

والثاني: الفتاح بحكمه القدري.

وممن أشار إلى هذه المعاني الخطابي حيث قال في بيان معنى الفتاح: هو الحاكم بين عباده، وقال أيضاً: وقد يكون معنى الفتاح الذي يفتح أبواب الرزق والرحمة لعباده[1]. وكذلك الرازي حيث يقول: الفتاح في وصفك لله يحتمل معنيين:

أحدهما: أنه الحاكم بين الخلق، وذلك أن الحاكم يفتح الأمر المستغلق بين الخصمين، والله تعالى ميّز بين الحق والباطل، وأوضح الحق وبيّنه ودحض الباطل وأبطله، فهو الفتاح.

الثاني: أنه الذي يفتح أبواب الخير على عباده ويسهل عليهم ما كان صعباً[2].

ويشير إلى هذا المعنى الإمام ابن القيم في النونية فيقول:

وكَذلكَ الفتاحُ من أسمائهِ والفتحُ في أوصَافِهِ أمرانِ
فتحٌ بِحُكمٍ وهو شرعُ إلهَنَا والفتحُ بالأقدارِ فتحٌ ثانِ[3]

ويشرح ابن سعدي هذه الأبيات مبيّناً أن الفتاح له معنيان:

أحدهما: الفتاح بحكمه الديني وحكمه الجزائي.

والثاني: الفتاح بحكمه القدري.

فالفتح بحكمه الديني هو شرعه على ألسنة رسله وما به تقوم أحوال المكلفين وتستقيم أحوالهم الدينية والدنيوية.

وأما فتحه بحكمه الجزائي فهو فتحه بين أنبيائه ومخالفيهم، وبين أوليائه وأعدائه. وأما فتحه القدري فهو ما يفتحه على عباده من خير وشر، ونفع وضر وعطاء ومنع[4].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن يدرك المؤمن أن الله تعالى متصف بالفتح، فهو الذي يفتح على العباد

---

(١) شأن الدعاء للخطابي (ص٥٦).
(٢) لوامع البينات للرازي (ص٢٣٦، ٢٣٧).
(٣) النونية (ص١٤٦).
(٤) التوضيح المبين لابن سعدي (ص١٢٩ ـ ١٣١) باختصار.

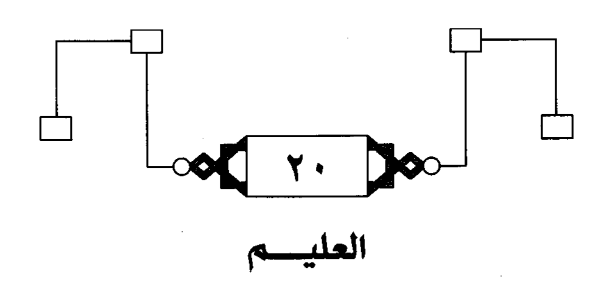
من أسباب رزقهم ومعاشهم وجميع أمورهم فيغني فقيراً، ويفرِّج كرباً، ويسهِّل مطلباً، وكل ذلك يسمى فتحاً، لأن الفقير المنغلق عليه باب رزقه يُفتح بالغنى، وكذلك المتحاكمان إلى الحاكم ينغلق عليهما وجه الحكم فيفتحه الحاكم عليهما، ولذلك سُمّي الحاكم فتاحاً لأنه يحل ما استغلق من الخصوم تقول: افتح بيننا أي احكم، ومنه قول شعيب: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩]، أي: احكم، (وأنت خير الفاتحين) أي: الحاكمين[١].

ومن مقتضى الإيمان بهذا الاسم العظيم أن الفتح والنصر لا يكون إلا من الله ﷻ، فهو يفتح على من يشاء ويخذل من يشاء. وقد نسب الله الفتوح لنفسه لينبّه عباده على طلب النصر والفتح منه لا من غيره، وأن يعملوا بطاعته وينالوا مرضاته ليفتح عليهم وينصرهم على أعدائهم: قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١﴾ [الفتح: ١] وهو خطاب لرسوله الأمين ﷺ، وقال جل ثناؤه: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٢] ومن ذلك ما هيأ الله تعالى للمسلمين من أسباب النصر والعز والمنعة يوم خيبر. فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه....»[٢].

ومن لوازم هذا الاسم العظيم ما يفتحه الله على من يشاء من عباده من الحكمة والعلم والفقه في الدين وذلك بحسب التقوى والإخلاص والصدق، ولذا نجد أن فهم السلف أعمق وعلمهم أوسع بمراحل ممن جاء بعدهم. قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٢٢]. قال القرطبي: وهذا الفتح والشرح ليس له حد، وقد أخذ كل مؤمن بحظ ففاز الأنبياء بالقسم الأعلى، ثم من بعدهم الأولياء ثم العلماء، ثم عوام المؤمنين ولم يخيب الله منه سوى الكافرين[٣].

---

(١) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ٢٢٠، ٢٢١).
(٢) مسند الإمام أحمد (ص٧٨٠) برقم (٧٧٨) عن علي بن أبي طالب.
(٣) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ٢٥٥).



العليـــم

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عدّه العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. ودليله من الكتاب: قوله تعالى: ﴿عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الزمر: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧].

ومن السنة حديث الاستخارة: قوله ﷺ: «اللهم إني أستخيرك بعلمك . . .»[2].

والعلم في اللغة: نقيض الجهل، وقياسه قياس العلم والعلامة[3].

والعليم من أبنية المبالغة على وزن فعيل.

قال الإمام ابن القيم: واختار سبحانه لنفسه اسم «العلم» وما تصرف منه فوصف نفسه بأنه عالم، وعلام وعليم ويعلم. وأخبر أن الاسم الذي اختاره لنفسه أكمل نوعه المشارك له في معناه[4].

وفي الشرع: نجد أن العلماء لا يختلفون في أن معنى العليم هو العالم بالسرائر والخفيات العالم بما كان ويكون، قال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]: إنك أنت يا ربنا العليم من غير تعلّم بجميع ما قد كان، وما هو كائن، العالم للغيوب دون جميع خلقك[5].

---

(١) ورد ذكر هذا الاسم عند الجميع بلا استثناء.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٢١٨)، برقم (٦٣٨٢)، كتاب الدعوات، من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) معجم مقاييس اللغة (٤/ ١١٠)، (علم). وانظر: الصحاح للجوهري (٥/ ١١٩١)، (علم)، لسان العرب لابن منظور (٩/ ٣٧٠).

(٤) مدارج السالكين (٣/ ٣٥٠).

(٥) جامع البيان للطبري (١/ ٧٥).

وقال الخطابي[1] فيه: هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يُدركها علم الخلق، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩]، وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم ولذلك قال سبحانه: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

وقال ابن سعدي: وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن والإسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات والممكنات، وبالعلم بالعالم العلوي والسفلي وبالماضي والحاضر والمستقبل فلا يخفى عليه شيء من الأشياء[2].

ويفصل الإمام ابن القيم ما أجمله العلماء في معنى العليم فيقول في النونية:

وهو العليمُ أحاطَ علماً بالذي	في الكونِ من سرٍ ومن إعلانِ
وَبكلِ شيءٍ علمهُ سُبحانُه	فَهوَ المُحيطُ وليسَ ذا نسيانِ
وكذاكَ يعلمُ ما يكونُ غَداً ومَا	قد كان والموجودُ في ذا الآنِ
وكذاكَ أمرٌ لم يَكُن لو	كانَ كيفَ يكونُ ذا إمكانِ[3]

كما يشير الشيخ إلى مبحث دقيق حول الفرق بين العلم والمعرفة في اللفظ والمعنى فيقول: أما اللفظ ففعل المعرفة يقع على مفعول واحد، تقول: عرفت الدار، وعرفت زيداً، قال تعالى: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [يوسف: ٥٨]، وقال: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ [الأنعام: ٢٠].. وفعل العلم يقتضي مفعولين كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠]. وإن وقع على مفعول واحد كان بمعنى المعرفة، كقوله: ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وأما الفرق المعنوي: فمن وجوه: **أحدها**: أن المعرفة تتعلق بذات الشيء والعلم يتعلق بأحواله، فالمعرفة: حضور صورة الشيء ومثاله العلمي في النفس، والعلم: حضور أحواله وصفاته، ونسبتها إليه، فالمعرفة: تشبه التصور، والعلم: يشبه التصديق.

(١) شأن الدعاء للخطابي (ص٥٧).
(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٥/ ٢٩٩).
(٣) النونية (ص١٤١، ١٤٢).

الثاني: أن المعرفة تفيد تمييز المعروف عن غيره، والعلم يفيد تمييز ما يوصف به عن غيره، وهذا الفرق غير الأول فإن ذاك يرجع إلى إدراك الذات وإدراك صفاتها، وهذا يرجع إلى تخليص الذات من غيرها، وتخليص صفاتها من صفات غيرها.

الثالث: أنك إذا قلت: علمت زيداً، لم يفد المخاطب شيئاً لأنه ينتظر بعدُ أن تخبره على أي حال علمته؟ فإذا قلت كريماً أو شجاعاً، حصلت له الفائدة.

الرابع: وهو فرق العسكري في فروقه: وفروق غيره أن المعرفة علم يعين الشيء مفصلاً عما سواه بخلاف العلم فإنه قد يتعلق بالشيء مجملاً[1].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بالعلم فإنَّه لا يخفى عليه شمولية علم الله تعالى وسعته الذي لا يشابه فيه أحد من مخلوقاته. وقد أثبت الله تعالى لنفسه العلم الكامل الشامل في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨].

وقوله: ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧] وقوله ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]. ففي هذه الآيات البينات إثبات علمه بكل شيء من الأشياء: دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها، جزئيها وكلّيها كما قال تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن: ٢٨].

ومن ثمار هذه المعاني العظيمة ثمرة المراقبة لدى المؤمن، وأن المخلوق مهما تعلم وعلم فإن علمه يضمحل ويتلاشى أمام علم الله تعالى. قال

---

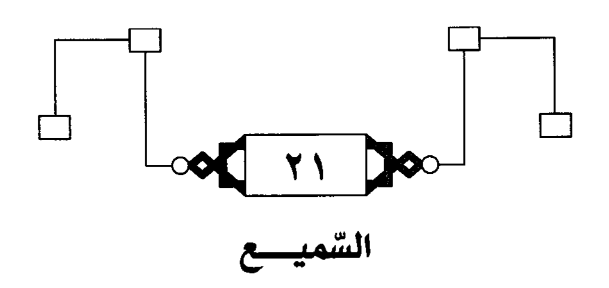
(١) مدارج السالكين (٣/٣٥١، ٣٥٢).

الخطابي[1] عن علم الخلق: والآدميون ـ وإن كانوا يوصفون بالعلم ـ فإن ذلك يتصرف منهم إلى نوع من المعلومات دون نوع، وقد يوجد ذلك منهم في حال دون حال، وقد تعترضهم الآفات فيخلف علمهم الجهل، ويعقب ذكرهم النسيان، وقد تجد الواحد منهم عالماً باللغة غير عالم بالنحو وعالماً بالنحو غير عالم بالحساب والطب ونحوهما من الأمور، وعلم الله سبحانه علم حقيقة وكمال، ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨].

قال الإمام ابن القيم: وهذا هو الأدب المطابق للحق في نفس الأمر، فإن علومهم وعلوم الخلائق تضمحل وتتلاشى في علمه سبحانه كما يضمحل ضوء السراج الضعيف في عين الشمس. فمن أظلم الظلم وأبين الجهل وأقبح القبيح وأعظم القِحَة والجراءة أن يعترض من لا نسبة لعلمه إلى علوم الناس التي لا نسبة لها إلى علوم الرسل التي لا نسبة لها إلى علم رب العالمين عليه ويقدحُ في حكمته، ويظن أن الصواب والأولى أن يكون غير ما جرى به قلمه وسبق به علمه، وأن يكون الأمر بخلاف ذلك فسبحان الله رب العالمين تنزيهاً لربوبيته وإلهيته وعظمته وجلاله عما لا يليق به كل ما نسبه إليه الجاهلون الظالمون[2]. وفي أواخر القرون الفاضلة نبتت نابتة من القدرية ـ قبحهم الله ـ فقالوا: إن الله لا يعلم الأمر قبل وقوعه وإنما يعلمه بعد وقوعه، وقد حدث القول بهذا في أواخر عصر الصحابة، إلا أن الصحابة كابن عمر وغيره تصدوا لهم وتبرأوا منهم ومن مقولتهم، وتصدى لهذه المقولة من بعد الصحابة من العلماء الإمام أحمد في السنة حيث يقول: الله عليم يعلم ما في السماوات السبع والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى، وما في قعر البحر ومنبت كل شعرة وكل شجرة، ومسقط كل ورقة، وعدد الحصى والرمال والتراب، ومثاقيل الجبال وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم، ويعلم كل شيء، ولا يخفى عليه شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة ﷻ[3].

---

(١) شأن الدعاء للخطابي (ص٥٧).
(٢) شفاء العليل (ص٣٧٢ ـ ٣٧٤).
(٣) السنة للإمام أحمد (ص٤٨).



السّميـــع

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. ودليله من الكتاب: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ومن السنة حديث عائشة رضي الله عنها في قصة المجادلة وقولها: «الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات»[2].

والسميع في اللغة: حَسن الأذن أو ما وقر في الأذن من شيء تسمعه، ورجل سميع: أي سامع ورجل سماع: إذا كان كثير الاستماع لما يقال وينطق[3]. والسميع من أبنية المبالغة على وزن فعيل.

وفي الشرع: نجد أن علماء التفسير كابن جرير وابن كثير يذهبون في معنى السميع: أنه السميع لما تنطق به خلقه من أقوال، وفي هذا المعنى ما يدل على ثبوت اسم السميع اسماً لله وإثبات السمع صفةً له تعالى بخلاف ما ذهب إليه المتكلمون.

وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن القيم:

وهو السميعُ يرى ويسمعُ كل ما ... في الكون من سرٍّ ومِن إعلانِ
ولكل صوتٍ منه سمعٌ حاضرٌ ... فالسرُّ والإعلانُ مستويانِ
والسمعُ منه واسعُ الأصواتِ لا ... يخفى عليه بعيدُها والدَّاني[4]

---

(١) ورد ذكر هذا الاسم عند الجميع بلا استثناء.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٣/ ٤٦٠). رواه البخاري تعليقاً مجزوماً به، ووصله الإمام أحمد في المسند (ص١٧١٣)، برقم (٢٤٦٩٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٤٠١). وانظر: لسان العرب لابن منظور (٦/ ٣٦٥)، (سمع).

(٤) النونية (ص١٤١).

ولا ريب أن سمعه تعالى نوعان: أحدهما: سمعه لجميع الأصوات والإحاطة بها إحاطة تامة، وثانيهما: سمع الإجابة منه للسائلين والعابدين والمتضرعين.

ونلاحظ هنا أن الإمام ابن القيم على عادته في تحقيق المسائل الدقيقة ذكر أن أفعال السمع يراد بها أربعة معانٍ مدللاً عليها من الكتاب والسنة:

أحدها: سمع إدراك ومتعلقه الأصوات.

الثاني: سمع فهم وعقل ومتعلقه المعاني.

الثالث: سمع إجابة وإعطاء ما سئل.

الرابع: سمع قبول وانقياد.

فمن الأول: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]، و﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟﴾ [آل عمران: ١٨١].

ومن الثاني: قوله: ﴿لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟﴾ [البقرة: ١٠٤] ليس المراد سمع مجرد الكلام بل سمع الفهم والعقل، ومنه: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ومن الثالث: سمع الله لمن حمده. وفي الدعاء المأثور: «اللهم اسمع» أي أجب وأعط ما سألتك.

ومن الرابع: قوله تعالى: ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة: ٤١] أي قابلون له ومنقادون غير منكرين، ومنه على أصح القولين: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] أي قابلون ومنقادون[1].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن الله تعالى وسع سمعه الأصوات فهو السميع الذي قد استوى في سمعه سر القول وجهره، وسع سمعه الأصوات فلا تختلف عليه أصوات الخلق ولا تشتبه عليه، ولا يشغله منها سمع عن سمع ولا تغلطهُ ولا يبرمه كثرة السائلين، وإن من مقتضى الإيمان بهذه الصفة إثباتها لله ﷻ على الوجه اللائق به تعالى، فإن سلف الأمة كانوا أعظم إيماناً وأعمق علماً ممن جاء بعدهم

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦). وانظر: أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٤٢).

فهذه أم المؤمنين رضي الله عنها تقول: «الحمد الله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]. وهذا حال السلف فإنهم لم يضربوا في صدور النصوص ولم يلووا أعناقها، وعندما قيل لأحدهم: إن الله يضحك، لم يقل كيف يضحك؟ قال: لا نعدم خيراً من رب يضحك! أما في العصور المتأخرة التي قد ابتعدت عن الجادة وتنكبت الطريق فإنهم قد تجرؤوا على الله حتى أنكروا معاني هذه الصفات وأوَّلُوّها على غير مرادها، حتى إن منهم من جعل صفة السمع لله بمعنى المسمع، قال الأزهري: والعجب من قوم فسروا «السميع» بمعنى المُسمع فراراً من وصف الله بأن الله له سمع، وقد ذكر الله الفعل في غير موضع من كتابه، فهو سميع ذو سمع، بلا تكييف ولا تشبيه بالسمع من خلقه[1].

وقد بوّب البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد: باب ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، قال ابن بطال: غرض البخاري في هذا الباب الرد على من قال إن معنى «سميع بصير» عليم، قال: ويلزم من قال ذلك أن يسويه بالأعمى الذي يعلم أن السماء خضراء ولا يراها، والأصم الذي يعلم أن في الناس أصواتاً ولا يسمعها، ولا شك أن من سمع وأبصر أدخل في صفة الكمال ممن انفرد بأحدهما دون الآخر. فصح أن كونه سميعاً بصيراً يفيد قدراً زائداً على كونه عليماً. . . قال: وهذا قول أهل السنة قاطبة[2]، ونقل الإجماع في ذلك أبو الحسن الأشعري فقال: وأجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى[3].

وبناءً على ما تقدم فإن السميع يتضمن: إثبات «السميع» اسماً لله تعالى وإثبات السمع صفة له وإثبات حكم ذلك ومقتضاه وهو: أنه يسمع السر

---

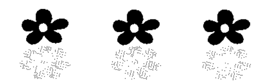
(١) لسان العرب لابن منظور (٦/ ٣٦٥)، (سمع).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٣/ ٤٦١).

(٣) رسالة إلى أهل الثغر للأشعري (ص٢٥٥).

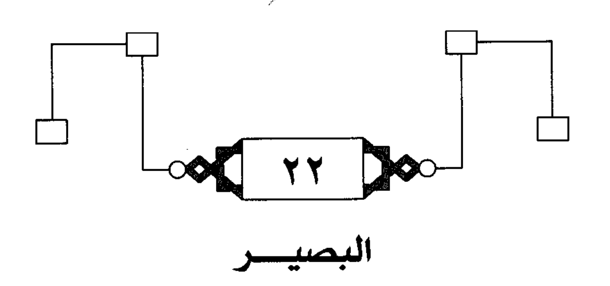
والنجوى كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١][1].

ومن مقتضى الإيمان بهذا الاسم العظيم وثمرته أن يكون للمؤمن حظٌّ وافرٌ من هذا الاسم فيعلم أن الله سميع لا يخفى عليه شيء فيحفظ لسانه، كما يعلم أنه لم يخلق له السمع إلا ليسمع كلام الله تعالى وما والاه من الخير والهدى الذي به زيادة إيمانه ورفع درجاته. وفي هذا يقول الإمام ابن القيم عند شرحه لمنازل السائرين: ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين «منزلة السماع» وقد أمر الله به في كتابه وأثنى على أهله، وأخبر أن البشرى لهم فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ﴾ [المائدة: ٥]، وقال: ﴿وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٧ ـ ١٨]، وقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. . . فالسماع أصل العقل، وأساس الإيمان الذي انبنى عليه، وهو رائده وجليسه ووزيره، ولكن الشأن كل الشأن في المسموع، وفيه وقع خبط الناس واختلافهم وغلط منهم من غلط، وحقيقة السماع تنبيه القلب على معالم المسموع وتحريكه عنها: طلباً وهرباً وحباً وبُغضاً، فهو حادٍ بكل أحد إلى وطنه ومألفه[2].



(١) القواعد المثلى لابن عثيمين (ص٢٨).

(٢) مدارج السالكين (١/٥١٨).



البصيـــر

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. دليله من الكتاب: قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ومن السنة قوله ﷺ: «يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، ولكن تدعون سميعاً بصيراً...»[2].

وأصل بصير في اللغة: مبصر، من قول القائل: أبصرت فأنا مبصر، ولكن صُرف إلى فعيل كما صرف مسمع إلى سميع ومؤلم إلى أليم، ومبدع السماوات إلى بديع.

والبصير في اللغة مأخوذ من العلم بالشيء[3]. من أبنية المبالغة، فعيل بمعنى مفعل، وهو فعيل بمعنى فاعل.

وفي الشرع: نجد أن كلام العلماء في معنى البصير يشير إلى أمرين: **فالأول**: إثبات صفة البصر لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمة ملكه. **الثاني**: أنه ذو البصيرة بالأشياء عن علم وخبرة بها، فيكون متعلقها العلم.

فالطبري يقول: والله ذو إبصار بما يعملون لا يخفى عليه شيء من أعمالهم بل هو بجميعها محيط[4]. والخطابي يقول: البصير هو المبصر،

---

(١) ورد ذكر هذا الاسم عند الجميع بلا استثناء.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٢٢٤)، برقم (٦٣٨٤)، رواه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٢٥٣، ٢٥٤)، (بصر). وانظر: اشتقاق أسماء الله للزجاجي (ص٦٥ ـ ٦٧) وانظر: جامع البيان للطبري (١/ ٣٤).

(٤) جامع البيان للطبري (١/ ٣٤).

ويقال: العالم بخفيات الأمور[1]، كما يذهب ابن كثير أيضاً في معنى البصير إلى العليم[2]. بينما نجد الإمام ابن القيم يفصّل ما أجمله العلماء في معنى هذا الاسم، ويضرب له المثل ببيان هذه الصفة العظيمة التي وصف الله بها نفسه في كتابه الكريم ووصفه بها رسوله ﷺ وأثبتها له السلف فيقول في النونية:

وَهو البَصيرُ يرَى دبيبَ النملةِ الـ ... سوداءِ تحتَ الصخرِ والصَّوَّانِ
وَيرى مجاري القوتِ في أعضَائِها ... ويرى عروقَ نِيَاطِهَا بِعِيَانِ
ويرى خِيانَاتِ العُيونِ بلحظِهَا ... ويرى كذاكَ تقلُّبُ الأَجفانِ[3]

ويشرح ابن سعدي هذه الأبيات فيقول: ومن أسمائه الحسنى: السميع البصير.

فهو يرى دبيب النملة السوداء في جوف الصخور في الليالي المظلمة وجريان القوت في أعضائها وعروقها الدقيقة الضئيلة وسريان الماء في أغصان الأشجار والنبات ويرى خيانات الأعين، وما هو في أخفى الأمكنة[4].

وعلى هذا يكون «اسم البصير» له معنيان متفقان في اللغة والشرع:

الأول: أن له بصراً يرى به ﷻ، بصر يليق بجلاله وعظمته وملكه وقدرته.

الثاني: أنه ذو البصيرة بالأشياء عن علم وخبرة بها.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بالبصر وأن ربه مطلع عليه فإن هذا الإدراك يثمر له خوفاً من ربه أن يراه على معصية أو فيما لا يحب، ومن علم أن الله يراه أحسن عمله وعبادته وأخلص فيها لربه وخشع له، فقد جاء في حديث جبريل ﵇ عندما سأل النبي ﷺ عن الإحسان فقال ﷺ: «أن تعبد الله

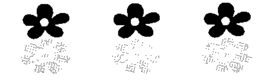
---

(١) شأن الدعاء للخطابي (ص٦٠، ٦١).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٤)، و(٤/ ٨١).
(٣) النونية (ص١٤١).
(٤) توضيح الكافية لابن سعدي (ص١٨٣).

كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(١).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ؛ لأنا لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يترك شيئاً مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت، واجتماعه بظاهره وباطنه وعلى الاعتناء بتتميمها على أحسن وجوهها إلَّا أتى به(٢).

ومن مقتضى الإيمان بهذا الاسم أنه يورث المؤمن ثمرتين من ثمار الإيمان: المراقبة والحياء من الله أن يراه في غير طاعة، وذلك أن الله تعالى مدرك لجميع المرئيات من الأشخاص والألوان مهما لطفت أو بعدت، فلا يؤثر على رؤيته بُعد المسافات والأقطار، ولا تحول دونها الحواجز والأستار فهو يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، بل ويرى مسالك الغذاء في أمعائها، وأربطة مفاصلها وعروقها بعينه التي لا تنام، ويرى خيانات الأعين وهي اختلاس النظر إلى محاسن النساء. قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هو الرجل يدخل على أهل البيت وفيهم المرأة الحسناء أو تمر به وبهم المرأة الحسناء، فإذا غفلوا لحظ إليها فإذا فطنوا غض بصره عنها فإذا أغفلوا لحظ، فإذا فطنوا غض(٣).

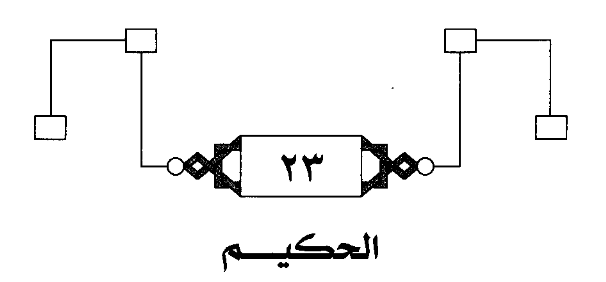


---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١/٢٢٨ ـ ٢٣٠) كتاب الإيمان ـ من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١/ ٢٢٢، ٢٢٣).

(٣) شرح النونية للهراس (٢/ ٧٢).



الحكيم

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧].

ومن السنة: حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «وسبحان الله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم...»[2]. من أبنية المبالغة، فعيل بمعنى فاعل، إذا كان بمعنى الحاكم. أو هو الذي يحكم الأشياء ويتقنها فهو فعيل بمعنى مفعل.

والحكم في اللغة مأخوذ من المنع.

والحكيم يجوز أن يكون بمعنى الحاكم، مثل: قدير بمعنى قادر[3].

وفي الشرع: نجد أن أقوال العلماء متفقة في بيان اسم الحكيم، في أن الله تعالى حكيم في أقواله وأفعاله فلا يقول ولا يفعل إلا الصواب، فيضع الأشياء في محالها. فالطبري يقول: الحكيم الذي لا يدخل تدبيره خلل ولازلل[4]. والأصبهاني يذهب إلى أنه الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب[5]. كما يرى

---

(١) شأن الدعاء للخطابي (ص٧٣)، وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٩٨)، الحجة للأصبهاني (١/ ١٦٩)، الأسنى للقرطبي (١/ ٤٣٦)، إيثار الحق لابن الوزير (ص١٧١)، توضيح الكافية لابن سعدي (ص١٩٨).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ٣٠) برقم (٢٦٩٦)، كتاب الذكر.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٩١) (حكم). وانظر: لسان العرب لابن منظور (٣/ ٢٧٠)، شأن الدعاء للخطابي (ص٦)

(٤) جامع البيان للطبري (١/ ٦٨).

(٥) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١/ ١٦٩).

الحافظ ابن كثير أيضاً، أنه الحكيم في أقواله وأفعاله[1].

بينما نجد أن الإمام ابن القيم على عادته يفصل ما أجمله العلماء في معنى هذا الاسم الكريم، فيقول: الحكيم الذي إذا أمر بأمر كان حسناً في نفسه، وإذا نهى عن شيء كان قبيحاً في نفسه، وإذا أخبر الخبر كان صدقاً، وإذا فعل فعلاً كان صواباً[2]، ولهذا كان الحكيم من أسمائه الحسنى، والحكم من صفاته العُلى. الشريعة الصادرة عن أمره مبناها على الحكمة، والرسول المبعوث بها مبعوث بالكتاب والحكمة، والحكمة هي صفة الرسول ﷺ وهي تتضمن العلم بالحق والعمل به والخبر عنه والأمر به[3].

والحقيقة أن الإمام ابن القيم قد أطال في بيان معنى هذا الاسم الكريم وعقد له أبواباً وفصولاً عديدة في مؤلفاته؛ لأهميته وتعلقه بحكمة الله وخلقه وأمره في إرادته الدينية والكونية، في شفاءَ العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل».

ومما قال في النونية:

وهو الحكيمُ وذاكَ من أوصافِهِ ... نوعان أيضاً ما هُمَا عدَمانِ
حكمٌ وأحكَامٌ فكُلٌّ منهمَا ... نوعانِ أيضاً ثابتَ البرهانِ
والحكمُ شرعيٌّ وكونيٌّ ولا ... يَتلازمَانِ وما هُمَا سِيَّانِ
بل ذاكَ يوجدُ دونَ هذا مُفْرداً ... والعكسُ أيضاً ثُمَّ يَجْتَمِعَانِ
لَنْ يخلوَ المربُوبُ مِن إحداهُمَا ... أو مِنْهُمَا بل ليسَ يَنتَفِيَانِ
لَكِنَّما الشرعيُّ محبوبٌ لهُ ... أَبداً ولَنْ يَخلُو مِنَ الأكوانِ
هو أمرهُ الديني جَاءتْ رُسْلُهُ ... بِقيامهِ في سائرِ الأزمانِ
هو كُلُّهُ حقٌّ وعدلٌ ذو رِضى ... وَالشأنُ في المَقْضِيّ كلَّ الشأنِ
هذا البيانُ يزيلُ لُبْساً طالَما ... هَلكَتْ عليهِ الناسُ كُلُّ زمانْ
وَيحِلُّ ما قَدْ عَقَدُوا بِأُصوْلِهِمْ ... وبُحُوثِهِمْ فافهمهُ فهمَ بيانِ[4]

---

(1) تفسير ابن كثير (١/ ١٨٤).

(2) مدارج السالكين (٣/ ٤٧٩).

(3) طريق الهجرتين (ص٩٢، ٩٣).

(4) النونية (ص١٤٢، ١٤٣).

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بالحكمة والحكم فإنَّه يمتلئ قلبه أمناً وطمأنينةً بقضاء الله وقدره لِمَا استقر في نفسه من أن الله تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا راد لحكمه ولا معقب لأمره، فكما لا يخرج مقدور عن علمه وقدرته ومشيئته فكذا لا يخرج عن حكمته وحمده، وهو محمود على جميع ما في الكون من خير وشر حمداً استحقه لذاته وصدر عنه خلقه وأَمرهُ، فمصدر ذلك كله عن الحكمة.

قال الإمام ابن القيم في شرحه لمنازل السائرين تحت المشهد الخامس في الرد على القدرية:

وهو أحد مشاهد أهل الاستقامة: مشهد «الحكمة» وهو مشهد حكمة الله في تقديره على عبده ما يبغضه سبحانه ويكرهه، ويلوم ويعاقب عليه، وأنه لو شاء لعصمه منه، وحال بينه وبينه وأنه سبحانه لا يُعصى قسراً، وأنه لا يكون في العالم شيء إلا بمشيئته: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وهؤلاء[١] يشهدون أن الله سبحانه لم يخلق شيئاً عبثاً، ولا سُدًى وأن له الحكمة البالغة في كل ما قدّره وقضاه من خير وشر، وطاعة ومعصية، وحكمة باهرة تعجز العقول عن الإحاطة بكنهها، وتكلُّ الألسن عن التعبير عنها. فمصدر قضائه وقدره لما يبغضه ويسخطه اسمه «الحكيم» الذي بهرت حكمته الألباب، وقد قال تعالى لما قالوا: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] فأجابهم سبحانه بقوله ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. فلله سبحانه في ظهور المعاصي والذنوب والجرائم وترتب آثارها من الآيات والحكم وأنواع التعرفات إلى خلقه، وتنويع آياته، ودلائل ربوبيته ووحدانية وإلهيته وحكمته، وعزته وتمام ملكه، وكمال قدرته وإحاطة علمه؛ ما يشهده أولو البصائر عياناً ببصائر قلوبهم، فيقولون (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك) إن هي إلا حكمتك الباهرة، وآياتك الظاهرة.

---

(١) أي: القدرية.

ولـلّـهِ فـي كُـلِّ تَـحـريـكـةٍ وتـسـكـيـنـةٍ أبـداً شـاهـدٌ
وفـي كُـلِّ شـيءٍ لـهُ آيـةٌ تـدلُ عـلـى أنـهُ واحـدُ

فكم من آية في الأرض بيِّنة دالة على الله، وعلى صدق رسله، وعلى أن لقاءه حق كان سببها معاصي بني آدم وذنوبهم، كآيته في إغراق قوم نوح وعلو الماء على رؤوس الجبال، حتى أغرق جميع أهل الأرض، ونجَّىٰ أهل معرفته وتوحيده، فكم في ذلك من آية وعبرة ودلالة باقية على مر الدهور؟!...

وكم في تسليط أوليائه على أعدائه، وتلسيط أعدائه على أوليائه والجمع بينهما في دار واحده وابتلاء بعضهم ببعض من حكمة بالغة ونعمة سابقة؟ وكم فيها من حصول محبوب للرب، وحمد له من أهل سمواته وأرضه، وخضوع له وتذلل، وتعبد وخشية وافتقار إليه، وانكسار بين يديه: أن لا يجعلهم من أعدائه. إذ هم يشاهدونهم ويشاهدون خذلان الله لهم، وإعراضه عنهم، ومقته لهم، وما أعد لهم من العذاب.

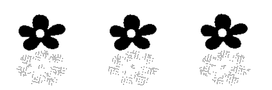
وكل ذلك بمشيئته وإرادته، وتصرفه في مملكته، فأولياؤه من خشية خذلانه خاضعون مشفقون على أشد وجلٍ، وأعظم مخافة وأتم انكسار. فإذا رأَت الملائكة إبليس وما جرى له، وهاروت وماروت: وضعت رؤوسها بين يدي الرب خضوعاً لعظمته، واستكانة لعزته، وخشيةً من إبعاده وطرده، وتذللاً لهيبته، وافتقاراً إلى عصمته ورحمته، وعلمت بذلك منّته عليهم وإحسانه إليهم، وتخصيصه لهم بفضله وكرامته، وكذلك أولياؤه المتقون، إذا شاهدوا أحوال أعدائه ومقته لهم وغضبته عليهم، وخذلانه لهم: ازدادوا خضوعاً وذلاً، وافتقاراً، وانكساراً وبه استعانةً وإليه إنابةً، وعليه توكلاً، وفيه رغبة، ومنه رهبة، وعلموا أنهم لا ملجأ لهم منه إلَّا إليه، وأنهم لا يعيذهم من بأسه إلَّا هو، ولا ينجيهم من سخطه إلا مرضاته، والفضل بيده أولاً وآخراً، وهذه قطرة من بحر حكمته المحيطة بخلقه، والبصير يطالع ببصيرته ما وراءه، فيطلعه على عجائب من حكمته لا تبلغها العبارة ولا تنالها الصفة[1].

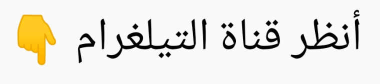
---

(١) مدارج السالكين (١/٤٣٨ ـ ٤٤٢) باختصار.

وأما حظ العبد في نفسه وما يخصه من شهود هذه الحكمة: فبحسب استعداده وقوة بصيرته، وكمال علمه ومعرفته بالله وأسمائه وصفاته، ومعرفته بحقوق العبودية والربوبية، وكل مؤمن له من ذلك شرب معلوم، ومقام لا يتعداه، ولا يتخطاه والله الموفق المعين[١].

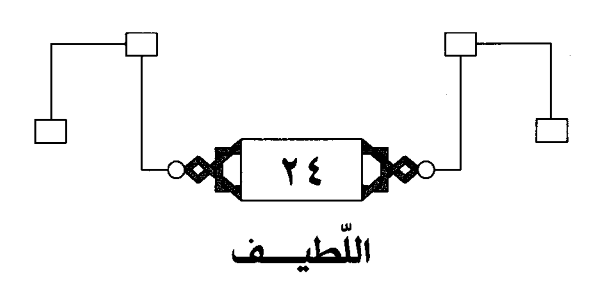
❀ ❀ ❀







(١) مدارج السالكين (١/ ٤٤٢).



اللّطيــف

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عدّه العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[(١)]. ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ١٩].

ومن السنة حديث عائشة رضي الله عنها في تتبعها للنبي ﷺ لزيارة البقيع، وفيه قال ﷺ: «ما لك يا عائشة مشياً رابية؟» قالت: قلت: لا شيء، قال: «لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير»[(٢)]. واللطيف اسم الفاعل من لطف.

وهو مأخوذ في اللغة من الرفق في العمل، ويقال: لطف: إذا صغر، وهو بحسب ما أُضيف إليه من الكلام[(٣)].

وفي الشرع: نجد أن العلماء يتفقون في معنى هذا الاسم الكريم وفي كلامهم ما يدل على اتحاد هذا المعنى وتوافقه، وإن تنوعت عباراتهم فيه فهي لا تخرج عن ثلاثة معانٍ سيأتي إيرادها، وقد ذهب الطبري أن اللطيف هو اللطيف بعباده، الخبير بهم وبأعمالهم[(٤)].

ويزيد الخطابي هذا المعنى بياناً فيقول: اللطيف: هو البر بعباده، الذي يلطف لهم من حيث لا يعلمون ويسبب لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون كقوله سبحانه: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩][(٥)].

---

(١) ورد ذكر هذا الاسم عند الجميع باستثناء الأصبهاني في الحجة.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٧/ ٢٥٨) برقم (٩٧٤)، كتاب الجنائز.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٢٥٠)، وانظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤/ ٢٥١). لسان العرب لابن منظور (١٢/ ٢٨٣) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٤٤)، وانظر: المفردات للراغب (ص٤٥).

(٤) جامع البيان للطبري (١٢/ ١٦٨).

(٥) شأن الدعاء للخطابي (ص٦٢).

ويشير الحافظ ابن كثير إلى سعة علمه تعالى فيقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج: ٦٣]: أي لطيف العلم فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت[١].

وبهذا المعنى نجد الشوكاني يفسر هذا الاسم فيقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾: لا تخفى عليه خافية، بل يصل علمه إلى كل خفي[٢].

ونلاحظ أن الإمام ابن القيم قد جمع هذه المعاني في النونية قائلاً:

وهو اللطيفُ بعبدِه ولِعبدِهِ ... واللُّطفُ في أوصافِهِ نوعانِ
إدراكُ أسرارِ الأمورِ بِخبرةٍ ... واللُّطفُ عند مواقعِ الإحسانِ
فَيُرِيْكُ عِزّتَه ويُبدي لُطفَهُ ... والعبدُ في الغفلاتِ عن ذَا الشأنِ[٣]

ويشرح ابن سعدي هذه الأبيات مبيناً أوجه معاني هذا الاسم الكريم فيقول: ولهذا كان اللطف في أوصاف الله تعالى على قسمين: **أحدهما**: خبرته تعالى وإدراكه لأسرار الأمور وخفايا الصدور، ومغيبات الأمور، وما لطف ودق من كل شيء. وهذا النوع يرجع إلى إحاطة علمه بالمعلومات.

والنوع الثاني: لطفه بعبده ووليه الذي يريد أن يتم عليه إحسانه، ويشمله بكرمه، ويرقيه إلى المنازل العالية فييسره لليسرى، ويجنبه العسرى[٤].

ويمكن أن نخلص من هذا الكلام إلى إيجاز معنى اللطف في ثلاثة أمور هي مقصود أهل العلم في معنى هذا الاسم الكريم:

أحدها: العلم، علم الله تعالى وخبرته، وإدراكه لمغيبات الأمور.

وثانيها: إيصال مصالح العباد لهم والإحسان إليهم.

وهو ما ذهب إليه الإمام ابن القيم في قوله: إدراك أسرار الأمور بخبرة.

وهذا متعلق بالمعنى الأول الذي هو العلم.

وقوله: واللطف عند مواقع الإحسان. وهذا متعلق بالمعنى الثاني: وهو سوق ما به صلاح العباد من حيث لا يشعرون.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٤٥).
(٢) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٣٩).
(٣) النونية (ص١٤٤).
(٤) التوضيح المبين لابن سعدي (ص٩٥).

وثالثها: هو الذي لطف عن أن يدرك بالكيفية، وعلى المعنى الأول والثالث يكون من أسماء الذات، وعلى المعنىٰ الثاني يكون من أسماء الأفعال(١).

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى باللطف فإنَّه يوقن أن الله تعالى متصف بدقة العلم، وإحاطته بكنه الأشياء صغيرها وكبيرها وعندئذٍ فجدير به أن يحاسب نفسه على أقواله وأفعاله، وحركاته وسكناته، فإنَّه في كل وقت وحين بين يدي خالقه وفي قبضة اللطيف الخبير القائل في كتابه الكريم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

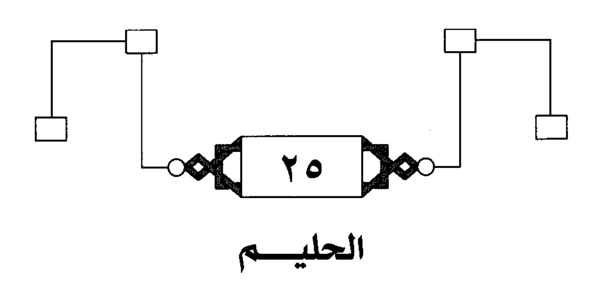
ويعلم أن الله سبحانه يجازي الناس على أفعالهم يوم الدين، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. لا يفوته من أعمالهم شيء فلا المحسن يضيع من إحسانه مثقال ذرة، ولا المسيء يضيع من سيئاته مثقال ذرة. قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

وعن إحسان المحسن قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠] وهو بعد ذلك يزيد أجور الصالحين، من فضله وكرمه ما يشاء، ويعفو ويتجاوز عن ذنوب من يشاء من عباده بفضله، ويعذب من يشاء من عباده بعدله، إنه كان بعباده خبيراً بصيراً.

ومن مقتضى الإيمان بهذا الاسم الكريم أن يحرص المؤمن أن يكون له حظٌّ منه، فيتلطف مع العباد وخصوصاً في دعوته العصاة إلى الحق، ليجلبهم بلطيف أخلاقه، لأنَّ الرِّفق واللِّين ما كان في شيء إلَّا زانه، وقدوته في ذلك النبي ﷺ فإنه تلطف بالناس فأخذ بألباب العقول وأزِمَّة القلوب، ولولا صبره عليهم ورفقِهِ بهم لما تهيأ لدين الله ما تهيأ له من النصرة والتمكين والبلاغ ما شهد به القاصي والداني، والموافق والمخالف.

---

(١) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ٢٣٢).



الحليــــم

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

ومن السنة حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «... لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم»[2].

وهو من أبنية المبالغة على وزن فعيل[3]. اسم الفاعل: حَلُمَ[4].

وفي اللغة: الحِلم: العقل والأناة.

قال فيه الراغب: الحلم: ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب، وجمعه أحلام. قال تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾ [الطور: ٣٢] قيل معناها: عقولهم وليس الحلم في الحقيقة هو العقل، لكن فسروه بذلك لكونه من مسببات العقل[5].

وفي الشرع ما يدل على موافقته لمعناه في اللغة، يقال: حليم يعني ذو أناة لا يعجل على عباده بعقوبتهم على ذنوبهم[6] ويقال: هو ذو الصفح والأناة[7].

وقد عبَّر عنه الإمام ابن القيم بما يتفق مع هذه المعاني، ففي معرض

---

(١) ورد ذكر هذا الاسم عند الجميع بلا استثناء.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ١٧٤)، برقم (٦٣٤٥)، كتاب الدعوات.

(٣) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ٩٣).

(٤) اشتقاق أسماء الله للزجاجي (ص٩٦).

(٥) المفردات للراغب (ص١٢٩).

(٦) جامع البيان للطبري (٢/ ٣٢٧).

(٧) شأن الدعاء للخطابي (ص٦٣، ٦٤).

كلامه على التوبة وأسرارها وشاهدها، قال: ومنها شهود حلم الله ﷻ في إمهال راكب الخطيئة ولو شاء لعاجله بالعقوبة، ولكنه الحليم الذي لا يعجل فيحدث له معرفة ربه سبحانه باسمه الحليم[1]. وقال في النونية:

وهو الحليمُ فلا يُعاجِلُ عبدهُ ... بِعقوبةٍ ليتوبَ مِن عصيانِ[2]

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بالحلم والعفو ـ الذي وسع أهل الكفر والفسوق والعصيان حيث أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة ـ فإنه يزداد إيمانه وثقته بربه تعالى فلا يركن إلى سواه ولا يرجو غيره، وأنه لولا كمال عفوه وسعة حلمه وصبره سبحانه لغارت الأرض بأهلها لكثرة ما يرتكب من المعاصي على ظهرها، قال **الإمام ابن القيم**: وإذا أردت معرفة صبر الرب تعالى وحلمه والفرق بينهما، فتأمل قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر: ٤١]، وقوله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩١]، وقوله: ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦]، فأخبر سبحانه أن حلمه ومغفرته يمنعان زوال السماوات والأرض، فالحلم وإمساكها أن تزولا هو الصبر، فبحلمه صبر على معاجلة أعدائه، وفي الآية إشعار بأن السماوات والأرض تهمُّ وتستأذن بالزوال لعظم ما يأتي به العباد فيمسكها بحلمه ومغفرته وذلك حبس عقوبته عنهم وهو حقيقة صبره تعالى، فالذي عنه الإمساك هو صفة الحلم، والإمساك هو الصبر وهو حبس العقوبة ففرق بين حبس العقوبة وبين ما صدر عنه حبسها فتأمله[3]. والحلم خصلة من الخصال العظيمة التي ينبغي للمؤمنين أن يأخذوا بحظهم منها، قال القرطبي: فمن الواجب على من عرف أن ربه حليمٌ على من عصاه، أن يحلم هو على من خالف أمره، فذاك به أولى حتى يكون حليماً فينال من

(١) عدة الصابرين (ص٤٢٢). (٢) النونية (ص١٤٣).
(٣) عدة الصابرين (ص٤٢٢، ٤٢٣).

هذا الوصف بمقدار ما يكسر سورة غضبه، ويرفع الانتقام عن من أساء إليه، بل يتعود الصفح حتى يعود الحلم له سجيَّة[(١)].

وعلى الدعاة إلى الله تعالى والمصلحين أن يتخلقوا بهذه الصفة العظيمة التي اتصف بها النبي ﷺ في دعوته. فمن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: أن رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاه فأغلظ فهَمَّ به أصحابه فقال رسول الله ﷺ «دعوهُ فإنَّ لصاحب الحق مقالاً». ثم قال: «أعطوهُ سنّاً مثل سِنه» قالوا: يا رسول الله إلَّا أمثل من سنِّه، فقال: «أعطوه فإن من خيركم أحسنكم قضاءً»[(٢)].

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُردٌ نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذةً شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البُرد من شدة جبذته ثم قال: يا محمد مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك ثم أمر له بعطاء[(٣)].

وعن أبي أمامة قال: إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه، مه. فقال: «ادنه» فدنا منه قريباً. قال: فجلس، قال: «أتحبه لأمك؟» قال: لا والله جعلني الله فداءَك. قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم» قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم» قال: «أفتحبه لأختك؟» قال: لا والله، جعلني الله فداءك. «قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم»، قال: «أفتحبه لخالتك؟». قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم» قال: فوضع يده عليه، وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهِّر قلبه، وحصِّن فرجه» فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[(٤)].

---

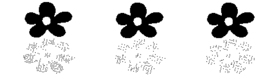
(١) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١/ ٩٧).

(٢) صحيح الجامع للألباني (٣٣٨٧) (١/ ٦٣٨).

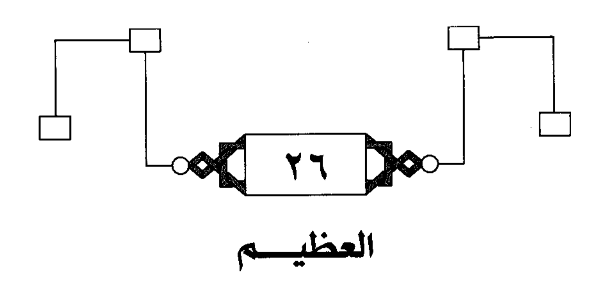
(٣) مسند الإمام أحمد (ص٨٨٦) برقم (١٢٥٧٦) عن أبي سعيد الخدري.

(٤) الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين لمقبل الوادعي ـ رحمه الله ـ (١/ ٥٥، ٥٦) وقال: هذا حذيث صحيح، ويا لها من موعظة وتوجيه للدعاة إلى الإصلاح.

وعن أم المؤمنين عائشة ﵂ أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: «لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال، فلم يجيبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلَّا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأَخشبين، فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»[(١)].



(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦/ ٣٨٤) برقم (٣٢٣١)، كتاب بدء الخلق.



العظيـــم

اسمٌ من أسماء الله تعالى الحسنى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤] وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٣٣].

ومن السنة حديث ابن عباس رضي الله عنهما في دعاء الكرب: «لا إلٰه إلا الله العظيم الحليم»[2].

وعظم في اللغة يدل على كبر وقوة، فالعظم: مصدر الشيء العظيم[3].

والتعظيم في النفس: هو الكِبرُ والزهو والنخوة، والعظمة والعظموت: الكَبْرُ[4].

أما في الشرع: فقد اختلفت عبارات العلماء في معنى هذا الاسم اختلافاً بيِّناً، فقال بعضهم: معنى العظيم في هذا الموضع: المعظم، وقال آخرون: بل تأويل قوله «العظيم» هو أن له عظمة هي له صِفة، وأنكروا المقالة الأولى.

وقالوا: لو كان معنى ذلك أنه معظم لوجب أن يكون قد كان غير عظيم قبل أن يخلق الخلق.

وقال آخرون: بل قوله إنه العظيم وصفٌ منه نفسه بالعظم.

---

(١) ورد ذكر هذا الاسم عند الجميع بلا استثناء.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٣/ ٥١٠)، برقم (٧٤٣١) كتاب التوحيد.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٣٥٥)، (عظم).

(٤) الصحاح للجوهري (٥/ ١٩٨٧، ١٩٨٨)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (٩/ ٢٨٠)، القاموس المحيط للفيروزآبادي (ص١١٣٨، ١١٣٩)

وقالوا: كل ما دونه من خلقه فبمعنى الصغر، لصغرهم عن عظمته[1].

ونجد أن الإمام ابن القيم اعتبره لفظاً موضوعاً للدلالة على السعة والكثرة والزيادة لغة وشرعاً، بحيث يدخل في معناه المعبر عنه باللفظ الكثير من معاني أسماء الله وصفاته العلية[2].

وقال في النونية:

وهو العظيمُ بِكُل مَعنى يوجبُ التعـ ظيـمِ لا يُحصيـهِ من إنسانِ[3]

وفي هذا ما يدل على أن هذا المعنى من أحسن ما قيل في معنى هذا الاسم لدلالته على السعة والكثرة، ويفهم منه أن الله تعالى موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله وأعظمه وأوسعه، بحيث لا يكون وراءه كمال أصلاً. كما أنه المستحق لكل أنواع التعظيم التي يعظمه بها عباده[4].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن الذي يعرف أنَّ الله تعالى من أسمائه العظيم وصفته العظمة.

يدرك أنه عظيم في ذاته، عظيم في أسمائه وصفاته، عظيم في أفعاله وأمره ونهيه، عظيم بكل معنى يوجب التعظيم، المستحق من عباده أن يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم وحركاتهم وذلك ببذل الثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته وطاعته فيما أمر وامتثال ما نهى عنه وزجر، فيُطاع ولا يُعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر ولا يكفر، كما أن من موجبات تعظيمه أن يوصف بما يليق به من الأوصاف والنعوت التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله الكريم ﷺ والإيمان بها وإثباتها له من غير تشبيه ولا تأويل ولا تحريف، ولا تعطيل لما اقتضته من معاني عظيمة وصفات جليلة، فمن شبَّه ومثَّل أو عطَّل وأوَّل فما عظَّم الله حق تعظيمه. قال الإمام ابن القيم في المدارج: ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] منزلة التعظيم وهذه المنزلة تابعة

(١) جامع البيان للطبري (٣/ ١٤، ١٥).
(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٧٥).
(٣) النونية (ص١٤١).
(٤) شرح النونية للهراس (٢/ ٦٨، ٦٩).

للمعرفة، فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب، وأعرف الناس به أشدهم له تعظيماً وإجلالاً. وقد ذم الله تعالى من لم يعظمه حق عظمته، ولا عرفه حق معرفته ولا وصفه حق صفته، وأقوالهم تدور على هذا، فقال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] قال ابن عباس ومجاهد: لا ترجون لله عظمته.

وقال سعيد بن جبير: ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته؟ وقال الكلبي: لا تخافون لله عظمة[(١)].

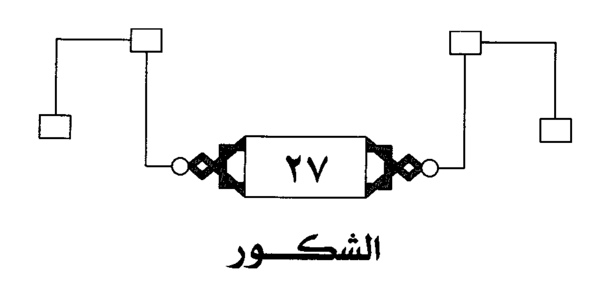
ومن مقتضى تعظيم الله تعالى تعظيم رسوله ﷺ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩].

فلا بد من الإيمان به وتعظيمه وتوقيره ومحبته وعدم التقدم عليه بقول أو فعل مهما كانت مكانة المتقدم أو أهميته، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الحجرات: ١]، ومن تعظيمه ﷺ أن الله ﷻ قد نهى الأمة أن يجعلوا دعاء الرسول بينهم كدعاء بعضهم بعضاً، بل يدعونه برسول الله ونبي الله، وهذا من تمام تعزيره وتوقيره وتعظيمه[(٢)].

ومن مقتضى تعظيم الله تعالى تعظيم حرماته باجتناب محارمه التي حرمها في كتابه العزيز أو حرمها رسوله ﷺ. قال الإمام ابن القيم: ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] منزلة تعظيم حرمات الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠] قال جماعة من المفسرين: «حرمات الله» ههنا: مغاضبه وما نهى عنه، وتعظيمها ترك ملابستها. قال الليث: حرمات الله: ما لا يحل انتهاكها. وقال قوم: الحرمات: هي الأمر والنهي، وقال قوم: الحرمات ههنا المناسك ومشاعر الحج زماناً ومكاناً. والصواب: أن «الحرمات» تعم هذا كله. وهي جمع حرمة وهي ما يجب احترامه وحفظه: من الحقوق والأشخاص، والأزمنة، والأماكن، فتعظيمها: تَوْفِيَتُها حقها، وحفظها من الإضاعة[(٣)].

---

(١) مدارج السالكين (٢/٥١٦) وما بعدها. (٢) جلاء الأفهام (ص٥٥٠، ٥٥١).
(٣) مدارج السالكين (٢/٧٦، ٧٧).



الشكـــور

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عدّه العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[(١)]. ودليله من الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨] وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

ومن السنة حديث أبي هريرة ﷺ في قصة ساقي الكلب ماءً، وفيه: «. . . فنـزل البئر فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقى، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له. . .»[(٢)].

من أبنية المبالغة، يقال: شكر له يشكرُ شكراً ومشكوراً وشكراناً[(٣)].

وأصل الشكر في اللغة: الظهور، وفيه يقال: شكر النبت وشكر الضرع إذا امتلأ، ودابة شكور: إذا ظهر عليها من السِمن فوق ما تأكل وتعطى من العلف[(٤)].

وفي الشرع: نجد أن أقوال العُلماء في معنى الشكور متقاربة ومتفقة في مدلولها.

فالخطابي يقول: الشكور هو الذي يشكر اليسير من الطاعة فيثيب عليه الكثير من الثواب، ويعطي الجزيل من النعمة، فيرضى باليسير من الشكر[(٥)].

---

(١) ورد هذا الاسم في جميع طرق حديث الأسماء، وعند جميع الذين اعتنوا بجمع الأسماء الحسنى.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٥/ ٥٢)، برقم (٢٣٦٣)، كتاب المساقاة.

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٤٩٣)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (٧/ ١٧١)، اشتقاق أسماء الله الحسنى للزجاجي (ص٧٨).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٤٧). وانظر: مدارج السالكين (٢/ ٢٥٤).

(٥) شأن الدعاء للخطابي (ص٦٥، ٦٦).

وذهب البيهقي إلى أنه الذي يشكر اليسير من الطاعة ويعطي عليه الكثير من المثوبة[1].

وكذلك السعدي يرى أنه من أسماء الله تعالى الذي يقبل من عباده اليسير من العمل ويجازيهم عليه بعظيم الأجر[2].

ونجد أن الإمام ابن القيم قد أطال الكلام على معنى هذا الاسم الكريم في مصنفه «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، وتكلم على منازل الشكر وثواب الشاكرين واعتبر منـزلته من أعلى المنازل وهي فوق منـزلة الرضى وزيادة، ومما قاله في معنى هذا الاسم: أنه الشكور على الحقيقة فإنه يعطي العبد ويوفقه لما يشكره عليه، ويشكر القليل من العمل والعطاء، فلا يستقل أن يشكره، ويشكر الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة، ويشكر عبده بقوله بأن يثني عليه بين ملائكته وفي ملإه الأعلى ويلقي له الشكر بين عباده، ويشكره بفعله، فإذا ترك له شيئاً أعطاه أفضل منه، وإذا بذل له شيئاً رده عليه أضعافاً مضاعفة، وهو الذي وفقه للترك والبذل، وشكره على هذا وذاك[3]. وقال في النونية:

وهو الشكور فلن يضيع سعيهم   لكن يضاعفه بلا حسبان[4]

ويشير الإمام ابن القيم إلى أن الشكر مبني على خمس قواعد:

أولها: خضوع الشاكر للمشكور، **وثانيها**: حبه له، **وثالثها**: اعترافه بنعمته، **ورابعها**: ثناؤه عليه بها، **وخامسها**: أن لا يستعملها فيما يكره.

فهذه الخمس هي أساس الشكر، وثناؤه يدور عليها، فمن عدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة، وكل من تكلم في الشكر وحده فكلامه إليها يرجع وعليها يدور[5].

---

(١) الاعتقاد للبيهقي (ص٤٠، ٤١).
(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (١٠٣/١).
(٣) عدة الصابرين (ص٢٤٦). (٤) النونية (ص١٤٤).
(٥) مدارج السالكين (٢٥٤/٢).

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أنَّ الله تعالى من أسمائه الشكور، وصفته الشكر، وهو مولي النعم دقيقها وجليلها وشكره واجب على العباد، ومِنَّة من الله وفضل منَّ بها عليهم لا عن معاوضة ولا حق مستوجب لسابقة منهم بل هو كما قيل:

ما لِلعِبَادِ عليهِ حقٌّ واجبٌ ... كَلَّا ولا سعيٌ لديهِ ضائعُ

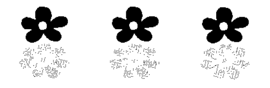
ومتى ما عرف المؤمن هذه المعاني العظيمة تطلعت نفسه إلى مزيد من العمل الصالح الذي تزيد به الحسنات وتمحى به السيئات، قال الإمام ابن القيم: ومن منازل «إياك نعبد وإياك نستعين» منزلة الشكر، وهي من أعلى المنازل، وهي فوق منزلة «الرضى» وزيادة، فالرضى مندرج في الشكر، إذ يستحيل وجود الشكر بدونه، وهو نصف الإيمان، والإيمان نصفان: نصف شكر ونصف صبر. وقد أمر الله به، ونهى عن ضده، وأثنى على أهله، ووصف به خواص خلقه، وجعله غاية خلقه وأمره، ووعد أهله بأحسن جزائه، وجعله سبباً للمزيد من فضله، وحارساً وحافظاً لنعمته، وأخبر أن أهله هم المنتفعون بآياته، واشتق لهم اسماً من أسمائه، فإنَّه سبحانه هو «الشكور» وهو يوصل الشاكر إلى مشكوره بل يصير الشاكر مشكوراً، وهو غاية الرب من عبده، وأهله هم القليلون من عباده. قال الله تعالى: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤] وقال: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].. وسمى نفسه شاكراً.. و«شكوراً» وسمى الشاكرين بهذين الاسمين فأعطاهم من وصفه، وسماهم باسمه، وحسبك من هذا محبة للشاكرين وفضلاً وإعادته للشاكر مشكوراً، كقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢].

ورضى الرب عن عبده به، كقوله: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

وقلَّة أهله في العالمين تدل على أنَّهم خواصه، كقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قام حتى تورمت قدماه، فقيل له: تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: أفلا

أكون عبداً شكوراً»[1].

وقال لمعاذ: «والله يا معاذ إني لأُحبك فلا تنس أن تقول في دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[2]. وفي المسند والترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات: اللهم أعني ولا تُعن علي وانصرني، ولا تنصر عليَّ، وامكر لي ولا تمكر بي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى علي، رب اجعلني شكاراً لك، ذكاراً لك، رهاباً لك، مطاوعاً لك، مخبتاً إليك، أواهاً منيباً، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي وثبت حجتي، واهد قلبي، وسدد لساني، واسلل سخيمة صدري[3][4].



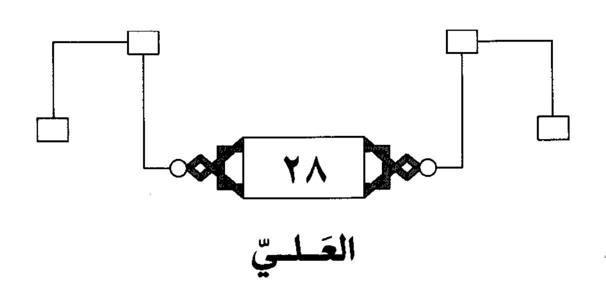
---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٣/ ١٨) برقم (١١٣٠)، كتاب التهجد من حديث المغيرة.

(٢) مسند الإمام أحمد (ص٥٩٦) برقم (٧٩٦٩) عن أبي هريرة.

(٣) سنن الترمذي (٥/ ٥٥٤) برقم (٣٥٥١) كتاب الدعوات، من حديث ابن عباس، قال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٢٥٢، ٢٥٣).



العَـلـيّ

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب العزيز، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. ودليله من الكتاب: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

وتقدير عليٍّ من الفعل «فعيل»،أصله «عليو» لأنَّه من العلو[2].

والعلو في **اللغة** يعني: السمو والارتفاع.

عُلْوُ كلُ شيء وعلوُهُ وعُلاوَتُهُ، وعاليه، وعاليته: أرفعه، يتعدى إليه الفعل بحرف وبغير حرف، كقولك: قعدت عُلْوَهُ، وفي عُلْوِه.

والعليُّ: الرفيع، وتعالى: ترفّع[3].

فهو سبحانه العلي الأعلى، فله أعلى العلو وهو ما فوق العرش، وليس هناك غيره ﷻ[4].

وفي **الشرع** نجد أن الإمام ابن القيم يقرر معنى العلو مستدلاً عليه بالكتاب والسنة واللغة ومدلول العقل والفطرة[5]، وينقل حكاية الإجماع عليه لإثبات علوه المطلق فيقول فيه: فإن من لوازم اسم «العلي» العلو المطلق بكل اعتبار، فله العلو المطلق من جميع الوجوه: علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات، فمن جحد علو الذات فقد جحد لوازم اسمه «العلي»[6].

---

(١) ورد ذكر هذا الاسم عند الجميع ما عدا الأصبهاني في الحجة.
(٢) اشتقاق أسماء الله الحسنى للزجاجي (ص١١١).
(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ١١٢)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (٩/ ٣٧٧).
(٤) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٥/ ١٠٠ ـ ١٠٩) وانظر: درء تعارض العقل والنقل له (٧/ ٣ ـ ٢٦).
(٥) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٩٦ وما بعدها).
(٦) مدارج السالكين (١/ ٤٠).

وقال في النونية:

وهو العليُّ فكلِ أنواعِ العلـ ... ـوِ لهُ فثابتةٌ بلا نُكرانِ[1]

ونقل حكاية الإجماع على ثبوت هذه المعاني من كل وجه فقال:

وحكى ابنُ عبدِ البرِّ في تمهيدهِ ... وكتابَ الاستذكارِ غيرَ جبانِ
إجماعُ أهلِ العلمِ أنَّ الله فو ... قَ العرش بالإيضاح والبُرهانِ
وأتى هُناكَ بما شفَى أهل الهوَى ... لكنهُ مرضٌ علَى العُمْيَانِ
وكذا عليُّ الأشعريّ فإنهُ ... في كُتْبِهِ قد جاءَ بالتبيانِ
من مُوجَزٍ وإبانةٍ ومقالةٍ ... ورسائلٍ للثغرِ ذاتِ بيانِ
وأتى بتقديرِ استواء الربِ فو ... قَ العرشِ بالإيضاحِ والبرهانِ
وأتى بتقديرِ العلوِّ بأحسنِ ... التقريرِ فانظر كتبهِ بعِيانِ[2]

والجدير بالذكر أن ما قرره الإمام ابن القيم في معنى هذا الاسم الكريم هو مذهب أهل السنة والجماعة، وقد ذهب إلى هذا المعنى جمعٌ من العُلماء كالطبري[3] والبغوي[4] وابن خزيمة[5] وابن تيمية[6]، وغيرهم كثير، ولم يخالف هذا المعنى سوى المتكلمين كالمعتزلة والأشاعرة فإنهم حملوا علوه وفوقيته على المجاز، وفي هذا مصادرة للأدلة الثابتة بالكتاب والسنة وكثيرٍ من الآثار الواردة عن سلف الأمة، وبناءً على هذا المذهب الباطل فإن الإمام ابن القيم قد رد عليه من نحو سبعة عشر وجهاً[7]. وجديرٌ بالذكر أن النزاع في هذه المسألة التي هي إثبات العلو للرب ﷻ لا يجوز، لأنَّه ليس من المسائل التي يجوز فيها الاجتهاد وبذل الوسع، بل يجب التوقف عند النصوص الشرعية الواردة فيها؛ قال الإمام ابن تيمية عن سلف الأمة: «ولم يكن هذا عندهم من جنس مسائل النزاع التي يسوغ فيها الاجتهاد، بل ولا كان هذا عندهم من جنس مسائل أهل البدع

(١) انظر: النونية (ص١٤١).
(٢) نفس المصدر (ص٦٣، ٦٤).
(٣) جامع البيان للطبري (٣/ ١٤).
(٤) تفسير البغوي (٥/ ٢٦).
(٥) كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص١١٢).
(٦) مجموع الفتاوى للإمام ابن خزيمة (٥/ ٥٢، ٥٣).
(٧) مختصر الصواعق المرسلة (ص٣٥٥ ـ ٣٦٣).

المشهورين في الأمة: كالخوارج والشيعة، والقدرية، والمرجئة، بل كان إنكار هذا عندهم أعظم من هذا كله، وكلامهم في ذلك مشهور متواتر، ولهذا قال الملقب بإمام الأئمة أبو بكر بن خزيمة فيما رواه عنه الحاكم: من لم يقل إن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب، فإن تاب وإلَّا ضربت عنقه، ثم أُلقيَ على مزبلة لئلا يتأذى بنتن ريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة[1].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

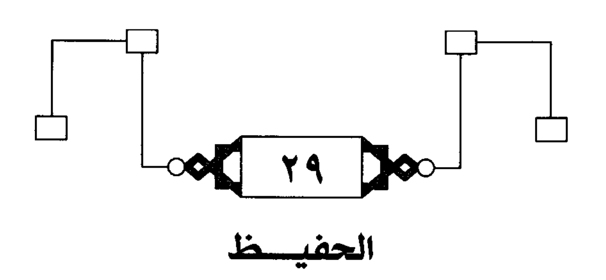
أنَّ المؤمن عندما يدرك اتصاف الله تعالى بالعلو فإنه لا يفهم من هذا المعنى إلَّا ما أُريد منه وهو العلو الذي يوجب التعظيم والتنزيه والكمال، علو الذات وعلو القدر والصفات فإنَّه سبحانه لو لم يتصف بفوقية الذات مع أنَّه قائم بنفسه غير مخالط للعالم لكان متصفاً بضدها، لأنَّ القابل للشيء لا يخلو منه أو من ضده، وضد الفوقية السفول، وهو مذموم على الإطلاق ولو لم يكن قابلاً للفوقية والعلو لم يكن له حقيقة قائمة بنفسها[2]. وعلوه سبحانه أمر مستقر في فطر العباد، ومعلوم لهم بالضرورة اتفق عليه جميع الأُمم إقراراً بذلك وتصديقاً من غير أن يتواطئوا على ذلك، فكما أنَّهم مضطرون إلى دعائه سبحانه وسؤاله فهم مضطرون إلى أن يوجهوا قلوبهم إلى العلو إليه لا يجدون في قلوبهم توجهاً إلى جهة أخرى، والله سبحانه موصوف بعلو المكانة وعلو القهر فهو أكمل من العالم، وهو قادر على العالم، ومن تمام علوه سبحانه أن يكون فوق العالم لا محاذياً له ولا سافلاً عنه، وجهة العلو أحق بالاختصاص لأنَّ الجهة العالية أشرف بالذات من السافلة. وقد اتفق العلماء على أنَّ جهة السماوات أشرف من جهة الأرض وجهة الرأس أشرف من جهة الرِّجل، فوجب اختصاصه بخير النوعين وأفضلهما[3].

---

(١) تلبيس الجهمية للإمام ابن تيمية (٢/ ٤٢، ٤١).

(٢) مختصر الصواعق (ص٣٥٥).

(٣) درء تعارض العقل والنقل للإمام ابن تيمية (٧/ ٥ ـ ٨). وانظر: مختصر الصواعق (٣٥٥ ـ ٣٦٣).



الحفيـــظ

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، معدود ضمن جمع العلماء للأسماء الحسنى[1]. ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

ومن السنة: حديث ابن عباس رضي الله عنهما المشهور: «...احفظ الله يحفظك...»[2].

وقد نقل القرطبي الإجماع على هذا الاسم الكريم[3]، وهو من أبنية المبالغة: فعيل بمعنى فاعل[4].

والحفظ في اللغة: مراعاة الشيء.

والتحفظ: قلة الغفلة، والحفاظ: المحافظة أي المواظبة على الأمور[5].

والحفظ: نقيض النسيان، والحفيظ: الموكل بالشيء يحفظه[6].

وفي الشرع: نجد أن الإمام ابن القيم يذهب في معنى هذا الاسم إلى معنيين ـ ذكرهما الخطابي والقرطبي ـ **أحدهما**: أنه من أوصاف الذات فيرجع

---

(١) التوحيد لابن منده (٢/ ١٠٧)، وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٧٧)، توضيح الكافية لابن سعدي (ص١٩٠)، إيثار الحق لابن الوزير (ص١٧١)، القواعد المثلى لابن عثيمين (ص٤٠)، له الأسماء الحسنى للشرباصي (١/ ٢١٠).

(٢) سنن الترمذي (٤/ ٦٦٧)، برقم (٢٥١٦)، كتاب صفة القيامة.

(٣) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ٣٠٧).

(٤) شأن الدعاء للخطابي (ص٦٨)، وانظر: اشتقاق أسماء الله للزجاجي (ص١٤٦).

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٧٨).

(٦) لسان العرب لابن منظور (٣/ ٢٤٢).

إلى معنى العليم، لأنه يحفظ بعلمه جميع المعلومات فلا يغيب عنه شيء منها، وعلى هذا خرج قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

والثاني: أنه من صفات الفعل فيرجع إلى حفظه تعالى للوجود، وعلى هذا خرج قوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ [يوسف: ٦٤][1]. وقد عبر الإمام ابن القيم عن هذين المعنيين في النونية قائلاً:

وهو الحفيظُ عليهمُ وهو الكفيلُ بحفظِهمْ من كُلِّ أمرٍ عانِ

فقوله (وهو الحفيظ عليهم)، يرجع إلى معنى العليم، بمعنى حفظ الله تعالى ما خلقه وإحاطته بما علمه وأوجده. وهذا متعلق بذاته.

وقوله: (وهو الكفيل بحفظهم من كل أمرٍ عان)[2] هو حفظه أولياءَه من وقوعهم في الذنوب والهلكات ولطفه بهم في حركاتهم وسكناتهم، وهذا متعلق بفعله تعالى.

ونلمح في هذا المعنى الوجيز دقة الإمام ابن القيم في استنباط معاني أسماء الله تعالى من أدلة الكتاب والسنة والإجماع ومقتضى اللغة وصريح المعقول.

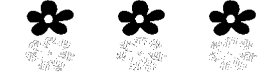
ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن عندما يدرك أن الله تعالى من أسمائه الحفيظ وصفته أن يحفظ الخلق جميعاً لعلمه بما خلقه وإحاطته بما أوجده، فإنه يطمئن إلى خالقه ومولاه ويزداد ركوناً إليه وتوكلاً عليه، لا سيما وأن الله تعالى يحفظه في مصالح دنياه كحفظه في بدنه وأهله وولده وماله، فجعل للعبد معقبات يحفظونه من أمر الله. كما أنه يحفظه في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة ومن الشهوات المحرمة، ويحفظه عليه عند موته، فيتوفاه على الإيمان[3]. وذلك

(١) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى (١/٣٠٩، ٣١٠). وانظر: شأن الدعاء للخطابي (ص٦٨).
(٢) النونية (ص١٤٤).
(٣) المنتقى من جامع العلوم والحكم لابن رجب (ص٢٨٢).

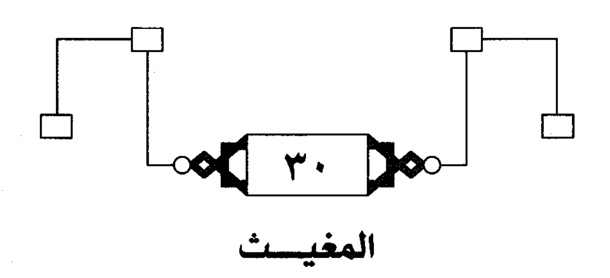
أن الله تعالى خصَّ أولياءه بحفظهم عما يضرهم أو يزلزل إيمانهم من الشبه والفتن والشهوات، فيعافيهم ويخرجهم بسلامة وحفظ وعافية ويحفظهم من أعدائهم من الجن والإنس فينصرهم عليهم ويدفع عنهم كيدهم، وعلى حسب ما عند العبد من الإيمان تكون مدافعة الله عنه بلطفه[1].

ومن مقتضى الإيمان بهذا الاسم الكريم أن يحفظ المؤمن حدود الله وحقوقه وأوامره ونواهيه، وحفظ ذلك ـ كما قال الحافظ ابن رجب ـ يكون بالوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده فلا يتجاوز ولا يتعدى ما أُمر به إلى ما نُهي عنه، فدخل في ذلك فعل الواجبات جميعاً[2].



(١) انظر: التوضيح المبين لابن سعدي (ص٩٤) بتصرف.

(٢) انظر: نور الاقتباس لابن رجب (ص٣٤).



المغيـــث

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]، وقد نقل القرطبي عليه الإجماع[2].

ودليله من السنة: ما جاء في خبر الاستسقاء: «اللهم أغثنا، اللهم أغثنا»[3].

وفي اللغة مأخوذ: من الإغاثة وهي الإعانة والنصرة عند الشدة[4]، والغوث يقال في النصرة والغيث في المطر، ويقال: أغاثني من الغوث والغوث من الغيث[5].

اسم فاعل من أغاث يغيث غيثاً فهو مغيث.

وفي الشرع نجد أن الإمام ابن القيم يثبت هذا الاسم لله تعالى كأحد أسماء الأفعال فيقول في النونية:

وهو الـمُغِيثُ لكلِّ مخلوقاتِه   وكذا يُجِيبُ إغاثةَ اللهفانِ[6]

فهل يقول ابن القيم باشتقاق الأسماء من الأفعال؟ والجواب: هذا ما ظهر لنا من كلامه، ولكن لهذا الاشتقاق عنده ضوابطه المعتبرة، وهي قيد يحترز به من الوقوع في مطلق الاشتقاق الذي لا يؤيده دليل من الشرع أو اللغة.

---

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ٢٨٦)، وانظر: توضيح الكافية لابن سعدي (ص١٩٢)، له الأسماء الحسنى للشرباصي (٢/ ١١٥).

(٢) انظر: الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ٢٨٦).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٢/ ٦٣٧)، برقم (١٠١٣)، كتاب الاستسقاء، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٤٠٠)، (غوث).

(٥) المفردات للراغب (ص٣٦٧).

(٦) النونية (ص١٤٤).

كما يظهر من ذلك أنه قد تابع شيخه الإمام ابن تيمية الذي يعرض لكلام الحليمي مرتضياً له فيقول: قال أبو عبد الله الحليمي: الغياث، هو المغيث، وأكثر ما يقال: غياث المستغيثين ومعناه: المدرك عباده في الشدائد إذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم، وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين: «اللهم أغثنا اللهم أغثنا»، يقال: أغاثة إغاثة وغياثاً وغوثاً. وهذا الاسم في معنى المجيب والمستجيب، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] إلَّا أن الإغاثة أحق بالأفعال، والاستجابة أحق بالأقوال وقد يقع كل منهما موقع الآخر(١).

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

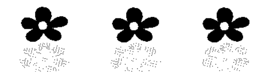
أنّ المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بإغاثة الملهوف وإدراكه في الشدائد فلا شك أنه يلتجئ إلى الله عندما تنزل به المصائب العظام والشدائد الجسام، وقد كان سلف الأمة ﷺ ما أن يقعوا في شيء من الشدائد والكربات حتى يفزعوا إلى رسول الله ﷺ ليدعو لهم. قال عمر بن حمزة: حدثنا سالم عن أبيه: «ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبي ﷺ يستسقي، فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب:

وأبيضَ يُستسقَى الغمامِ بوجهِهِ ثِمَالَ اليتامَى عِصْمَةً للأرَامِلِ»(٢)

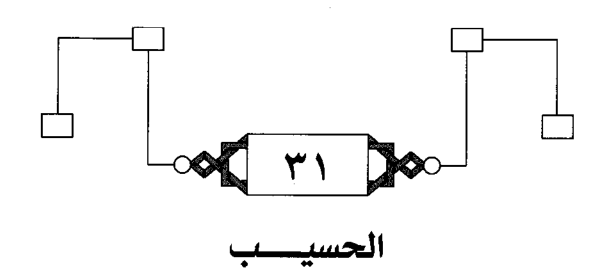
وعن أنس بن مالك يذكر (أن رجلاً دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله ﷺ يخطب فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً فقال: يا رسول الله هلكت المواشي، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا. قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: اللهم اسقنا اللهم اسقنا. قال أنس: لا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيئاً وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار. قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس. فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت.

(١) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (١/ ١١١)، الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٧٣).
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٢/ ٦٢٨)، والبيت لعمه أبي طالب. انظر: معجم الشعراء المخضرمين (ص٢٢١)

قال: والله ما رأينا الشمس سبعاً...)[1].. وهذا حال من تعلق قلبه بالله وقوي إيمانه باسمائه وصفاته، أما في العصور المتأخرة التي انحرفت عن الجادة وتنكبت الطريق فقد جعل بعضهم هذا الوصف منوط بالمخلوق أكثر مما هو في الخالق، فأخذ يدعو الأولياء والصالحين ويتوسل بهم ووقع في عظائم الأمور عندما أضاف إلى المخلوق شيئاً من خصائص الرب تبارك وتعالى.



(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٢/ ٦٣٦، ٦٣٧).



الحسيـــب

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى(١). وهو من أبنية المبالغة على وزن فعيل بمعنى فعال أو فعيل بمعنى فاعل(٢). ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٨٦]، وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

ومن السنة: حديث أبي بكرة رضي الله عنه: «... إن كان أحدكم مادحاً؛ فليقل: أحسب فلان كذا وكذا ـ إن كان يرى أنه كذلك ـ وحسيبه الله ولا يُزكي على الله أحداً»(٣).

والحسب في اللغة: الكفاية، تقول: شيءٌ حساب، أي كاف، وأحسبت فلاناً: إذا أعطيته ما يرضيه حتى قال: حسبي، وكذلك حسبته(٤).

«وكفى بالله حسيباً» أي محاسباً أو كافياً(٥).

والحسيب المحاسب: من يحاسبك، ثم يعبَّر به عن المكافي بالحساب(٦).

وفي الشرع: نجد أن العلماء من المفسرين واللغويين يذهبون جميعاً إلى

---

(١) التوحيد لابن منده (٢/ ١١٠)، وانظر: المنهاج للحليمي (١/ ٢٠٠)، الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٢٧)، إيثار الحق لابن الوزير (ص١٧١)، توضيح الكافية لابن سعدي (ص١٩٧)، له الأسماء الحسنى للشرباصي (١/ ٢٢٠).

(٢) جامع البيان للطبري (٤/ ١٩٣).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٠/ ٦٧٥)، برقم (٦١٦٢)، كتاب الأدب.

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٥٩ ـ ٦١)، وانظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/ ٣٨١).

(٥) غريب الحديث لابن قتيبة (٣/ ٧١٩)، وانظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي (ص٢٧٤ ـ ٢٧٦).

(٦) المفردات للراغب (ص١١٧).

أن معنى الحسيب: الكافي، ولم يخالفهم سوى الإمام الطبري، حيث اختار أن معنى الحسيب: هو الحفيظ، وذلك أنه يرى أن أصل الحسيب، فعيل من الحساب الذي هو في معنى الإحصاء[1]. أما الزجاج: فيذهب إلى أن أصل الحسيب يكون فعيلاً في معنى مفعل، فالله تعالى «محسب» أي كاف. وقد يجوز أن يكون من الحساب[2].

ويذهب أبو عبيدة إلى أن معنى الحسيب: أي كافياً مقتدراً، يقال: أحسبني هذا أي كفاني[3].

كما يذهب الخطابي إلى أن معنى الحسيب أيضاً: هو الكافي، فعيل بمعنى مفعل كقولك: أليم بمعنى مؤلم. تقول العرب: نزلت بفلان فأكرمني وأحسبني، أي: أعطاني ما كفاني حتى قلت: حسبي[4].

ونجد أن الإمام ابن القيم قد تناول معنى هذا الاسم عند بيانه لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤] فقال: أي والله وحده كافيك وكافي أتباعك فلا تحتاجون معه إلى أحد، فإن قال قائل: إنما فسر الحسب هنا بالكفاية لما تضمنه سياق الآية، قلنا: بل هذا منهجه وذلك أنه قد نقل على هذا المعنى كلام العرب حيث قال: فإن حسبك في معنى كافيك، أي: والله يكفيك ويكفي من اتبعك، كما تقول العرب: حسبك وزيداً درهم، قال الشاعر:

إذا كانت الهيجاءُ وانشقت العصا ... فحسبك والضحاك سيف مهندٌ[5]

وقال في النونية:

وهو الحسيبُ كِفايةً وحِمَايةً ... والحسبُ كافِ العبدِ كُل أوانِ[6]

وشرح السعدي هذا البيت قائلاً: «الحسيب: هو العليم بعباده كافي المتوكلين، المجازي لعباده بالخير والشر بحسب حكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها»[7].

---

(١) جامع البيان للطبري (٤/ ١٩٣).
(٢) تفسير أسماء الله للزجاج (ص٤٩).
(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ١٣٥).
(٤) شأن الدعاء للخطابي (ص٦٩).
(٥) زاد المعاد (١/ ٣٥).
(٦) النونية: (ص١٤٥).
(٧) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٥/ ٣٠٢).

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن عندما يدرك اتصافه تبارك وتعالى بالحسب علماً بعباده وكفايةً لهم في الدنيا والآخرة، فإن هذا يثمر له مراقبةً لحاله وجميع شؤونه ومحاسبةً لنفسه في كل ما يقوله ويفعله، كما يثمر له الطمأنينة والثقة في أن الله تعالى كما أنه يجازي عباده بالخير والشر ـ بحسب حكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها ـ فإنه كافي المتوكلين عليه، الذين فوضوا أمورهم إليه فلم يحتاجوا معه إلى أحد.

ومن مقتضى الإيمان بهذا الاسم الكريم أن يعلم المؤمن أن الله سريع الحساب وأسرع الحاسبين وأن كل حاسب وحساب فمن عنده، وأنه يحاسب خلقه ويجازيهم على أعمالهم، وقد رويَ عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه كان يقول: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتجهزوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

قال الأقليشي[١]: فأرباب القلوب المحسون بأوجاع الذنوب العالمون يقيناً بمحاسبة علام الغيوب وإحصاء حسابه جميع العيوب، أقاموا في الدنيا موازين القسط على أنفسهم وأحصوا عليها بالحساب المحرر كل ما برز عنها وصدر، ثم حاسبوها محاسبة الشريك النحرير القائم بمال شريكه الذي انفصل عن شركته بعداوة وقعت بينه وبينه. فانظر هل يسمح له بترك حبة، أو يسقيه من مائه عند ظمئه عبَّة[٢]، فكذلك انتشرت ذنوب هؤلاء من الصحائف كما ينتشر

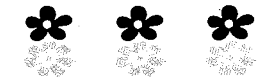
---

(١) الأقليشي هو: أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبي، أبو العباس ابن الأقليشي ولد سنة (٥٥٠هـ) عالم بالحديث، أصله من أقليش بالأندلس، ولد ونشأ في دانية. ورحل إلى المشرق، فجاور بمكة سنين، وعاد يريد المغرب، فتوفي بقوص من صعيد مصر. ومن تصانيفه: «النجم من كلام سيد العرب والعجم» و«الغُرر من كلام سيد البشر» و«ضياء الأولياء». انظر ترجمته: الأعلام للزركلي (١/ ٢٥٩). وانظر: السير للذهبي (٢٠/ ٣٥٨).

(٢) عبَّ: شرب الماء من غير مصَّ؛ وقيل: العَبّ أن يشرب الماء ولا يتنفس. انظر: لسان العرب لابن منظور (٩/ ٦)، (عبب).

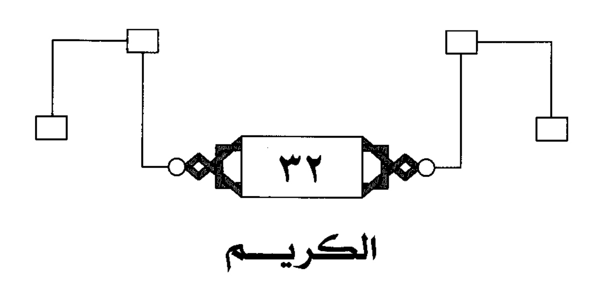
ورق الشجر اليابس بالريح العاصف، فإذا قدموا قضاء الموقف برزت تلك الصحائف منيرة، وقد استنارت فيها المعاني والأحرف، لأنَّها ممحصة مخلَّصة بدقيق المحاسبة وشديد المطالبة، فكان حسابهم عرضاً لا مناقشة، قلت: فينبغي للإنسان أن يسعى في خلاص نفسه ونجاة مهجته، وإنَّما يخف الحساب في الآخرة على من حاسب نفسه في الدنيا[1].

قال الإمام ابن القيم: والله حسيب كل أحد وكافيه بحسب متابعته لرسوله ﷺ؛ لأنَّه بحسب متابعته تكون العزة والكفاية والنصرة، كما أنه بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله سبحانه علّق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن، والفلاح والعزة والكفاية، ولمخالفته الذلة والصغار والخوف والضلال، والخذلان والشقاوة في الدنيا والآخرة[2].



(١) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ٢٠٩، ٢١٠).

(٢) انظر: زاد المعاد (١/ ٣٥ ـ ٣٧).



الكريم

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عدّه العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. ودليله من الكتاب: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، وقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [العلق: ٣].

ومن السنة: حديث عوف بن مالك رضي الله عنه في الدعاء على الجنازة: «... اللهم اغفر له وارحمه، واعف عنه، وأكرم نزله، ووسّع مدخله...»[2]، وأثر ابن مسعود وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ أنهما كانا يقولان في السعي بين الصفا والمروة: «رب اغفر وارحم، وتجاوز عما تعلم، إنك أنت الأعز الأكرم»[3].

ومعناه في اللغة: الشرف في الشيء نفسه، أو الشرف في خلق من الأخلاق[4].

قال الزجاج[5]: الكرمُ سرعة إجابة النفس، وكريم الخلق، وكريم الأصل[6].

---

(١) ورد ذكر هذا الاسم عند الجميع بلا استثناء.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (٧/ ٤٣)، برقم (٩٦٣)، كتاب الجنائز.

(٣) الدعاء للطبراني (٢/ ١٢٠٣)، برقم (٨٧٠).

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ١٧٢).

(٥) الزجاج هو: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزّجَاج النحوي، كان من أهل العلم بالآداب والدين المتين، وصنف كتاباً في معالم القرآن وله كتاب «الأمالي» و«العروض» و«القوافي» و«الفروق» و«تفسير أسماء الله الحسنى». توفي سنة (٣١٠هـ) ببغداد (صح). انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (١/ ٣٣).

(٦) والكريم من أبنية المبالغة على وزن فعيل، بينما الأكرم على وزن أفعل. فعلى الأول: يكون صفة فعل وعلى الثاني: يكون صفة للذات. انظر: الأسنى للقرطبي (١/ ١١٢).

وحكى الأحول[1]: جوزة كريمة، أي: هشة الكسر، وكأن سرعة انكسارها وهشاشتها، جُعل إجابة منها، فشبِّه بها الكريم من الرجال إذا كان سريعاً إلى الخيرات، هذا هو الأصل والله تعالى سبب كل خير ومسهِّلُهُ فهو أكرم الأكرمين[2].

أما في الشرع: فإن العلماء قد اختلفوا في معنى هذا الاسم الكريم اختلافاً كبيراً، وقد ساق ابن العربي في معناه ستة عشر قولاً، وقال فيه: وهذا الاسم مما تردد فيه كلام العرب والأصوليين والخلق، وأخذوا كلٌ بطرفٍ منه، وحوَّموا عليه فما أشفوا.

ونقل عن ابن الحصار قوله: وإذا اعتبرت جميع ما ذُكر في معنى الكرم علمت أنَّ الذي وجب لله تعالى من ذلك لا يُحصى[3].

ونلاحظ أن الإمام ابن القيم قد أشار إلى معنى هذا الاسم إشارة مجملة دون تفصيل فقال: الذي فيه كل خير وكل كمال فله كل كمال وصفات، ومنه كل خير فعلاً فهو الأكرم في ذاته وأوصافه وأفعاله[4].

والحق أن ما عبَّر به الإمام ابن القيم عن معنى اسم الكريم هو الأولى وذلك: أنَّ هذا الاسم كاسم المجيد والعظيم والواسع والوهاب لا يمكن ضبط معانيها لمجيئها على أوجه متعددة.

ومثال ذلك ما قاله القرطبي في معنى الكريم حيث ذكر أنَّ له ثلاثة أوجه هي: الجواد والصفوح والعزيز، وهذه الأوجه الثلاثة يجوز وصف الله ﷻ بها، فعلى أنَّه جواد كثير الخير صفوح لا بد من متعلَّق يصفح عنه وينعم عليه.

---

(١) الأحول هو: محمد بن الحسن الأحول من العلماء باللغة والشعر، قال ياقوت: كان غزير العلم واسع الفهم، جيد الرواية، حسن الدراية، وذكره الزبيدي في طبقة المبرد وثعلب، كان قليل الحظ من الناس، انظر: بغية الوعاة (ص٣٣) وإنباه الرواة (ص٩١).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٥١).

(٣) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ١١٢).

(٤) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤١).

وإذا كان بمعنى العزيز كان غير مقتضٍ مفعولاً في أحد وجوهه، فهذا الاسم متردد بين أن يكون من أسماء الذات، وبين أن يكون من أسماء الأفعال[1].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بصفة الكرم فإنَّه يُنزل حوائجه بخالقه ومولاه لأنَّه تعالى كريم يحب الكرم، ويحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها، كثير الخير والعطاء يعم عطاؤه المحتاجين وغيرهم، يعطي قبل السؤال لا يُبالي من أعطى ولا إلى من أحسن لعظيم جوده وكرمه، قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وهو الذي إذا أعطى زاد على المنى قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ﴾ [إبراهيم: ١١] وعن سلمان الفارسي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين»[2].

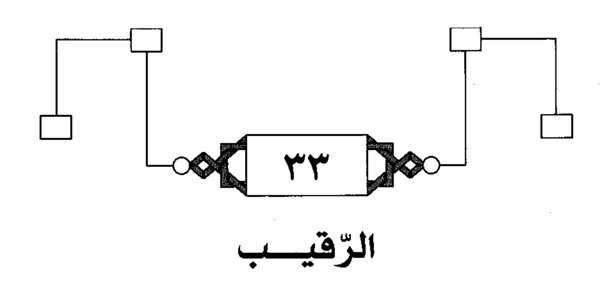
ومن مقتضى الإيمان بهذا الاسم الكريم أن يعلم المؤمن أنَّ الله سبحانه أكرم الأكرمين، وأحق من تسمى بالكرم فيسأله وهو أحقُ من يُسأل فيسأل العبد ربه كل شيء حتى الملح، ثم يجب عليه أن يتصف بالكرم ويسعى في أسبابه بأن يعوِّد نفسه السخاء، ويدهُ الإعطاء، وخُلُقه المكارم بل يسمح بنفسه ويُتلفها في رضا ربه ويصون نفسه عن دنيَّات الأمور، ويسعى في معاليها، فيُقابل المحسن بأكثر من إحسانه، وإذا أَسدى إلى أحدٍ معروفاً صغُرَ في نفسه، وإذا أُسدي إليه كبر عنده فذلك ركن عظيم من مكارم الأخلاق وباب لطيف من الشكر[3].

---

(١) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى (١/ ١١٢).

(٢) سنن الترمذي (٥/ ٥٥٧) كتاب الدعوات، من حديث سلمان الفارسي، سنن ابن ماجه (ص٥٥٣) برقم (٣٨٦٥) كتاب الدعاء.

(٣) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ١٢٣).



الرّقيب

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب العزيز، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. وقد نقل القرطبي عليه الإجماع وهو من أبنية المبالغة على وزن فعيل بمعنى فاعل[2]. ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

والرقيب في اللغة: هو الحارس الحافظ، وهو الموكل بحفظ الشيء والمحترز عن الغفلة فيه، ويقال: رقَب أي انتصب أو انتظر لمراعاة شيء، وراقب الله تعالى في أمره: أي خافه[3].

وفي الشرع: نجد أنَّ معنى الرقيب عند الكثير من العلماء بمعنى الحفيظ، فالطبري يذهب فيه بمعنى الحفظ والإحصاء، ناقلاً قول قتادة والحسن في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الاحزاب: ٥٢] أي حفيظاً[4].

كما أن الزجاج يرى أن «الرقيب هو الحافظ الذي لا يغيب عما حفظه»[5].

وكذا الخطابي يقول فيه: الرقيب: الموكل بحفظ الشيء[6].

وفي المقصد: الرقيب هو العليم الحفيظ[7].

---

(١) التوحيد لابن منده (٢/ ١٢٤)، وانظر: شأن الدعاء للخطابي (ص٧١، ٧٢)، المنهاج للحليمي (١/ ٢٠٦)، الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٩٤)، الحجة للأصبهاني (١/ ١٥٤)، الأسنى للقرطبي (١/ ٤٠١)، إيثار الحق لابن الوزير (ص١٧١) توضيح الكافية (ص١٩٠).

(٢) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ٤٠١).

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٤٢٧)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (٥/ ٢٩٧).

(٤) جامع البيان للطبري (٤/ ١٥٢، ١٥٣).

(٥) تفسير أسماء الله للزجاج (ص٥١)

(٦) شأن الدعاء للخطابي (ص٧١، ٧٢).

(٧) المقصد الأسنى للغزالي (ص٧٤).

وينقل القرطبي عن الحصّار قوله: الرقيب المراعي أحوال المرقوب الحافظ له جملة وتفصيلاً، المحصي لجميع أحواله[1].

ونجد أن الإمام ابن القيم قد جمع صفات المراقبة كلها في قوله: (والمراقبة) هي التعبد باسمه الرقيب الحفيظ العليم السميع البصير، فمن عقل هذه الأسماء وتعبد بمقتضاها: حصلت له المراقبة[2].

وقال في النونية:

وهو الرقيبُ على الخواطِرِ واللوا حظِ كيفَ بالأفعالِ بالأركانِ[3]

ويشرح ابن سعدي هذا البيت فيقول فيه: الرقيب والشهيد مترادفان، وكلاهما يدل على إحاطة سمع الله بجميع المسموعات، وبصرِهِ بجميع المبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجليلة والخفية، ولهذا قال المصنف: وهو الرقيب على الخواطر، أي يعلم ما يخطر في القلوب من الأفكار والوساوس التي لم يتكلم بها العبد وعلى اللواحظ بالأبصار، اللواحظ الخفية والجلية، فإذا كان رقيباً على الخواطر واللحظات فكيف لا يكون رقيباً على ما هو أظهر منها من الأفعال بالأركان والحركات. قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾[4] [الأحزاب: ٥٢].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن إذا علم اتصافه تعالى بالحفظ والمراقبة كان مقتضاها التعبد لله باسمه «الرقيب»، فإذا علم المؤمن أن حركاته الظاهرة والباطنة قد أحاط الله بعلمها، واستحضر لهذا العلم في جميع أحواله أوجب له ذلك حراسة باطنه عن كل فكر وهاجس يبغضه وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط الله، وتعبد بمقام الإحسان فعبد الله كأنَّه يراه فإن لم يكن يراه فإنَّه تعالى يراه. قال تعالى منبهاً على هذا المعنى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ

(١) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ٤٠٤).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٦٩). (٣) النونية (ص١٤٤).
(٤) التوضيح المبين لابن سعدي (ص٩١، ٩٢).

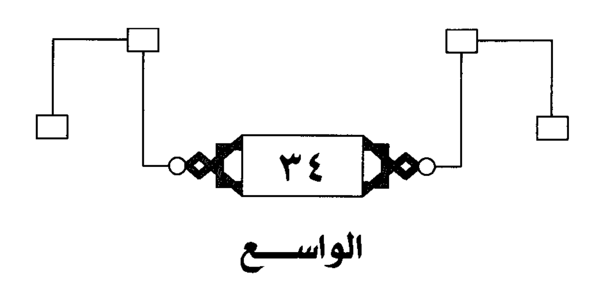
﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٧ ـ ٢٢٠][1].

قال الإمام ابن القيم: «المراقبة» دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق ﷻ على ظاهره وباطنه، فاستدامته لهذا العلم واليقين: هي «المراقبة» وهي ثمرة علمه بأنَّ الله سبحانه رقيب عليه ناظر إليه سامع لقوله، وهو مطلع على عمله كل وقت وكل لحظة وكل نفس وكل طرفة عين.

ومن ثمار المراقبة دوام ملاحظة المقصود، أي دوام حضور القلب معه وتعظيمه والذهول بعظمته عن غيره فإنَّه يورث فرحة ولذةً وسروراً، فإنَّ سرور القلب بالله وفرحه به وقرة العين به لا يشبهه شيء من نعيم الدنيا البتة وليس له نظير يقاس به، وهو حال من أحوال أهل الجنة، حتى قال بعض العارفين: إنَّه لتمرّ بي أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنَّهم لفي عيش طيب. ولا ريب أنَّ هذا السرور يبعثه على دوام السير إلى الله ﷻ وبذل الجهد في طلبه وابتغاء مرضاته، ومن لم يجد هذا السرور ولا شيئاً منه، فليتهم إيمانه وأعماله فإنَّ للإيمان حلاوة، من لم يذقها فليرجع وليقتبس نوراً يجد به حلاوة الإيمان[2]. ومن ثمار مراقبة المؤمن نفسه العلم بما له مع ربه وبذلك يكون قد علم مواقع الصواب من نفسه من مواقع الخطأ، وقد كان السلف رضوان الله عليهم يراقبون أنفسهم مراقبة دقيقة حتى إنَّ أحدهم يعرف رضا الله عليه من سخطه، فيقول قائلهم: إنِّي لأرى ذلك في خلق المرأة والدابة، لأنَّ المرأة تكون أخلاقها غير محمودة معه وتتعسر عليه دابته حتى يراجع نفسه ويعالج ذنوبه التي أصابها، ومن هنا كان لزاماً على المؤمن أن يرعى هذا الأمر حق رعايته، ويعلم أنَّ مراقبته في المعصية تكون بالتوبة والندم والإقلاع، ومراقبته في المباح تكون بمراعاة الأدب والشكر على النعم فإنَّه لا يخلو من نعمة لا بد له من الشكر عليها، وكل ذلك لا يخلو من المراقبة قبل العمل وأثناء العمل وبعده لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

---

(١) انظر: التوضيح المبين لابن سعدي (ص٩١، ٩٢).
(٢) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٦٧ ـ ٧٥).



الواســـع

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأنعام: ٨٠].

ومن السنة: حديث أبي هريرة ﷺ: «إن أول الناس يقضي يوم القيامة... ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال...»[2].

والوسع في اللغة: تدل على خلاف الضيق والعسر، مثال: وسع الشيء واتسع، والوسع: الغنى، والوُسع: الجدة والطاقة، وأوسع الرجل إذا كان ذا سعة، والسعة: الغنى والرفاهية[3].

وأصل السعة: كثرة أجزاء الشيء يقال: إناءٌ واسع، وبيت واسع، ثم استعمل في الغنى[4].

وفي الشرع نجد: أن عبارات العلماء حول معنى هذا الاسم الكريم متقاربة ومتفقة في عمومها، فالطبري يقول في قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧]: يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجود والتدبير[5].

---

(١) التوحيد لابن منده (٢/ ١٨٧)، وانظر: شأن الدعاء للخطابي (ص٧٢)، المنهاج للحليمي (١/ ١٩٨)، الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١١٥)، إيثار الحق لابن الوزير (ص١٧١)، فتح الرحيم لابن سعدي (ص٥٥)، القواعد المثلى لابن عثيمين (ص٤١)، له الأسماء الحسنى للشرباصي (١/ ٢٤٦).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣/ ٤٣)، برقم (١٩٠٥)، كتاب الإمارة.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ١٠٩)، وانظر: الصحاح للجوهري (٣/ ١٢٩٨).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٥٠).

(٥) جامع البيان للطبري (١/ ٤٠٣).

وينقل ابن الأنباري من أهل اللغة قول أبي عبيدة أن الواسع معناه في كلامهم: الكثير العطايا الذي يسع لما يسأل ﷻ[1].

ويذهب الخطابي في معنى الواسع إلى الغني الذي وسع غناه مفاقر عباده ووسع رزقه جميع خلقه[2].

وينعم الغزالي في معنى هذا الاسم فيقول: الواسع المطلق هو الله تعالى لأنه إن نظر إلى علمه فلا ساحل لبحر معلوماته بل تنفذ البحار ولو كانت مداداً لكلماته، وإن نظر إلى إحسانه ونعمه فلا نهاية لمقدوراته، وكل سعة وإن عظمت فتنتهي إلى طرف فهو أحق باسم السعة والله تعالى هو الواسع المطلق، لأن كل واسع بالإضافة إلى ما هو أوسع منه ضيق[3].

ويشير الإمام ابن القيم إلى هذا المعنى عند بيانه لقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥] حيث يقول: وذلك إنَّ الآية لا تعرض فيها للقبلة ولا لحكم الاستقبال بل سياقها لمعنى آخر، وهو بيان عظمة الرب تعالى وسعته، وأنه أكبر من كل شيء وأعظم منه وأنه محيط بالعالم العلوي والسفلي. وقال في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [البقرة: ١١٦] إلى قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾: فهذا السياق لا تَعَرُّضَ فيه للقبلة ولا سيق الكلام لأجلها وإنما سيق لذكر عظمة الرب وبيان سعة علمه وملكه وحلمه[4].

وقال في النونية:

كَلِمَاتُه جَلّتْ عنِ الإحصاءِ	والتَعدادِ بل عن حصر ذِي الحُسبانِ
لو أنَّ أشجارَ البلادِ جميعُها	الأقلامُ تكتبُها بِكُلِّ بَنَانِ
والبحرُ تَلقى فيه سبعةُ أبحرٍ	لكتابةِ الكلماتِ كل زمانَ
نفدَتْ ولم تنفذْ بِها كلماتُه	ليس الكلامَ من الإلٰهِ بفانِ[5]

---

(١) الزاهر للأنباري (١/ ٩٤)، وانظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٥٥).
(٢) شأن الدعاء للخطابي (ص٧٢). (٣) المقصد الأسنى للغزالي (ص١٠٦).
(٤) مختصر الصواعق للموصلي (ص٣٤٠، ٣٤١).
(٥) النونية (ص١٤٢).

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

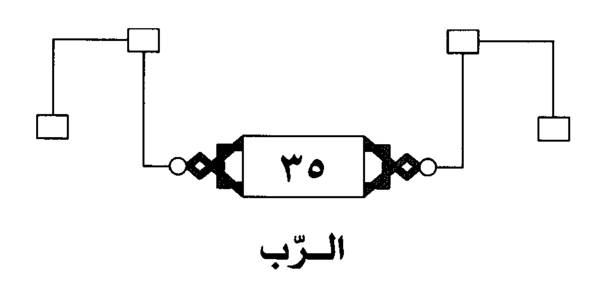
أنَّ المؤمن عندما يدرك اتصافُه تعالى بالوسع في علمه وحلمه وحكمته ورحمته وجوده وفضله وإحسانه وبره فلا ريب أنَّه يطمع في هذا الفضل العظيم، فمن سعته جلّ وعلا مغفرته لذنوب المذنبين وقبوله التائبين مهما بلغت ذنوبهم وخطاياهم. قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]، وعن سعة رحمته وعلمه قالت الملائكة عنه تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧] ومن سعته وفضله: مضاعفته لأعمال الطاعات الواحدة بعشر إلى سبعمائة إلى أضعاف كثيرة بغير عدد ولا حساب. ومن سعته: ما احتوت عليه دار النعيم من الخيرات والمسرات والأفراح والخيرات المتتابعات، مما لا عين رأت ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فخير الدنيا والآخرة وألطافها من فضله وسعته، وجميع الأسباب والطرق المفضية إلى الراحات والخيرات كلٌّ من فضله وسعته[1].

ومن مقتضى الإيمان بهذا الاسم التعبد لله بمقتضاه، قال الإمام ابن القيم: وباب هذه المعرفة والتعبد هو معرفة إحاطة الرب سبحانه بالعالم وعظمته، وأن العوالم كلها في قبضته وأن السماوات السبع والأرضين السبع في يده كخردلة في يد العبد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [البروج: ٢٠]، ولهذا يقرن سبحانه بين هذين الاسمين الدالين على هذين المعنيين: اسم العلو الدال على أنَّه الظاهر وأنَّه لا شيء فوقه، واسم العظمة الدال على الإحاطة وأنَّه لا شيء دونه، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥][2].

---

(١) فتح الرحيم الملك العلام لابن سعدي (ص٥٦).

(٢) طريق الهجرتين (ص٢٢).



الـرّب

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عدّه العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. نقل القرطبي عليه الإجماع وقال فيه: إلَّا أنَّه لم يرد في حديث أبي هريرة المفسر من طريق شعيب وورد من طريق عبد العزيز بن الترجمان وغيره[2]. ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمٰن: ١٧].

ومن السنة: حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع؛ فعظّموا فيه الرب عز وجل...»[3].

والرب في اللغة: يطلق على إصلاح الشيء والقيام عليه، يقال: ربَّ فلان ضيعته، إذا قام على إصلاحها، ومصدر الرب: الربوبية، وكل من ملك شيئاً فهو ربه، يقال: هذا رب الدار ورب الضيعة، ولا يقال: الرب مُعَرَّفاً بالألف واللام مطلقاً، إلَّا لله عز وجل لأنَّه مالك كل شيء[4].

أمَّا في الشرع: فنجد أنَّ الإمام ابن القيم يذهب في بيان معنى هذا الاسم الكريم إلى ما ذهب إليه شيخه الإمام ابن تيمية من أن الخلق والتقدير هما

---

(١) التوحيد لابن منده (٢/ ٥٧)، وانظر: شأن الدعاء للخطابي (ص٩٩)، الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٨٤)، الأسنى للقرطبي (١/ ٣٩١)، إيثار الحق لابن الوزير (ص١٧١)، فتح الرحيم لابن سعدي (ص٤٨)، له الأسماء الحسنى للشرباصي (٢/ ٣٢).

(٢) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ٣٩١).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٤/ ٢٦١)، برقم (٤٧٩)، كتاب الصلاة.

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٣٨١)، وانظر: اشتقاق أسماء الله الحسنى للزجاجي (ص٣٢، ٣٣).

الصفتان الغالبتان على معنى اسم الرب تبارك وتعالى، وذلك أنَّ الخلق والتقدير من أخص صفات الربوبية التي وصف الله بها نفسه في آيات كثيرة من القرآن الكريم[1]. وفيما ذهب إليه الإمام ابن جرير الطبري[2] وأبو بكر الأنباري[3] وجاهة في تعدد المعنى وتلازمه وشموله في كون الرب الملك، السيد المصلح، وهي أيضاً لا تخرج عن خصائص ربوبيته تعالى.

ويجمع هذه المعاني قول الإمام ابن القيم: فاسم الرب له الجمع الجامع لجميع المخلوقات فهو رب كل شيء وخالقه والقادر عليه ولا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السماوات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره[4].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

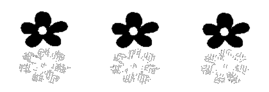
أَن الله تبارك وتعالى متصفٌ بالربوبية المطلقة وكل من في السماوات والأرض في مملكته وتحت قدرته وإرادته، والمؤمن الموقن بهذا عن علم ومعرفة، يدرك أنَّ الله تعالى هو ربُّ كل شيء ومليكه فلا خالق ولا رازق، ولاَ معطي ولا مانع، ولا مميت ولا محيي، ولا مدبر لأمر المملكة ـ ظاهراً وباطناً ـ غيره، فما شاءَ كان وما لم يشاء لم يكن، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجري حادث إلا بمشيئته، ولا تسقط ورقة إلَّا بعلمه ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا أحصاها علمه وأحاطت بها قدرته، ونفذت بها مشيئته واقتضتها حكمته[5].

ومن مقتضى الإيمان بربوبيته تعالى أن تكون عبادة المؤمن بأنواعها كلها لله فهو المستحق لذلك وحده، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].

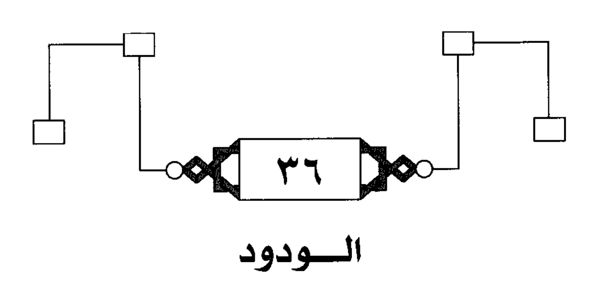
---

(١) مجموع فتاوى الإمام ابن تيمية (١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٦).
(٢) جامع البيان للطبري (١/ ٤٨).
(٣) الزاهر للأنباري (١/ ٩٠)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (٥/ ٩٥).
(٤) مدارج السالكين (١/ ٣٤، ٣٥).
(٥) مدارج السالكين (٣/ ٥١٠). بتصرف.

قال الإمام ابن القيم: فاسم الرب له الجمع الجامع لجميع المخلوقات فهو رب كل شيء وخالقه، والقادر عليه لا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السماوات والأرض عبد له في قبضته، وتحت قهره فاجتمعوا بصفة الربوبية، وافترقوا بصفة الإلهية، فألّهه وحده السعداء وأقروا له طوعاً بأنَّه الله الذي لا إله إلا هو، الذي لا تنبغي العبادة والتوكل والرجاء والخوف والحب والإنابة والاخبات والخشية والتذلل والخضوع إلا له. وهنا افترق الناس، وصاروا فريقين: فريقاً مشركين في السعير، وفريقاً موحدين في الجنة فالإلهية هي التي فرّقتهم، كما أن الربوبية هي التي جمعتهم[1].



(١) مدارج السالكين (١/ ٣٤، ٣٥).



الــودود

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب العزيز، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[١]. نقل القرطبي عليه الإجماع[٢]. وهو من أبنية المبالغة، فعول بمعنى فاعل، ويجوز أن يكون فعولاً بمعنى مفعول[٣].

ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤].

والود في اللغة: المحبة، تقول: وددته إذا أحببته[٤].

قال ابن الأنباري: والودود في أسماء الله ﷻ: المحب لعباده، من قولهم: وددت الرجل وُدّاً ووِداداً ووَداً[٥].

ونقل ابن العربي اتفاق أهل اللغة على أنَّ المودة هي المحبة[٦].

وجمع بين المعنيين الراغب فقال: الودّ محبة الشيء وتمني كونه، ويستعمل في كل واحد من المعنيين على أن التمني يتضمن الود لأنَّ التمني هو تشهي حصول ما تودُّه[٧].

وفي الشرع: نجد أن العلماء يختلفون في معنى الودود: فمنهم من يرى أنه فعول بمعنى فاعل، ومنهم من يجمع بين القولين فيرى أنه فعول بمعنى فاعل وأنه فعول بمعنى مفعول.

---

(١) ورد ذكره عند الجميع باستثناء الأصبهاني في الحجة.
(٢) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ٤٢٣).
(٣) تفسير الأسماء الحسنى للزجاج (ص٥٣).
(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/ ٧٥).
(٥) الزاهر لابن الأنباري (١/ ٧٨).
(٦) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ٤٢٥).
(٧) المفردات للراغب (ص٥١٦).

فالإمام الطبري يرى أنه فعول بمعنى فاعل فيقول: ودود ذو محبة لمن أناب إليه يوده ويحبه، وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤] وهو ذو المغفرة لمن تاب إليه من ذنوبه، وذو المحبة له[١]. وكذلك الحليمي يرى أنه الواد لأهل طاعته[٢].

وإلى هذا القول ذهب ابن منده حيث قال: الودود هو: الحب الشديد لأوليائه[٣]. وقد جمع بين القولين الزجاج فقال: الودود يجوز أن يكون فعولاً بمعنى فاعل، ويجوز أن يكون فعولاً بمعنى مفعول[٤].

ونلاحظ أن الإمام ابن القيم قد حكى القولين بشيء من التأصيل لهذه الأقوال، ونقل قول البخاري في تفسير هذا الاسم، كما أنه رجح القول الأول في معنى الودود فقال: وأما الودود ففيه قولان: **أحدهما**: أنه بمعنى فاعل، وهو الذي يحب أنبياءَهُ ورسله، وأولياءه وعباده المؤمنين.

والثاني: أنه بمعنى مودود، وهو المحبوب الذي يستحق أن يُحب الحب كله وأن يكون أحب إلى العبد من سمعه وبصره ونفسه وجميع محبوباته[٥].

ونجده يؤصل لهذا المعنى متناولاً لفظة المودة بتحليل لفظها وتجريده فيقول: الودود من صفات الله ﷻ أصله من المودَّة، واختلف فيه على قولين فقيل: هو ودود بمعنى واد كضروب بمعنى ضارب وقتول بمعنى قاتل ونؤوم بمعنى نائم، ويشهد لهذا القول أنَّ فعولاً في صفات الله ﷻ فاعل كغفور بمعنى غافر، وشكور بمعنى شاكر، وصبور بمعنى صابر.

وقيل: بل هو بمعنى مودود وهو الحبيب وبذلك فسره البخاري في صحيحه فقال: الودود الحبيب، والأول أظهر لاقترانه بالغفور في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]، وبالرحيم في قوله: ﴿إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠][٦].

---

(١) جامع البيان للطبري (١٢/ ٥٢٩).
(٢) المنهاج للحليمي (١/ ٢٦٠).
(٣) التوحيد لابن منده (٢/ ١٩٢).
(٤) تفسير أسماء الله للزجاج (ص٥٢).
(٥) جلاء الأفهام (ص٤٤٧).
(٦) روضة المحبين (ص٦٢، ٦٣).

والظاهر من كلام شيخنا ابن القيم في النونية أنه يعتمد القولين جميعاً في معنى الودود وإن كان يُرَجِّح المعنى الأول فيقول في النونية:

وهو الودودُ يحبهُم ويحبهُ ... أحبَابُه والفضلُ للمنَّانِ

وهو الذي جعل المحبةَ في قلوبهمُ ... وجازاهُمْ بحبٍ ثانِ

هذا هو الإحسانُ حقاً لا مُعا ... وضةً ولا لتوقعِ الشكرانِ

لَكن يُحِبُّ شُكورَهُم وشُكورُهم ... لا لاحتياجٍ منه للشكرانِ[1]

ويشرح ابن سعدي هذه الأبيات فيقول: فهو الودود الذي يود عباده المؤمنين وأولياءهُ الصالحين، وهو المودود لأوليائه وعباده المتقين[2].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أنَّ المؤمن عندما يدرك أنَّ الله تعالى من أسمائه الحسنى الودود، وصفته الود فإنه يشتغل بمحبته والشوق إليه لذةً ومُناجاةً فالمحبة شجرةٌ في القلب عروقها الذل للمحبوب، وساقها معرفته وأغصانُها خشيته، وورقُها الحياء منه، وثمرتها طاعته، ومادتها التي تسقيها ذكره، فمتى خلا الحب عن شيء من ذلك كان ناقصاً. فمن ظهر له اسم الودود ـ مثلاً ـ وكشف له عن معاني هذا الاسم، ولطفه وتعلقه بظاهر العبد وباطنه: كان الحاصل له من حضرة هذا الاسم مناسباً له. فكان حال اشتغال حب وشوق ولذة مناجاة، لا أحلى منها، ولا أطيب، بحسب استغراقه في شهود معنى هذا الاسم، وحظه من أثره فإن الودود ـ وإن كان بمعنى المودود، كما قال البخاري في صحيحه: «الودود» الحبيب ـ واستغرق العبد في مطالعة صفات الكمال التي تدعو إلى حب الموصوف بها: أثمر له صفاء علمه بها، وصفاء حاله في تعبده بمقتضاها فإنَّه إذا شاهد بقلبه غنياً كريماً جواداً، عزيزاً، قادراً، كل أحد محتاج إليه بالذات وهو غنيٌّ بالذات عن كل ما سواه وهو ـ مع ذلك ـ يودُّ عباده ويحبهم، ويتودد

---

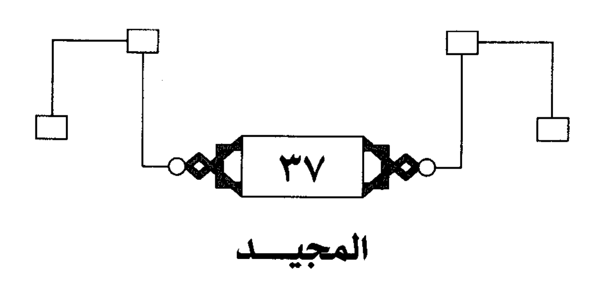
(١) النونية (ص١٤٤).

(٢) التوضيح لابن سعدي (ص١٠٧).

إليهم بإحسانه إليهم وتفضله عليهم كان له من هذا الشهود حالة صافية خالصة من الشوائب. وكذلك سائر الأسماء والصفات فصفاء الحال بحسب صفاء المعرفة بها وخلوصها من دم التعطيل، وفرث التمثيل، فتخرج المعرفة من بين ذلك فِطْرةً خالصة سائغة للعارفين، كما يخرج اللبن من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين[1].



(١) مدارج السالكين (٣/١٥٦).



المجيـــد

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عدَّه العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٤، ١٥]، وقوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣].

ومن السنة: قوله ﷺ: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد»[2].

وأصل المجد في اللغة: السعة، يُقال: رجل ماجدٌ إذا كان سخياً واسع العطاء، وفي بعض الأمثال: «في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار»[3] أي: استكثر منها، وقيل في تفسير قوله ﷻ: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق: ١] أي معناه الكريم[4].

وقال الراغب: المجد: السعة في الكرم والجلال[5].

وفي الشرع: نجد أن العلماء لا يختلفون في أن معنى المجيد ذو مجد ومدح وثناء كريم كما ذكر الطبري[6]، وهو الواسع الكرم كما أفاد الخطابي[7].

وقال الشوكاني فيه: مجيد كثير الإحسان إلى عباده بما يفيض عليهم من الخيرات[8].

---

(١) ورد ذكر هذا الاسم عند الجميع بلا استثناء.
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٨/ ٦٨٢)، برقم (٤٧٩٧)، كتاب التفسير من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه.
(٣) المستقصى للزمخشري (٢/ ١٨٣).
(٤) شأن الدعاء للخطابي (ص٧٤، ٧٥).
(٥) المفردات للراغب (ص٤٦٣).
(٦) جامع البيان للطبري (٧/ ٧٥).
(٧) شأن الدعاء للخطابي (ص٧٥).
(٨) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥١١)..

وفي المقصد قال الغزالي: المجيد هو الشريف ذاته الجميل أفعاله الجزيل عطاؤه ونواله[1]. وقد وافق الإمام ابن القيم جمهور العلماء من أهل اللغة والتفسير في معنى هذا الاسم الكريم، وذهب إلى أن المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال، ولفظه يدل على هذا فإنه موضوع للسعة والكثرة والزيادة فمنه: استمجد المرخ والعفار، وأمجد الناقة علفاً، ومنه ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البروج: ١٥] صفة للعرش لسعته وعظمته وشرفه[2].

وفي جلاء الأفهام نجده يشير إلى توافق معنيي المجيد لغة وشرعاً حيث قال: «وأما المجيد فهو مستلزم للعظمة والسعة والجلال كما يدل على موضوعه في اللغة»[3].

وقال في النونية:

وهو المجيدُ صفاتهُ أوصافُ تعظيمٍ فشأنُ الوصفِ أعظمُ شأنِ[4]

ويشرح ابن سعدي هذا البيت فيقول: يعني أن معنى اسمه «المجيد» أنه عظيم الصفات وواسعها فكل وصف من أوصافه فشأنه عظيم، فهو العليم الكامل في علمه، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه[5].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن عندما يدرك أَنَّ الله تعالى متصفٌ بالمجد والسعة والعظمة والكبرياء فإنه يسعى حثيثاً لتعظيمه تعالى وتمجيده بكل وسيلة مشروعة ممكنة لينال بها رضوان الله تعالى عليه، فالله تعالى قد مجّد نفسه في كتابه الكريم في آيات كثيرة، وكذا ما جاء في السنة المَطهرة، ومن أعظم ما يعظم به المؤمن ربه ويمجده تلاوته كتابه آناء الليل وأطراف النهار، فإنَّه لا أحد يحصي ثناءً عليه بل هو كما أثنى على نفسه. ففي الحديث القدسي قال الله تعالى: «قسمت الصلاة

---

(١) المقصد الأسنى للغزالي (ص١١٠).
(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٧٦).
(٣) جلاء الأفهام (ص٤٤٩).
(٤) النونية (ص١٤١).
(٥) التوضيح المبين لابن سعدي (ص٤٢).

بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين قال: مجدني عبدي....»[(١)].

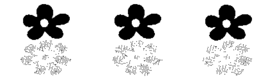
ومن الناس من يرى المجد في المُلك والجاه والمنصب والمال، ومن الناس من يرى المجد في الإسلام والطاعة والتقوى وهذا حق لا مرية فيه كما قال الشاعر:

أبـي الإسـلامَ لا أب لـي سـواهُ ... إذا هـتـفـوا بـبـكـر أو تـمـيـم
دعـيّ الـقـومَ يـنـصـرُ مـدعـيـهِ ... فَيُلْحِقُهُ بذي النسبِ الصميم
ومـا كـرمٌ ولـو شَـرُفَـتْ جـدودُ ... ولـكـنَّ الـتـقـيَّ هُـو الـكـريـمُ[(٢)]

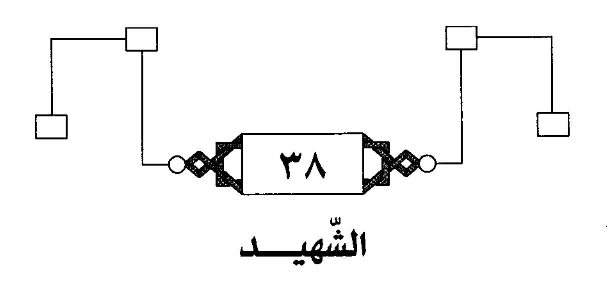
ولا ريب أنَّ هذا الأخير هو الطريق إلى الجنة وهو الغاية والمقصد؛ لأنَّ المؤمن لا يشبع من الخير حتى يكون منتهاه الجنة، ويقول في ذلك النابغة على محضرٍ من رسول الله ﷺ:

بلغنا السماء مجداً وجوداً وسؤدداً ... وإنَّـا لـنـرجـو فـوق ذلـك مـظـهـرا

قال النبي ﷺ: إلى أين يا أبا ليلى؟ قال: إلى الجنة يا رسول الله قال: نعم إن شاء الله[(٣)(٤)].



(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٤/ ١٣٤) برقم (٣٩٥)، كتاب الصلاة، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) الشعراء والشعراء لابن قتيبة (١/ ٥٣٧).
(٣) مجمع الزوائد للهيثمي (٨/ ١٢٦).
(٤) جمهرة شعراء العرب للقرشي (١/ ١٥٢، ١٥٣).



الشّهيـــد

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عدَّه العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. والشهيد مبالغة في الشاهد. ودليله من الكتاب: قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩].

ومن السنة: حديث حجة الوداع، وفيه: «... اللهم اشهد، فليبلّغ الشاهد الغائب...»[2].

وشهد في اللغة: تدور على حضور وعِلم وإعلام[3].

والشاهد: العليم الذي يبين ما علمه[4].

وفي الشرع: نجد أن العلماء يذهبون في معنى الشهادة إلى العلم، وفي هذا المعنى قال الزجاجي: فالله ﷻ لما كانت الأشياء لا تخفى عليه، كان شهيداً لها، وشاهداً لها، أي عالماً بها وبحقائقها علم المشاهدة لها، لأنه لا تخفى عليه خافية[5].

وقال الخطابي: ويكون الشهيد بمعنى: العليم كقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] قيل معناه: عَلم الله[6].

---

(١) التوحيد لابن منده (٢/ ١٤١)، وانظر: شأن الدعاء للخطابي (ص٧٥)، الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٢٦)، الحجة للأصبهاني (١/ ١٦٠)، توضيح الكافية لابن سعدي (ص١٩٠)، له الأسماء الحسنى للشرباصي (١/ ٢٧١).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٣/ ٣٢)، برقم (٧٠٧٨)، كتاب الفتن، وانظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١١/ ٢٤١)، برقم (١٦٧٩) عن أبي بكرة رضي الله عنه.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٢٢١).

(٤) لسان العرب لابن منظور (٤/ ٢٣٤).

(٥) اشتقاق أسماء الله للزجاجي (ص١٣٢).

(٦) شأن الدعاء للخطابي (ص٧٥، ٧٦).

ويقرر الغزالي هذا المعنى أيضاً فيقول: الشهيد: يرجع معناه إلى العليم، مع خصوص إضافة فإنه تعالى عالم الغيب والشهادة، والغيب عبارة عما بطن والشهادة عما ظهر، وهو الذي يشاهد. فإذا اعتبر العلم مطلقاً فهو العليم[1].

وإلى هذا المعنى نجد الإمام ابن القيم قد أشار إليه عند بيانه لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] أن الله تعالى شهد لرسوله بقوله: إن ما جاء به حق، ووعده أن يُري العباد آياته الفعلية الخلقية ما يشهد بذلك أيضاً. ثم ذكر ما هو أعظم من ذلك وأجلّ وهو شهادته سبحانه على كل شيء، فإن من أسمائه «الشهيد» الذي لا يغيب عنه شيء ولا يعزب عنه بل هو مطلع عل كل شيء شاهد له عليم بتفاصيله.. ومن كماله المقدس إطلاقه على كل شيء وشهادته عليه بحيث لا يغيب عنه وجه من وجوه تفاصيله، ولا ذرة من ذراته باطناً وظاهراً[2].

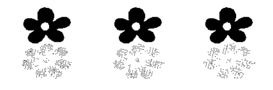
ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن متى ما استشعر أن الله تعالى متصفٌ بالعلم والمشاهدة فلا ريب أن هذا يحدث له حالة من المراقبة لله تعالى الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة، فالسر عنده علانية والغيب عنده شهادة. قال الإمام ابن القيم ـ في المدارج ـ: «ومن ثمار الإيمان بهذا الاسم الكريم شهادته تبارك وتعالى بما أودعه في قلوب عباده من التصديق الجازم واليقين الثابت، والطمأنينة بكلامه ووحيه، فإنَّ العادة تحيل حصول ذلك بما هو أعظم الكذب والافتراء على رب العالمين، والإخبار عنه وتدفعه الفطر والعقول السليمة، كما تدفع الفطر التي عليها الحيوان الأغذية الخبيثة الضارة التي لا تغذي، كالأبوال والأنتان، فإنَّ الله سبحانه فطر القلوب على قبول الحق والانقياد له والطمأنينة، والسكون إليه، ومحبته، وفطرها على بغض الكذب والباطل والنفور عنه، والريبة به، وعدم السكون إليه، ولو بقيت الفطر على حالها لما آثرت على الحق سواه، ولما

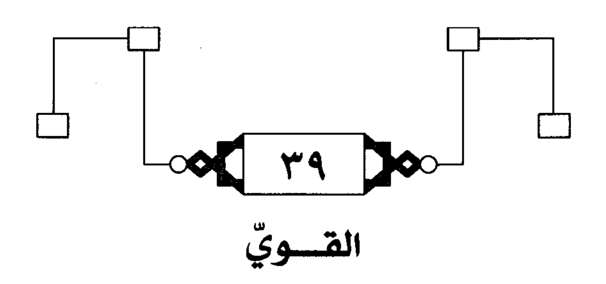
(١) المقصد الأسنى للغزالي (ص١١٢).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٤٨٥).

سكنت إلا إليه، ولا اطمأنت إلَّا به ولا أَحبَّتْ غيره، ولهذا ندب الله ﷻ عباده إلى تدبر القرآن فإن كل من تدبره أوجب له تدبيره علماً ضرورياً، ويقيناً جازماً أنَّه حق وصدق بل أحق كل حق، وأصدق كل صدق، وأنَّ الذي جاء به أصدق خلق الله وأَبَرُّهم وأكملهم علماً وعملاً ومعرفة، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] فلو رفعت الأقفال عن القلوب لباشرتها حقائق القرآن، واستنارت فيها مصابيح الإيمان، وعلمت علماً ضرورياً يكون عندها كسائر الأمور الوجدانية: من الفرح والألم، والحب والخوف، فهذا الشاهد في القلب من أعظم الشواهد[١].



(١) مدارج السالكين (٣/٤٨٩، ٤٩٠).



القــويّ

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب العزيز، معدود ضمن جمع العلماء للأسماء الحسنى[1]. ودليله من الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

والقوة في اللغة: الشدة وخلاف الضعف، والقوة: الجد والعون من الله تعالى.

ويقال: قوي على الشيء إذا أطاقه وقدر عليه[2].

وفي الشرع: ما يدل على معناه في اللغة ويؤيده ما ذهب إليه العلماء في معنى القوي لدلالته على أمرين هما كمال قدرته على الأشياء وقوته، ويتضح هذا المعنى جلياً في كلام الزجاج حيث يقول: القوي: هو الكامل القدرة على الشيء، تقول: هو قادر على حمله، فإذا زدته وصفاً قلت: هو قوي على حمله، وقد وصف نفسه بالقوة فقال أعز قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨][3].

ويقول الخطابي: القوي قد يكون بمعنى: القادر، ومن قوي على شيء فقد قدر عليه ويكون معناه: التام القوي الذي لا يستولي عليه العجز في حال من الأحوال[4].

---

(١) شأن الدعاء للخطابي (ص٧٧)، وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١١٧) إيثار الحق لابن الوزير (ص١٧١)، توضيح الكافية لابن سعدي (ص١٨٤)، له الأسماء الحسنى للشرباصي (١/ ٢٩١).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٣٦)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (١١/ ٣٦٥).

(٣) تفسير أسماء الله للزجاج (ص٥٤).

(٤) شأن الدعاء للخطابي (ص٧٧).

وقال ابن سعدي: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ أي الذي له القوة والقدرة كلها الذي أوجد بها الأجرام العظيمة السفلية والعلوية، وبها تصرّف في الظواهر والبواطن ونفذت مشيئته[1].

ونلاحظ أنَّ الإمام ابن القيم قد أشار إلى هذا المعنى بعينه فقال في بيانه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]: فعلم أن القوي من أسمائه ومعناه: الموصوف بالقوة، وكذلك قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، فالعزيز من له العزة فلولا ثبوت القوة والعزة له لم يسم قوياً عزيزاً[2].

وقال في النونية:

وَهُوَ القويُ له القُوَى جمعاً تَعـ ـالَى اللهُ ذُو الأَكوانِ والسُّلطانِ[3]

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أنَّ المؤمن عندما يعلم أن من أوصافه تعالى القوة والقدرة على كل شيء فإنَّه يدرك تماماً أنه لا قوة له على طاعة الله تعالى إلَّا بتوفيقه وقوته وعونه، وأنَّه لا حول له على اجتناب المعاصي ودفع الشرور عن نفسه إلَّا بعون من الله، ويدل على هذا قوله ﷺ: «يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمات هي من كنوز الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله»[4]. قال النووي: قال العلماء: سبب ذلك أنَّها كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى، واعتراف بالإذعان له، وأنَّه لا صانع غيره ولا راد لأمره وأنَّ العبد لا يملك شيئاً من الأمر، ثم قال: قال أهل اللغة: (الحول) الحركة والحيلة أي: لا حركة ولا استطاعة ولا حيلة إلَّا بمشيئة الله تعالى، وقيل معناه: لا حول في دفع شر ولا قوة في تحصيل خير إلَّا الله. وقيل: لا حول عن معصية الله إلا بعصمته، ولا قوة على طاعته إلَّا بمعونته، وحكي هذا عن ابن مسعود رضي الله عنه، وكله متقارب[5].

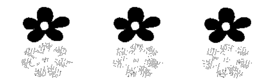
---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٨/ ٣٦).
(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٧). (٣) النونية (ص١٤٢).
(٤) مسند الإمام أحمد (ص١٤٤٨) برقم (١٩٩٩٣).
(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ٤٤).

وكما قيل:

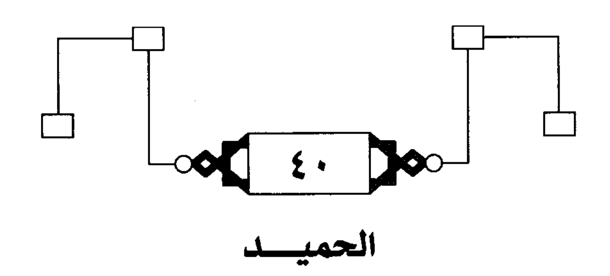
إذا لـم يكـن عـونٌ من الله للفتى   فأكثر ما يجني عليه اجتهادُه[1]

قال الإمام ابن القيم: ولو اجتمعت قوى الخلائق على شخص واحد منهم ثم أعطي كل واحد منهم مثل تلك القوة لكانت نسبتها إلى قوته سبحانه دون نسبة قوة البعوضة إلى حملة العرش، ولو كان جودهم على جود رجل وَاحد، وكل الخلائق على ذلك الجود لكانت نسبته إلى جوده دون نسبة قطرة إلى البحر، وكذلك علم الخلائق إذا نسب إلى علمه كان كنقرة عصفور من البحر، وكذلك سائر صفاته كحياته وسمعه وبصره وإرادته[2].



(١) ديوان علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ (ص٥٦).

(٢) شفاء العليل (ص٢٢٨).



الحميـــد

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى(١). ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وقوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

ومن السنة: حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه في التشهد: «... قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد»(٢).

والحمد في اللغة: خلاف الذم، يقال: حمدت فلاناً أحمده، ورجل محمود ومحمد، إذا كثرت خصاله غير المذمومة(٣). من أبنية المبالغة على وزن فعيل في معنى مفعول(٤).

وفي الشرع: ما يدل على معناه في اللغة، ونلاحظ أن عبارات العلماء في معناه متحدة ومتوافقة فالإمام الطبري يرى أنَّه محمود عند خلقه بما أولاهم من نعمة، وبسط لهم من فضله(٥)، والزجَّاج يقول: هو المحمود بكل لسان وعلى كل حال(٦).

وابن كثير يقول: المحمود في جميع أفعاله، وأقواله، وشرعه، وقدره(٧).

---

(١) ورد ذكره عند الجميع باستثناء طرق عبد الملك بن محمد الصنعاني عند ابن ماجه.
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦/ ٥٠٣)، برقم (٣٣٧٠) كتاب الأنبياء، من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه.
(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ١٠٠).
(٤) تفسير أسماء الله للزجاج (ص٥٥).
(٥) جامع البيان للطبري (٣/ ٨٧).
(٦) تفسير أسماء الله للزجاج (ص٥٥).
(٧) تفسير ابن كثير (١/ ٣٢١).

وكذلك نجد أنَّ الإمام ابن القيم لا يخرج عما قرره العلماء في معنى هذا الاسم المبارك حيث يقول: فالحميد الذي له من الصفات، أسباب الحمد ما يقتضي أن يكون محموداً وإنْ لم يحمد غيره فهو حميد في نفسه، والمحمود: من تعلق به حمد الحامدين، والحمد والمجد إليهما يرجع الكمال كله، فإنَّ الحمد يستلزم الثناء والمحبة للمحمود، فمن أحببته ولم تثن عليه لم تكن حامداً له[1].

كما يشير الإمام ابن القيم إلى أن الحمد له معنيان: أحدهما: أنَّه محمود على كل شيء وبكل ما يحمد به الحمد التام، والمعنى الثاني: أن يقال: لك الحمد كله، أي الحمد التام الكامل، فهذا مختص بالله ليس لغيره فيه شركة، والتحقيق: أنَّه له الحمد بالمعنيين جميعاً، فله عموم الحمد وكماله، وهذا من خصائصه سبحانه فهو المحمود على كل حال وعلى كل شيء أكمل حمد وأعظمه[2].

وقال في النونية:

وهو الحميدُ فكلُ حمدٍ واقعٌ	أو كان مفروضاً مدى الأزمانِ
ملأ الوجودَ جميعَهُ ونظيره مِن	غيرِ ما عدٍّ ولا حسبانِ
هو أهلهُ سبحانهُ وبحمدهِ	كل المحامِدِ وصفَ ذِي الإحسانِ[3]

ويشرح ابن سعدي هذه الأبيات قائلاً: الحميد: الذي له جميع المحامد والمدائح، وهي جميع صفات الكمال فكل صفة من صفاته يحمد عليها، ويحمد على آثارها ومتعلقاتها، فيحمد على كل تدبير دبره ويدبره في الكائنات، ويحمد على توفيقه أوليائه وعلى خذلانه لأعدائه كما يحمد على إثابة الطائعين وعقوبته للعاصين[4].

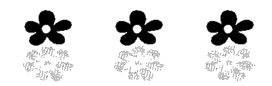
---

(١) جلاء الأفهام (ص٤٤٨).
(٢) طريق الهجرتين (ص١١٢).
(٣) النونية (ص١٤٢).
(٤) فتح الرحيم لابن سعدي (ص٣٠، ٣١).

من آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

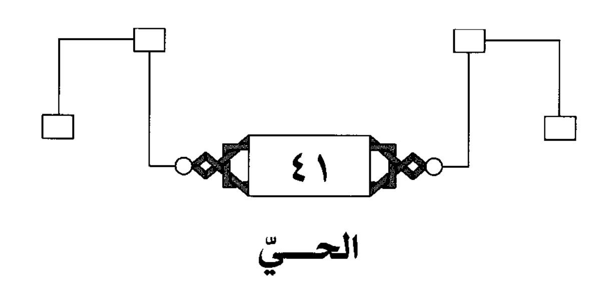
إنَّ المؤمن متى ما عرف أن الله متصفٌ بالحمد فإنَّه يسعى إلى حمده تعالى على كل حال بكل وسيلةٍ ممكنةٍ ومشروعةٍ في السراء والضراء والشدة والرخاء والعسر واليسر وفيما يحب ويكره، فهو الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فله من الأسماء الحسنى أحسنها، ومن الصفات أكملها وأَعلاها، وأنَّ أفعاله تعالى دائرة بين الفضل والعدل، وهو أهل لكل المحامد وليس ذلك لأحد إلا الله تعالى. قال الإمام ابن القيم: وبالجملة فكل صفة عليا واسم حسن وثناء جميل وكل حمد ومدح وتسبيح وتنـزيه وتقديس وجلال وإكرام فهو لله ﷻ على أكمل الوجوه وأتمها وأدومها، وجميع ما يوصف به ويذكر به ويخبر عنه به فهو حمد له وثناء وتسبيح وتقديس، فسبحانه وبحمده لا يحصي أحد من خلقه ثناءً عليه بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثني به عليه خلقه، فله الحمد أولاً وآخراً حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله ورفيع مجده وعلو جده[١].

قال القرطبي: فيجب على كل مكلف أن يعتقد أنَّ الحمد على الإطلاق إنَّما هو لله وأنَّ الألف واللَّام للاستغراق لا للعهد، فهو الذي يستحق جميع المحامد بأسرها، فنحمده على كل نعمة وعلى كل حال بمحامده كلها ما عُلم منها وما لم يُعلم... ثم يجب عليه أن يسعى في خصال الحمد وهي التخلق بالأخلاق الحميدة والأفعال الجميلة[٢].



(١) مدارج السالكين (١/ ٣٥)، وانظر: طريق الهجرتين (ص١٣٠ ـ ١٣٢).

(٢) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ١٩٠).



الحـــيّ

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[(١)]. ودليله من الكتاب قوله تعالـى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

ومن السنة: حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت... أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس (يموتون)»[(٢)].

وهو الاسم الأعظم عند فريق من العلماء ومنهم الإمام ابن القيم وشيخه الإمام ابن تيمية[(٣)].

والحياة في اللغة: ضد الموت، والحي: ضد الميت.

وحيي حياةً، وحيَّ يحيا ويَحيَّ فهو حيٌّ، وللجمع حيَّوا[(٤)].

وذكر ابن الأنباري أن الحي أصله: الحيو: فلما اجتمعت الياء والواو جعلتا ياءً مشددة[(٥)].

أما في الشرع: فنجد أن العلماء يتفقون في معنى هذا الاسم الكريم

---

(١) ورد ذكر هذا الاسم عند الجميع بلا استثناء.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ٦٠)، برقم (٢٧١٧)، كتاب الذكر، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٣) مدارج السالكين (١/ ٤٤٨)، وانظر: مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (١٨/ ٣١١).
(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ١٢٢)، (حيا)، الصحاح للجوهري (٦/ ٢٣٢٣).
(٥) الزاهر للأنباري (١/ ٩١).

«الحي» ويصفونه بالحياة الدائمة الكاملة. فيرى الطبري أَن الحي الذي له الحياة الدائمة، والشيء الذي لا أول له يُحَدّ ولا آخر له يُؤَمد[1]، وكذلك نجد الزجاجي يؤكد على هذا المعنى فيقول: فالحي في كلام العرب خلاف الميت، والحيوان خلاف الموات، فالله ﷻ الحي الباقي، الذي لا يجوز عليه الموت ولا الفناء[2].

وينقل البيهقي قول الخطابي فيه فيقول: فالحياة له صفة قائمة بذاته[3].

ويذهب الزجاج أيضاً في معناه إلى أن الحياة تفيد دوام الوجود، والله تعالى لم يزل موجوداً ولا يزال موجوداً[4].

ونلاحظ من خِلال هذه النصوص أن العلماء لا يختلفون في معنى الحي، وإن تنوعت عباراتهم فيه. كما نجد أن الإمام ابن القيم قد أنعم في بيان معنى هذا الاسم فذهب في البدائع إلى أن هذا الاسم فيه إثبات صفة الحياة، وهي من الصفات الذاتية، فحياته سبحانه أكمل حياة وأتمها، ويستلزم ثبوت كل كمال غناه وقدرته فإنه القائم بنفسه فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه المقيم لغيرِهِ فلا قيام إلا بإقامته، فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال أتم انتظام فكأنَّ المستغيث بهما مستغيث بكل اسم من أسماء الرب تعالى وبكل صفة من صفاته[5].

وقال فيهما في النونية:

هذا ومن أوصافِهِ القيومِ والـ ... ـقيومُ في أوصافِهِ أمرانِ

إحداهُما القيومُ قام بنفسهِ ... والكونُ قام بهِ هُما الأمرانِ

فالأولَ استغناؤُه عن غيرِهِ ... والفقرُ من كلٍ إليه الثانِي

الوصفُ بالقيامِ ذو شأنٍ عظـ ... ـيمٍ هكذا موصوفُه أَيضاً عظيمَ الشأنِ

---

(١) جامع البيان للطبري (٣/ ٤).
(٢) اشتقاق أسماء الله للزجاجي (ص١٠٢).
(٣) الاعتقاد للبيهقي (ص٤٣).
(٤) تفسير أسماء الله للزجاج (ص٥٦).
(٥) بدائع الفوائد (١/ ٤٢٤).

والحيُّ يتلوهُ فأوصافُ الكما ... لِ هُما لأُفقِ سمائِهَا قُطبَانِ
فالحيُ والقيومُ لن تتخلف الـ ... أوصافُ أصلاً عنهُمَا ببيانِ[1]

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أنَّ المؤمن عندما يدرك أنَّ الله تعالى حي بحياة وهي صفة لازمة له تعالى وله جميع معانيها الكاملة من السمع والبصر والقدرة والإرادة وغيرها من الصفات الذاتية الثابتة بالكتاب والسنة، والحي من أسمائه ﷻ، فإنَّه يسلم وجهه له إيماناً به وتوكلاً عليه، ففيه رغبته ورهبته، ومعاذه وملاذه لأنَّه الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون، وحاديه في هذا كله قوله ﷺ: «اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون»[2].

ومن مقتضى الإيمان بهذا الاسم أن يلهج المؤمن به لما له من تأثير عظيم في حياة القلوب. قال الإمام ابن القيم: فذكر الله ﷻ، ومحبته وطاعته والإقبال عليه ضامن لأطيب الحياة في الدنيا والآخرة، والإعراض عنه والغفلة ومعصيته: كفيل بالحياة المنغصة والمعيشة الضنك في الدنيا والآخرة[3].

ومن تجريبات السالكين التي جربوها فألفوها صحيحة: أن من أدمن «يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت» أورثه ذلك حياة القلب والعقل، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ شديد اللهج بها جداً وقال لي يوماً: لهذين الاسمين ـ وهما «الحي القيوم» ـ تأثير عظيم في حياة القلب. وكان يشير إلى أنَّهما الاسم الأعظم، وسمعته يقول: من واظب على أربعين مرة كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر: «يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك استغيث» حصلت له حياة القلب ولم يمت قلبه[4].

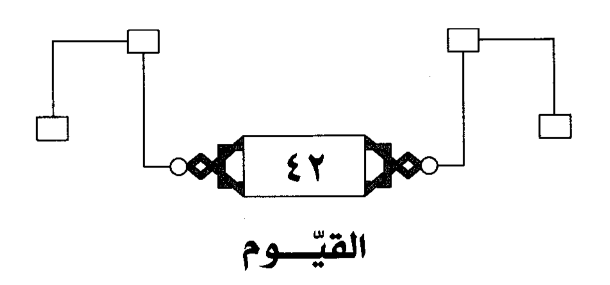
---

(١) النونية (ص١٤٦).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٣/ ٣٨٠، ٣٨١)، برقم (٧٣٨٣)، كتاب التوحيد عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٢٧٠، ٢٧١).

(٤) مدارج السالكين (١/ ٤٨٢).



القيّوم

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1].

من أبنية المبالغة، على وزن فيعول، من: قام يقوم[2].

فيه ثلاث لغات: القيوم والقيّام، والقيّم[3].

ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

ومن السنة: حديث ابن عباس رضي الله عنهما في دعاء النبي ﷺ في تهجده: «... لك الحمد، أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن...»[4]

وفي اللغة: قام قياماً إذا انتصب. ويكون «قيام» بمعنى العزيمة[5].

وقد يجيء بمعنى المحافظة والإصلاح. ويجيء بمعنى الوقوف والثبات[6].

وفي الشرع: نجد أن معنى القيوم متفق عليه بين كثير من العلماء، فالطبري في اختياره يرى أنه القائم بأمر كل شيء في رزقه والدفع عنه وتدبيره وتصرفه في قدرته[7].

---

(١) ورد ذكره عند الجميع بلا استثناء.
(٢) اشتقاق أسماء الله للزجاجي (ص١٠٥) وانظر: شأن الدعاء للخطابي (ص٨٠).
(٣) انظر: الزاهر للأنباري (١/ ٩١).
(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٣/ ٤٥٩)، برقم (٧٣٨٥)، كتاب التوحيد.
(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٤٣).
(٦) لسان العرب لابن منظور (١١/ ٣٥٥).
(٧) جامع البيان للطبري (٣/ ١٦٦).

ويذهب الخطابي في معناه إلى أنه القائم الدائم بلا زوال، ويقال: هو القيم على كل شيء بالرعاية له[1].

وكذلك البيهقي يقول فيه: القيوم: هو القائم الدائم بلا زوال[2]. كما يرى القرطبي أن القيوم من قام بتدبير ما خلق[3]. ونجد أن الإمام ابن القيم يعبر عن معنى هذا الاسم بشيء من التفصيل فيقول: القيوم الذي قام بنفسه فلم يحتج إلى أحد، وقام كل شيء به، فكل ما سواه محتاج إليه بالذات[4]، ويزيد هذا المعنى بياناً فيقول: والله ﷻ له مشهد القيومية الجامع لصفات الأفعال، وأنه قام على كل شيء، وقائم على كل نفس، وأنه تعالى هو القائم بنفسه المقيم لغيره، القائم عليه بتدبيره وربوبيته[5].

ونلاحظ أن الإمام ابن القيم يشير إلى تأكيد المعاني الصحيحة لهذا الاسم مع التنبيه على بعض المفاهيم الخاطئة عند الفلاسفة والمتكلمين فيقول: القيوم: هو الذي قام بنفسه فلم يحتج إلى أحد، وقام كل شيء به فكل ما سواه محتاج إليه بالذات، وليست حاجته إليه معللة بحدوث ـ كما يقول المتكلمون ـ ولا بإمكان، كما يقول الفلاسفة المشاؤون، بل حاجته إليه ذاتية وما بالذات لا يعلل[6].

هذا وقد جمع في النونية معاني هذا الاسم الكريم بأوجز عبارة فقال:

هذا ومن أوصافِهِ القيومُ والقيومُ	في أوصافه أمرانِ
إِحداهُما القيومُ قام بنفسهِ	والكونُ قام به هُما الأمرانُ
فالأولُ استغناؤهُ عن غيرهِ	والفُقْر من كل إليهِ الثاني
الوصفُ بالقيامِ ذو شأنٍ عظيمٍ	هكذا موصوفُه أيضاً عظيمَ الشأنِ[7]

---

(١) شان الدعاء للخطابي (ص٨٠).
(٢) الاعتقاد للبيهقي (ص٧٢).
(٣) جامع الأحكام للقرطبي (٣/ ٢٧١).
(٤) مدارج السالكين (٢/ ١٦٦).
(٥) نفس المصدر (٢/ ١٦٦).
(٦) نفس المصدر (٢/ ١٦٦).
(٧) النونية (ص١٤٦).

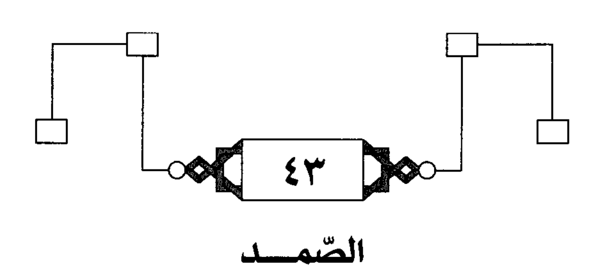
ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أنَّ المؤمن متى أعطى هذا الاسم الكريم حقه من العلم والعمل بمقتضاه فقد استيقن أن الله تعالى قائم بتدبير أمور العباد وأرزاقهم وجميع أحوالهم، كما أن من أعطى هذا الاسم حقه من التعبد به لله تبارك وتعالى فقد توكل على ربه وانقطع رجاؤُه من الخلق إلى الله تعالى، واستغنى عما في أيديهم إلى ما في يدي اللهَ تبارك وتعالى لأَنَّ العباد محتاجون مفتقرون إلى خالقهم في قيامهم وقعودهم وحركاتهم وسكناتهم في دنياهم وأُخراهم وفي حياتهم وبعد مماتهم.

ومن مقتضى الإيمان بهذا الاسم الكريم «القيوم» الدعاءَ به والتعبد لله بمقتضاه «فمن علم عبوديات الأسماء الحسنى والدعاء بها، وسر ارتباطها بالخلق والأمر وبمطالب العبد وحاجاته: عرف ذلك وتحققه»[1].



(١) مدارج السالكين (١/ ٤٨٢).



الصّمــد

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. ودليله من الكتاب قوله تعالى في سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١، ٢].

ومن السنة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه القدسي: «كذبني ابن آدم... وأما شتمه إياي؛ فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد»[2].

والصمد في اللغة: القصد، صمدَهُ: قصده.

ويقال: فلان مصمَّد وصمد: إذا كان سيداً يقصد إليه في الأمور[3].

والصمد: السيد المطاع الذي لا يقضى دونه أمر.

وقيل: هو الذي يُصمد إليه في الحوائج أي يُقصد[4].

وذكر ابن الأنباري: أنَّ أهل اللغة أجمعون لا اختلاف بينهم في ذلك أنَّ الصمد عند العرب: السيِّد الذي ليس فوقه أحد، الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم وأمورهم، واحتجوا بقول الشاعر:

سِيروا جميعاً بنصفِ الليلِ واعتمِدوا ... ولا رهينةَ إلا سيدٌ صمدُ[5]

وفي الشرع: نجد أن عبارات المفسرين في معنى هذا الاسم مختلفة

(١) ورد هذا الاسم عند الجميع بلا استثناء.
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٨/٩٥٨)، برقم (٤٩٧٤)، كتاب التفسير.
(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٣٠٩، ٣١٠).
(٤) الصحاح للجوهري (٢/٤٩٩)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (٤/٢٤٩٥، ٢٤٩٦).
(٥) الزاهر للأنباري (١/٨٣).

جداً. وقد ذكر الإمام الطبري جملة من أقوالهم فقال مجاهد: هو المصمت الذي لا جوف له، وقال الشعبي: الذي لا يطعم الطعام، وقال قتادة: الصمد الدائم وقال آخرون: هو السيد الذي قد انتهى سؤدده[1]. ويظهر لنا أن سبب هذا الاختلاف يعود إلى أن معنى هذا اللفظ عام ومحتمل لأوجه كثيرة من المعاني، وقد أشار إلى هذا الإمام ابن القيم فذكر أنَّ هذا الاسم من الأسماء الدالة على جملة أوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة، فهو متعلق بالصفة من حيث دلالتها على الكثرة والزيادة والسعة، فهي صفة جامعة تدل بمفهومها اللغوي والشرعي على صفات متعددة[2].

ثم قال: ومن معاني الصمد: من تصمد نحوه القلوب بالرغبة والرهبة وذلك لكثرة خصال الخير فيه، ولهذا قال جمهور السلف منهم ابن عباس: الصمد الذي كمل سؤدده أنَّه الذي لا جوف له. فقوله لا يناقض هذا التفسير فإن اللفظة من الاجتماع فهو الذي اجتمعت فيه صفات الكمال، ولا جوف له فإنَّ ما لم يكن أحد كفواً له لما كان صمداً كاملاً في صمدانيته[3].

وقال في النونية:

وهو الإلهُ السيدُ الصمدُ الذي ... صمدتْ إليهِ الخلقُ بالإذعانِ

الكاملُ الأوصافِ كمالُه ما فيه ... من كُلِّ الوجوهِ من نُقصانِ[4]

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بصمديته وليس في الوجود صمد سوى الله تعالى، فإنَّه يصمد إليه في الحوائج كلها ويكون مفزعه وغايته فلا يقصد غيره ولا يلجأ في حوائجه إلا إليه.

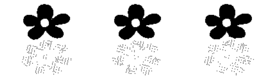
ومن جعله الله تعالى مقصد عباده في مهمات دينهم ودنياهم وأجرى على لسانه ويده حوائج خلقه، فقد أنعم عليه بحظ من معنى هذا الوصف وعليه أن

(١) جامع البيان للطبري (١٢/ ٧٤٢).
(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٧٦).
(٣) مختصر الصواعق (ص١٣١).
(٤) النونية (ص١٤٥).

يتخلق بأخلاق السيادة والسادة حتى يكون مصموداً، وبابه مقصوداً. روى هشام بن عروة عن أبيه قال: أدركت سعد بن عبادة ومنادٍ ينادي على أُطمه[1]: من أحب شحماً ولحماً فليأت سعداً، ثم أدركت ابنه قيساً ينادي مثل ذلك[2].

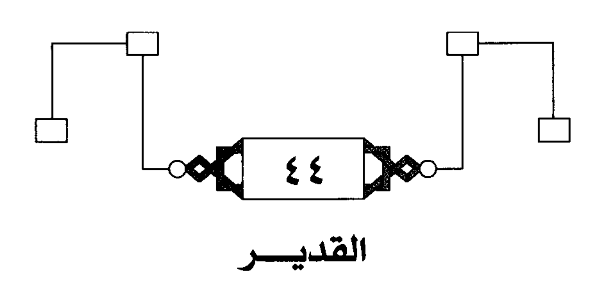
قال الإمام ابن تيمية: والمخلوق وإن كان صمداً من بعض الوجوه فإنَّ حقيقة الصمدية منتفية عنه فإنه يقبل التفرق والتجزئة، وهو أيضاً محتاج إلى غيره فإِنَّ كل ما سوى الله محتاج إليه من كل وجه، فليس أحد يصمد إليه كل شيء ولا يصمد إلى شيء إلا الله تبارك وتعالى[3].

قال الغزالي في المقصد: ومن جعله الله تعالى مقصد عباده في مهمات دينهم ودنياهم وأجرى على لسانه ويده حوائج خلقه فقد أنعم عليه بحظٍ من هذا الوصف[4].



---

(١) الأُطُمْ: القصر. انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (ص١٠٧٦).
(٢) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ١٨٦).
(٣) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (١٧/ ٢٣٨).
(٤) المقصد الأسنى للغزالي (ص١١٩).



القديـــر

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. من أبنية المبالغة على وزن فعيل[2]. ودليله من الكتاب: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾ [الأنعام: ٦٥].

ومن السنة: حديث عثمان بن أبي العاص ﵁ مرفوعاً: «أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»[3].

وفي اللغة: القدرُ والقدرة والمقدار: القوةُ وقدَرَ عليه يَقدِر ويقدُر، وقدِرَ قُدْرَةً، واقتدر، وهو قادر وقدير، والاسم من كل ذلك المُقدُرة، والمَقْدُرَة والمقدِرَة[4].

وفي الشرع: نجد أن العلماء يتفقون في معنى القدير ويصفون الله بما وصف به نفسه من القدرة على كل شيء فبقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبّرها وبقدرته سواها وأحكمها.

قال الخطابي: ووصف الله نفسه بأنه قادر على كل شيء أراده، لا يعترضه عجزٌ ولا فتور[5]. وإلى هذا المعنى يذهب الحليمي حيث يقول فيه:

---

(١) التوحيد لابن منده (٢/ ١٦٢)، الحجة للأصبهاني (١/ ٦٧)، الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١١٣)، المنهاج للحليمي (١/ ٩٨)، إيثار الحق لابن الوزير (ص١٧)، وانظر: توضيح الكافية لابن سعدي (ص١٨٤)، القواعد المثلى لابن عثيمين (ص٤١).

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٤/ ٢٤).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٤/ ٢٧٢)، برقم (٢٢٠٢)، كتاب السلام.

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٦٢، ٦٣).

(٥) شأن الدعاء للخطابي (ص٨٥).

(٦) المنهاج للحليمي (١/ ١٩٨).

«القدير» وهو التام القدرة لا يلابس قدرته عجز بوجه[1].

كما نجد الإمام ابن القيم يشير إلى هذا المعنى بعينه في قوله:

وهو القديرُ وليس يعجزُهُ إذا ما رَامَ شيئاً قَطَّ ذو سلطانِ[2]

قال ابن سعدي: ومن أسمائه: «القوي، العزيز، المتين، القدير».

ومعانيها متقاربة تقتضي كمال قوته وعظمته وكبريائه فلا يملك الخلق نفعه فينفعونه ولا ضرَّه فيضرونه، وكمال اقتداره على جميع الموجودات والمعدومات، وأن جميع العالم طوع قدرته ومشيئته يتصرف فيها بما يشاء وكيف يشاء[3].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن عندما يدرك أنَّه تعالى من أسمائه القدير وصفته القدرة فإنه يطمئن أن ما يحدث في هذا الكون من جليل أو حقير، إنَّما يحدث وفق تقدير الله تعالى الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء فبقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبَّرها، وبقدرته سوّاها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء ويجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، وبقدرته يُقلِّب القلوبُ، ويصرفها على ما يشاء ويريد[4].

ومن مقتضى الإيمان بهذا الاسم أنَّه يجب على المؤمن أن يعتقد أن الله على كل شيء قدير، فيدخل في ذلك أفعال العباد وغير أفعال العباد، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة بخلاف ما عليه الطوائف الضالة كالفلاسفة والمتكلمين.

وقد نقل الإمام ابن القيم تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] قال: الذين يقولون

---

(١) النونية (ص١٤٢).

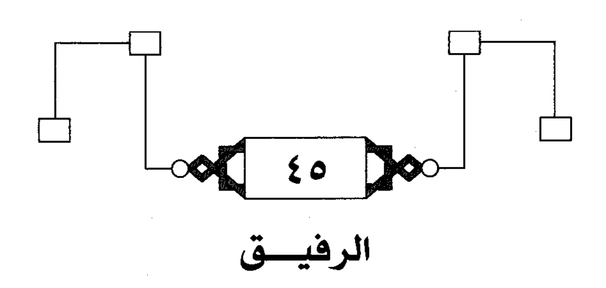
(٢) توضيح الكافية لابن سعدي (ص١٨٤).

(٣) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٥/ ٣٠١).

إن الله على كل شيء قدير، وهذا من فقه ابن عباس وعلمه بالتأويل ومعرفته بدقائق الأسماء والصفات، فإن أكثر أهل الكلام لا يوفون هذه الجملة حقها ولو كانوا يقرون بها على وجهها، بل يصرَّحون أنه لا يقدر على فعل ما يقوم به، ومن لا يقر بأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، وأنه سبحانه مقلب القلوب حقيقة، وأنه إن شاء أن يقيم القلب أقامه وإن شاء أن يزيغة أزاغه؛ لا يقر بأنه على كل شيء قدير ومن لا يقر بأته استوى على عرشه، بعد أن خلق السماوات والأرض، وأنه ينـزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، إلى غير ذلك من شؤونه وأفعاله التي من لم يقِرّ بها لم يقر بأنه على كل شيء قدير[1].



(١) شفاء العليل (ص٦٢).



الرفيــق

اسم من أسماء الله تعالى لم يرد في القرآن الكريم اسماً ولا فعلاً، ورد ضمن جمع بعض العلماء للأسماء الحسنى[١]. ثبت في صحيح البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة! إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»[٢].

والرفق في اللغة: خلاف العنف، وهو يدل على موافقة ومقاربة بلا عنف[٣].

والرفيق: اللطيف، فالرفق: لين الجانب ولطافة الفعل[٤].

وفي الشرع: ما يدل على أن الله تعالى رفيق، أي كثير الرفق وهو اللين والسهل والتأني في الأمور والتدرج فيها، وهذا المعنى متفق عليه بين من يثبت لله ـ تعالى ـ هذا الاسم من العلماء.

فنجد القرطبي يقول فيه: ولله تعالى من ذلك ما يليق بجلاله سبحانه فهو الرفيق أي: الكثير الرفق، وهو اللين والسهل وضده العنف والشدة[٥].

وكذلك الهراس يقول: وهو سبحانه رفيق في أمره ونهيه فلا يأخذ عباده بالتكاليف الشاقة مرة، بل يتدرج معهم من حال إلى حال حتى تألفها نفوسهم وتأنس إليها طباعهم[٦]. وقال فيه الإمام ابن القيم نظماً:

---

(١) التوحيد لابن منده (٢/ ١٢٨)، الأسنى للقرطبي (١/ ٥٥٦)، توضيح الكافية لابن سعدي (ص١٩١)، القواعد المثلى لابن عثيمين (ص٤٢).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ٢٢٠) برقم (٢٥٩٣)، كتاب البر والصلة.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٤١٨)، وانظر: الصحاح للجوهري (٤/ ١٤٨٢).

(٤) لسان العرب لابن منظور (٥/ ٢٧٣).

(٥) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ٥٥٧).

(٦) شرح النونية للهراس (٢/ ٩٢).

وهو الرفيقُ يحبُ أهلَ الرفقِ بل يعطيهمُ بالرفقِ فوقَ أمانِ[1]

ويشرح ابن سعدي هذا البيت قائلاً:

ومن أسمائه سبحانه (الرفيق)، وهو مأخوذ من الرِّفق، الذي هو التأني في الأمور والتدرج فيها، وضده العنف، الذي هو الأخذ فيها بشدة واستعجال. وتفسير المصنف لهذا الاسم الكريم مأخوذ من قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «إن الله رفيق يحب أهل الرفق، وإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»[2]. فالله تعالى رفيق في أفعاله، حيث خلق المخلوقات كلها بالتدريج شيئاً فشيئاً بحسب حكمته ورفقه، مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة[3].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أنَّ المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بالرفق فإنَّه يقوى أمله في الله ورحمته فلا ييأس من رحمة الله تعالى، فإنَّ الله تعالى رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف، وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابياً بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به فقال رسول الله: «دعوه وأهريقوا على بوله ذنوباً من ماء أو سِجلاً من ماء فإنَّما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»[4]. ويذكر أنَّ هذا الأعرابي قال عندما رأى ما رأى: (اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً) لِما رأى مِن رحمة النبي وشفقته - ﷺ -.

ومن مقتضى الإيمان بهذا الاسم الكريم أن يأخذ المؤمن بحظه ونصيبه منه، فيجعل الرفق قائده ودليله ليصل إلى قلوب العباد ويؤثر فيهم، فيكون لأمره ونهيه وقعاً في قلوبهم وعوناً لهم على فعل المعروف وترك المنكر، فإنَّ الرفق

---

(١) النونية (ص١٤٢).

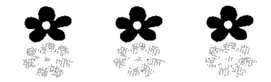
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ٢٢٠) برقم (٢٥٩٣)، كتاب البر والصلة.

(٣) الحق الواضح المبين لابن سعدي (ص٩٨).

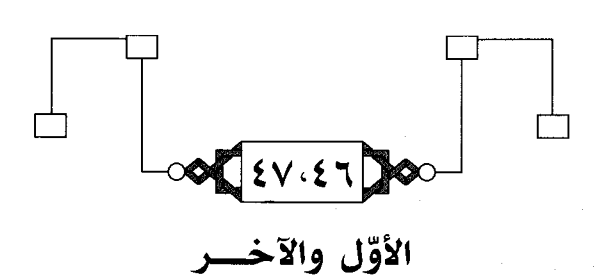
(٤) مسند الإمام أحمد (ص٥٥٠) برقم (٧٢٥٤) عن أبي هريرة.

كما رأينا إحدى سجايا النبي ﷺ ـ وقد يكون بالفعل وقد يكون بالصبر على المدعو ـ فإنَّه القائل عليه الصلاة والسلام: «إنَّما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»[1]. فالمتأني الذي يأتي الأمور برفق وسكينة ووقار إتباعاً لسنة الله في الكون تتيسر له الأمور، خصوصاً الذي يأمر الناس وينهاهم في مصالح دينهم ودنياهم فإنَّه محتاج بل مضطر إلى الرفق واللين. قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩][2]. وكما قيل:

قد يُدرِكَ المُتأني بعضَ حاجتِه ... وقد يكونُ معَ المستعجلِ الزللِ[3]



(١) صحيح الجامع الصغير للألباني (١/ ٤٦٤) برقم (٢٣٥٠).
(٢) الحق الواضح لابن سعدي (ص٩٨).
(٣) جمهرة أشعار العرب للقرشي (١/ ٩٤). والبيت للقطامي. وقد مرَّ معنا ترجمته.



الأوّل والآخــر

اسمان من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عدهما العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[(١)]. وهما من أسماء الأفعال. ودليلهما من الكتاب قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

ومن السنة: حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً: «... اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء... والآخر فليس بعدك شيء...»[(٢)].

وفي اللغة: الأول نقيض الآخر، وأصله: أوْأل على أفعل مهموز الأوسط[(٣)].

والأول: هو الذي يترتب عليه غيره[(٤)]. وهو من أبنية المبالغة على وزن أفعل. **أمّا الآخر** فهو: نقيض المتقدم، وقيل: خلاف الأول، تقول: جاء آخراً: أي أخيراً، وتقديره فاعل، والأنثى آخرة، والجمع أواخر. وهو أيضاً من أبنية المبالغة على وزن أفعل[(٥)].

وفي الشرع: نجد أن أكثر العلماء يذهبون في معنى الأول إلى أنه السابق للأشياء، والآخر الذي ليس بعده شيء، ويفسرون معنى هذين الاسمين بما ثبت عن النبي ﷺ في قوله: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء»[(٦)]. وعلى هذا الزجاج[(٧)].

---

(١) هذان الاسمان ذكرهما جميع العلماء بلا استثناء.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ٢٥٦)، برقم (٢٧١٣)، كتاب الذكر.
(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ١٥٨).
(٤) المفردات للراغب (ص٣١).
(٥) الصحاح للجوهري (٥/ ١٨٣٩).
(٦) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ٥٦) برقم (٢٧١٣)، كتاب الذكر، من حديث أبي هريرة.
(٧) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٥٩، ٦٠).

وكذلك الحليمي فإنه يقول في الأول: الذي لا قبل له، والآخر الذي لا بعد له[١].

والأصبهاني في الحجة حيث يقول: الأول الذي لا قبل له والآخر الذي لا بعد له، فقبل وبعد نهايتان، والله تعالى هو الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء[٢].

كما نجد أيضاً أن الإمام ابن القيم يفسر معنى هذين الاسمين الكريمين بما ثبت في السنة المطهرة من قوله ﷺ من حديث أبي هريرة: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء».

ونلاحظ أن الشيخ قد فصَّل في معنى هذين الاسمين «الأول والآخر» مقرراً منهج أهل السنة والجماعة فيهما ومفسراً القرآن بما ثبت في السنة في عدة مواضع، ففي طريق الهجرتين يقول: فأولية الله ﷻ سابقة على أولية كل ما سواه، وآخريته ثابتة بعد آخرية ما سواه، فأوليتُهُ سبقه لكل شيء وآخريته بقاؤه بعد كل شيء.. ويدور الاسمان الأول والآخر على الإحاطة الزمانية فهو سبحانه أول كل شيء وخالقه وبارئه فهو إليه، غايته التي لا صلاح له ولا فلاح ولا كمال إلَّا بأن يكون سبحانه غايته ونهاية مقصوده[٣].

وفي النونية:

هو أولٌ هو آخرٌ هو ظاهرٌ	هو باطنٌ هي أربعٌ بوازنِ
ما قبله شيءٌ كذا ما بعدهُ	شيءٌ تعالى الله ذوُ السلطانِ
ما فوقُه شيءٌ كذا ما دونهُ	شيء وذا تفسيرُ ذي البرهانِ
فانظر إلى تفسيرهِ بتدبرٍ	وتبصرٍ وتعقلٍ لمعانِ
وانظر إلى ما فيه من أنواع معـ	ـرفةٍ لخالِقِنا العظيمِ الشانِ[٤]

وقال في الوابل الصيِّب: هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي

---

(١) المنهاج للحليمي (١/ ١٨٨).
(٢) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١/ ١٤٠).
(٣) طريق الهجرتين (ص٢٤).
(٤) النونية (ص١٤١).

ليس بعده شيء والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء تبارك الله تعالى، أحق من ذُكر وأحق من عُبد، وأحق من حُمد، وأولى من شُكر، وأنصر من ابتغي، وأرأف من ملك، وأجود من سُئل، وأعفى من قدر، وأكرم من قُصد، واعدل من انتقم، حلمه بعد علمه وعفوه بعد قدرته، ومغفرته من عزته، ومنعه من حكمته، وموالاته عن إحسانه ورحمته[1].

ومن آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين:

أنَّ المؤمن عندما يعلم أن الله تعالى متصف بالأولية فإنه يدرك أن كل ما سواه تعالى حادث كائن بعد أن لم يكن، فيوجب له ذلك أن يلحظ فضل ربه وسابقته عليه في كل نعمةٍ دينية ودنيوية، إذ السبب والمسبب منه تعالى كما أنَّ الآخر يدل على أنَّه تعالى هو الغاية والنهاية، والصمد الذي تصمد إليه المخلوقات بتألهها ورغبتها وجميع مطالبها.

قال الإمام ابن القيم: ويدور الاسمان «الأول والآخر» على الإحاطة الزمانية، فهو سبحانه أول كل شيء وخالقه وبادئه فهو إليه غايته التي لا صلاح له، ولا فلاح ولا كمال إلا بأن يكون سبحانه غايته ونهاية مقصوده[2].

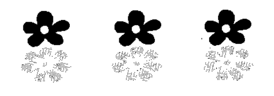
وعن عبوديته جل وعلا بهذين الاسمين **قال الإمام ابن القيم**: فعبوديته باسمه «الأول» تقتضي التجرد عن مطالعة الأسباب والوقوف، أو الالتفات إليها وتجريد النظر إلى مجرد سبق فضله ورحمته، وأنه هو المبتدئ بالإحسان من غير وسيلة من العبد إذ لا وسيلة له في العدم قبل وجوده، وأي وسيلة كانت هناك؟

وإنما هو عدم محض وقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، فمنه سبحانه الإعداد ومنه الإمداد وفضله سابق على الوسائل، والوسائل من مجرد فضله وَجُوده لم تكن بوسائل أخرى، فمن نزّل اسمه الأول على هذا المعنى أوجب له فقراً خاصاً وعبودية خاصة.

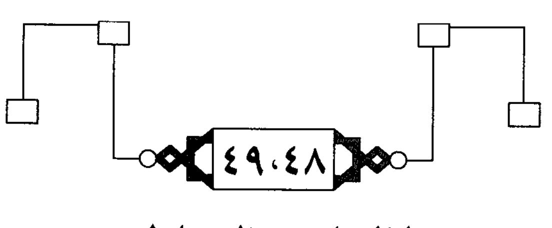
---

(١) الوابل الصيب (ص٩٠).
(٢) طريق الهجرتين (ص٢٤).

وعبوديته باسمه «الآخر» تقتضي أيضاً عدم ركونه ووثوقه بالأسباب والوقوف معها، فإنها تنعدم لا محالة وتنقضي بالآخرية، ويبقى الدائم، الباقي بعدها، فالتعلق بها تعلق بما يعدم وينقضي، والتعلق بالآخر سبحانه تعلق بالحي الذي لا يموت ولا يزول، فالمتعلق به حقيقة أنه لا يزول ولا ينقطع، بخلاف التعلق بغيره مما له آخر يَغنى به. كذا نظر العارف إليه بسبق الأولية حيث كان قبل الأسباب كلها، وكذلك نظره إليه ببقاء الآخرية حيث يبقى بعد الأسباب كلها، فكان الله ولم يكن شيء غيره، وكل شيء هالك إلا وجهه. فهو الأول الذي ابتدأت منه المخلوقات، والآخر الذي انتهت إليه عبوديتها، وإرادتها، ومحبتها، فليس وراء الله شيء يقصد ويعبد ويُتأله، كما أنه ليس قبله شيء يخلق ويبرأ، فكما كان واحداً في إيجادك فاجعله واحداً في نهايتك إليه لتصح عبوديتك، وكما ابتدأ وجودك وخلقك منه فاجعله نهاية حبك وإرادتك وتألهك إليه لتصح لك عبوديته باسم «الأول والآخر»[1].



(١) طريق الهجرتين (ص١٩، ٢٠).



الظـــاهر والبـــاطن

اسمان من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عدهما العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[١]. وهما من أسماء الأفعال. ودليلهما من الكتاب قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

ومن السنة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً وفيه: «... وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، والباطن فليس دونك شيء...»[٢].

والظهر في اللغة: خلاف البطن، والظاهر خلاف الباطن.

وظهرتُ البيت: علوتُه، وظهرتُ على الرجل: غلبته، وأظهرتُ بفلان أعليتُ به[٣]، والظهور يتضمن العلو[٤].

أما الباطن: فالبطن خلاف الظهر، وبطنتُ الوادي: دخلته، وبطنت الأمر، عرفت باطنه[٥].

وفي الشرع: نجد أن معظم من تكلم على معنى اسمي الظاهر والباطن لم يخل كلامهم من تأويلات المتكلمين المتكلفة والتي يجب تنزيه الله تعالى عنها، ولذا فقد ضربنا عنها صفحاً واكتفينا بما أورده شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري حيث يقول في معنى الظاهر: وهو الظاهر على كل شيء دونه وهو العالي فوق كل شيء فلا شيء أعلى منه.

---

(١) هذان الاسمان ذكرهما جميع العلماء بلا استثناء.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ٥٦)، برقم (٢٧١٣)، كتاب الذكر.
(٣) الصحاح للجوهري (٢/ ٧٣١)، (ظهر). وانظر: لسان العرب لابن منظور (٨/ ٢٧٣)، (ظهر).
(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٤٧١، ٤٧٢).
(٥) الصحاح للجوهري (٥/ ٢٠٧٩).

وقال في الباطن: وهو الباطن لجميع الأشياء فلا شيء أقرب إلى شيء منه[(١)].

ونلاحظ أن الإمام ابن القيم قد تناول المعنى المراد عند إيراد لوازم هذين الاسمين «الظاهر والباطن» فقال: وكذلك اسمه الظاهر من لوازمه: أن لا يكون فوقه شيء كما في الصحيح عن النبي ﷺ: «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء» بل هو سبحانه فوق كل شيء، فمن جحد فوقيته سبحانه فقد جحد لوازم اسمه «الظاهر»، ولا يصح أن يكون «الظاهر» هو من له فوقية القدر فقط، كما يقال: الذهب فوق الفضة والجوهر فوق الزجاج، لأن هذه الفوقية تتعلق بالظهور، بل قد يكون المفوَّق سبحانه ظاهراً بالقهر والغلبة لمقابلة الاسم بـ«الباطن» وهو الذي ليس دونه شيء، كما قابل «الأول» الذي ليس قبله شيء بـ «الآخر» الذي ليس بعده شيء[(٢)].

وقال في الباطن: وبطونه سبحانه إحاطته بكل شيء، بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، وهذا قرب غير قرب المحب من حبيبه، هذا لون وهذا لون[(٣)].

ومن آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين:

أنَّ المؤمن إذا تحقق علوه تعالى المطلق على كل شيء بذاته، وأنَّه ليس فوقه شيء البتة وأنَّه ظاهر فوق عباده يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم توجه إليه، فقد جمع قلبه على المعبود، وجعله له رباً يقصده وصمداً يصمد إليه في حوائجه، وملجأً يلجأ إليه، فإذا استقر ذلك في قلبه وعرف ربه باسم «الظاهر» استقامت له عبوديته وصار له معقلٌ وموئلٌ يلجأ إليه ويهرب إليه ويفِرُّ كل وقت إليه.

كما أنَّ الله ﷻ هو الباطن المحيط بكل شيء الذي أحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن فما من ظاهر

---

(١) جامع البيان للطبري (١١/ ٦٧٠). (٢) مدارج السالكين (١/ ٤٠).

(٣) طريق الهجرتين (ص٢٤).

إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه، دنا من كل شيء ببطونه فلا تواري منه سماء سماء ولا أرض أرضاً، ولا يحجب عنه ظاهر باطناً، بل الباطن له ظاهر، والغيب عنده شهادة، والبعيد منه قريب والسر عنده علانية، فهو العليم ببواطن الأمور وظواهرها يستوي عنده هذا وهذا. قال تعالى ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠] فيستوي عند الله تعالى من هو متخفٍ في قعر بيته في ظلام الليل ومن هو سائر في سربه «طريقه» في بياض النهار وضيائه[١].

وعن عبوديته تعالى بهذين الاسمين قال الإمام ابن القيم: وأما عبوديته باسمه الظاهر فكما فسره النبي ﷺ: «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»، فإذا تحقق العبد علوه المطلق على كل شيء بذاته وأنه ليس فوقه شيء البتة، وأنه ظاهر فوق عباده يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم توجه إليه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] صار لقلبه قبلة توجه نحوها ومعبود يتوجه إليه قصده، وصاحب هذه الحال إذا سلك وتأله وتعبد طلب قلبه إلهاً يسكن إليه ويتوجه إليه.

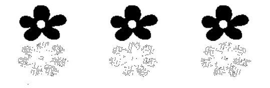
وأما تعبده باسمه الباطن فأمر يضيق نطاق التعبير عن حقيقته ويكلّ اللسان عن وصفه، وتصطلم الإشارة إليه وتجفو العبارة عنه، فإنه يستلزم معرفة بريئة من شوائب التعطيل مخلَّصةً من فرث التشبيه، مُنزَّهةً عن رجس الحلول والاتحاد، وعبارة مؤدية للمعنى كاشفة عنه، وذوقاً صحيحاً سليماً من أذواق أهل الانحراف، فمن رزق هذا فهم معنى اسمه «الباطن» ووضح له التعبد به.

وباب هذه المعرفة والتعبد هو معرفة إحاطة الرب سبحانه بالعالم وعظمته، وأن العوالم كلها في قبضته، وأن السماوات السبع والأرضين السبع في يده كخردلة في يد العبد. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] وقال: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [البروج: ٢٠] ولهذا يفرق سبحانه بين هذين الاسمين الدالين على هذين المعنيين: اسم العلو الدال على أنه

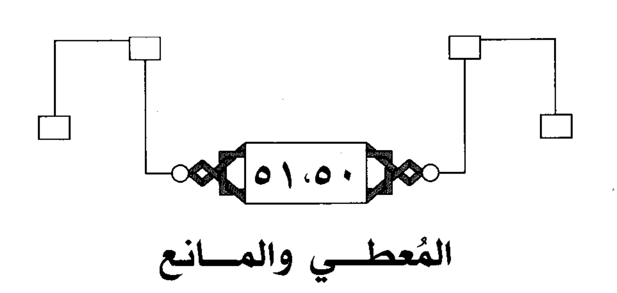
---

(١) طريق الهجرتين (ص٢٤).

«الظاهر» وأنه لا شيء فوقه، واسم العظمة الدال على الإحاطة، وأنه لا شيء دونه كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الشورى: ٤] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]، وهو تبارك وتعالى كما أنه العالي على خلقه بذاته فليس فوقه شيء فهو «الباطن» بذاته فليس دونه شيء بل ظهر على كل شيء فكان فوقه، وبطن فكان أقرب إلى كل شيء من نفسه فهذا أقرب لإحاطة العامة(١).



(١) طريق الهجرتين (ص٢١ ـ ٢٤).



المُعطـي والمـانع

اسمان من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عدهما العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[١]. وهما من أسماء الأفعال. ودليلهما من الكتاب: قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

ومن السنة: قوله ﷺ: «اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت...»[٢]، وفي رواية: « والله المعطي وأنا القاسم»[٣].

وفي اللغة: العطو: التناول باليد، والإعطاء، المعاطاة: المناولة والعطاء والعطية اسم لما يُعطى

والمنع: خلاف الإعطاء، وهو أن تحول بين الرجل وبين الشيء الذي يريده.

ويقال: مكان منيع،وهو في عز ومنعة، والمنيع: الذي لا يُخلص إليه[٤].

وفي الشرع: نجد أن العلماء يتفقون جميعاً على تفسير معنى هذين الاسمين ـ المعطي والمانع ـ وفق قوله ﷺ في الحديث المشهور: «اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت». وقد ذهب إلى هذا الزجاج حيث قال:

---

(١) التوحيد لابن منده (٢/ ١٨٤)، الأسنى للقرطبي (١/ ٣٥٥)، توضيح الكافية لابن سعدي (ص٢٠٤)، له الأسماء الحسنى للشرباصي (٢/ ٢٥).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٢/ ٤١٣)، برقم (٨٤٤)، كتاب الأذان، من حديث المغيرة بن شعبة.

(٣) نفس المصدر (٦/ ٢٦٧)، برقم (٣١١٦)، كتاب فرض الخمس، عن حميد بن عبد الرحمن.

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٣٥٣).

هو الذي يمنع ما أحبَّ منه، ويعطي ما أحب عطاءه فإذا أعطى: فتفضلٌ، وإصلاحٌ، وإذا منع: فحكمةٌ وصلاحٌ لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع[1].

والخطابي حيث يقول: «المانع: هو الناصر الذي يمنع أولياءه أي: يحوطهم وينصرهم على عدوهم، ويقال: فلان في منعة من قومه، أي: في جماعة تمنعه وتحوطه. ويكون المانع: من المنع والحرمان لمن لا يستحق العطاء، كقوله ﷺ: «لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت» فهو سبحانه مالك المنع والعطاء، وليس منعه الشيء بخلاً به، لكنَّ منعه حكمة وعطاءه جود ورحمة»[2].

وكذلك الأصبهاني حيث قال: واسمه تعالى المانع: أي منع أهل دينه، أي يحيطهم ويحفظهم وينصرهم، وقيل: يحرم من لا يستحق العطاء. قال النبي ﷺ: «لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت» فهو تعالى يملك المنع والعطاء، يعطي تفضلاً، ويمنع ابتلاءً ولا راد لما أراد[3].

ونلاحظ أن الإمام ابن القيم أشار إلى معنيين من معاني هذين الاسمين الكريمين هما خلاصة كلام العلماء فيهما، فالأول ذكره في النونية حيث قال:

هو مَانعٌ مُعْطِيْ فهذا فضلُه ... والمنعُ عينَ العدلِ لِلْمَنَّانِ

يُعطي برحمتِه ويمنعُ من يَشاءُ ... بحكمةٍ واللهُ ذُو سلطانِ[4]

والثاني ذكره في زاد المعاد حيث قال: ومن معاني المنع: التأييد والإحاطة والعزة والكفاية والنصرة على الأعداء[5].

ويؤيد هذا ما ذكره ابن منظور في لسان العرب من أنَّ المانع من صفات الله تعالى له معنيان: أحدهما: ما روي عن النبي ﷺ أنَّه قال: اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت.

فكان ﷻ يعطي من استحق العطاء، ويمنع من لم يستحق إلا المنع

(١) تفسير أسماء الله للزجاج (ص٦٣).
(٢) شأن الدعاء للخطابي (ص٩٣).
(٣) الحجة للأصبهاني (١/ ١٦٠).
(٤) النونية (ص١٤٨).
(٥) زاد المعاد (١/ ٣٧).

والمعنى الثاني: أنَّه تبارك وتعالى يمنع أهل دينه، أي: يحوطهم وينصرهم[(١)].

ومن آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين:

أنَّ المؤمن عندما يدرك أَن الله تعالى متصف بالعطاء والمنع فإنَّه يقطع الأمل من المخلوقين، وينـزل حوائجه بالمعطي المانع المتفرد بالعطاء والمنع فيطرح الأواسط طرحاً ويضرب عن الأسباب صفحاً، ويجعل الله هو الكل وكل موجود مع القدرة كالطل لا حكم له في الفعل، فلا يذم مانعاً بوجه ولا يمدح معطياً إلَّا من حيث ينظر إلى الله فيمدحه لمدح الله إياه إذ جرت بالخير يداه على ما أجراهما الله.

كما يدرك أن التأييد والإحاطة والنصر على الأعداء إنَّما يكون بحسب متابعة الرسول ﷺ، وعندها تكون العزة والكفاية والنصرة.

كما أنَّه بحسب متابعته تكون الهداية والنجاة، فالله سبحانه علَّق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزة، والكفاية والنصرة والولاية، والتأييد وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار والخوف والضلال، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة[(٢)].

ومن مقتضى الإيمان بهذين الاسمين الكريمين: أن لا يُفرد أحد هذين الاسمين عن الآخر وذلك تأدباً مع الله تعالى، فإن إفراد أحدهما عن الآخر يوهم نقصاً.

قال الخطابي: وفي ذكرهما معاً إنباء عن القدرة وأدلُّ على الحكمة، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وإذا ذكرت القابض مفرداً عن الباسط كنت كأنَّك قد قصرت بالصفة على المنع والحرمان، وإذا وصلت أحدهما بالآخر فقد جمعت بين الصفتين منبئاً على وجه الحكمة فيهما[(٣)].

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٩/ ١٩٥). (٢) انظر: زاد المعاد (١/ ٣٧) بتصرف.

(٣) شأن الدعاء للخطابي (ص٥٨). وانظر: تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٤٠).



القـــابض البـــاسط

اسمان من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عدهما العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[١]. وهما من أسماء الأفعال. **ودليلهما من الكتاب**: قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾ [الإسراء: ٣٠].

ومن السنة: حديث أنس رضي الله عنه: «... إن الله هو المسعر القابض الباسط الرزاق، وإني لأرجو الله أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال»[٢].

والقبض في اللغة: يدل على شيء مأخوذ وتجمّع في شيء، ويطلق على الإسراع، لأنَّه إذا أسرع جمع نفسه وأطرافه. قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ﴾ [الملك: ١٩] أي يسرعن في الطيران[٣]، ويطلق القبض على التقتير والتضييق، وعلى الجمع كما في قبض الله السماء وقبض الأرض[٤].

أما البسط: فهو امتداد في عرض أو غير عرض، والبساط: ما يبسط، ويد فلان بسط: إذا كان منفاقاً، والبسطة في كل شيء: السعة. قال تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ [البقرة: ٢٤٧][٥].

---

(١) شأن الدعاء للخطابي (ص٥٧)، وانظر: التوحيد لابن منده (٢/ ١٧١)، الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٦٨)، الحجة للأصبهاني (١/ ١٥٢)، الأسنى للقرطبي (١/ ٣٥٨)، له الأسماء الحسنى للشرباصي (١/ ١٢٩).

(٢) مسند الإمام أحمد (ص٩٨٤)، برقم (١٤١٠٣).

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٥٠)، (قبض).

(٤) الصحاح للجوهري (٣/ ١١٠٠)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (١١/ ٣).

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٢٤٧)، (بسط).

وبسط يده: مدها، ويطلق البسط على التوسعة في الرزق والإكثار منه، وعلى الطول والفضل[1].

وفي الشرع: يمكن القول بتوافق أقوال العلماء في معنى هذين الاسمين «القابض والباسط» وذلك لاتحاد هذه المعاني وتقاربها. فالخطابي يقول فيهما: فالقابض الباسط هو الذي يوسع الرزق ويقتره[2].

والغزالي يقول: يقبض الصدقات من الأغنياء، ويبسط الأرزاق للضعفاء[3].

والأصفهاني يقول: يوسع الرزق ويقتره، يبسطه بجوده ويقبضه بعدله[4].

كما أن الإمام ابن القيم يقول فيهما في النونية:

هو قابضٌ هو باسطٌ هو خافضٌ   هو رافعٌ بالعدلِ والميزانِ[5]

ومن آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين:

أنَّ المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بالقبض والبسط فيقبض الأرواح عن الأشباح بعد الممات، ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة، ويقبض الصدقات من الأغنياء ويبسط الرزق لمن يشاء، حتى لا تبقى فاقة؛ فلا ريب أنه يتوجه بكليته إلى الله تعالى فهو المعِدُّ وهو الممد، وهو القائل سبحانه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]. كما أن من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين ما قاله الإمام ابن القيم في حالتي القبض والبسط وأثرهما في المؤمن حيث قال: القبض والبسط حالتان تعرضان لكل سالك، يتولدان من الخوف تارة فيقبضه الخوف تارة والرجاء تارة، والجمعية تارة، فتفرقته تورثه القبض، وجمعيته تورثه البسط، ويتولدان من أحكام الوارد تارة فوارد يورث قبضاً، ووارد يورث بسطاً، وقد يهجم على قلب السالك قبض لا يدري ما سببه وبسط لا يدري ما

---

(١) الصحاح للجوهري (٣/١١١٦).
(٢) شأن الدعاء للخطابي (ص٥٨).
(٣) المقصد الأسنى للغزالي (ص٨٢).
(٤) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١/١٥٢).
(٥) النونية (ص١٤٦).

سببه، وحكم صاحب هذا القبض: أمران: الأول: التوبة والاستغفار لأنَّ ذلك القبض نتيجة جناية، أو جفوة ولا شعر بها، والثاني: الاستسلام حتى يمضي عنه ذلك الوقت، ولا يتكلف دفعه، ولا يستقبل وقته مغالبةً وقهراً، ولا يطلب طلوع الفجر في وسط الليل، وليرقد حتى يمضي عامة الليل ويحن طلوع الفجر، وانقشاع ظلمة الليل، بل يصبر حتى يهجم عليه الملك فالله يقبض ويبسط.

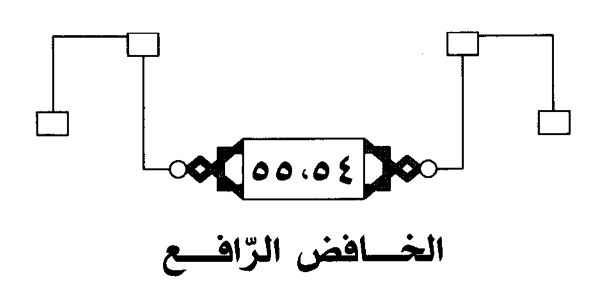
وكذلك إذا هجم وارد البسط فليحذر كل الحذر من الحركة والاهتزاز، وليحرزه بالسكون والانكماش، فالعاقل يقف على البساط، ويحذر من الانبساط، وهذا شأن عقلاء أهل الدنيا ورؤسائهم: إذا ما ورد عليهم ما يسرهم ويبسطهم ويهيج أفراحهم، قابلوه بالسكون والثبات والاستقرار حتى كأنَّه لم يهجم عليهم[1].

ومن مقتضى الإيمان بهذين الاسمين الكريمين أن لا يُفرد أحدهما في الذكر عن قرينه، وذلك تأدباً مع الله تعالى وإظهاراً لتمام قدرته، قال الزجاج: الأدب في هذين الاسمين أن يذكرا معاً لأنَّ تمام القدرة بذكرهما معاً، ألا ترى أنَّك إذا قلت: إلى فلان قبض أمري، وبسطه، ولا بمجموعها أنَّك تريد أن جميع أمرك إليه؟ وتقول: ليس إليك من أمري بسط ولا قبض، ولا حل ولا عقد، أراد ليس إليك منه شيء[2].



(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٨٩، ٣٩٠).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٤٠).



الخافض الرّافع

اسمان من أسماء الله تعالى الثابتة بالسنة النبوية، وقد عدهما العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. وهما من أسماء الأفعال. ودليلهما من السنة: قوله ﷺ: «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحّاء الليل والنهار. قال: أرأيتم ما أنفق الله منذ خلق السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يده؟ وكان عرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع»[2]. وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يرفع القسط ويخفضه، ويرفع إليه عمل النهار بالليل وعمل الليل بالنهار»[3].

والانخفاض في اللغة: الانحطاط بعد العلو[4].

والرفع: خلاف الوضع، تقول: رفعت الشيء رفعاً، وهو خلاف الخفض، وارتفع الشيء إذا علا[5].

وفي الشرع: لا يختلف العلماء في أنَّ معنى «الخافض الرافع» الذي يخفض الكفار بالإشقاء والإبعاد، ويرفع أولياءه بالتقرب والإسعاد، فهذان

---

(١) شأن الدعاء للخطابي (ص٥٨). انظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٩٢)، الحجة للأصبهاني (١/ ١٥٢)، الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ٣٦٤)، له الأسماء الحسنى للشرباصي (١/ ١٤٢).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٣/ ٤٨٤)، برقم (٧٤١١)، كتاب التوحيد، عن أبي هريرة.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ١٧)، برقم (١٧٩)، كتاب الإيمان.

(٤) لسان العرب لابن منظور (٤/ ١٥٥).

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٤٢٣).

الاسمان يدلان على الارتفاع والانحطاط، والإقبال والإعراض والقرب والبعد، والعز والذل، والموالاة والمعاداة.

وقد ذهب إلى هذا المعنى الزجاج فقال: الخافض: ضد الارتفاع، وهو الله ﷻ يخفض من استحق الخفض من أعدائه، ويرفع من استحق الرفع من أوليائه، وكل ذلك حكمة منه وصواب.

والرافع: هو الذي يرفع من استحق الرفع من أوليائه، يرفع منزلتهم في الدنيا بإعزاز كلمتهم ويرفعهم في الآخرة بارتفاع درجاتهم[1].

وكذلك الخطابي حيث قال: الخافض: هو الذي يخفض الجبارين ويذل الفراعنة المتكبرين.

والرافع: هو الذي رفع أولياءه بالطاعة فيُعلِي مراتبهم وينصرهم على أعدائه[2].

وفي المقصد الأَسنى للغزالي: هو الذي يخفض الكفار بالإشقاء، ويرفع المؤمنين بالإسعاد، ويرفع أولياءه بالتقرب، ويخفض أعداءه بالإبعاد[3].

وقال الهراس: هو سبحانه الخافض، يخفض الكفار بالإشقاء والإبعاد، ويرفع أولياءَه بالتقرب والإسعاد، ويداول الأيام بين عباده، فيخفض أقواماً ويخمل شأنهم ويذهب عزهم ويرفع آخرين فيورثهم ملكهم وديارهم[4].

وقد عبر عنه الإمام ابن القيم في النونية فقال:

هو قابضٌ هو باسطٌ هو خافضٌ ... هو رافعٌ بالعدلِ والميزانِ[5]

ومن آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين:

أنَّ المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بالخفض والرفع يوقن أن الله تعالى يرفع أولياءه بالطاعة فيعلي مراتبهم وينصرهم على أعدائه ويجعل العاقبةَ لهم

---

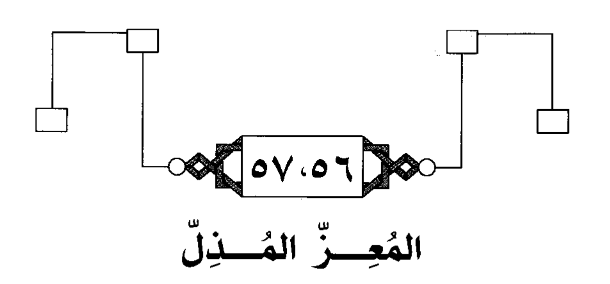
(١) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٤١، ٤٠).
(٢) شأن الدعاء للخطابي (ص٥٨).
(٣) المقصد الأسنى للغزالي (ص٨٢).
(٤) شرح النونية للهراس (٢/١١١).
(٥) النونية (ص١٤٦).

كما أنَّه يخفض الجبارين ويذل الفراعنة المتكبرين. فهو الذي يرفع أولياءه في الدنيا والآخرة وذلك بما وفقهم إليه من طاعته وامتثال أمره ونهيه والعمل بمقتضى شرعه واتباع ما جاء به نبيه ﷺ، فإذا فعلوا ذلك كانت لهم الرفعة والسؤدد على سائر الناس، وكانوا شامة بين الأمم وهُداةً إلى الحق على المحجة البيضاء التي من وافقها كانت له الرفعة والعلو، ومن خالفها وزاغ عنها فليس له إلا الخفض والذل والصغار في الدنيا والآخرة، وكان مصيره مصير أولئك الكفرة الجبابرة والفراعنة المتكبرين ومصيرهم أنْ يحشروا يوم القيامة في صورة الذرّ حتى تطأهم الخلائق بأقدامها[1].

وليس المرفوع قدراً، والمعلّى شأناً وأمراً، والمستحق مجداً وفخراً من رفع الطين على الطين وتكبر على المساكين وتجبر على أشكاله بكثرة ماله، واستقامة أحواله، وإنَّما المشرف شأناً والمعلّى رتبةً ومكاناً من رفعه الله بتوفيقه، وأيده لتصديقه، وهداه إلى طريقته، صفَّى قلبه وخلَّى له وجهه وصعد إلى السماء أنينه، وصدق إلى الله شوقه وحنينه، وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبرَّه»[2]. واعلم أنَّ المخفوض حقاً من تنكبهُ التوفيق والنصرة وأدركه الخذلان والفترة، ويصبح في حسرةٍ. فعلى هذا: الرفع والخفض أمارتان للجزاء، فمن فتحت لروحه أبواب السماء فرفع واستبشر ومن نكس إلى أسفل أبعد وآيس، وبحسب ذلك الأعمال بشارات ونذارات[3]. ومن مقتضى الإيمان بهذين الاسمين كذلك أن يوصل أحدهما في الذكر بالآخر؛ لأن الأسماء المزدوجة تجري الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض، فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد ولذلك لم تجئ مفردة ولم تطلق عليه إلَّا مقترنة[4].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٣٠) بتصرف.
(٢) صحيح الجامع الصغير للألباني (١/ ٦٥٥)، برقم (٣٤٨٤).
(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١/ ٣٩٨).
(٤) بدائع الفوائد (١/ ١٨٤).



٥٦، ٥٧

المُعِزّ المُذِلّ

اسمان من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب العزيز، وقد عدهما العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى(١). وهما من أسماء الأفعال. ودليلهما من الكتاب قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

والعز في اللغة: خلاف الذل.

ويقال: عزه على أمر يعزه إذا غلبه على أمره. وفي المثل: «من عز بز» أي من غلب سلب، والاسم: العِزة وهي القوة والغلبة(٢).

ومن أسماء الله تعالى «المعز» وهو الذي يهب العز لمن يشاء من عباده(٣).

أمّا الذل فهو: الخضوع والاستكانة واللين، وهو ضد العز، والذِّل ـ بكسر الذال ـ الخلاف والصعوبة، وجاء الذل بمعنى الرفق والرحمة في قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤](٤).

وفي الشرع: نجد أنَّ العلماء لا يختلفون في معنى المعز المذل أنه تعالى أعز بالطاعة أولياءهُ فأظهرهم على أعدائه في الدنيا، وأحلّهم دار الكرامة في

---

(١) شأن الدعاء للخطابي (ص٥٨)، وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٢١١)، الأسنى للقرطبي (١/ ٣٧٠)، له الأسماء الحسنى للشرباصي (١/ ١٤٤).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٣٩)، (عز)، وانظر: الصحاح للجوهري (٣/ ٨٨٥ ـ ٨٨٦)، (عز).

(٣) لسان العرب لابن منظور (٩/ ١٨٥)، (عزز)، وانظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٢٨).

(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٣٤٥)، (ذل)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (٥/ ٥٥).

العقبى، وأذل أهل الكفر في الدنيا، بأن ضربهم بالرِّق وبالجزية والصغار، وفي الآخرة بالعقوبة والخلود في النار. وقد ذهب إلى هذا المعنى الخطابي فقال: والقول في المعز والمذل: كهو فيما تقدم من ذكر القابض والباسط يعز من يشاء ويذل من يشاء لا مذل لمن أعزه، ولا معز لمن أذله، كقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقين: ٨] وقال: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩]. أعز بالطاعة أولياءه فأظهرهم على أعدائه في الدنيا وأحلهم دار الكرامة في العقبى، وأذل أهل الكفر في الدنيا بأن ضربهم بالرِّق وبالجزية والصغار في الآخرة بالعقوبة والخلود في النار(١).

وقال البيهقي: المعز هو الميسر أسباب المنعة، والمذل هو المعرض للهوان(٢).

وقال الهراس: وهو سبحانه المعز المذل، يعز أهل طاعته بالعز الحقيقي الذي لا يبطله شيء فإن المطيع لله عزيز وإن تحالفت عليه كل أسباب الذل والشقاء، ويذل أهل معصيته ذل شقاء وحرمان، وذل خزي وخذلان، فإن العاصي لله وإن ظهر بمظهر العِز فحشو قلبه الذل وإن لم يشعر به لانغماسه فيما هو فيه من الشهوات، فالعز كل العز في طاعة الله، والذل كل الذل في معصيته(٣).

ونلاحظ هنا أن الإمام ابن القيم قد تناول هذه المعاني الجليلة عند بيانه لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] وقوله: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: هو من عزة القوة والغلبة قال عطاء رضي الله عنه: للمؤمنين كالوالد لولده، وعلى الكافرين كالسبع على فريسته، وقال: إن الله عز وجل أعز أولياءه بمدحه لهم قال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ وأذل أعداءه بإظهار ذَمِّهِمْ كما قال: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: ١]، أعز أولياءه بأن خلق لهم توفيق الطاعة فلا عز إلا

---

(١) شأن الدعاء للخطابي (ص٨٥، ٥٩).

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٢١١). (٣) شرح النونية للهراس (١/ ١١٢).

طاعته وأذل العاصين بخذلانهم حتى أوقعوا المعصية، أعز أولياءه بعز القناعة وأذل غيرهم بالحرص على الدنيا، أعز أَولياءَهُ بالإخلاص في الأعمال وأذل غيرهم بالرياء فيها، أعز أولياءه بترك الشهوات، وأذل غيرهم بالوقوع فيها.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «أبى الله إلا أن يذل أهل معصيته، فمهما طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين فإن ذل المعصية فوق رقابهم»[1].

وقد عبّر الإمام ابن القيم عن هذه المعاني في النونية قائلاً:

وَهو المُعِزُّ لأهل طاعتهِ وذا ... عزٌ حقيقيٌّ بلا بُطلانِ

وَهو المُذِلُّ لمن يشاء بِذلّةِ الـ ... ـدارينِ ذُلَّ شقاءٍ وذُلَّ هوانِ[2]

ونلاحظ أن الإمام ابن القيم اعتبر هذه الأسماء أسماءً مزدوجة كالأول والآخر والظاهر والباطن، والمعز والمذل والخافض والرافع والقابض والباسط، والمعطي والمانع.

وقال فيها: وهذه الأسماء تستدعي متعلقات يظهر فيها أحكامها كأسماء الإحسان والرزق والرحمة ونحوها، ولا بد من ظهور متعلقات هذه وهذه، ومنها أنَّه سبحانه الملِك التام المُلك، ومن تمام ملكه عموم تصرفه، وتنوعه بالثواب والعقاب والإكرام والإهانة والعدل والفضل والإعزاز والإذلال[3].

ومن آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين:

أنَّ المؤمن عندما يدرك أنَّ الله تعالى المعز المذل فإنَّه يجد في العزة مظهراً من مظاهر الثقة بالله تعالى ورسوخ اليقين والقوة في الدين والخُلُقْ. فعن طارق بن شهاب قال: خرج عمر بن الخطاب إلى الشام ومعنا أَبو عبيدة بن الجرَّاح فأَتوا على مخاضةٍ، وعمر على ناقةٍ له فنزل عنها وخلع خفيه فوضعها على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا؟ تخلع خفيك وتضعها على عاتقك، وتأخذ بزمام

(١) الداء والدواء (ص١٦٧).
(٢) النونية (ص١٤٦).
(٣) شفاء العليل (ص٤٤٠).

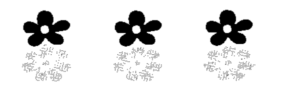
ناقتك وتخوض بها المخاضة؟ ما يسرني أنَّ أهل البلد استشرفوك. فقال عمر: أَوَّهْ لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالاً لأمَّة محمد ﷺ، إنَّا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزَّنا الله به أذلنا الله[1].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر»[2].

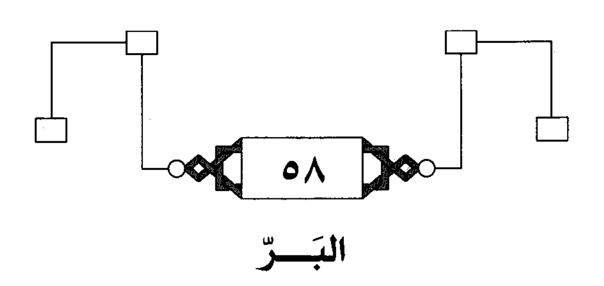
وقال الإمام ابن القيم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]: لما كان الذل منهم ذل رحمة وعطف وشفقة وإخبات عدّاه بأداة «على» تضميناً لمعاني هذه الأفعال، فإنَّه لم يرد به ذل الهوان الذي صاحبه ذليل، وإنَّما هو ذل اللين والانقياد الذي صاحبه ذلول، فالمؤمن ذلول كما في الحديث: «المؤمن كالجمل الذلول، والمنافق والفاسق ذليل»، وأربعة يعشقهم الذل أشد العشق: الكذاب، والنمام، والبخيل، والجبار[3].

وقوله: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ هو من عزة القوة والمنعة والغلبة، قال عطاء رضي الله عنه: للمؤمنين كالوالد لولده وعلى الكافرين كالسبع على فريسته، كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وهذا عكس حال من قيل فيهم:

كبراً علينا وجُبناً عن عدوكُمُ ... لَبِئستِ الخُلَّتان الكِبرُ والجُبْنُ[4]



(١) مستدرك الحاكم (٤/ ٣٣) برقم (٤٥٣٧)، كتاب معرفة الصحابة.
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٧/ ٢٢٤)، برقم (٣٨٦٣) كتاب مناقب الأنصار.
(٣) لم أجده بهذا اللفظ.
(٤) مدارج السالكين (٢/ ٣٤٠).



البَــرّ

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1].

وهو من برَّ يبر، واسم الفاعل برٌّ وبارٌّ. ودليله من الكتاب: قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨].

ومن السنة: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: «إن من عباد الله تعالى من لو أقسم على الله لأبره»[2].

وهو في اللغة يطلق على أمور منها: الصدق، يقال: صدق فلان وبرَّ، وبرَّت يمينه: صدقت، وأبرَّها: أمضاها على الصدق، والبِرّ خلاف العقوق، والبَرّ: خلاف البحر[3].

وقال القرطبي: البِرّ هو الاتساع في الإحسان والزيادة. ومنه يقال: أبرَّ على صاحبه في كذا، أي: زاد عليه: وسُميت البَرِيّة بَرِيّة لاتساعها[4].

وفي الشرع: نجد أن أقوال العلماء متفقة في معنى اسم «البَرّ»، فالخطابي يقول: البَرّ هو العطوف على عباده المحسن إليهم، عمَّ بره جميع خلقه فلم يبخل عليهم برزقه[5].

---

(١) شأن الدعاء للخطابي (ص٨٩)، وانظر: المنهاج للحليمي (١/ ٢٠٤)، الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٧٩)، الحجة للأصبهاني (١/ ١٦٣)، الأسنى في شرح الأسماء الحسنى (١/ ٣٣٣).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٥/ ٣٨٣)، برقم (٢٧٠٣)، كتاب الصلح.

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ١٧٧)، وانظر: الصحاح للجوهري (٢/ ٥٨٨)، (برر).

(٤) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ٣٣٣).

(٥) شأن الدعاء للخطابي (ص٨٩، ٩٠).

وكذلك نجد أَنَّ الزجاج يذهب إلى هذا المعنى فيقول فيه: والله تعالى برٌّ بخلقه في معنى أنه يحسن إليهم، ويصلح أحوالهم[1].

ونجد القرطبي قد ذهب في معناه إلى الاتساع في الإحسان والزيادة، مشيراً إلى إحدى أوجه معنى البَرُّ في اللغة حيث قال: ومنه يقال: أبرَّ على صاحبه في كذا، أي: زاد عليه، وسميت البرية برية لاتساعها[2].

وكذا فإِنَّ الإمام ابن القيم لا يخرج عما قررهُ العلماء في معنى هذا الاسم حيث قال فيه في المدارج تعليقاً على كلام صاحب المنازل في لطائف أسرار التوبة: ومن أسمائه «البَرُّ» وهذا البِرُّ من سيده كان عن كمال غناه، وكمال فقر العبد إليه، فيستقل بمطالعة هذه المنَّة، وبمشاهدة هذا البر والإحسان والكرم[3].

وقد أشار إلى هذا المعنى في النونية فقال:

والبِرُّ في أوصافِهِ سُبْحانهُ ... هو كثرةُ الخيراتِ والإحسانِ
صدرتْ عن البَرُّ الذي هو وصفهُ ... فالبِرُّ حينئذٍ له نوعانِ
وصفٌ وفعلٌ فهو برٌّ محسنٌ ... مُولي الجميل ودائم الإحسانِ[4]

ويشرح ابن سعدي هذه الأبيات فيقول: إن نسبة البر إلى الله تعالى نوعان:

أحدهما: أنَّه البَرُّ الرحيم الذي اتصف بالجود والكرم، وكثرة الخيرات، وأصناف البر الذي لا منتهى له.

والثاني: أنَّه البَرُّ بمعنى أنَّه المحسن الذي أنعم على العباد بأصناف النعم، ودفع عنهم جميع النقم[5].

---

(١) تفسير أسماء الله للزجاج (ص٦١).
(٢) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى (١/ ٣٣٣).
(٣) مدارج السالكين (١/ ٢٧٧).
(٤) النونية (ص١٤٥، ١٤٦).
(٥) التوضيح المبين لابن سعدي (ص١٢٨، ١٢٩).

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

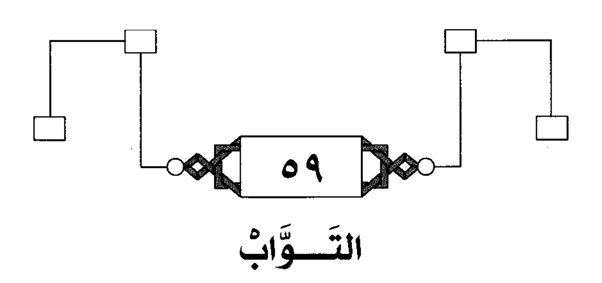
أنَّ المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بِالبِرِّ والكرم والإحسان فإنَّ ذلك يوجب له معرفةً بكرم الله عليه وفضله في المغفرة وتمام الإحسان إلى الخلائق وإمهاله المسيء والعاصي، فلا يؤاخذهم فيعجلهم عن التوبة مع كمال قدرته على معاجلتهم بالعقوبة، قال الإمام ابن القيم في لطائف أسرار توبة العبد: ومنها: أن يعرف ـ العبد ـ برَّه سبحانه في ستره عليه حال ارتكاب المعصية مع كمال رؤيته له ولو شاء بِرَّهُ لفضحه بين خلقه فحذروه، وهذا من كمال بِرِّهِ، ومن أسمائه «البَرُّ» وهذا البِرُّ من سيده كان عن كمال غناه عنه، وكمال فقر العبد إليه، فيستقل بمطالعة هذه المنة، ومشاهدة هذا البِرُّ والإحسان والكرم، فيذهل عن ذكر الخطيئة، فيبقى مع الله سبحانه، وذلك أنفع له من الاشتغال بجناياته، وشهود ذل معصيته، فإنَّ الاشتغال بالله والغفلة عما سواه: هو المطلب الأعلى والمقصد الأسنى.

ومنها: شهود حلم الله ﷻ في إمهال راكب الخطيئة ولو شاء لعاجله بالعقوبة ولكنه الحليم الذي لا يعجل، ومنها: معرفة العبد كرم ربه في قبول العذر منه إذا اعتذر إليه بنحو ما تقدم من الاعتذار لا بالقدر، فإنَّه مخاصمة ومحاجة، كما تقدم، فيقبل عذره بكرمه وجوده، فيوجب له ذلك اشتغالاً بذكره وشكره.

ومنها: أن يشهد فضله في مغفرته فإن المغفرة فضل من الله، وإلا فلو أخذك بمحض حقه كان عادلاً محموداً، وإنما عفوه بفضله لا باستحقاقك، فيوجب لك ذلك أيضاً شكراً له ومحبةً، وإنابةً إليه، وفرحاً، وابتهاجاً به، ومعرفةً له باسم الغفار، ومشاهدةً لهذه الصفة، وتقيداً بمقتضاها، وذلك أكمل في العبودية والمحبة والمعرفة[1].

---

(١) مدارج السالكين (١/٢٢٨).



التَــوَّابْ

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عدّه العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1].

وهو من أبنية المبالغة على وزن فعال، مثل: ضرَّاب للكثير الضرب، وقتَّال: للكثير القتل[2]. ودليله من الكتاب: قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧].

ومن السنة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها؛ تاب الله عليه»[3]، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما: «لو أنَّ لابن آدم وادياً من ذهب، أحب أن يكون له واديان ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»[4].

وفي اللغة: التوب: الرجوع، يقال: تاب من ذنبه أي رجع عنه[5].

وتاب إلى الله توبة ومتاباً، وقد تاب الله عليه: وفّقهُ لها[6].

وذكر الزجاج أنَّه يقال: تاب إلى الشيء يتوب توباً: إذا رجع[7].

وفي الشرع: نجد أن العلماء يتفقون في أن معنى التواب: هو الذي

---

(١) ورد ذكره عند الجميع بلا استثناء.
(٢) اشتقاق أسماء الله للزجاجي (ص٦٢، ٦٣).
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ٤٠)، برقم (٢٧٠٣)، كتاب الذكر.
(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٣٠٤)، برقم (٦٤٣٦)، كتاب الرقاق.
(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٣٥٧).
(٦) الصحاح للجوهري (١/ ٩١، ٩٢).
(٧) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٦١).

يتوب على من تاب إليه من عباده من الذنب، ويقبل توبته وكلما تكررت التوبة تكرر القبول، أشار إلى هذا الإمام الطبري فقال: إن الله جل ثناؤه هو «التواب» على من تاب إليه من عباده المؤمنين من ذنوبه، التارك مجازاته بإنابته إلى طاعته بعد معصيته مما سلف من ذنبه[(١)].

وكذلك أبو عبيدة حيث يقول: إنه هو «التواب» أي يتوب على العباد، والتواب من الناس: الذي يتوب من الذنب[(٢)].

ويقول الخطابي: «التواب»: هو الذي يتوب على عبده ويقبل توبته كلما تكررت التوبة تكرر القبول، وهو حرف يكون لازماً ويكون متعدياً، يقال: تاب الله على العبد بمعنى وفّقه للتوبة فتاب العبد، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]، ومعنى التوبة: عود العبد إلى الطاعة بعد المعصية[(٣)]. ونلمح في كلام الإمام ابن القيم ما يدل على أن توبة الله على العبد سبقت توبة العبد إلى الله، وقد أشار إليها كما رأينا الخطابي وكذلك الغزالي في المقصد[(٤)]. ولأهمية هذه المسألة فإنَّ الإمام ابن القيم قد أكد عليها في أكثر من موضع من كتبه مُقَرِّراً فيها منهج أهل السنة والجماعة في سبب توبة العبد إلى الله تعالى، فنجده يوردها عند بيانه لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]: فأخبر سبحانه أن توبته عليهم سبقت توبتهم، وأنَّها هي التي جعلتهم تائبين، فكانت سبباً مقتضياً لتوبتهم فدل على أنَّهم ما تابوا حتى تاب الله تعالى عليهم، والحكم ينتفي لانتفاء عليته[(٥)].

ويزيد هذا المعنى بياناً وتقريراً لما سبق في موضع آخر فيقول: وتوبة العبد إلى الله محفوفة بتوبة من الله عليه قبلها، وتوبةٍ منه بعدها فتوبته بين توبتين

---

(١) جامع البيان للطبري (١/ ١٩٥).
(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ٣٩).
(٣) شأن الدعاء للخطابي (ص٩٠).
(٤) المقصد الأسنى للغزالي (ص١٢٣).
(٥) مدارج السالكين (١/ ٣٤٠).

من ربه سابقة ولاحقة، فإنّه تاب عليه أولاً إذناً وتوفيقاً وإلهاماً، فتاب العبد فتاب الله عليه ثانياً قبولاً وإنابةً[1].

وقال في النونية:

وكذلك التوَّابُ من أوصافهِ ... والتوبُ في أوصافهِ نوعانِ
إذنٌ بتوبةِ عَبْدِهِ وقَبُولِهَا ... بَعد المَتَابِ بِمِنَّةِ المنَّانِ[2]

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أنَّ المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بالتوب على عباده وقبول توبتهم كلما تكررت التوبة تكرر القبول فإنَّه لا ييأس من روح الله، فكلما أحدث ذنباً أحدث له توبةً ولولا علمه بخالقه وثقته به لما أحدث لكل ذنب توبتة، وذلك أن منزلة التوبة أول المنازل وأوسطها وآخرها، فلا يفارقه العبد السالك، ولا يزال فيه إلى الممات، وإن ارتحل إلى منزل آخر ارتحل به، واستصحبه معه ونزل به، فالتوبة هي بداية العبد ونهايته وحاجته إليها في النهاية ضرورية، كما أنَّ حاجته إليها في البداية كذلك، وقد قال الله تعالى ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وهذه الآية في سورة مدنية خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه، بعد إيمانهم وصبرهم، وهجرتهم وجهادهم ثم علَّق الفلاح بالتوبة تعليق المُسبَبِ بِسَبَبِهِ، وأتى بأداة «لعل» المشعرة بالترجي، إيذاناً بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون، جعلنا الله منهم... وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني والله لأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[3]، وكان أصحابه يعدون له في المجلس الواحد قبل أن يقوم: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفو مائة مرة[4]، وما صلى صلاة

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٤٠). (٢) انظر: النونية (ص١٤٥).

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ٣٩)، برقم (٤٢)، كتاب الذكر والدعاء، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. بلفظ: «فإني أتوبُ، في اليوم إليهِ مائة مرَّةٍ».

(٤) مسند الإمام أحمد (ص٣٨٨)، برقم (٤٧٢٦) مسند المكثرين.

قط بعد إذ أُنـزلت عليه ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١] إلى آخرها، إلَّا قال فيها: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»[(١)].

وصح عنه ﷺ أنَّه قال: «لن يُنجي أحداً منكم عملُه، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»[(٢)].

فصلوات الله وسلامه عليه أعلم خلق الله بالله وحقوقه، وعظمة ما يستحقه جلاله من العبودية وأعرفهم بالعبودية وحقوقها وأقومهم بها[(٣)].

وعن حقيقة التوبة الصادقة قال الإمام ابن القيم: فحقيقة التوبة: هي الندم على ما سلف منه في الماضي والإقلاع عنه في الحال، والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل.

والثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة فإنه في ذلك الوقت يندم ويقلع ويعزم فحينئذٍ يرجع إلى العبودية التي خلق لها، وهذا الرجوع هو حقيقة التوبة، جعلت شرائط له. فأما الندم: فإنه لا تتحقق التوبة إلا به، إذ من لم يندم على القبيح فذلك دليل على رضاه به، وإصراره عليه. وفي المسند: «الندم توبة»[(٤)].

وأما الإقلاع: فتستحيل التوبة مع مباشرة الذنب.

وأما الاعتذار: ففيه إشكال، فإِنَّ من الناس من يقول: من تمام التوبة ترك الاعتذار، فإن الاعتذار محاجَّة عن الجناية، وترك الاعتذار اعتراف بها، ولا تصح التوبة إلا بعد الاعتراف، وفي ذلك يقول بعض الشعراء لرئيسه وقد عتب عليه في شيء:

وما قـابـلـتُ عـتْـبَـكَ بـاعـتـذارٍ ... ولـكـنِّـي أقـولُ كـمـا تـقـولُ

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٢/ ٣٨١)، برقم (٨١٧) كتاب الأذان، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) صحيح الجامع الصغير للألباني (٢/ ٩٢٧)، برقم (٥٢٢٢)، من حديث أبي هريرة.

(٣) انظر: مدارج السالكين (١/ ١٩٨، ١٩٩).

(٤) مسند الإمام أحمد (ص٣٤١) برقم (٤٠١٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

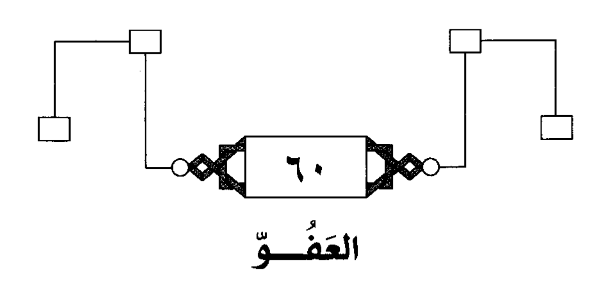
وأطـرقُ بـابَ عـفـوِكَ بـانـكـسـارٍ ويـحـكـمُ بيـنَنـا الـخُـلُقُ الـجـمـيـلُ

فلما سمع الرئيس مقالته قام وركب إليه من فوره، وأزال عتبه عليه.

فتمام الاعتراف: ترك الاعتذار، بأن يكون في قلبه ولسانه: اللهم لا براءة لي من ذنب فأعتذر، ولا قوة لي فأنتصر، ولكني مذنب مستغفر، اللهم لا عذر لي وإنما هو محض حقك، ومحض جنايتي فإن عفوت لي، وإلا فالحق لك[1].



(١) مدارج السالكين (١/ ٢٠٢، ٢٠٣).



العَفُــوّ

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب والسنة، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى(١).

من أبنية المبالغة على وزن فعول من العفو(٢). ودليله من الكتاب: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣].

ومن السنة: حديث الدعاء على الجنازة: «اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه...»(٣)، وحديث عائشة رضي الله عنها: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك»(٤).

وفي اللغة: العفو: ترك الشيء، وعفو عن خلقه: هو تركه إياهم فلا يعاقبهم فضلاً منه، وكل من استحق عقوبة فتركته فقد عفوت عنه.

والعفو على فعول: الكثير العفو. وعفا المنزل يعفو: درس وانمحى(٥).

وفي الشرع: أيضاً يذهب العلماء إلى أن العفو هو الصفح عن الذنوب وترك مجازاة المسيء، وقيل: إن العفو مأخوذ من عفت الريح الأثر: إذا درسته، فكأن العافي عن الذنب يمحوه بصفحهِ عنه. وإلى هذا المعنى ذهب

---

(١) ورد ذكره عند الجميع ما عدا ابن العربي.

(٢) شأن الدعاء للخطابي (ص٩٠).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٧/ ٤٣)، برقم (٩٦٣)، كتاب الجنائز، من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٤) نفس المصدر (٤/ ٢٧١)، برقم (٤٨٦)، كتاب الصلاة.

(٥) الصحاح للجوهري (٦/ ٢٤٣٣)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (٩/ ٢٩٤)، اشتقاق أسماء الله للزجاجي (ص١٤٣).

الإمام الطبري حيث قال في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ [النساء: ٤٣]: «إن الله لم يزل عفواً عن ذنوب عباده وتركه العقوبة على كثير منها ما لم يشركوا به»[(١)]. وكذلك الخطابي يقول في العفو: والعفو: الصفح عن الذنوب وترك مجازاة المسيء[(٢)]، وقد وافقهم الإمام ابن القيم في هذا المعنى، ولوضوحه وظهور معناه عند أهل العلم فإنَّه يذكر معناه مجملاً فيقول فيه:

وهو العفُوُّ فعفوهُ وسِعَ الورىَ ... لولاهُ غارَ الأرضَ بالسُّكَانِ[(٣)]

وفي شرح النونية للهراس قال في هذا البيت: أما العفو الذي له العفو الشامل الذي وسع ما يصدر عن عباده من الذنوب، ولا سيما إذا أتوا بما يوجب العفو عنهم من الاستغفار والتوبة والإيمان والأعمال الصالحة، فهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو عفوٌّ يحب العفو، ويحب من عباده أن يسعوا في تحصيل الأسباب التي ينالون بها عفوه من السعي في مرضاته والإحسان إلى خلقه، ومن كمال عفوه أنه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع غفر له جميع جرمه[(٤)].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أن المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بالعفو وسعة المغفرة، وتركه مجازاة المسيء فإنَّ هذا يزيده يقيناً في كمال عفو الله تعالى وسعة رحمته؛ لأنَّه مهما أسرف العبد على نفسه ثم تاب إليه ورجع غفر له جميع جُرمه وعفا عنه فضلاً وإكراماً، وذلك أنَّه تعالى قد فتح باب العفو والمغفرة ودعا عباده إلى أسبابها فقال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

ولولا كمال عفوه تعالى وسعة حلمه سبحانه ما ترك على ظهر الأرض من دابة تدب ولا نفس تطرُف ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ

---

(١) جامع البيان للطبري (٤/١١٨).
(٢) شأن الدعاء للخطابي (ص٩٠).
(٣) النونية (ص١٤٣).
(٤) شرح النونية للهراس (٢/٨٦).

﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

ومن مقتضى الإيمان بهذا الاسم الكريم أن يتصف المؤمن بهذه الصفة الحميدة التي يحبها الله تعالى وقد قال فيها: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩] أي إن تقولوا للناس حُسناً أو تخفوا ذلك، أو تصفحوا لمن أساء إليكم وتعفوا عنه فإنَّ الله تعالى لم يزل يعفو عنكم ويصفح، مع قدرته تعالى على عقابكم والانتقام منكم.

وقد حث الله تعالى عباده على العفو والصفح والإعذار عن رعاياهم وأصدقائهم وأرحامهم مرة بعد مرة. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، وقد نزلت في الصدّيق رضي الله عنه حين حلف ألَّا ينفق على مسطح من ذوي رَحمِهِ، بعد أن خاض مع الخائضين في حديث الإفك ونزل القرآن ببراءة الصديقة رضي الله عنها، وقال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وقال ﷺ: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزّاً، وما تواضع أحدُ إلَّا رفعه»[1].

وقال النووي رحمه الله: «وما زاد الله عبداً بعفو إلَّا عزّاً» فيه وجهان: أحدهما: أنَّه على ظاهرِهِ، وأن من عُرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاده عزةً وكرامةً، والثاني: أنَّ المراد أجره في الآخرة، وعِزّهِ هناك[2].

قال القرطبي: يجب على كل مكلف أن يعلم أن الله سبحانه العفو على الإطلاق: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، ثم يجب عليه أن يستعمل العفو ويتخلق به حتى يدخل في مدح الله

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ٢١٣)، برقم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة، من حديث أبي هريرة.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ١٤١).

للعافين وثنائه عليهم. من ذلك قوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]. وقال: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ولقد أحسن القائل:

مكارِمُ الأخلاقِ في ثلاثةٍ ... من كَمُلَتْ فيهِ فذاكَ الفتَى

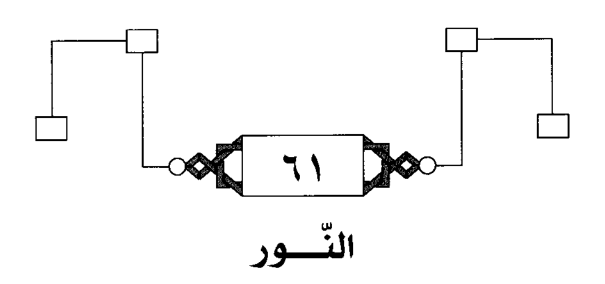
إعطاءَ من يحرمُه ووصلَ من ... يقطعُه والعفو عمّن اعتدَى

وروى أنس عن النبي ﷺ قال: «من كظم غيظاً وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يُخيِّرُهُ أي الحور شاء»[1][2].



(١) مسند الإمام أحمد (ص١٠٩٧)، برقم (١٥٧٢٢) عن أنس وسهل بن معاذ رضي الله عنهما.

(٢) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى (١/ ١٤٩).



٦١

النّــور

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة، وهو مما تلقته الأُمة بالقبول وأثبتوه في أسمائه الحسنى[(١)]. وهو مِن حديث أبي هريرة الذي رواه الوليد بن مسلم، ومن طريقه رواه الترمذي والنسائي. ولم ينكره أحد من السلف ولا أحد من أئمة أهل السنة، ومحال أن يُسمي نفسه نوراً وليس له نور ولا صفة النور ثابتة له[(٢)].

ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور: ٣٥].

ومن السنة: حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: «نورٌ أنَّى أراه»[(٣)]. وفي الدعاء المشهور من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قوله ﷺ: «أعوذ بنور وجهك الكريم أن تضلني لا إله إلا أنت»[(٤)].

وفي اللغة: النور: الضياء، والجمع أنوار. وأنار الشيء واستنار بمعنى، أي: أضاء. والتنوير: الإنارة، والتنوير: الإسفار.

والنور نور النبات وزهره[(٥)].

وفي الشرع: نجد أن العلماء اختلفوا في معنى هذا الاسم على أقوال عديدة نقل بعضاً منها الإمام الطبري واختار منها أنَّه هادي من في السماوات

---

(١) شأن الدعاء للخطابي (ص٩٥)، وانظر: التوحيد لابن منده (٢/ ١٩٤)، المنهاج للحليمي (١/ ٢٠٧)، الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٢٠١)، الأسنى للقرطبي (١/ ٤٥٨)، إيثار الحق لابن الوزير (ص١٧٢)، الكافية لابن سعدي (ص٢٠١)، له الأسماء الحسنى للشرباصي (١/ ٤٣١).

(٢) مختصر الصواعق (ص٣٤٤ ـ ٣٥٥).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ١٧، ١٨)، برقم (٢٩٣)، كتاب الإيمان.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (١٧/ ٦٠)، برقم (٢٧١٧)، كتاب الذكر والدعاء.

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٣٨٨)، وانظر: الصحاح للجوهري (٢/ ٨٣٨، ٨٣٩).

والأرض[1]، كما نجد أنَّ الزجاج أشار إلى هذا الخلاف ولكنَّه قد أوَّل معنى هذا الاسم إلى المعرفة: نورها، أو أدلته وبراهينه[2]، وإلى ذلك ذهب الزجاجي[3]، وكذلك الخطابي[4]، وفسره الغزالي: بالظاهر على أنَّه صفة فعل[5]، ونقل ابن العربي في معناه مُلخص ستة أقوال جاءت على النحو التالي:

الأول: معناه: هادي، قاله ابن عباس.

الثاني: معناه: منور، قاله ابن مسعود، وروى أنَّ في مصحفه «منوِّر السماوات والأرض».

الثالث: أنَّه مزين، وهو يرجع إلى معنى منوِّر، قاله أبي بن كعب.

الرابع: أنَّه ظاهر.

الخامس: أنَّه ذو النور.

السادس: أنَّه نور لا كالأنوار، قاله الشيخ أبو الحسن الأشعري.

قال: وقالت المعتزلة: لا يقال: إنَّه نور إلا بالإضافة، قال: والصحيح أنَّه نور لا كالأنوار[6]. وهنا نجد أنَّ الإمام ابن القيم قد حقق القول في معنى هذا الاسم، فذهب إلى أن النور صفة من صفات ربنا ﷻ ومنه اشتق اسم «النور» الذي هو أحد الأسماء الحسنى[7]. كما نجده قد تعقب الأقوال المخالفة من أربعة عشر وجهاً، مستدلاً عليها بالكتاب والسنة وأقوال السلف ومراد العلماء منها[8]. وأجاب عن بعض الأقوال كقولهم منور السماوات والأرض، وهادي أهل السماوات والأرض بأنَّ هذا فعله وإلا فالنور الذي هو من أوصافه، قائم به، ومنه اشتق له اسم النور الذي هو أحد الأسماء الحسنى،

---

(١) جامع البيان للطبري (٩/ ٣٢٠).
(٢) تفسير أسماء الله للزجاج (ص٦٤).
(٣) اشتقاق أسماء الله للزجاجي (ص١٨٢).
(٤) شأن الدعاء للخطابي (ص٩٥).
(٥) المقصد الأسنى للغزالي (ص١٢٩).
(٦) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١/ ٤٥٩، ٤٦٠).
(٧) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٧).
(٨) للاستزادة: انظر هذه الأوجه: مختصر الصواعق (ص٣٤٤ ـ ٣٥٥).

والنور يضاف إليه سبحانه على أحد وجهين: إضافة صفة إلى موصوفها وإضافة مفعول إلى فاعله. وقد أشار إلى هذا الإمام ابن تيمية فقال: ثم قول من قال من السلف: هادي أهل السماوات والأرض لا يمنع أن يكون في نفسه نوراً، فإن من عادة السلف في تفسيرهم أن يذكروا بعض «صفات» المفسر من الأسماء أو بعض أنواعه، ولا ينافي ذلك ثبوت بقية الصفات للمسمى بل قد يكونا متلازمين ولا دخول لبقية الأنواع فيه، وهذا قد قررناه غير مرة في القواعد المتقدمة، ومن تدبره علم أنَّ أكثر أقوال السلف في التفسير متفقة غير مختلفة. مثال ذلك قول بعضهم في «الصراط المستقيم» إنَّه الإسلام وقول آخر: إنَّه القرآن، وقول آخر: إنَّه السنة والجماعة، وقول آخر: إنَّه طريق العبودية فهذه كلها صفات له متلازمة لا متباينة، وتسميته بهذه الأسماء بمنزلة تسمية القرآن والرسول بأسمائه، بل بمنزلة أسماء الله الحسنى[1].

ونلاحظ أن الإمام ابن القيم قد فصّل في معنى هذا الاسم الكريم مقرراً لمنهج السلف فيه وراداً لمناهج المتكلمين وغيرهم من المعطلين والحلوليين فقال في النونية:

والنورُ من أسمائهِ أيضاً ومن	أوصَافِهِ سُبحانَ ذي البُرهانِ
قالَ ابنُ مسعودٍ كلاماً قَدْ حكَا	هُ الدارميُّ عنهُ بلا نُكرانِ
ما عندهُ ليلٌ يكونُ ولا نها	رٌ قلت تحت الفُلكِ يوجدُ ذانِ
نورُ السماواتِ العُلى من نُورهِ	والأرضُ كيف النجمُ والقمرانِ
مِن نورِ وجهِ الربِّ جل جلالُهُ	وكذا حكاهُ الحافظُ الطبراني
فيه استنار العرشُ والكرسيُ مع	سبع الطباقِ وسائرِ الأكوانِ
وكتابهُ نورٌ كذلك شرعهُ	نورٌ كذا المبعوثُ بالفرقانِ
وكذلك الإيمانُ في قلبِ الفتَى	نورٌ على نورٍ مع القرآنِ
وحجابهُ نورٌ فلو كشفَ الحجا	ب لأحرقَ السبحاتُ للأكوانِ
وإذا أتى للفصلِ يشرقُ نورهُ	في الأرضِ يوم قيامةِ الأبدانِ

(١) مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية (٦/ ٣٩٠ ـ ٣٩٣) باختصار.

وكذاك دارُ الربِّ جنات العُلى ... نورٌ تلألأ ليسَ ذا بطلانِ
والنورُ ذو نوعين مخلوقٌ ووصـ ... فٌ ما هما والله متحدانِ
وكذلك المخلوقُ ذو نوعينِ محـ ... سوسٌ ومعقولٌ هما شيئانِ
احذر تزّلُ فتحت رجلكَ هُوَّةٌ ... كم قد هوَى فيها على الأزمانِ
من عابدٍ بالجهل زلّت رجلهُ ... فهوى إلى قعر الحضيضِ الداني
لاحَتْ لهُ أنوارُ آثارِ العبادةِ ... ظَنَّها الأنوارُ للرحمٰنِ
فأتى بكُلِّ مُصِيْبَةٍ وبليَّةٍ ... ما شِئْتَ من شَطَحٍ ومِنْ هَذيانِ
وكذا الحلولُ الذي هو خِدنهُ ... من هاهنا حقاً هما إخوانِ
ويقابلُ الرجُلينِ ذو التعطيلِ ... والحُجبُ الكثيفَةِ مَا هُما سِيانِ
ذا في كَثَافَةِ طبعهِ وظَلَامهِ ... وبِظُلمَةِ التعطيلِ هذا الثاني
والنورُ محجوبٌ فلا هَذَا ولَا ... هذا لهُ مِنْ ظُلمَةٍ يريانِ[1]

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

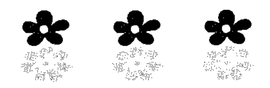
أنَّ المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بالنور فإنَّه يحرص على أن يكون له من هذا الاسم حظاً بقوله وعمله، وهذا يأتي بمعنى الصفة لله تعالى والنور يأتي بمعنى القرآن والوحي المنزل الذي به صفاء النفوس ونور القلوب بالإيمان والمعرفة. قال الإمام ابن القيم في بيان قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥]: هذا مثلٌ لنوره في قلب عبده المؤمن كما قال أُبيّ بن كعب وغيره، وقد اختلِف في تفسير الضمير في نوره: فقيل: هو النبي ﷺ، أي مثل نور محمد ﷺ، وقيل: تفسيره المؤمن، أي مثل نور المؤمن، والصحيح أنَّه يعود على الله ﷻ والمعنى: مثل نور الله ﷻ في قلب عبده وأعظم عباده نصيباً من هذا النور رسوله ﷺ. . . وهذا النور يضاف إلى الفاعل والقابل، ولهذا النور فاعل وقابل ومحل وحامل ومادة وقد تضمنت الآية ذكر هذه الأمور كلها على وجه التفصيل، فالفاعل: هو الله تعالى مفيض الأنوار الهادي لنوره من يشاء،

---

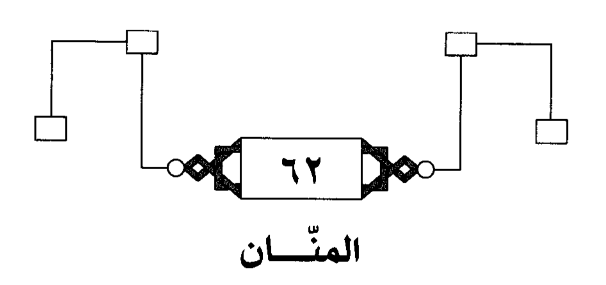
(١) النونية (ص١٤٨).

والقابل: العبد المؤمن، والمحل: قلبه، والحامل: همته وعزيمته وإرادته، والمادة: قوله وعمله، وهذا التشبيه العجيب الذي تضمنته الآية فيه من الأسرار والمعاني وإظهار تمام نعمته على عبده المؤمن بما أناله من نوره ما تقر به عيون أهله وتبتهج به قلوبهم... وكذلك قلب المؤمن فإنَّ فيه جميع الأوصاف الثلاثة فهو يرحم ويحسن ويتحنن ويشفق على الخلق برقته وبصفائه، تتجلى فيه صور الحقائق والعلوم على ما هي عليه ويباعد الكدر والدرن والوسخ بحسب ما فيه من الصفاء، وبصلابته يشتد في أمر الله تعالى ويتصلب في ذات الله تعالى ويغلظ على أعداء الله تعالى ويقوم بالحق لله تعالى، وقد جعل الله تعالى القلوب كالآنية، كما قال بعض السلف: القلوب آنية الله في أرضه أحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها.

والمصباح هو نور الإيمان في قلبه والشجرة المباركة هي شجرة الوحي المتضمنة للهدى، ودين الحق وهي مادة المصباح التي يتقِدُ منها، والنور على النور: نور الفطرة الصحيحة والإدراك الصحيح ونور، الوحي والكتاب، فينضاف أحد النورين إلى الآخر فيزداد العبد نوراً على نور، ولهذا يكاد ينطق بالحق والحكمة قبل أن يسمع ما فيه من الأثر ثم يبلغه الأثر بمثل ما وقع في قلبه ونطق به، فيتفق عنده شاهد العقل والشرع والفطرة والوحي فيريه عقله وفطرته وذوقه أن الذي جاء به الرسول ﷺ هو الحق، لا يتعارض عنده العقل والنقل البتة بل يتصادقان ويتوافقان، فهذا علاقة النور على النور عكس من تلاطمت في قلبه «أمواج» الشبه الباطلة والخيالات الفاسدة[1].



(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٤٤ ـ ٥٣).



المنّان

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب العزيز وهو من أسماء الأفعال[1]، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧]، وهو مذكور في حديث الأسماء[2] في رواية عبد العزيز بن الحصين ومن حديث أنس: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض»[3].

والمنّ في اللغة: القطع، يقال: مننت الحبل: قطعته، قال تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦] والمن: العطاء، وهو صنع الجميل، وهو الإحسان إلى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه.

والمنَّة: القوة، وخص بعضهم به قوة القلب.

ومنَّ عليه يمنُّ منّاً: أحسن وأنعم، ورجل منون: كثير الامتنان.

والمنّ له معنيان: **الأول** هو: إحسان المحسن مِن غير مقصد الإحسان، يقال: لحقت فلان من فلان مِنَّة إذا لحقته نعمة باستنقاذ من قتل أو ما أشبهة.

والثاني: من قولهم منَّ فلان على فلان إذا عظم الإحسان وفخر به وأَبْدأ فيه وأعادهُ حتى يفسده ويبغضه، والأول حسن والثاني: قبيح[4].

وفي الشرع أيضاً: نجد أن العلماء يعبرون عن معنى هذا الاسم الكريم

---

(١) انظر: الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/٢٥٨).

(٢) التوحيد لابن منده (٢/١٨٧)، وانظر: المنهاج للحليمي (١/٢٠٣)، الأسماء والصفات للبيهقي (١/١٧١)، الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/٢٥٨)، له الأسماء الحسنى للشرباصي (٢/٢٩)، القواعد المثلى لابن عثيمين (ص٤٢).

(٣) مسند الإمام أحمد (ص٧٥٣) برقم (١٣٦٠٥)، عن أنس بن مالك.

(٤) لسان العرب لابن منظور (١٣/١٩٨).

بكثرة العطاء وصنع الجميل وسابق الفضل من المنان تعالى.. وحول هذا المعنى يقول الخطابي: وأما المنان فهو كثير العطاء، والمنَّ: العطاء لمن لا يستثيبه، ومن هذا قوله سبحانه: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩][(١)].

وقال القرطبي: المن الذي هو العطاء دون طلب عوض، ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ في أحد وجوهه ويكون أيضاً مشتقاً من المنة التي هي التفاخر بالعطية على المعطي وتعديد ما صنعه، والمعنيان في حق الله تعالى صحيحان[(٢)].

وقال الأصبهاني: والمنان: الكثير العطاء، والمنُّ: العطاء، ومنه قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[(٣)].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أنَّ المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بالمنِّ والعطاء الكثير الذي ليس وراءه استثابة فإنه يستشعر مواهب الله العظيمة، فهو الذي أعطى الحياة والعقل والمنطق وصوّر فأحسن الصور، وأنعم فأجزل وأسنى النعم، وأكثر العطايا والمنح فقال وقوله الحق: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

قال الإمام ابن القيم في معرض كلامه عن الأول والآخر والظاهر والباطن: فانظر: كيف كانت هذه الأسماء الأربعة الأول والآخر والظاهر والباطن؛ جماع المعرفة وجماع العبودية له. فهنا وقفت شهادة العبد مع فضل خالقه ومنته فلا يرى لغيره شيئاً إلَّا به وبحوله وقوته.. فإذا وصل إلى القلب نور صفة المنَّة وشهد معنى اسمه المنان، وتجلى سبحانه على قلب عبده بهذا الاسم مع اسمه الأول، ذهل القلب والنفس به، وصار العبد فقيراً إلى مولاه بمطالعة سبق فضله الأول، فصار مقطوعاً عن شهود أمر أو حال ينسبه إلى

---

(١) شأن الدعاء للخطابي (ص١٠٠، ١٠١).
(٢) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/٢٥٨، ٢٥٩).
(٣) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١/٣٩).

نفسه بحيث يكون بشهادته لحاله مفصوماً مقطوعاً عن رؤية عزة مولاه وفاطره وملاحظة صفاته، فصاحب شهود الأحوال منقطع عن رؤية مِنَّةِ خالقه وفضله ومشاهدة سبق الأولية للأسباب كلها، وغائبٌ بمشاهدة عزة نفسه عن عزة مولاه، فينعكس هذا الأمر في حق هذا العبد الفقير وتشغله رؤية عزة مولاه ومنته ومشاهدة سبقه بالأولية عن حال يعتز بها العبد أو يشرف بها[1].

ومن مقتضى الإيمان بهذا الاسم الكريم أن يأخذ المؤمن بحظه ونصيبه من هذه الصفة على وجهها الحسن من العطاء والصنع الجميل والإحسان إلى الخلق، وحاديه في ذلك السلف الصالح الذين ضربوا أروع الأمثلة في العطاء والفضل. فهذا أبو بكر الصديق ﷺ جاء بما له ولم يبق لأهله منه شيء جاء يقدمه للإسلام والمسلمين فقال فيه النبي ﷺ: «وإنَّ من أمنِّ الناس عليَّ في ماله أبو بكر» وقوله: «ما أحد أمنُّ علي من أبي بكر واساني بنفسه وماله، وأنكحني ابنته»[2]. وهذا عمر الفاروق الذي أعطى الإسلام حياته كلها دمه ودموعه ليله ونهاره حتى ضرب الإسلام بأطنابه، وقال فيه القائل:

وراعَ صاحبَ كسرَى أن رأى عُمراً ... بين الرعيةِ عَطلاً وهو راعيهَا
وعهدهُ بملوكِ الفرسِ أنَّ لَهَا ... سُوراً من الجُندِ والأحراسِ يحميهَا
رآهُ مستغرِقاً في نومِه فرأَى ... فيهِ الجلالةُ في أسمَى معانِيهَا
وقال قولةَ حقٍ أصبَحَتْ مَثلاً ... وأصبح الجِيلُ بعد الجِيلِ يروِيهَا
أَمِنْتَ لَمَّا أقمتَ العدل بينهُمُ ... فنمتَ نوَم قريرِ العينِ هانِيهَا[3]

ولا زال يأمر وينهى بالإسلام حتى وهو مضرج بدمائه، ويحكى عنه ﷺ، أنَّ أعرابياً أتاه فقال:

---

(1) طريق الهجرتين (ص٢٦)
(2) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٧/ ١٤) برقم (٣٦٥٤)، عن أبي سعيد الخدري ﷺ.
(3) شرح ديوان حافظ إبراهيم ص (٣٨٨، ٣٨٩). وحافظ إبراهيم: هو محمد حافظ إبراهيم فهمي، مهندس بحري، كان قوي الحافظة، راويةً سميراً مرحاً، حاضر النكتة، جهوري الصوت، له ديوان حافظ، والبوساء، وليالي سطيح. انظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٧٦).

يا عمرَ الخيرِ جُزيتَ الجنَّة أكسُ بنياتِي وأُمَّهُنَّهْ
وكُنْ لَنا من الزمانِ جُنَّة أُقسمُ باللهِ لتفعَلنَّهْ

قال عمر: إن لم أفعل يكون ماذا؟ قال:

إذاً أبا حفص لأذهبنَّه.

قال: إذا ذهبت يكون ماذا؟ قال:

يكونُ عن حالِي لتُسألُنَّهْ يوم يكونُ الأُعطياتِ مِنَّة
وموقِفَ المسؤولِ بينهُنَّه إمَّا إلى نارٍ وإمَّا جَنَّة

فبكى عمر حتى اختضلت لحيته بالدمع ثم قال: يا غلام أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره، فواللهِ لا أملك غيره[1].

وهذا عثمان بن عفان ﵁ الذي حفر بئر رومة وجهز الجيوش بماله وأعطى عطاء من لا يخشى الفقر حتى قال فيه النبي ﷺ: «ما على عثمان ما فعل بعد هذا»[2]. وهذا علي ﵁ قام مقام إخوانه وأصحابه حتى جُعلت محبته من علامة الإيمان وبُغضه علامة للنفاق[3]، قام بالدين خير قيام حتى طُعن وهو يصلي بالناس فكانت حياته مليئة بالعطاء والعلم والجهاد فرضي الله عنهم أجمعين، ولا يزال في الأمة بحمد الله من يترسم خُطى هؤلاء المؤمنين ـ من الأئمة والعلماء والصالحين ـ في العطاء والتنافس والبذل والمسارعة فيه ولكل مجتهد نصيبه وكل آخذ بحظه ونصيبه من ذلك وكل ميسر لما خلق له.

ومن مقتضى الإيمان بهذا الاسم الكريم أن لا يَمُنَّ المؤمن بعلمه ولا بعمله. قال الإمام ابن القيم: «فمن جلى الله سبحانه صدأ بصيرته وكمَّل فطرته

---

(١) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ٢٦٣).

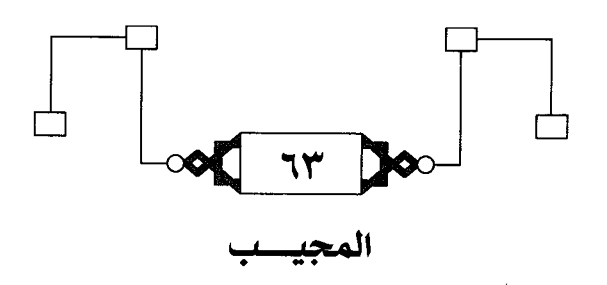
(٢) مسند الإمام أحمد (ص١١٩٦) برقم (١٦٨١٦)، من حديث عبد الرحمن بن خبَّاب السُّلمي.

(٣) مسند الإمام أحمد (ص١٢٤) برقم (١٠٦٢) من حديث علي بن أبي طالب ﵁. وعنه قال في رواية أخرى: والله إنه لما عهد إليَّ رسول الله ﷺ: «أنه لا يبغضني إلا منافق ولا يحبني إلا مؤمن». انظر: المسند، ص(٩٣) برقم (٦٤٢).

وأوقفه على مبادئ الأمور وغاياتها، ومناطها ومصادرها ومواردها أصبح كالمفلس حقاً من علومه وأعماله وأحواله وأذواقِهِ يقول: أستغفر الله من علمي ومن عملي، أي انتسابي إليهما وغيبتي بهما عن فضل من ذكرني بهما وابتدأني بإعطائهما من غير تقدم سبب مني يوجب ذلك، فهو لا يشهد غير فضل مولاه وسبق منته ودوامه فيثيبه مولاه على هذه الشهادة العالية بحقيقة الفقر الأوسط بين الفقرين الأدنى والأعلى ثوابين: **أحدهما**: الخلاص من رؤية الأعمال حيث كان يراها ويمتدح بها ويستكثرها فيستغرق بمطالعة الفضل غائباً عنها ذاهباً عنها فانياً عن رؤيتها الثواب. **والثاني**: أن يقطعه عن شهود الأحوال ـ أي عن شهود نفسه فيها متكثرة بها ـ فإن الحال محله الصدر والصدر بيت القلب والنفس، فإذا نـزل العطاء في الصدر للقلب ثبتت النفس لتأخذ نصيبها من العطاء فتتمدح به وتدل به وتزهو وتستطيل وتقرر إِنِّيَّتَها لأنَّها جاهلة ظالمة، وهذا مقتضى الجهل والظلم[1].



(١) طريق الهجرتين (ص٢٦).



المجيـــب

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب العزيز، ورد في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، وقوله: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٧٦]، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى(١).

وفي اللغة: المجابة: الجواب، يقال: كلمه فأجابه جواباً وهو مراجعة الكلام(٢).

والإجابة والاستجابة بمعنى، وأجوب دعوة أي: أسرع إجابة(٣).

وفي الشرع: نجد أن العلماء يتفقون في أنَّ معنى المجيب: هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويغيث الملهوف إذا ناداه(٤). وهو الذي يقابل مسألة السائلين بالإسعاف ودعاء الداعين بالإجابة، وضرورة المضطرين بالكفاية، بل ينعم قبل النداء ويتفضل قبل الدعاء(٥)، وقد عبَّر الإمام ابن القيم عن هذا المعنى في النونية فقال:

وهو المجيبُ يقولُ من يَدعو أُجبهُ   أنَا المجيبُ لكُل من نَاداني
وهو المجيبُ لدعوةِ المضطَرِّ إذ   يدعوهُ في سرٍّ وفي إعلانِ(٦)

ويشرح ابن سعدي هذين البيتين قائلاً: فهو المجيب إجابة عامة للداعين

---

(١) شأن الدعاء للخطابي (ص٧٢)، وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٧٣)، الحجة للأصبهاني (١/ ١٧٤)، إيثار الحق لابن الوزير (ص١٧١)، فتح الرحيم لابن سعدي (ص٥٢)، له الأسماء الحسنى للشرباصي (١/ ٢٤٢).
(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٤٩١).
(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (١/ ٣١٠)، وانظر: اشتقاق أسماء الله للزجاجي (ص١٤٨).
(٤) شأن الدعاء للخطابي (ص٧٢)، وانظر: المنهاج للحليمي (١/ ٢٠٤).
(٥) المقصد الأسنى للغزالي (ص١٠٦).
(٦) النونية (ص١٤٤).

مهما كانوا وأينما كانوا، وعلى أي حال كانوا كما وعدهم بهذا الوعد المطلق.

وهو المجيب إجابة خاصة للمستجيبين له، المنقادين لشرعه، ولهذا عقَّب ذلك بقوله: «فليستجيبوا لي» أي فإذا استجابوا لي أجبتهم.

وهو المجيب أيضاً إجابة خاصة للمضطرين كما قال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، وكذلك من انقطع رجاؤه من المخلوقين وقوي طمعه وتعلقه بالله رب العالمين[١].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أنَّ المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بالمجيب الذي يقابل الدعاء والسؤال بالعطاء والقبول، ويبتدئ بالنوال قبل السؤال ويجيب دعوة المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، ويغيث الملهوف إذا ناداه؛ فإنَّه يقوى رجاؤه بربه وتعلقه به طمعاً ورجاءً. فهو الذي ابتدأ العباد بالإجابة حيث قال تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] فلا أعظم ولا أكرم من هذا العرض على العباد، فسبحان من انفرد بإجابة الداعين وتنفيس كرب المضطرين الذي من شأنه النوال قبل السؤال، أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

ومن مقتضى الإيمان بهذا الاسم الكريم أن يكون المؤمن مجيباً أولاً لربه تعالى فيما أمره به ونهاه عنه، وفيما قربه إليه ودعاه، ثم لعباده فيما أنعم الله عليه بالاقتدار عليه، وفي كل سائل بما يسأله إن قدر عليه وفي لطف الجواب إن عجز عنه، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠].

وقال رسول الله ﷺ: «لو دعيت إلى كراع لأجبت، ولو أُهدي إليَّ ذراع لقبلت»[٢].

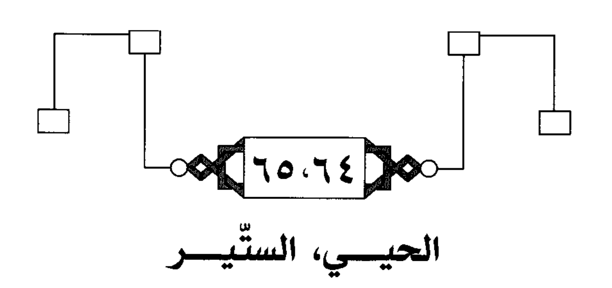
وكان حضوره الدعوات وقبوله الهدايا غاية الإكرام والإيجاب منه[٣].

---

(١) فتح الرحيم لابن سعدي (ص٥٣).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٩/ ٣٠٥) برقم (٥١٧٨)، كتاب النكاح، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) انظر: المقصد الأسنى للغزالي (ص١٠٦) بتصرف.



الحيـــي، الستّيــر

اسمان من أسماء الله تعالى الثابتة بالسنة المطهرة، وقد عدهما العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[(١)]. وهما من أسماء الأفعال من أبنية المبالغة على وزن فعيل[(٢)]. ودليلهما من السنة قوله ﷺ: «إن الله حيي كريم ستير يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين»[(٣)].

وفي اللغة: الحياء والاستحياء هو ضد الوقاحة[(٤)].

أمَّا الستر: فهو الغطاء، كقول: ستر الشيء ستراً، أي أخفاه، والستر ـ بالفتح ـ: مصدر سترت الشيء أستره إذا غطيتُه فاستتر هو، وتستر: أي تغطَّىٰ[(٥)].

وفي الشرع: نجد أنَّ الإمام ابن القيم يقرر مذهب أهل السنة والجماعة في معنى هذا الاسم بعيداً عن تأويلات المتكلمين، فيقول: وأمَّا حياء الرب تعالى من عبده: فذاك نوع آخر لا تدركه الأفهام، ولا تكيفه العقول، فإنَّه حياء كرم وبر وجود وجلال، فإنَّه تبارك وتعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً، ويستحي أن يعذب ذا شيبة شابت في الإسلام[(٦)][(٧)].

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٢٢٣)، وانظر: الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ٥٣٣)، توضيح الكافية لابن سعدي (ص١٨٨).
(٢) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١/ ٥٣٥).
(٣) عون المعبود بشرح سنن أبي داود (٢/ ٢٥٢)، برقم (٤٨٥)، كتاب الصلاة، باب الدعاء، من حديث سلمان رضي الله عنه
(٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ١٢٢).
(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ١٣٢).
(٦) صحيح الجامع الصغير (١/ ٣٦٢) برقم (١٧٧٥)، من حديث سلمان رضي الله عنه.
(٧) مدارج السالكين (٢/ ٢٧٢).

وإلى هذا المعنى ذهب الهراس فقال: وحياؤه تعالى وصف يليق به ليس كحياء المخلوقين الذي هو تغير وانكسار يعتري الشخص عند خوف ما يُعاب أو يذم، بل هو ترك ما ليس يتناسب مع سعة رحمته وكمال جوده وعظيم عفوه وحلمه[1].

وقد جمع الإمام ابن القيم هذين المعنيين في النونية فقال:

وهو الحيِّيُّ فليس يفضحُ عبدَهُ ... عِندَ التَجاهُرِ منه بالعِصيَانِ
لَكِنَّه يُلقي عليهِ سِترَهُ ... فهو الستيِّرُ وصاحِبَ الغفرانِ[2]

ويشرح ابن سعدي هذين البيتين فيقول: هذا مأخوذ من الحديث الذي رواه الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله حيي ستير يستحي من عبده إذا مدَّ يديه أن يردهما صفراً» وهذا من رحمته وكرمه وكماله أن العبد يجاهر بالعصيان وهو الفقير إلى ربه غاية الافتقار حتى إنه لا يمكنه أن يفعل معصية الله إلَّا بالتقوي عليها بنعم ربه، فيستحي ربه الكريم الرؤوف الرحيم من هتكه وفضيحته وإحلال العقوبة عليه[3].

ومن آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين:

أنَّ المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بالحياء والستر فإنَّه يحرص كل الحرص أن يكون له من هذه الصفات حظاً ونصيباً، فالحياء كما قال ابن القيم: أول مدارج أهل الخصوص، يتولد منه تعظيم منوطٌ بودّ يعني: أن الحياء حاصل من امتزاج التعظيم بالمودة فإذا اقترنا تولد بينهما الحياء.

فمن الحياء: حياءٌ يتولد من علم العبد بنظر الحق إليه، فيجذبه إلى تحمل هذه المجاهدة ويحمله على استقباح الجناية، ويسكته عن الشكوى، يعني: أنَّ العبد متى علم أنَّ الرب تعالى ناظرٌ إليه أورثه هذا العلم حياءً منه يجذبه إلى احتمال أعباء الطاعة، مثل العبد إذا عمل الشغل بين يدي سيده فإنَّه يكون

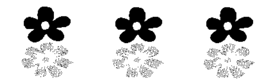
---

(1) شرح النونية للهراس (٢/ ٨٥). (2) النونية (ص١٤٢).
(3) التوضيح المبين لابن سعدي (ص٨٥، ٨٦).

نشيطاً فيه، محتملاً لأعبائه، ولا سيما مع الإحسان من سيده إليه، ومحبته لسيده، بخلاف ما إذا كان غائباً عن سيده والرب تعالى لا يغيب نظره عن عبده، ولكن يغيب نظر القلب والتفاته إلى نظره سبحانه إلى العبيد، فإنَّ القلب إذا غاب نظره وقلَّ التفاته إلى نظر الله تبارك وتعالى إليه: تولد من ذلك قلة الحياء والقِحة، وكذلك يحمله على استقباح جنايته وهذا الاستقباح الحاصل بالحياء قدر زائد على استقباح ملاحظة الوعيد وهو فوقه.

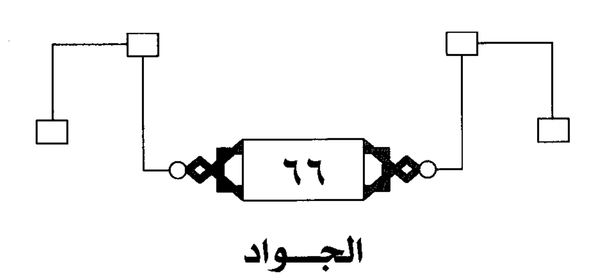
وأرفع منه درجة الاستقباح الحاصل عن المحبة، فاستقباح المحب أتم من استقباح الخائف، ولذلك فإن هذا الحياء يكف العبد أن يشتكي لغير الله، فيكون قد شكا الله إلى خلقه، ولا يمنع الشكوى إليه سبحانه، فإن الشكوى إليه سبحانه فقر، وذل، وفاقة، وعبودية، فالحياء منه في مثل ذلك لا ينافيها[1].

كما يجب على المؤمن أن يتصف بالستر لينال بذلك محبة الله ﷻ لأنَّه تعالى حيي ستير يحب أهل الحياء والستر. قال النووي في شرح مسلم في قوله ﷺ: «ومن ستر مسلماً ستره الله ﷻ يوم القيامة» قال: وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفاً بالأذى والفحشاء[2].



(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٧٢ ـ ٢٧٨)، باختصار.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ٢٣٥).



الجــواد

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالسنة المطهرة، من حديث ابن عباس وسعد بن أبي وقاص مرفوعاً: (إنَّ الله جواد يحب الجود)[1]. وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[2]. وهو من أسماء الأفعال.

والجواد في اللغة: التسمح بالشيء، وكثرة العطاء، والجواد: الفرس الذريع السريع وجمعه جياد.

والجَودُ: المطر الغزير: تقول: جاد المطر جوداً فهو جائد، والجمع جودٌ مثل صاحب وصَحْب[3].

قال الراغب: ويقال في المطر الكثير جود، وفي الفرس جُودةٌ، وفي المال جود[4].

وفي الشرع أيضاً نجد أنَّ: معنى الجواد لا يخرج عن معناه في اللغة فهو الكثير العطاء. قال أبو عمرو بن العلاء: الجواد: الكريم، وتقول العرب: فرس جواد إذا كان غزير الجري، ومطر جود: إذا كان غزيراً[5].

وعند البيهقي في الأسماء والصفات: الجواد: هو كثير العطايا[6].

ويستدل القرطبي على معناه بكلام العرب فيقول: والجواد في كلام

---

(١) صحيح الجامع الصغير (١/ ٣٥٩) برقم (١٧٤٤)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) التوحيد لابن منده (٢/ ٩٩). وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٦٩)، الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ٢٥٣)، توضيح الكافية لابن سعدي (ص١٩٢).
(٣) الصحاح للجوهري (٢/ ٤٦١، ٤٦٢). (٤) المفردات للراغب (ص١٠٣).
(٥) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى **للقرطبي** (١/ ٢٥٥).
(٦) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٦٩).

العرب معناه: الكثير العطايا يقال منه: جاد الرجل يجود جوداً فهو جواد، قال عنترة:

جادت عليها كلُّ عين ثرَّةٍ   فتركن كل حديقةٍ كالدِّرهم[(١)]

ويشير الهراس إلى ثبوت صفة الجود لله تعالى قائلاً: الجواد: المتصف بالجود، وهو كثرة الفضل والإحسان[(٢)].

وقد فصّل الإمام ابن القيم في هذا المعنى ووفاه حقه في أكثر من موضع فقال: هو الجواد لذاته، وجود كل جواد خلقه الله ويخلقه أبداً: أقل من ذرَّةٍ بالقياس إلى جوده، فليس الجواد على الإطلاق إلَّا هو، وجود كل جواد فمن جوده، ومحبته للجود والإعطاء والإحسان والبر والإنعام والإفضال فوق ما يخطر ببال الخلق أو يدور في أوهامهم[(٣)]، وأحب ما إليه أن يجود على عبادهِ ويوسعهم فضلاً ويعمرهم إحساناً وجوداً، وتتم عليهم نعمته، ويضاعف لديهم مننه، ويتعرف إليهم بأوصافه وأسمائه ويتحبب إليهم بنعمه وآلائه[(٤)].

وقال في النونية:

وهو الجوادُ فجودهُ عمَّ الوجودِ   جَميعهُ بالفضلِ والإحسَانِ
وهو الجوادُ فلا يخَيِّبُ سَائلاً   ولو انَّهُ من أُمةِ الكُفرانِ[(٥)]

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أنَّ المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بالجود وكثرة العطاء فإنَّه يحرص على مواقع فضله ورحمته تعالى، فإنَّه أجود الأجودين وأكرم الأكرمين فهو يحب الإحسان والجود والعطاء والبر، وذلك أَنَّ الفضل كله بيده والخير كله منه. قال الإمام ابن القيم: وفرحه بعطائه وجوده وإفضاله أشد من فرح الآخذ بما يُعطاه ويأخذه، أحوج ما هو إليه أعظم ما كان قدراً، فإذا اجتمع شدة الحاجة وعظم قدر العطية والنفع بها فما الظن بفرح المعطي؟ ففرح المعطي

---

(١) المفردات للراغب (ص١٠٣).
(٢) شرح النونية للهراس (٢/ ٩٤).
(٣) مدارج السالكين (١/ ٢٣٣، ٢٣٤).
(٤) نفس المصدر والصفحة.
(٥) النونية (ص١٤٤).

سبحانه بعطائه أشد وأعظم من فرح هذا بما يأخذه. ولله المثل الأعلى... فما الظن بمن تقدس وتنـزه عن ذلك كله؟ ولو أن أهل سماواته وأرضه، وأول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنّهم ورطبهم ويابسهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد ما سأله: ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة وهو الجواد لذاته، كما أنّه الحي لذاته، العليم لذاته، السميع البصير لذاته فجوده العالي من لوازم ذاته، والعفو أحب إليه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة، والفضل أحب إليه من العدل، والعطاء أحب إليه من المنع[1].

والجود صفة الكرماء وشيمة النبلاء، كانت العرب تفاخر به وتطاول حتى تنافس فيه أقوام. وهو عشر مراتب جمعها الإمام ابن القيم في مدارج السالكين فقال:

أحدها: الجود بالنفس وهو أعلى مراتبه كما قال الشاعر:

يجودُ بالنفسِ إذ ضنَّ البخيلُ بِها   والجودُ بالنفسِ أقصى غايةِ الجودِ[2]

الثانية: والجود بالرياسة. وهو ثاني مراتب الجود، ويحمل الجواد جوده على امتهان رياسته والجود بها والإيثار في قضاء حاجات الملتمس.

الثالثة: الجود براحته ورفاهيته، وإجمامه نفسه، فيجود بها تعباً وكداً في مصلحة غيره، ومن هذا جود الإنسان بنونه ولذته لمسامره كما قيل:

متيَّمٌ بالنَّدَى لو قال سائلهُ   هبْ لي جَميع كرَى عينيكَ لم ينَمِ

الرابعة: الجود بالعلم وبذله، وهو من أعلى مراتب الجود، والجود به أفضل من الجود بالمال، لأن العلم أشرف من المال.

الخامسة: الجود بالنفع بالجاه، كالشفاعة والمشي مع الرجل إلى ذي سلطان، ونحوه وذلك زكاة الجاه المطالب بها العبد، كما أن التعليم وبذل العلم زكاته.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٢٣٣، ٢٣٤).

(٢) موسوعة الشعر العربي، معهد البحوث العلمية بجامعة أُم القرى (١/ ٥٣٣)، والبيت لأبي الشيص الخزاعي.

السادسة: الجود بنفع البدن على اختلاف أنواعه كما قال ﷺ: «يصبح على كلِّ سُلامى من أحدكم صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين اثنين: صدقة، ويعين الرجل في دابته فيحمله عليها، أو يرفع له عليها متاعه: صدقة، والكلمة الطيبة: صدقة، وبكل خطوة مشيها الرجل إلى الصلاة: صدقة، ويميط الأذى عن الطريق: صدقة»[1].

السابعة: الجود بالعرض، كجود أبي ضمضم من الصحابة رضي الله عنهم، كان إذا أصبح قال: اللهم إنه لا مال لي، أتصدق به على الناس، وقد تصدقت عليهم بعرضي، فمن شتمني أو قذفني فهو في حل، فقال النبي ﷺ: «من يستطيع منكم أن يكون كأبي ضمضم»[2].

الثامنة: الجود بالصبر والاحتمال، والإغضاء، وهذه مرتبة شريفة من مراتبه وهي أنفع لصاحبها من الجود بالمال وأعز له وأنصر، وأملك لنفسه، وأشرف لها، ولا يقدر عليها إلا النفوس الكبار.

التاسعة: الجود بالخُلق والبِشر والبسطة، وهو فوق الجود بالصبر، والاحتمال والعفو، وهو الذي بلغ بصاحبه درجة الصائم القائم، وهو أثقل ما يوضع في الميزان. قال النبي ﷺ: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسط إليه»[3].

العاشرة: الجود بتركه ما في أيدي الناس عليهم، فلا يلتفت إليه، ولا يستشرف له بقلبه، ولا يتعرض له بحاله، ولا لسانه، وهذا الذي قال عبد الله بن المبارك: «إنه أفضل من سخاء النفس بالبذل»، فلسان حال القدر يقول للفقير الجواد: وإن لم أعطك بما تجود به على الناس، فجُد عليهم بزهدك في أموالهم وما في أيديهم تفضل عليهم، وتزاحمهم في الجود، وتنفرد عنهم

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٥/ ٣٢٨) برقم (٧٢٠)، كتاب صلاة المسافرين، عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ.

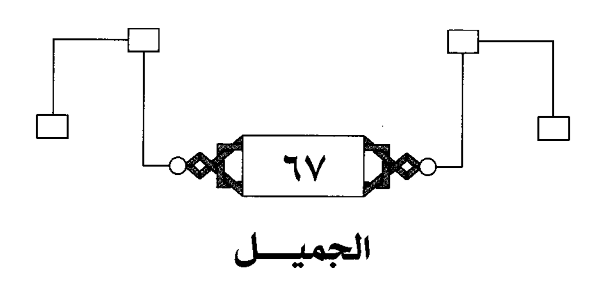
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ٢٧١) برقم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة، عن أبي ذر رضي الله عنه.

بالراحة، ولكل مرتبة من مراتب الجود مزيد وتأثير خاص في القلب والحال، والله سبحانه تعالى قد ضمن المزيد للجواد، والإتلاف للإمساك[1]، والله المستعان[2].



(١) إشارة إلى قوله ﷺ من حديث أبي هريرة: «اللهم أعطِ منفقاً خلفاً وأعطِ ممسكاً تلفاً» .انظر: مسند الإمام أحمد (ص٦٠٠) برقم (٨٠٤٠)، وانظر: تهذيب الآثار للطبري (١/ ٢٦٨) برقم (٤٤٦).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٠٥ ـ ٣٠٨) باختصار.



الجميـــل

لم يرد اسم الجميل في كتاب الله تعالى اسماً ولا وصفاً له، وإنَّما ثبت في السنة عن جمع من الصحابة رضوان الله عليهم كعبد الله بن عمرو بن العاص وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر بن الخطاب وثابت بن قيس، وأبو الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ الذي جاء فيه: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبر»، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنةً، قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»[(١)]. وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[(٢)].

والجمال في اللغة: الحُسن والبهاء، وهو ضد القبح[(٣)].

والجمال: الحُسن في الخُلُق والخَلْقِ[(٤)].

وقال الراغب: الجمال: الحُسن الكثير وذلك ضربان:

أحدهما: جمالٌ يختص الإنسان به في نفسه أو بدنه أو عقله.

والثاني: ما يوصل منه إلى غيره.

ويُقال: جميل وجُمالٌ وجُمَّال على التكثير[(٥)].

وفي الشرع: نجد أن الإمام ابن القيم ممن يثبت هذا الاسم الكريم لله

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ١١٧، ١١٨).

(٢) شأن الدعاء للخطابي (ص١٠٢)، وانظر: التوحيد لابن منده (٢/ ٩٩)، الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١١٥)، الحجة للأصبهاني (١/ ١٧٥)، فتح الرحيم لابن سعدي (ص٣٩)، له الأسماء الحسنى للشرباصي (٢/ ١٢٤).

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ١٨٤).

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي (ص٩٧٩).

(٥) المفردات للراغب (ص٧٩).

تبارك وتعالى ويستدل عليه من النقل بقوله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال».

ومن العقل بقوله: فلله كل صفة كمال وهو موصوف بتلكم الصفات كلها، ونذكر من ذلك صفة واحدة يُعتبرُ بها في سائر الصفات: وهو أنك لو فرضت جمال الخلق كلهم من أولهم إلى آخرهم لشخص واحد منهم، ثم كان الخلق كلهم على جمال ذلك الشخص؛ لكان نسبته إلى جمال الرب تبارك وتعالى دون نسبة سراج ضعيف إلى جرم الشمس[1].

ونجده يذكر هذه المعاني في موضع آخر فيقول في هذا الاسم العظيم: ومن أسمائه الحسنى الجميل ومن أحق بالجمال ممن كل جمال في الوجود فهو من آثار صنعه، فله جمال الذات وجمال الأوصاف، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء وكلها حسنى، وأوصافه كلها كمال وأفعاله كلها جميلة[2].

وفي النونية يقول:

وهو الجميلُ على الحقيقةِ كيف لَا	وجمالُ سائرِ هذهِ الأكوانِ
من بعض آثار الجميلِ وقربها	أولى وأجدرُ عند ذي العرفانِ
فجمالهُ بالذاتِ والأوصافِ والـ	أفعالِ والأسماءِ والبرهانِ[3]

وهكذا فإن الإمام ابن القيم لم ينفرد عن العلماء بإثبات هذا الاسم الكريم بل إن من أثبته أكثر مِمَّنْ نفاه، ولم يخالف في معناه وينكره سوى المتكلمين، وقد تصدى لهم من العلماء الأصبهاني في الحجة فقال: قال بعض أهل النظر: ولا يجوز أن يوصف الله بالجميل ولا وجه لإنكار هذا الاسم أيضاً، لأنه إذا صح عن النبي ﷺ فلا معنى للمعارضة، وقد صح أنه قال ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال» فالوجه إنما هو التسليم والإيمان[4].

وممن أثبت هذا الاسم لله تعالى الإمام النووي حيث قال: والمختار جواز إطلاقه على الله تعالى[5].

---

(١) مختصر الصواعق للموصلي (ص١٤٤) وانظر: شفاء العليل (ص٢٧٧).

(٢) الفوائد (ص٣٢٣). (٣) النونية (ص١٤١).

(٤) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/ ٤٩٠).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/ ١١٩).

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أنَّ المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بالجمال فإنَّه يحرص على معرفة ربه تعالى بهذا الجمال الذي بهر القلوب والعقول فكان كل جمال في الوجود من آثار صنعته، فما الظن بمن صدر عنه هذا الجمال؟ قال الإمام ابن القيم: من أعز أنواع المعرفة معرفة الرب سبحانه بالجمال وهي معرفة خواص الخلق، وكلهم عرفه بصفة من صفاته، وأتمهم معرفةً من عرفه بكماله وجلاله، وجماله سبحانه ليس كمثله شيء في سائر صفاته، ولو فرضت الخلق كلهم على أجملهم صورةً وكلهم على تلك الصورة، ونسبت جمالهم الظاهر والباطن إلى جمال الرب سبحانه لكان أقل من نسبة سراج ضعيف إلى قرص الشمس، ويكفي في جماله: «أنَّه لو كشف عن وجهه لأحرقت سبحاته ما انتهى إليه بصره من خلقه»، ويكفي في جماله أن كل جمال ظاهر وباطن في الدنيا والآخرة فمن آثار صنعته فما الظن بمن صدر عنه هذا الجمال، ويكفي في جماله أنَّه له العزة جميعاً، والقوة جميعاً، والجود كله والإحسان كله، والعلم كله، والفضل كله، والنور كله، وجهه أشرقت له الظلمات كما قال النبي ﷺ في دعاء الطائف: «أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة»[1].

ولقد ضل في مفهوم الجمال أقوام قال عنهم الإمام ابن القيم:

ولكن ضل في هذا الموضوع فريقان: فريق قالوا كل ما خلقه جميل، فهو يحب كل ما خلقه، ونحن نحب جميع ما خلقه فلا ينبغي منه شيئاً، قالوا: ومن رأى الكائنات منه رآها كلها جميلة وأنشد منشدهم:

---

(١) هذا الدعاء أورده ابن إسحاق في السيرة النبوية (٢/ ٣٤، ٣٥). وانظر: تاريخ الطبري (٢/ ٣٤٦، ٣٤٧) نقلاً عن ابن إسحاق، والبداية والنهاية لابن كثير (٣/ ١٣٧)، وعيون الأثر لابن سيده (١/ ٢٣٢)، والسيرة النبوية لأبي شهبة (ص٤٠٢)، والرحيق المختوم للمباركفوري (ص١٢٣). والذي في الصحيح عند البخاري من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قصة عرضه نفسه ـ ﷺ ـ في الطائف على (عبد يا ليل بني عبد كلال) لكن دون ذكر هذا الدعاء الذي استشهد به الإمام ابن القيم. انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦/ ٣٨٤) برقم (٣٢٣١).

وإذا رأيتَ الكائناتِ بِعينهِمْ فجميعُ ما يحوي الوجودُ مليحُ

واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧] وقوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨] وقوله: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣]، والعارف عندهم هو الذي يصرح بإطلاق الجمال، ولا يرى في الوجود قبيحاً، وهؤلاء قد عُدمت الغيرةُ لله من قلوبهم، والبغض في الله، والمعاداة فيه، وإنكار المنكر، والجهادُ في سبيله وإقامة حدوده، ويرى جمال الصور من الذكور والإناث من الجمال الذي يحبه الله فيتعبدون بفسقهم فيها، وإن كان اتحادياً[1] قال: هي مظهر من مظاهر الحق، ويسميها المظاهر الجميلة.

وقابلهم الفريق الثاني فقالوا: قد ذم الله سبحانه جمال الصور، وتمام القامة والخلقة، فقال عن المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: ٤] وقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٤] أي أموالاً ومناظر. قال الحسن: هو الصور.

وفي صحيح مسلم عنه ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنَّما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[2]. قالوا: ومعلوم أنَّه لم ينف نظر الإدراك، وإنَّما نفى نظر المحبة. قالوا: وقد حرم علينا لباس الحرير والذهب وآنية الذهب والفضة، وذلك من أعظم جمال الدنيا، وقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١] وفي الحديث: «البذاذة من الإيمان»[3].

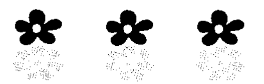
---

(١) الاتحاد هو: شهود الوجود في الحق الواحد المطلق الذي الكل به موجود بالحق، فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجوداً به معدوماً بنفسه (تعالى الله عما يقوله الظالمون علواً كبيراً). انظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (ص٤٩).

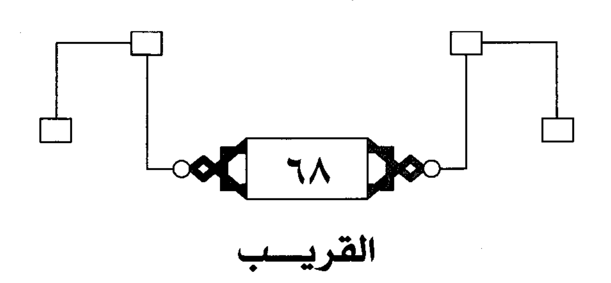
(٢) صحيح الجامع الصغير للألباني (١/ ٣٨٠) برقم (١٨٦٢) وهو عند مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح سنن أبي داود للألباني (٢/ ٧٨٤) برقم (٣٥٠٧) من حديث أبي أُمامة بن ثعلبة. وهو حديث صحيح كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح وقال: والبذاذة: رثاثة الهيئة والمراد بها هنا ترك الترفه، والتنطُّعْ في اللباس، والتواضع فيه مع القدرة لا بسبب جحد نعمة الله تعالى. انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٠/ ٤٥٠) باب الترجل والتيمن فيه برقم (٥٩٢٦).

وقد ذم الله المسرفين، والسرف كما يكون في الطعام والشراب يكون في اللباس. وفصل النزاع أن يقال: الجمال في الصورة واللباس والهيئة ثلاثة أنواع: منه ما يحمد ومنه ما يذم، ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم. فالمحمود منه ما كان لله وأعان على طاعة الله، وتنفيذ أوامره، والاستجابة له، كما كان النبي ﷺ يتجمل للوفود. وهو نظير لباس آلة الحرب للقتال ولباس الحرير في الحرب والخيلاء فيه، فإنَّ ذلك محموداً إذا تضمن إعلاءً لكلمة الله، ونصر دينه، وغيظ عدوه، والمذموم منه ما كان للدنيا والرئاسة والفخر والخيلاء والتوسل إلى الشهوات، وأن يكون هو غاية العبد وأقصى مطلبه. فإنَّ كثيراً من النفوس ليس لها همٌّ في سوى ذلك، وأما ما لا يحمد ولا يذم فهو ما خلا عن هذين القصدين، وتجرد عن الوصفين. والمقصود أن هذا الحديث الشريف مشتمل على أصلين عظيمين: فأوَّله معرفة، وآخره سلوك، فيُعرف الله سبحانه بالجمال الذي لا يماثله في شيء، ويعُبد بالجمال الذي يحبه من الأقوال والأعمال والأخلاق، فيحبُّ من عبدِه أن يُجمِّل لسانه بالصدق وقلبه بالإخلاص والمحبة والتوكل، وجوارحه بالطاعة، وبدنه بإظهار نعمه عليه في لباسه، وتطهيره له من الأنجاس والأحداث والأوساخ في الشعور المكروهة والختان وتقليم الأظافر، فيعرفُه بصفات الجمال ويتعرف إليه بالأفعال والأقوال والأخلاق الجميلة، فيعرفه بالجمال الذي هو وصفه، ويعبده بالجمال الذي هو شرعه ودينه، فجمع الحديث قاعدتين: المعرفة والسلوك[1].



(١) الفوائد (ص٣٢٣ ـ ٣٢٧).



القريـــب

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالكتاب العزيز، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. وهو من أسماء الأفعال من أبنية المبالغة على وزن فعيل. ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠].

وفي اللغة: القرب خلاف البعد[2].

وقرب الشيء بالضم يقرُبُ قُرباً وقرباناً أي: دنا فهو قريب، والواحد والاثنان والجمع في ذلك سواء، والقُربان ما قُرِّب إلى الله ﷻ وتقربت به[3].

وفي الشرع: نجد أن الإمام ابن القيم يوافق شيخه الإمام ابن تيمية في معنى القرب[4]، حيث يذهب إلى أن قرب الرب تعالى إنَّما ورد خاصاً لا عاماً، وهو نوعان: قربه من داعيه بالإجابة، ومن مطيعه بالإنابة، ولم يجئ القرب كما جاءت المعية خاصة وعامة، فليس في القرآن ولا في السنة أنَّ الله قريب من كل أحد، وأنَّه قريب من الكافر والفاجر، وإنَّما جاء خاصاً كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦] فهذا قربه من داعيه وسائله به[5].

وقد أشار إلى هذا المعنى في النونية فقال:

---

(١) انظر: شأن الدعاء للخطابي (ص١٠٢)، التوحيد لابن منده (٢/ ١٧١)، الحجة للأصبهاني (١/ ١٧٧)، الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١١١)، إيثار الحق لابن الوزير (ص١٧١)، فتح الرحيم لابن سعدي (ص٥٢).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٨٠)، (قرب).

(٣) الصحاح للجوهري (١/ ١٩٨، ١٩٩).

(٤) الحموية للإمام ابن تيمية (ص٣٨٦). وانظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٢٢٦ ـ ٢٤٣).

(٥) مختصر الصواعق (ص٣٩٦).

وهو القريبُ وقربهُ المختصُ بالـد اعـي وعـابـدهُ عـلـى الإيـمـانِ[1]

ويشرح ابن سعدي هذا البيت قائلاً: وقربه تعالى نوعان: قرب عام من كل أحد بعلمه وخبرته ومراقبته ومشاهدته وإحاطته، وقرب خاص من عابديه وسائليه ومحبيه، وهو قرب لا تدرك له حقيقة، وإنما تعلم آثاره من لطفه بعبده وعنايته به وتوفيقه وتسديده[2].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أنَّ المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بالقرب من داعيه بالإجابة، ومن مطيعه بالإنابة، فإنَّه يحرص على أن يكون قريباً من الله بتكميله العبودية، فإنَّه ليس بين الرب والعبد إلا محض العبودية، فكلما كمل قرُب العبد إليه خصه بمزيد فضله، فمن تقرب إليه شبراً تقرَّب إليه ذراعاً.

هذا قربه تعالى من عابده، وأمَّا قربه من داعيه فكما في الآية: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقربه تعالى من عباده وداعيه قرب خاص أخص من قرب الإنابة وقرب الإجابة، الذي لم يثبت أكثر المتكلمين سواه[3].

وبهذا يتبين أن قربه تعالى من عباده نوعان:

أولهما: قربه ـ تعالى ـ من قلوب المؤمنين، وقرب قلوبهم منه، وهذا أمر معروف لا يُجهل فإنَّ القلوب تصعد إليه على قدر ما فيها من الإيمان والمعرفة به تعالى وذكره وخشيته والتوكل عليه لم ينكره منهم أحد. **والثاني**: ما دل عليه الحديث ونحوه مثل قربه عشية عرفة، وقربه آخر الليل، كما ثبتت بذلك النصوص. وهذا القرب ينكره أكثر المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشعرية، وإنكاره منكَر[4].

وللرد على من زعم أنَّ القرب يقصد به الحلول والاتحاد قال الإمام

---

(١) النونية (ص١٤٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٥/ ٣٠٤).

(٣) بدائع الفوائد (٢/ ٣١٠).

(٤) كتاب التوحيد للغنيمان (١/ ٢٦٦).

ابن القيم: «وأمَّا ما ذكرتم من أن مشاهدة القُرب تجعل القصد قعوداً: فكلام له خبئ، وقد أفصح عنه بعض المغرورين المخدوعين بقوله:

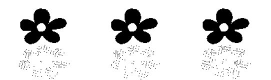
ما بال عينكَ لا يقرُّ قرارُها ... إلامَ ظِلُّكَ لا ينِي مُتنقلاً

فلسوفَ تعلمُ أن سيركَ لم يكنْ ... إلَّا إليكَ إذا بلغتَ المنزلَا

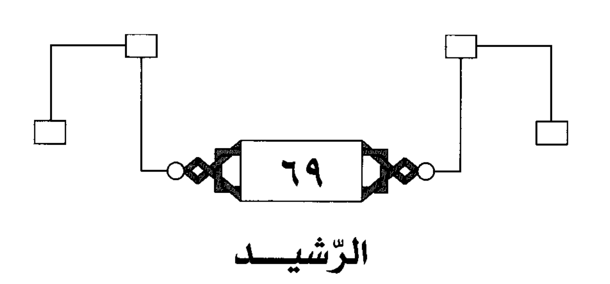
وكأنَّ صاحبه يشير إلى أنَّه وجود قلبه ولسانه، ووجوده أقرب إليه من إرادته ولطفِهِ. هذا خبيء هذا الكلام، وتعالى الله عن إلحاد هذا وأمثاله وإفكهم علواً كبيراً، بل هو سبحانه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه.

وأمَّا ما ذكرتم من القرب: فإن أردتم عموم قربه إلى كل لسان من نطقه، وإلى كل قلب من قصده، فهذا ـ لو صح ـ لكان قرب قدرةٍ وعلم وإحاطة لا قرباً بالذات والوجود، فإنَّه سبحانه لا يمازج خلقه، ولا يخالطهم، ولا يتحد بهم مع أنَّ هذا المعنى لم يرد عن الله ورسوله، ولا عن أحد من السلف الأخيار تسميته قرباً، ولم يجئ القرب في القرآن والسنة قط إلَّا خاصاً كما تقدم.

وإن أردتم القرب الخاص إلى اللسان والقلب: فهذا قرب المحبة، وقرب الرضى، والأُنس كقرب العبد من ربه وهو ساجد، وهو نوع آخر من القرب لا مثال ولا نظير، فإنَّ الروح والقلب يقربان من الله وهو على عرشه والروح والقلب في البدن، وهذا لا ينافي القصد والطلب، بل هو مشروط بالقصد، فيستحيل وجوده بدونه، وكلما كان الطلب والقصد أتم كان هذا القرب أقوى[1].



(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٠٠ ـ ٣٠٢).



الرّشيد

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[(١)]. وهو من أسماء الأفعال. ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

من أبنية المبالغة على وزن فعيل بمعنى مفعل[(٢)].

وفي اللغة: الرُشد: والرشاد، والرُشُد: نقيض الغي والضلال، يقال: رشد الرجل فهو راشد إذا أصاب وجه الأمر والطريق، وأرشده الله: هداه[(٣)].

وفي النهاية: في أسماء الله تعالى: «الرشيد» هو الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم أي هداهم ودلهم عليها[(٤)].

وفي الشرع أيضاً: نجد أن العلماء يتفقون في معنى هذا الاسم الكريم.

فالخطابي يرى أن الرشيد: هو الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم، فعيل بمعنى مفعل، بمعنى الحكم ذي الرُشد لاستقامة تدبيره، وإصابته في أفعاله[(٥)].

وكذا الزجاج يثبت هذا المعنى بعينه فيقول: الرشيد هو «فعيل» في معنى

---

(١) التوحيد لابن منده (٢/ ١٢٨). وانظر: شأن الدعاء للخطابي (ص٩٧)، الأسنى للقرطبي (١/ ٤٧١)، إيثار الحق لابن الوزير (ص١٧١)، له الأسماء الحسنى للشرباصي (١/ ٤٥٥)، توضيح الكافية لابن سعدي (ص١٩٨).

(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥/ ٢٥٥).

(٣) الصحاح للجوهري (٢/ ٤٧٤)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (٥/ ٢١٩، ٢٢٠).

(٤) النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٥٥).

(٥) شأن الدعاء للخطابي (ص٩٧).

«مفعل» والله تعالى أرشد الخلق كلهم إلى مصالحهم، وأرشد أولياءه خاصة إلى الجنة وطرق الثواب، فهو الرشيد[1].

ونقل القرطبي في الأسنى قول ابن الحصار فيه فقال: «وكذلك الرشيد هو المصيب في أفعاله المستقيم التدبير»[2].

وفي المقصد يورد الغزالي هذا المعنى مشيراً إلى وجه الحكمة فيه فيقول:

وهو الذي تنساق تدبيراته إلى غاياتها عن سنن السداد[3].

كما نجد أن الإمام ابن القيم جمع هذه المعاني مشيراً إلى أن هذا الاسم من أسماء الأفعال، فقال في النونية:

وهو الرشيدُ فقولهُ وفِعالُه رُشْدٌ ... وربُّكَ مرشدَ الحَيرانِ
وكلاهُما حقٌّ فهذا وصفهُ ... والفعلُ للإرشادِ ذاك الثانِي[4]

ويشرح ابن سعدي هذين البيتين قائلاً: الرشيد هو الذي قوله رُشد وفعله كله رشد، وهو مرشد الحيران الضال فيهديه إلى الصراط المستقيم بياناً وتعليماً وتوفيقاً، فالرشد الدال عليه اسم الرشيد وصفه تعالى، والإرشاد لعباده فعله[5].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

أنَّ المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بالرشد في قوله وفعله وأمره ونهيه، فإنَّه يطمع في توفيقه تعالى وهدايته له، فمن هداه فهو وليه ومرشده. وفي الدعاء: «اللهم هب لي من لدنك رحمةً وهيء لي من أمري رشداً».

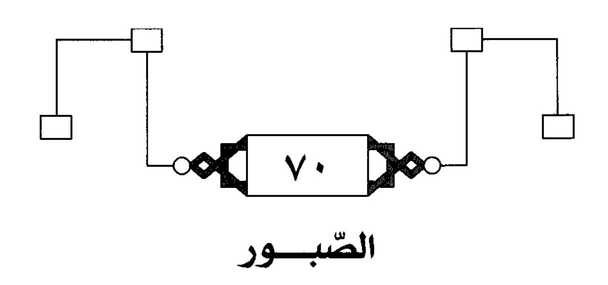
فسبحان من أرشد الصغار من الأطفال والبهائم إلى المنافع، كالتقام الثدي ومص الضرع، والعنكبوت نسيج تلك البيوت، والنحل لصنعة ذلك الشكل، والفرخ ليفقأ البيضة عند انتهاء أمره، والجنين للخروج من بطن أمه،

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص٦٥).
(٢) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ٤٧٣).
(٣) المقصد الأسنى للغزالي (ص١٣٢). (٤) النونية (ص١٤٥).
(٥) شرح النونية للهراس (٢/ ١٠٣، ١٠٤).

بل أرشد المطر للانصباب والنار للاحتراق والماء للإرواء، وقس على هذا، فكل موجود في الأرض والسماء جاء على منهج السداد، ومنه سبحانه جاء الرشاد وأعظم الرشاد، إرشاد عباده المؤمنين إلى دينه ودين ملائكته ورسله، وما حوته كتبه ذلك الدين القيم، فعليه أن يحسن معاملة مولاه بما أمره به وعن ما نهاه وهذا غاية الرشد، يدل عليه قوله ﷺ في خطبته: «من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يلومن إلّا نفسه، ولا يضر الله شيئاً». فقد بين ﷺ أن الرشد في طاعة الله، والغي في معصيته، وعليه أن يرشد عباد الله ويهديهم حتى لا يألفوا أعاديهم وهي ـ أي الأعادي ـ كل ذات وصفة من الصفات التي تصدهم عن طاعة الله وعبادته وتوقعهم في حبائل العصيان ومهواته. فإذا اتصف بهذه الصفات تسمّى عند الله رشيداً، ونال منه حظاً مجيداً، ولله عليه في هذه المِنَّة والفضل كما امتن على إبراهيم فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٥١][1].



(١) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى للقرطبي (١/ ٤٧٤).



الصّبــور

اسم من أسماء الله تعالى الثابتة بالسنة المطهرة، وقد عده العلماء ضمن جمعهم للأسماء الحسنى[1]. وهو من صفات الذات من أبنية المبالغة على وزن فعال وفعول كضرَّاب وضروب[2]. ودليله من السنة، حديث أبي موسى رضي الله عنه: «ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له ولداً وهو يُعافِيهِمْ ويرزقهم»[3]، وفي ثبوته قال الأصبهاني: «ولا وجه لإنكار هذا الاسم لأن الحديث قد ورد به، ولولا التوقيف؛ لم نقُله»[4].

والصبر **في اللغة**: حبس النفس عن الجزع[5].

وذهب الإمام ابن القيم إلى أن أصل هذه الكلمة هو: المنع والحبس، فالصبر حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود، وشق الثياب ونحوهما. ويقال: صبر يصبرُ صبراً، وصبر نفسه. قال تعالى ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف: ٢٨][6].

وفي الشرع: نجد أن العلماء يتفقون في أن معنى الصبور هو الذي لا يعامل العصاة بالانتقام منهم. فالخطابي يرى أن معنى الصبور الذي لا يعاجل

(١) انظر: التوحيد لابن منده (٢/ ١٤٢)، وانظر: شأن الدعاء للخطابي (ص٩٧)، الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٤٨)، الأسنى للقرطبي (١/ ١٣٧)، له الأسماء الحسنى للشرباصي (١/ ٤٥٨).

(٢) عدة الصابرين (ص٣٥)، وانظر: مدارج السالكين (٢/ ١٦٢)، جامع البيان للطبري (١/ ٢٩٨).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١/ ٢٦٢)، برقم (٦٠٦٩).

(٤) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/ ٤٥٦).

(٥) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ٣٢٩).

(٦) عدة الصابرين (ص٣٥).

العصاة بالانتقام بل يؤخر ذلك إلى أجل مسمى ويمهلهم لوقت معلوم[1].

ويرى البيهقي والحليمي أن الصبور الذي لا يعاجل بالعقوبة، وهذه صفة ربنا جل ثناؤه لأنه يملي ويمهل ويُنظر ولا يعجل[2].

ويُفصِّل الغزالي في معنى هذا الاسم بما ينبئ عن وجه الحلم والحكمة فيه، فيذهب في معناه إلى أن الصبور هو الذي لا تحمله العجلة على المسارعة إلى الفعل قبل أوانه بل يُنزل الأمور بقدر معلوم، ويجريها على سنن محدود، لا يؤخرها عن آجالها المقدرة ولا يُقدِّمها على أوقاتها، بل يودع كل شيء في أوانه على الوجه الذي يجب أن يكون كما ينبغي[3].

ونجد أنَّ الإمام ابن القيم يفسر هذا الاسم بما ثبت في السنة عن رسول الله ﷺ، مشيراً إلى أوجه الفرق بين صفة الخالق والمخلوق ومميزاً بينهما بما تقرر عند أهل السنة والجماعة في صفات الله تعالى فيقول: أما الصبر، فقد أطلقه عليه أعرف الخلق به وأعظمهم تنزيهاً له بصيغة المبالغة، ففي الصحيحين من حديث الأعمش عن سعيد بن جبير عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله ﷻ يدعون له ولداً وهو يعافيهم ويرزقهم»[4].

وصبره تعالى يفارق صبر المخلوق ولا يماثله من وجوه متعددة منها: أنه عن قدرة تامة، ومنها: أنه لا يخاف الغوث، والعبد إنما يستعجل الخوف بالغوث، ومنها: أنه لا يلحقه بصبره ألم ولا حزن، ولا نقص بوجه ما[5].

وفي النونية يظهر لنا من كلام الإمام ابن القيم موافقته للعلماء في معنى «الصبور» حيث قدّره أحسن تقدير فقال فيه:

---

(١) شأن الدعاء للخطابي (ص٩٧).

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ١٤٨).

(٣) المقصد الأسنى للغزالي (ص١٤٩).

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٠/ ٦٦٢)، برقم (٦٠٦٩)، من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٥) عدة الصابرين (ص٤٢٠).

وهـو الـصـبـورُ عـلـى أذى أعـدائِـهِ   شـتـمـوهُ بـل نـسـبـوهُ لـلـبـهـتـانِ
قـالـوا لـه ولـدٌ ولـيـس يُـعـيـدُنـا   شـتـمـاً وتـكـذيـبـاً مـن الإنـسـانِ
هـذا وذاك بـسـمـعـهِ وبـعـلـمـهِ   لـو شـاء عـاجـلـهُـم بـكـلِّ هـوانِ
لـكـن يـعـافِـيـهِـم ويـرزقُـهـم وهُـم   يـؤذُونَـهُ بـالـشـركِ والـكـفـرانِ[1]

ويشرح ابن سعدي هذه الأبيات قائلاً:

وهذه الأبيات مأخوذة من قوله ﷺ في الحديث الثابت الصحيح: «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يجعلون له الولد وهو يعافيهم ويرزقهم».

ومما ثبت عنه ﷺ في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: «وقال الله تعالى: «كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: إن لي ولداً وأنا الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد»[2].

وأما الله تعالى فهو الصبور على الحقيقة، يؤذيه العبد الضعيف العاجز بمعاداته ومعاداة رسله ومحاربة أوليائه، والسعي في إطفاء دينه، وناصيته بيد الله، وهو المتصرف فيه في حركاته وسكناته، ومع ذلك يمهله، ويستدعيه إلى التوبة، ويحثه على الإنابة ويُدرُّ عليه الأرزاق الواسعة، فتبارك الرب الرحيم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، الصابر الذي يحب الصابرين، ويعينهم في جميع أمورهم»[3].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم الكريم:

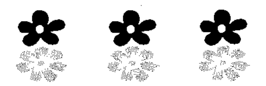
أنَّ المؤمن عندما يدرك اتصافه تعالى بالصبر فلا يعاجل العصاة بالانتقام منهم ويمهلهم لوقت معلوم، فإن هذا كله يفتح له باب الرجاء ويحثه على الإنابة إلى الله تعالى. قال الإمام ابن القيم: وأمَّا صبره سبحانه فمتعلق بكفر

(١) النونية (ص١٤٣، ١٤٤).
(٢) مسند الإمام أحمد (ص٦٣٤)، برقم (٨٥٩٥) عن أبي هريرة ﷺ.
(٣) التوضيح المبين لابن سعدي (ص٨٩ ـ ٩١) باختصار.

العباد وشركهم، ومسبّتهم له سبحانه وأنواع معاصيهم وفجورهم فلا يزعجه ذلك كله إلى تعجيل العقوبة بل يصبر على كيده، ويمهله، ويستصلحه ويرفق به، ويحلم عنه، حتى إذا لم يبق فيه موضع للضيعة، ولا يصلح على الإمهال والرفق بالحلم ولا ينيب إلى ربه ولا يدخل عليه لا من باب الإحسان والنعم، ولا من باب البلاء والنقم أَخذهُ أخذ عزيز مقتدر بعد غاية الإعذار إليه، وبذل النصيحة له ودعائه إليه من كل باب، وهذا كله من موجبات صفة حلمه، وهي صفة ذاتية له لا تزول[1].

ومن مقتضى الإيمان بهذا الاسم الكريم أن يصبر العبد ويتصبر ويصابر، وقد أمر الله بذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] فأمر سبحانه بالصبر على ما يخصه وعلى مصابرة الأعداء والمداومة على الصبر حتى يتخذه إلفاً وصاحباً وخِلاً ومؤانساً، وقد أخبر أنَّه يُحب الصابرين وأنَّه معهم والصابرون جمع صابر، والصابر أعلى مقاماً من المتصبر، مرَّ رسول الله ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال لها: «اتقي الله واصبري» الحديث، وفيه فقال «إنَّما الصبر عند الصدمة الأولى»[2].

وقلَّما يكون الصبر عند الصدمة الأولى من المتصبر، وإنَّما يكون من الصابر أو الصبَّار أو الصبور، وهي مقامات بعضها فوق بعض[3].



(١) عدة الصابرين (ص٤٢٠، ٤٢١).
(٢) مسند الإمام أحمد (ص٩٣٣) برقم (١٣٣٠٦) عن أنس ﷺ.
(٣) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي (١/ ١٤١).

الخاتمة

الحمد لله على ما مَنَّ بهِ عليَّ من إتمام هذا البحث، وجمع شتات قضاياه ومسائله، والتنقيب عنها في بطون مؤلفات الإمام ابن القيم وغيره من العلماء الذين كتبوا في أسماء الله الحسنى، وقد كان من توفيق الله تعالىٰ أن توصلت من خلال هذه الدراسة إلى بعض النتائج التي تبين منهج الإمام ابن القيم رحمه الله في مسألة الأسماء الحسنى، فأوجزتُها فيما يلي:

أولاً: أن منهج ابن القيم في أسماء الله وصفاته هو منهج أهل السنة والجماعة، وأنه يعتمد على الكتاب والسنة وإجماع السلف، ويرد على كل قول يخالفها.

ثانياً: يلتزم الإمام ابن القيم طريقة أهل السنة والجماعة في الكف عن مسألة الاسم والمسمى وذلك لعدة أمور:

١ ـ أنها مسألة حادثة لم يرد فيها دليل من الكتاب والسنة.

٢ ـ الكلام فيها مجمل يحتاج إلى تخصيص وتقييد.

٣ ـ تحتمل معنيين حق وباطل.

٤ ـ مسألة قليلة الفائدة، نشأت نتيجة الخلاف مع المعتزلة في عصر الإمام أحمد رحمه الله.

ثالثاً: قرر الإمام ابن القيم مذهب أهل السنة والجماعة في مجموعة من مسائل الأسماء الحسنى وعرض لها عرضاً واضحاً فكانت على النحو التالي:

١ ـ أن الأسماء الحسنى توقيفية لا تؤخذ من غير النصوص الشرعية الثابتة.

٢ ـ أن أسماء الله الحسنى يفضل بعضها بعضاً بحسب ما ورد في النصوص، وليس معنى هذا التفاضل أن المفضول يوهم نقصاً؛ لأن أسماء الله حسنى بالغة الحُسن، ولأن كل أسماء الله فاضلة.

٣ - أن أسماء الله غير محصورة بعدد معين، ولم يصح حديث في تعيين الأسماء الوارد ذكرها من حديث أبي هريرة وغيره، كما رأينا ذلك من خلال الدراسة.

٤ - أسماء الله تعالى كاملة الحُسن، وليس فيها ما يتضمن الشر.

٥ - إنَّ الاسم من أسماء الله تعالى له ثلاثة أَركان: الإيمان بالاسم، وبما دل عليه من معنى، وبما تعلق به من أثر.

٦ - المراد بإحصاء الأسماء الحسنى هو اجتماع ثلاثة أمور لها: إحصاء ألفاظها وعددها، وفهم معانيها ومدلولها، ودعاء الله ﷻ بها.

٧ - جواز دخول الاشتقاق في أسماء الله تعالى ولكن بضوابطه المعتبرة.

٨ - عدم جواز القياس في باب أسماء الله وصفاته، بخلاف ما عليه المتكلمون.

رابعاً: اتضح لنا من خلال هذه الدراسة أن الإمام ابن القيم له انفرادات مشكورة ربما لم يُسبق إليها، وقد تجلَّت في معاني أسماء الله تعالى وما ترتب عليها من الآثار الإيمانية.

وبعد، فإنه يمكن القول بأن الإمام ابن القيم رحمه الله كان أحد حاملي لواء العقيدة الصحيحة عقيدة أهل السنة والجماعة، وأنه أحد المحققين الذين نفع الله بجهودهم فأصبحوا من المرجعيات الهامة لعلماء الأمة، فرحم الله ابن القيم، وعفا عنه، ورفع درجته في العالمين، وجمعنا وإياهُ في مستقر رحمته، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبهُ

أبو عبد الرحمن

مشرف بن علي الحمراني الغامدي

فهرس الآيات القرآنية

الآيــــــــــة	رقم الآية	الصفحة
سورة البروج		
﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾	٢٠	٣٧٧
سورة الأعلى		
﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾	١	١٠٦، ١٠٩، ١١١
﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾	١ ـ ٢	١١٢
سورة الضحى		
﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾	١٠	٤٥٦
سورة التين		
﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾	٦	٤٥٠
سورة العلق		
﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾	٣	٣٦٩
سورة الزلزلة		
﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾	٧ ـ ٨	٣٤٤
سورة الكوثر		
﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾	١	٤٢٠
سورة المسد		
﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾	١	٤٣٠
سورة الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾	١	١١٢، ١٤١
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾	١ ـ ٢	٤٠٣

فهرس الأحاديث

الحديث	رقم الصفحة
«لما صوّر الله آدم في الجنة؛ تركه ما شاء الله أن يتركه...»	٣٠٦
«... بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير»	٣٠٩
«... ثم ذكرت قول أخي سليمان: رب اغفر لي وهب لي ملكاً...»	٣١٦
«إن الله هو المسعر القابض...»	٣١٩، ٤٢٣
«لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله...»	٣٢٣، ٣٢٥
«اللهم إني أستخيرك بعلمك ...»	٣٢٦
«الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات»	٣٣٠
«يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم...»	٣٣٤
« وسبحان الله رب العالمين...»	٣٣٧
«ما لك يا عائشة مشياً رابية؟...»	٣٤٢
«لا إله إلا الله العظيم الحليم»	٣٤٩، ٣٥٤
«... فنـزل البئر فملأ خفه ماء...»	٣٥٢
«...أفلا أكون عبداً شكوراً»	٣٥٥
«...احفظ الله يحفظك...»	٣٥٩
«اللهم أغثنا، اللهم أغثنا»	٣٦٢، ٣٦٣
«...اللهم اسقنا الله اسقنا...»	٣٦٣
«... إن كان أحدكم مادحاً؛ فليقل...»	٣٦٥
«... اللهم اغفر له وارحمه...»	٣٦٩
« إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين»	٣٧١
«إن أول الناس يقضي يوم القيامة...»	٣٧٥
«ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً...»	٣٧٨
«قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد...»	٣٨٥، ٣٩٤
«...إلى أين يا أبا ليلى؟ قال: إلى الجنة...»	٣٨٧
«... اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب...»	٣٨٨
«اللهم لك أسلمت، وبك آمنت...»	٣٩٧، ٣٩٩
«...لك الحمد، أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن...»	٤٠٠
«كذبني ابن آدم... وأما شتمه إياي...»	٤٠٣، ٤٧٨
«أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر»	٤٠٦
«... اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء...»	٤١٢

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ الإباضية عقيدة ومذهباً: صابر طعيمة، دار الجيل، بيروت ١٤٠٦هـ.

٢ ـ الإبانة عن أصول الديانة: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، الطبعة الثانية، المطبعة السلفية بالقاهرة.

٣ ـ ابن قيم الجوزية حياته وآثاره: بكر بن عبد الله أبو زيد، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

٤ ـ إثبات صفة العلو: موفق الدين ابن قدامة المقدسي، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٥ ـ اجتماع الجيوش الإسلامية: الإمام ابن القيم، تحقيق: عواد المعتق، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.

٦ ـ أحكام أهل الذمة: الإمام ابن القيم، تحقيق: صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٣م.

٧ ـ الإحكام في أصول الأحكام: علي بن حزم الظاهري، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الحديث، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٨ ـ الإحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد الآمدي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ.

٩ ـ الآداب الشرعية: محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

١٠ ـ الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.

١١ ـ الأذكار: يحيى بن شرف النووي، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد الطائف، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٠٨هـ.

١٢ ـ الأربعين في أصول الدين: محمد بن عمر الرازي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، الطبعة الأولى ١٣٥٣هـ.

١٣ ـ الإرشاد: أبو المعالي عبد الملك الجويني، تحقيق: أسعد تميم، مؤسسة المكتبة الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

١٤ ـ إرشاد الفحول: محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان ١٣٩٩هـ.

١٥ ـ إرواء الغليل: محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٦ ـ أساس التقديس: فخر الدين الرازي، تحقيق: أحمد حجازي، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٦هـ.

١٧ ـ الاستقامة: الإمام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

١٨ ـ أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

١٩ ـ الأسماء والصفات: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد الله الحاشدي، مكتبة السوادي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٢٠ ـ الأسنى في شرح الأسماء الحسنى: محمد بن أحمد القرطبي، دار الصحابة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٢١ ـ الإشارات والتنبيهات: علي بن سينا، تحيق: سليمان دنيا، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر.

٢٢ ـ اشتقاق أسماء الله الحسنى: عبد الرحمن بن أحمد بن إسحاق الزجاجي، تحقيق: عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة.

٢٣ ـ الإشتقاق: محمد بن دريد، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٢٤ ـ أصول الدين: عبد القاهر بن طاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ.

٢٥ ـ أضواء البيان: محمد الأمين المختار، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٤١٣هـ.

٢٦ ـ الاعتقاد: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٧ ـ إعراب القرآن: أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: زهير زاهد، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ.

٢٨ ـ أعلام السنة المشهورة: حافظ بن أحمد الحكمي، دار أُحد، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٢٩ ـ أعلام الموقعين: الإمام ابن القيم، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية القاهرة.
٣٠ ـ الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة عشرة.
٣١ ـ إغاثة اللهفان: الإمام ابن القيم، تحقيق: خالد العلمي، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ.
٣٢ ـ اقتضاء الصراط المستقيم: الإمام ابن القيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.
٣٣ ـ أقوم ما قيل في القدر والقضاء، ضمن مجموع الفتاوى: الإمام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن قاسم، دار عالم الكتب ١٤١٢هـ.
٣٤ ـ الأنساب: عبد الكريم بن محمد السمعاني، مكتبة المؤيد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٣٥ ـ إيثار الحق على الخلق: محمد بن المرتضى اليماني، مكتبة العلم، مكتبة ابن تيمية.
٣٦ ـ البحر المحيط: أبو حيان، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
٣٧ ـ بدائع التفسير: الإمام ابن القيم، جمع يسري السيد، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
٣٨ ـ بدائع الفوائد: الإمام ابن القيم، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، دمشق.
٣٩ ـ البداية والنهاية: إسماعيل بن كثير الدمشقي، دار أم القرى القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٤٠ ـ البدر الطالع: محمد بن علي الشوكاني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
٤١ ـ براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين: عبد العزيز الحميدي، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٤٢ ـ البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ.
٤٣ ـ بغية المرتاد: الإمام ابن تيمية، تحقيق: موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ.
٤٤ ـ بغية الوعاة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ البابي الحلبي وشركاه.

٤٥ ـ البيهقي وموقفه من الإلهيات: أحمد بن عطية الغامدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الرابعة، ١٤١٣هـ.
٤٦ ـ تاج العروس: محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: إبراهيم الترزي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.
٤٧ ـ التبصير في الدين: أبو المظفر السمعاني، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، القاهرة ١٣٩٥هـ.
٤٨ ـ التبيان في أقسام القرآن: الإمام ابن القيم، تحقيق: طه يوسف شاهين، مكتبة ابن تيمية القاهرة.
٤٩ ـ تحفة المريد على جوهرة التوحيد: إبراهيم البيجوري، الشركة المصرية للطباعة والنشر ١٣٩٤هـ.
٥٠ ـ تحفة الذاكرين: محمد بن علي الشوكاني، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٥١ ـ تحفة المودود: الإمام ابن القيم، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٥٢ ـ التحفة المهدية: فالح بن مهدي آل مهدي، تحقيق: عبد الرحمن المحمود، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
٥٣ ـ التخويف من النار: عبد الرحمن بن رجب الحبلي، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.
٥٤ ـ التدمرية: الإمام ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عودة السعدي، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
٥٥ ـ تذكرة الحفاظ: محمد بن أحمد الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥٦ ـ الترغيب في الدعاء والحث عليه: عبد الغني المقدسي، تحقيق: فالح الصغير، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٥٧ ـ تسمية المفتين: للدكتور سليمان العمير، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٥٨ ـ تصحيح الدعاء: بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٥٩ ـ التعريفات: علي بن محمد بن علي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
٦٠ ـ تفسير ابن كثير: إسماعيل بن كثير الدمشقي، مكتبة دار التراث، القاهرة.

٦١ ـ تفسير أسماء الله الحسنى: إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ.

٦٢ ـ تفسير القرآن: أبو المظفر السمعاني: تحقيق: ياسر بن إبراهيم، غنيم بن عباس، دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٦٣ ـ التفسير القيم: جمع الفقيه الإمام ابن القيم، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة.

٦٤ ـ التفسير الكبير: فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٦٥ ـ تفسير سورة الإخلاص: الإمام ابن تيمية، تحقيق: عبد العلي بن عبد الحميد، الدار السلفية، الهند، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٦٦ ـ تقريب التهذيب: أحمد بن حجر العسقلاني، عناية: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ.

٦٧ ـ تقريب علوم ابن القيم: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار الراية، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٦٨ ـ تلخيص الحبير: أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٦٩ ـ التمهيد: أبو عمر ابن عبد البر القرطبي، مكتبة السوادي، جدة.

٧٠ ـ التمهيد: جمال الدين الأسنوي، دار شاعة الاسلامية، الطبعة الثانية ١٣٢٧هـ.

٧١ ـ التمهيد في أصول الدين: محمد بن الطيب الباقلاني، بيروت ١٩٥٧م.

٧٢ ـ تنبيه ذوي الألباب السليمة: سليمان بن سحمان، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

٧٣ ـ التنبيهات السنية على العقدية الواسطية: عبد العزيز الرشيد، دار الرشيد.

٧٤ ـ تنزيه القرآن عن المطاعن: القاضي عبد الجبار المعتزلي، الشركة الشرقية للنشر، دار النهضة، بيروت، لبنان.

٧٥ ـ التنكيل: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٧٦ ـ تهذيب الأسماء واللغات: محيي الدين النووي، إدارة الطباعة المنيرية.

٧٧ ـ تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٧٨ ـ التوحيد: محمد بن إسحاق بن منده، تحقيق: علي ناصر الفقيهي، مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
٧٩ ـ التوسل والوسيلة: الإمام ابن تيمية، المكتبة العلمية، بيروت.
٨٠ ـ التوضيح المبين: عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، دار علم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
٨١ ـ توضيح المقاصد وتصحيح القواعد: أحمد بن إبراهيم بن عيسى، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.
٨٢ ـ التوضيح والبيان لشجرة الإيمان: عبد الرحمن بن سعدي، دار الحميضي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٨٣ ـ تيسير العزيز الحميد: سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.
٨٤ ـ تيسير الكريم الرحمن: عبد الرحمن بن سعدي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٨٥ ـ جامع البيان: محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٨٦ ـ جامع الدروس العربية: مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، الطبعة الثالثة والثلاثون ١٤١٧هـ.
٨٧ ـ جامع الرسائل: الإمام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.
٨٨ ـ الجامع الصحيح: مقبل بن هادي الوادعي، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٦هـ.
٨٩ ـ جامع العلوم والحكم: عبد الرحمن بن رجب، المؤسسة السعيدية بالرياض.
٩٠ ـ الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٤١٣هـ.
٩١ ـ الجانب الإلهي عند ابن سينا: سالم مرشان، دار قتيبة بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٩٢ ـ جلاء الأفهام: الإمام ابن القيم، تحقيق: مشهور آل سلمان، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٩٣ ـ جمهرة أشعار العرب: محمد بن أبي الخطاب القرشي، اعتنى به: محمد علي الهاشمي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ.

٩٤ ـ الجوائز والصلات: نور الحسن خان، بعناية محمد بن عبد الواحد السلفي، مكتبة سلفية وكتب خانة أهل الحديث.
٩٥ ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: الامام ابن تيمية، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
٩٦ ـ الجواب الفاصل (ضمن مجلة البحوث الإسلامية): دار أولي النهى، الرياض.
٩٧ ـ جواب أهل العلم والإيمان: الإمام ابن تيمية، دار القاسم، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٩٨ ـ حادي الأرواح: الإمام ابن القيم، تحقيق: محمد بن إبراهيم الزغلي، رمادي للنشر، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٩٩ ـ الحاوي للفتاوى: جلال الدين السيوطي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
١٠٠ ـ الحجة في بيان المحجة: إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق: محمد ربيع المدخلي، دار الراية، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.
١٠١ ـ حسن المحاضرة: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلبي، الطبعة الأولى ١٣٧٨هـ.
١٠٢ ـ الحق الواضح المبين: عبد الرحمن بن سعدي، المطبعة السلفية.
١٠٣ ـ الحيدة والاعتدار: عبد العزيز الكناني، تحقيق: علي ناصر الفقيهي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة ١٤١٥هـ.
١٠٤ ـ الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية.
١٠٥ ـ خلق أفعال العباد (ضمن عقائد السلف للنشار): محمد بن إسماعيل البخاري.
١٠٦ ـ الداء والدواء: الإمام ابن القيم، تحقيق: عامر علي ياسين، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
١٠٧ ـ درء تعارض العقل والنقل: الإمام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية.
١٠٨ ـ الدرر الكامنة: أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، أم القرى للطباعة والنشر.
١٠٩ ـ ديوان أبي العتاهية: دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

١١٠ - ديوان الإمام علي بن أبي طالب، تحقيق: سعد كريم، دار اليقين، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١١١ - ديوان المتنبي: بشرح العكبري، دار المعرفة، بيروت.

١١٢ - ديوان حافظ إبراهيم، تهذيب د، يحيى شامي، دار الفكر العربي، بيروت.

١١٣ - ديوان حسان بن ثابت، شركة دار الأرقم، بيروت لبنان.

١١٤ - ديوان حسان بن ثابت، دار صادر، بيروت، توزيع دار صعب، بيروت ١٩٨٠م.

١١٥ - ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر ١٣٨٦هـ.

١١٦ - ذم التأويل: موفق الدين المقدسي، بعناية: بدر البدر، دار ابن كثير، الكويت، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.

١١٧ - ذيل طبقات الحنابلة: ابن رجب الحنبلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، مصر.

١١٨ - الرد على المنطقيين: للإمام ابن تيمية، إدارة ترجمان السنة، الطبعة الثانية ٣٩٦هـ.

١١٩ - الرد على الجهمية والزنادقة: الإمام أحمد، مطبوع ضمن عقائد السلف للنشار، منشأة المعارف، الإسكندرية.

١٢٠ - الرد على الجهمية: عثمان بن سعيد الدارمي، مطبوع ضمن عقائد السلف للنشار، منشأة المعارف، الإسكندرية.

١٢١ - الرد على بشر المريسي العنيد: عثمان بن سعيد الدارمي، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١٢٢ - رسالة إلى أهل الثغر: أبو الحسن الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر الجنيدي، ١٤١٣هـ.

١٢٣ - الروح: الإمام بن القيم، تحقيق: بسام العموشي، دار ابن تيمية، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.

١٢٤ - الروض الأنف: عبد الرحمن السهيلي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية ١٤١٠هـ.

١٢٥ - روضة المحبين: الإمام ابن القيم، اعتنى به: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

١٢٦ - روضة الناظر وجنة المناظر: موفق الدين ابن قدامة المقدسي، مكتبة المعارف، الرياض.

١٢٧ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد: الإمام ابن القيم، اعتنى به: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة عشرة ١٤١٠هـ.
١٢٨ ـ الزاهر: محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
١٢٩ ـ سبل السلام: محمد بن إسماعيل الصنعاني، مطبعة البابي الحلبي، الطبعة الثانية ١٣٦٩هـ.
١٣٠ ـ السلسلة الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.
١٣١ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك: أحمد بن علي المقريزي، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٥٦م.
١٣٢ ـ السنة: للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: محمد بن سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
١٣٣ ـ السنة: عمرو بن أبي عاصم الشيباني، تحقيق: محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ.
١٣٤ ـ سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد الربيعي، اعتنى به: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار السلامة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
١٣٥ ـ سنن أبي داود الطيالسي: سليمان بن داود الجارود، مكتبة المعارف، الرياض، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
١٣٦ ـ سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق: أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة.
١٣٧ ـ سنن النسائي: أحمد بن شعيب النسائي، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.
١٣٨ ـ سير أعلام النبلاء: محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة ١٤١٢هـ.
١٣٩ ـ شأن الدعاء: أحمد بن سلامي الخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.
١٤٠ ـ شرح العقيدة الأصفهانية: الإمام ابن تيمية، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
١٤١ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة: هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ.

١٤٢ ـ شرح الأصول الخمسة: عبد الجبار بن أحمد الهمداني، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ.
١٤٣ ـ شرح السنة: الحسين بن مسعود البغوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
١٤٤ ـ شرح السنوسية الكبرى.
١٤٥ ـ شرح الصفدية: الإمام ابن تيمية، مكتبة ابن تيمية القاهرة.
١٤٦ ـ شرح الطحاوية.
١٤٧ ـ شرح العقيدة السفارينية: محمد بن عبد العزيز بن مانع، تحقيق: أشرف عبد المقصود، الناشر: أضواء السلف، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
١٤٨ ـ شرح العقيدة الطحاوية: علي بن أبي العز، تحقيق: جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
١٤٩ ـ شرح العقيدة الواسطية: محمد خليل هراس، تحقيق: علوي السقاف، دار الهجرة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
١٥٠ ـ شرح العقيدة الواسطية: محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الخامسة ١٤١٩هـ.
١٥١ ـ شرح القصيدة النونية: محمد خليل هراس، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ١٤٠٧هـ.
١٥٢ ـ شرح الكوكب المنير: محمد بن أحمد الفتوحي، تحقيق: محمد الزحيلي، نزيه حماد، مكتبة العبيكان ١٤١٣هـ.
١٥٣ ـ شرح حديث النزول: الإمام ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميسي، دار العاصمة، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.
١٥٤ ـ شرح كتاب التوحيد: عبد الله بن محمد الغنيمان، مكتبة لينة دمنهور، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
١٥٥ ـ شرح كتاب الفقه الأكبر: الإمام أبو حنيفة النعمان، اعتنى به: جماعة من العلماء، دار الباز للنشر، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
١٥٦ ـ شرح كتاب سيبويه: أبو سعيد السيرافي، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٦م.
١٥٧ ـ شرح العقائد النسفيه.
١٥٨ ـ الشعر والشعراء: ابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.
١٥٩ ـ شفاء العليل: الإمام ابن القيم، تحقيق الحساني حسن عبد الله، دار التراث، القاهرة.

١٦٠ ـ الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ١٩٩٠م.
١٦١ ـ صحيح الجامع الصغير: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
١٦٢ ـ صحيح مسلم بشرح النووي: مسلم بن الحجاج النيسابوري، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
١٦٣ ـ صريح السنة: محمد بن جرير الطبري. تحقيق: بدر يوسف المعتوق، دار الخلفاء، الطبعة الأولى.
١٦٤ ـ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: الإمام ابن القيم، تحقيق: علي دخيل الله، دار العاصمة، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.
١٦٥ ـ صيد الخاطر: عبد الرحمن بن الجوزي، اعتنى به علي وناجي الطنطاوي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
١٦٦ ـ الضعفاء الكبير: أبو جعفر محمد عمر العقيلي، تحقق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب، بيروت الطبعة الأولى.
١٦٧ ـ ضوء الساري: شهاب الدين المعروف بأبي شامة، تحقيق: أحمد شريف، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
١٦٨ ـ ضوابط المعرفة: عبد الرحمن حنبكة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.
١٦٩ ـ طبقات الحنابلة: محمد بن أبي يعلى الحنبلي، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
١٧٠ ـ طبقات الشعراء: محمد بن سلام الجمحي، دار النهضة العربية، بيروت.
١٧١ ـ طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي، اعتنى به محمد شاكر، دار المدني، جدة.
١٧٢ ـ الطراز: يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب الخديوية، مطبعة المقتطف بمصر ١٣٣٠هـ.
١٧٣ ـ طريق الهجرتين: الإمام ابن القيم، تحقيق: محيي الدين الخطيب، المكتبة السلفية، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
١٧٤ ـ طريق الوصول إلى العلم المأمول: عبد الرحمن بن سعدي، رمادي للنشر، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
١٧٥ ـ الطريق إلى الله للخراز: ط، دار الكتب الحديثة، مصر.

١٧٦ ـ العبر: محمد بن أحمد بن عثمان التركماني الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
١٧٧ ـ العبودية: الإمام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن الباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ.
١٧٨ ـ عدة الصابرين: الإمام ابن القيم، اعتنى به سليم الهلالي، دار ابن الجوزي، الدمام ١٤٢٠هـ.
١٧٩ ـ العدل والتوحيد: القاسم بن إبراهيم الرسي، مطبوع ضمن رسائل العدل والتوحيد، سيف الدين الكاتب، دار مكتبة الحياة.
١٨٠ ـ عقيدة السلف: إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، تحقيق: ناصر الجديع، دار العاصمة، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.
١٨١ ـ علاقة الإثبات والتفويض: رضا بن نعسان معطي، دار الهجرة، الطبعة السادسة ١٤١٦هـ.
١٨٢ ـ العواصم والقواصم: محمد بن إبراهيم الوزير، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.
١٨٣ ـ عون المعبود بشرح سنن أبي داود: محمد شمس الحق آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
١٨٤ ـ عيون الأثر: محمد بن سيد الناس اليعمري، مكتبة دار الحديث، دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
١٨٥ ـ غاية المرام في علم الكلام: سيف الدين الآمدي، تحقيق: حسن عبد اللطيف، مطابع الأهرام التجارية ١٣٩١هـ.
١٨٦ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري: الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
١٨٧ ـ فتح الرحيم الملك العلام: عبد الرحمن بن ناصر سعدي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
١٨٨ ـ فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني، عالم الكتب.
١٨٩ ـ الفتوى الحموية: الإمام ابن تيمية، تحقيق: حمد التويجري، دار الصميعي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
١٩٠ ـ الفرق بين الفِرق: عبد القاهر بن طاهر البغدادي، دار المعرفة، بيروت.
١٩١ ـ الفِصَلْ: علي بن أحمد بن حزم الظاهري، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، عكاظ للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

١٩٢ ـ فلسفة المجاز: د. لطفي عبد البديع، النادي الأدبي بجدة، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
١٩٣ ـ الفوائد: الإمام ابن القيم، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.
١٩٤ ـ قاعدة في الاسم والمسمى: الإمام ابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى، الجزء السادس.
١٩٥ ـ القاموس المحيط: مجد الدين الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة ١٤١٩هـ.
١٩٦ ـ القراءات القرآنية في البحر المحيط: محمد أحمد خاطر، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
١٩٧ ـ القواعد الكلية: محمد بن إبراهيم البيركان، دار الهجرة، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.
١٩٨ ـ القواعد المثلى: محمد الصالح العثيمين، اعتنى به: أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف ١٤١٦هـ.
١٩٩ ـ الكاشف: محمد بن أحمد الذهبي، شركة دار القبلة، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
٢٠٠ ـ الكامل في التاريخ: عز الدين أبو الحسن المعروف بابن الأثير، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ١٣٨٥هـ.
٢٠١ ـ كتاب الإيمان: الإمام ابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.
٢٠٢ ـ كتاب التوحيد: محمد بن إسحاق بن خزيمة، دار الجيل، لبنان، راجعه: محمد خليل هراس ١٤٠٨هـ.
٢٠٣ ـ كتاب الزهد: الإمام أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
٢٠٤ ـ كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي: أحمد حسن، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٠٥ ـ الكشاف: جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تصحيح: محمد عبد السلام شاهين، مكتبة دار الباز، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٢٠٦ ـ الكواشف الجلية: عبد العزيز السلمان، الطبعة الثامنة عشرة.

٢٠٧ ـ لسان العرب: ابن منظور، دار إحياء التراث، مؤسسة التاريخ، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ.

٢٠٨ ـ لمعة الاعتقاد: موفق الدين المقدسي، بعناية: بدر البدر، دار ابن كثير، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.

٢٠٩ ـ لوامع الأنوار البهية: محمد السفاريني الحنبلي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ.

٢١٠ ـ لوامع الآيات البينات: فخر الدين الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

٢١١ ـ الماتريدية دراسة وتقويم: أحمد الحربي، رسالة ماجستير، مطبوعة على الآلة الكاتبة.

٢١٢ ـ الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء: شمس السلفي الأفغاني، مكتبة الصديق، الطائف.

٢١٣ ـ متشابه القرآن: القاضي عبد الجبار المعتزلي، تحقيق: د. عدنان زرزور، دار التراث بالقاهرة.

٢١٤ ـ متن العقيدة الطحاوية وبذيله سلم الوصول: جمع حافظ بن أحمد الحكمي، مكتبة ابن تيمية القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٢١٥ ـ مجاز القرآن: أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي، اعتنى به: محمد فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

٢١٦ ـ مجمع البحرين زوائد المعجمين: نور الدين الهيثمي، تحقيق عبد القدوس نذير، مكتبة الرشد، الرياض الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٢١٧ ـ مجمع الزوائد: نور الدين الهيثمي، تحرير العراقي، رواية حجر، دار الريان، دار الكتاب العربي.

٢١٨ ـ مجمل اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٢١٩ ـ مجموع الفتاوى: الإمام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم، دار عالم الكتب، ١٤١٢هـ.

٢٢٠ ـ مجموع فيه إثبات صفة العلو، لمعة الاعتقاد، ذم التأويل لابن قدامة: موفق بن قدامة المقدسي، بعناية: بدر البدر، دار ابن الأثير، الكويت، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.

٢٢١ ـ مجموعة الرسائل والمسائل: الإمام ابن تيمية، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٢٢٢ ـ محاضرات الأدباء: الراغب الأصبهاني، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٢٢٣ ـ محصل أفكار المتقدمين: فخر الدين الرازي، المطبعة الحسينية مصر، الطبعة الأولى ١٣٢٣هـ.

٢٢٤ ـ المحلى: علي بن أحمد بن حزم، أشرف على طبعه: زيد أبو المكارم حسن، مكتبة الجمهورية العربية ١٣٧٨هـ.

٢٢٥ ـ مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، دار الجيل، بيروت، لبنان ١٤٠٧هـ.

٢٢٦ ـ مختصر الصواعق المرسلة: محمد بن الموصلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٢٧ ـ مختصر العلو: شمس الدين الدهبي، تحقيق: محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.

٢٢٨ ـ مختصر المزني للأُم: محمد بن ادريس الشافعي، مكتبة دار الباز، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٢٢٩ ـ مختصر صحيح مسلم: محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة السادسة ١٤٠٧هـ.

٢٣٠ ـ مدارج السالكين للإمام ابن القيم: مراجعة لجنة من العلماء، دار الحديث القاهرة.

٢٣١ ـ مذكرة في أصول الفقه: محمد الأمين الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٢٣٢ ـ المزهر في علوم اللغة: جلال الدين السيوطي، دار الجيل، بيروت لبنان.

٢٣٣ ـ المسائل المشتركة: محمد العروسي عبد القادر، دار حافظ للنشر، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٢٣٤ ـ المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد، تحقيق: عبد الله بن سلمان الأحمدي، دار طيبة، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.

٢٣٥ ـ المستدرك للحاكم: محمد بن عبد الله الحاكم، اعتنى به: يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٢٣٦ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: بيت الأفكار الدولية ١٤١٩هـ.

٢٣٧ ـ مشارق الأنوار: عياض بن موسى اليحصبي، المكتبة العتيقة، دار التراث، القاهرة.
٢٣٨ ـ مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة بيروت ١٤٠٥هـ.
٢٣٩ ـ المشوف المعلم: عبد الله بن الحسين العكبري، تحقيق: ياسين السواس، دار الفكر ١٤٠٣هـ.
٢٤٠ ـ المصباح المنير: أحمد بن علي الفيومي، مكتبة لبنان ١٩٨٧م.
٢٤١ ـ المطالب العالية: فخر الدين الرازي، مكتبة عباس أحمد الباز، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٢٤٢ ـ معارج القبول لحافظ الحكمي: دار ابن القيم، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ.
٢٤٣ ـ معالم التنزيل: الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة للنشر، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ.
٢٤٤ ـ معترك الأقران: جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
٢٤٥ ـ المعتزلة وأصولهم الخمسة: عواد بن عبد الله المعتق، مكتبة الرشد، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ.
٢٤٦ ـ المعتمد في أصول الفقه: محمد بن علي الطيب، اعتنى به خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٤٧ ـ معجم الشعراء الجاهليين: عزيزة فوال، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
٢٤٨ ـ معجم البلدان: شهاب الدين الحموي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٢٤٩ ـ معجم الشعراء المخضرمين والأمويين: عزيزة فوال، دار صادر، بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
٢٥٠ ـ المعجم الكبير للطبراني تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي.
٢٥١ ـ معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.
٢٥٢ ـ معيار العلم: أبو حامد الغزالي، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٨م.

٢٥٣ ـ مفتاح دار السعادة: الإمام ابن القيم، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٢٥٤ ـ المفردات في غريب القرآن: الحسن بن محمد المعروف بالراغب، دار المعرفة، بيروت لبنان.
٢٥٥ ـ المقاصد السنية: أبو القاسم علي بن بلبان المقدسي، تحقيق: محيي الدين مستور الخطراوي، مكتبة دار التراث، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.
٢٥٦ ـ مقالات الإسلاميين: أبو الحسن الأشعري، تحقيق: محمد عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ١٤١١هـ.
٢٥٧ ـ مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن محمد بن خلدون، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
٢٥٨ ـ المقصد الأسنى: أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد الخشن، مكتبة القرآن.
٢٥٩ ـ الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٢٦٠ ـ مناقب الشافعي: أبو السعادات ابن الأثير الجزري، تحقيق: خليل ملا خاطر، دار القبلة الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
٢٦١ ـ المنتقى من جامع العلوم والحكم: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٢٦٢ ـ منهاج السنة: الإمام ابن تيمية، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
٢٦٣ ـ المنهاج في شعب الإيمان: الحسين بن الحسن الحليمي، تحقيق: حلمي فوده، الناشر، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
٢٦٤ ـ المنهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى: محمد بن أحمد الحمود، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٢٦٥ ـ منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله: خالد عبد اللطيف، رسالة ماجستير، مطبوعة على الآلة الكاتبة.
٢٦٦ ـ منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات: محمد الأمين الشنقيطي، دار الفتح، الشارقة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
٢٦٧ ـ المنية والأمل: أحمد بن يحيى المرتضى، تحقيق: محمد جواد مشكور، دار الفكر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
٢٦٨ ـ المواقف في علم الكلام: عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، عالم الكتب، بيروت.

٢٦٩ ـ موعظة المؤمنين: محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٢٧٠ ـ موقف ابن تيمية من الأشاعرة: عبد الرحمن المحمود، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ.
٢٧١ ـ ميزان الاعتدال: محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.
٢٧٢ ـ النبوات: الإمام ابن تيمية، المطبعة السلفية بالقاهرة، ١٣٨٦هـ.
٢٧٣ ـ نتائج الفكر في النحو: عبد الرحمن السهيلي، تحقيق: محمد البنا، دار الاعتصام، الطبعة الثانية.
٢٧٤ ـ النجاة: أبو علي الحسين بن سينا، الطبعة الثانية ١٣٥٧هـ. مطبعة السعادة، مصر.
٢٧٥ ـ النجوم الزاهرة: جمال الدين ابن تغري بردي، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
٢٧٦ ـ نظام الطلاق في الإسلام: أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة، الطبعة الأولى ١٣٥٤هـ.
٢٧٧ ـ النفائس الحموية: طبعة مكتبة الرياض الحديثة.
٢٧٨ ـ نقض تأسيس الجهمية: الإمام ابن تيمية، اعتنى به: محمد بن قاسم، مؤسسة قرطبة.
٢٧٩ ـ نهاية الإقدام في علم الكلام: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مكتبة المثنى، بغداد.
٢٨٠ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبي السعادات، المكتبة العلمية، بيروت.
٢٨١ ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: الإمام ابن القيم، اعتنى به مصطفى أبو النصر، مكتبة السوادي، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.
٢٨٢ ـ الوابل الصيب: الإمام ابن القيم، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، الطبعة الخامسة ١٤١٥هـ.
٢٨٣ ـ الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل الصفدي، دار النشر فرانزشتايز، بفيسباون ١٤٠١هـ.
٢٨٤ ـ وفيات الأعيان: أحمد بن محمد بن خلكان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع

الفصل العاشر

القسم الثاني

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

